على يد الأمير سليمان
ناظر الجامع الأزهر

الحمد لله رب العالمين

وقف سيدنا ومولانا قاضي القضاة شيخ مشايخ الإسلام ملك العلماء الأعلام
أبو يحيى زكريا الأنصاري أعز الله تعالى به الدين وفسح في أجله للمسلمين
جميع هذا الكتاب وهو جزءان على طلبة العلم الشريف ينتفعون بذلك
الانتفاع الشرعي على الوجه الشرعي وجعل مقر ذلك [redacted]
الزاوية الكائنة بالجامع الأزهر المعروفة [redacted]
وشرط النظر في ذلك لسيدنا الشيخ الإمام العالم العلامة جمال الدين الصافي
الشافعي على ما شرح بكتاب الأول بتاريخ سادس عشر ذي الحجة الحرام سنة

محمد النشيلي

محمد ...

٧٤٨
خاص
٥٧٦٢
عام

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم
فصل في خروج الامام الي صلاة العيدين والسنه الماضيه في صلاه العيدين
ان تكون في المصلى لان النبي صلى الله عليه وسلم قال صلاه في مسجدي
هذا افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام ثم مع هذه الفضيله العظيمة
خرج عليه الصلاة والسلام الى المصلى وتركه فهذا دليل واضح على تاكد امر الخروج
الى المصلى لـ ..ة العيدين فهي السنة وصلاتها في المسجد على مذهب
مالك رحمه الله بدعة اللهم الا ان يكون ثم ضرورة داعية الى ذلك فليس
ببدعة لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعلها ولا احد من الخلفا الراشدين
بعده ولانه عليه الصلاة والسلام امر النسا ان يخرجن الى صلاة العيد
وامر الحيض وربات الخدور بالخروج اليها وقالت احديهن يا رسول
الله احدانا لا يكون لها جلباب فقال عليه الصلاة والسلام تعيرها اختها
من جلبابها لتشهد الخير ودعوة المسلمين فلما ان شرع عليه الصلاة والسلام
لهن الخروج شرع الصلاة في البراح لاظهار شعيرة الاسلام وليحصل لهم عليه
الصلاة والسلام ما قد امر به في الحديث الاخر من قوله عليه الصلاة
والسلام باعدوا بين انفاس النسا وانفاس الرجال فامر به في
هذا الحديث فعله في صلاة العيد فكان النسا بعيدا من الرجال الا ترى
انه عليه الصلاة والسلام لما ان فرغ من خطبته وصلاته جا الي النسا فوعظهن
وذكرهن فلو كن قريبا لسمعن الخطبة ولما احتجن الي تذكيره لهن
بعد الخطبة هذا وجه ووجه ثان وهو ان المسجد ولو كبر فهم محصورون
في الخروج من ابوابه المعلومة وقد يجتمع الرجال والنسا عند الدخول
فيها والخروج منها فتتوقع الفتن في موضع العبادات والبراح ليس
كذلك لاتساع البراح فلا يصل فيها احد لاحد في الغالب وهذا بعكس
ما يفعله بعض الناس اليوم وهو ان المسجد عندهم كبير وله
ابواب شتى يخرجون منه الى البراح لكونه اوسع وهو السنة
فبنوا في ذلك البراح موضعا يكون في الغالب على قدر صحن الجامع
او اصغر وجعلوا له بابين ليس الا باب الجهة القبلية والاخر
في مقابلته فيجتمع النسا والرجال في احد البابين في الدخول والخروج

فتقف

وتقف الخيل والدواب عليهما فاذا انصرفوا اخرجوا منهما كذلك مزدحمين
والغالب ان النسا اذا خرجن لغير العيد تلبس الحسن من الثياب وتستعمل
الطيب وتتحلين الى غير ذلك مما تقدم فكيف بهن في العيدين والرجال
ايضا يتجملون بما يجوز لهم فتقع الفتن وتتلوث القلوب وهم قد خرجوا
لقربة فال الامر الى ضدها وفي هذا الباب امور اخر منها ان البابين
المفتوحين لا باب عليهما فبقي ذلك المكان ماوي لما لا ينبغي من قطاع
الطريق واللصوص وغيرهما من يفعل القبايح المتوقعة فيها وقد قيل
من العصمة ان لا تجد فاذا كان الانسان يهم بالمعصيه ويجد من
يوقعها ولا يجد موضعا فهذا نوع من العصمة فاذا وجد الموضع متيسرا
كان ذلك تيسيرا للمعصيه لمن ارادها والموضع موضع عبادة ينبغي
ان ينزه عن هذا فيترك مكشوفا لا بنا فيه فان كان لا يقدر على ازاله ما
فيه من البنيان فيترك الصلاة فيما حواه البنيان ويصلي خارجا
عنه في البراح فهو الاولى والافضل في حقه بل المتعين اليوم لكن
السنة ان لا ينصرف بعد الصلاة حتى يفرغ الامام من خطبته
وان كان لا يسمعها كما تقدم في الانصات لخطبة الجمعة وهذا كله
من مكايد ابليس ياتي الى مواضع القرب فيدس فيها دسايس
حتى ترجع على الضد من ذلك نسال الله العافيه بمنه فصل
في التكبير عند الخروج الى المصلى والسنة الماضيه ان
يكبر عند خروجه الى المصلى ان كان ذلك عند طلوع الشمس او قرب
طلوعها فان كان قبل ذلك واتى الى المصلى لاجل بعد منزله فليس
عليه تكبير حتى يدخل الوقت المذكور على المشهور وقيل يشرع
له التكبير من بعد طلوع الفجر وبعد صلاة الصبح اذا خرج في وقته
ذلك والسنة المتقدمه ان تجهر بالتكبير فيسمع نفسه ومن
يليه والزيادة على ذلك حتى يعقر حلقه من البدع اذ انه لم يرد عن
النبي صلى الله عليه وسلم الا الذكر ورفع الصوت بذلك يخرج عن
حد السمت والوقار ولا فرق في ذلك اعني في التكبير بين ان
يكون اماما او مؤذنا او غيرهما فان التكبير مشروع في حقهم اجمعين

وسلاحهم وصوبه الامام نصير الدين التمرتاشي/
وقالوا من جملة ذلك من لا يحضر الجماعة يجوز
تعزيره بأخذ المال/ وفي المجتبى عن أبي يوسف
التعزير من السلطان بأخذ المال جائز ولم
يذكر كيفية الأخذ وارى ان يأخذها فيمسكها
فان ايس من توبتهم يصرفها الى ما يرى/ وفي شرح
مشكل الآثار التعزير بالمال كان في ابتداء الاسلام
ثم نسخ فان قلت في فتاوى قاضي خان وغيره
ان الامام او القاضي اذا صالح شارب الخمر على أن
يأخذ منه مالا ويعفو عنه لا يصح الصلح ويرد
المال على شارب الخمر سواء كان ذلك قبل الدفع
أو بعده قلت هذا في حد الشرب لا في التعزير
فلا مناقضة/ وفي التاتارخانية لو رآه جالسا
مع الفساق في مجلس الشرب ولا يشرب يعزره
الامام ومن جملة ما يعزره يأمره باخراج المال

الفصل الرابع

في الحنفي اذا انتقل إلى مذهب الشافعي هل يعزر
اولا/ وفي السراجية من ارتحل الى مذهب
الشافعي يعزر/ وحكي أن أبا حفص بن عبد الله
أبي حفص الكبير البخاري ارتحل إلى مذهب الشافعي
لكثرة بر الشافعية فامر بالتعزير والنفي عن البلدة/
وفي

وفي البزازية وسئل شيخ الاسلام عطاء
ابن حمزة عن شافعي صار حنفيا ثم أراد العود
الى مذهبه الأول فقال الثبات على مذهب
الامام الاعظم خير واولى وهذه الكلمة اقرب
الى الالفة مما قاله البعض من انه يعزر اشد
التعزير لانتقاله الى المذهب الادون/ النسفية
سئل عن شافعي صار حنفيا ثم أراد أن ينتقل
إلى مذهب الشافعي هل له ذلك أم لا فقال
الثبات على مذهب أبي حنيفة خير واولى قال
وهذه الكلمة أقرب الى الألفة واوفقها أجاب
القاضي الامام ابو الحسن الماتريدي عن هذه
المسئلة يعزر هذا البائس المرتد أشد التعزير
حتى يترك المذهب الردي ويرجع الى المذهب
السديد/ وفي جواهر الفتاوى قال
حنفي انتقل الى مذهب الشافعي قال فخر الدين
اكر اين مرد عامي است ساقط القول والشهادة
شود از همه فاسقان زبر باشد واكر اين اهل علم
باشد مبتدع وضال كردد واجب بود منع وزجر/
وحكي أن رجلا من أصحاب الجماعة خطب الى رجل
من أصحاب الحديث ابنته في عهد الشيخ ابي بكر
الجرجاني فأبى الرجل ان يزوجه إلا أن يترك مذهبه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة
والسلام علي افضل النبيين محمد واله وصحبه
اجمعين الي يوم الدين هذه فهرست كتاب
راحت الصالحين وصواعق المنافقين جعلته
علي ثمانية ابواب وفصول ومسايل وخواتم
الباب الاول في بيان الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر الباب الثاني في بيان فرايض
الصلاة وفيه ستة فصول الفصل الاول
في بيان فوايد عظيمة والفصل الثاني في بيان

الصلاة التي فسدت بمد التكبيرات والفصل
الثالث في فوايد جليلة والفصل الرابع في بيان
عدد الفرائض في ركعات الصلوات الخمس
والفصل الخامس في بيان تعداد الفرائض
والايام والشهور والسنة والفصل السادس
في بيان الميزان الباب الثالث في بيان الواجبات
المشهورة وفيه فصلان الفصل الاول في بيان
عدد الواجبات في الصلوات الخمس والفصل
الثاني في بيان تعداد الواجبات في يوم وشهر
وسنة الباب الرابع في بيان الواجبات
الثمانية التي كانت مخفية في الصلاة وهي
منقسمة الي قسمين القسم الاول من الواجبات
الثمانية المخفية خمسه فصول الفصل الاول

فكان يستخف بالرجل بعد ذلك قال انما استخف
به لاستخفاف الرجل بدينه ومذهبه وترك
مذهبا قد صح عنده منذ سنين من غير حجة فتامل
ما قلنه لك وهو ان الرجل اذا ترك مذهبا قد
صح عنده ميلا الى الدنيا وما ينال من عرضها
لحقه الوعيد الشديد والله أعلم

الفصل الخامس

في كيفية التعزير ومقداره / وفي الخلاصة
التعزير على اربع مراتب تعزير أشراف الاشراف
كالفقهاء والعلوية / وتعزير الأشراف كالدهاقنة
وتعزير أوساط الناس / وتعزير الخسائس
فتعزير اشراف الأشراف الاعلام لا غير وهو
أن يقول القاضي بلغني انك تفعل كذا / وفي
تعزير الاشراف الاعلام والجر إلى باب القاضي /
وتعزير الأوساط وهم السوقية الاعلام
والجر الى باب القاضي والحبس / وتعزير الخسائس
الاعلام والجر والضرب والحبس في ذلك
وفي شرح الطحاوي للموبري وهذا اذا ندر
منهم واما اذا اكثر الحمد حكمهم بحكم الأراذل
والسقاط / وفي المجتبى وتعزير الأمراء والقواد
والدهاقين بالاعلام والجر الى باب القاضي

والخصومة

والخصومة في ذلك / وفي المحيط ثم قد يكون
التعزير بالحبس وقد يكون بالصفع وتعريك
الأذن وقد يكون بالكلام العنيف وقد يكون
بالضرب / وفي الهداية وان راى الامام ان
يضم الى الضرب في التعزير الحبس فعل لانه
صلح تعزيرا وقد ورد الشرع به في الجملة
حتى جاز ان يكتفى به فجاز ان يضم اليه / وفي
الدرر وصح ضربه مع حبسه اذا احتيج الى
زيادة تأديب / وفي الخانية وفي نوادر ابن
رستم عن محمد رجل يشتم الناس وهو محتشم له
مروءة يوعظ ولا يحبس وان تكرر ذلك
يؤدب وان كان شتاما يضرب ويحبس وفي
فتح القدير يعني الذي دون ذلك المروءة عندي
في الدين والصلاح وفي الاجناس قلت
لمحمد والمروءة عندك في الدين والصلاح قال
نعم / وفي الظهيرية وقد يكون التعزير بنظر القاضي
إليه بوجه عبوس / وفي الحاوي القدسي وان
رأى الامام ان يضم الى الضرب الحبس فعل / وفي
المجتبى وذكر ابو اليسر والسرخسي انه لا يباح
التعزير بالصفع لأنه من أعلا ما يكون من
الاستخفاف فيصان عنه اهل القبلة / وفي

أن هو الذي سعى فيه من نفسه لدى أخيه، فطلب من الشيخ اللبان أن يكتفي في أمري بما مضى من السنين فأجاب إلى ذلك، واشترط أن أذهب إليه ليأخذ عليَّ الإقرار السابق، فشكرته على هذا السعي، ولا أزال أحفظ له جميله في ذلك، وأحفظ لأخيه أنه لم يتركني في الأقسام العامة أكثر مما قضيته فيها، وإن كان قد أبطأ بي ولم يكلم الشيخ اللبان بنفسه إلا بعد أن سعى إليه أخوه، وانتهى بهذا فصل من حياتي لقيت فيه من عنت الرجعيين ما لقيت، ولقيت فيه من تنكر دعاة الإصلاح لي في ذلك ما كنت أرضى به منهم، لأنهم لم يمكنوا مع هذا الرجعيين مني كل التمكين، وقد حفظت للشيخ المراغي هذا في حياته وبعد مماته، ولم أنكر فضله فيه كما أنكره الذين انتحلوا أنهم دعاة إصلاح، ولم يكونوا إلا طلاب وظائف ومناصب

وبعد فإني كنت قد ألفت هذا الكتاب في عهد طغيان الرجعية على أن أخرجه غير منسوب إليَّ، وإنما هو مناظرة بين طالبين تخيلتهما ورمزت إلى أولهما بحرف – س – وللثاني بحرف – ج – لم يرضهما وقوف فكري في الحدود الإسلامية عند الحد الذي وصلت إليه، فأرادا أن يقوما بحثهما لمعرفة الحق فيها، بعد أن وقف الرجعيون بجمودهم دون ظهور الحقيقة في أمرها

فلما مضى ذلك الطغيان أمكنني أن أجاهر بفكري في كتابي – قضية مجاهد في الإصلاح – وأن أتحدى الرجعيين بما فيه حين استعدوا البرلمان في طلب نالني منهم وألفت فيه هذا الكتاب – قضية مجاهد في الإصلاح – وأمكنني الآن أن أظهر كتابي – في الحدود الإسلامية – منسوبا صريحا إلي، وإن كنت قد أبقيته على ترتيبه الأول حين أردت أن أظهره على أنه تأليف الطالبين السابقين

٩/١١/١٣٨٦ – ٢٢/٢/١٩٦٧

في الحدود الإسلامية

تأليف

طالبين أزهريين

وان قام بعضهم بالسنن القليلة صح

والسلام مع انه قد احيي هذا العشر بعضهم فى المسجد الجامع وهي سنة
حسنه لو سلمت ما طرا عليها من المفاسد فمنها ان الايمة فيها ياخدون
عليها عوضا معلوما الثانى ان المسجد يبقى فى ظلام الليل مفتوح الابواب
يدخل منها اليه من يقوم ومن لا يقوم وظلام الليل يسترهم فلو كان من
وقف على زيت يعم المسجد كله لضويه وعلى رجال يطوفون فى المسجد
طول ليلتهم فمن راوه فيه فى غير عبادة اخرجوه لكان ذلك حسنا واما
مع عدم هذا فمفاسد كثيرة وفى التلويح ما يغنى عن التصريح اسال
الله السلامه بمنه **فصل فى الخطبة عقيب الختم والخطب**
الشرعية معروفة مشهورة ولم يذكر فيها خطبه عند ختم القران
فى رمضان ولا غيره واذا لم يذكر فهي بدعة ممن فعلها سيما ان كان
الموضع معروفا مشهورا مثل ان يكون المسجد الجامع او يكون المسجد
منسوبا الى عالم او معروف بالخير والصلاح او منسوبا الي المشيخة الي
غير ذلك فعل ذلك فيه اشد كراهة لاقتدا اكثر من عامة الناس
به وان كان ذلك ممنوعا فى حق المساجد كلها لكن حيث يحصل الاقتدا
يتاكد المنع **وينبغى له ان يجتنب ما احدثوه بعد الختم من**
الدعا برفع الاصوات والزعقات قال الله تعالى فى محكم كتابه
العزيز ادعوا ربكم تضرعا وخفيه وبعض هولا يعوضون عن التضرع
والخفيه بالعياط والزعقات وذلك مخالف للسنه المطهرة وقد
سيل بعض السلف رضى الله عنهم عن الدعا الذي يدعوا به عند ختم
القران فقال استغفر الله من تلاوتي اياه سبعين مرة وسيل غيره
عن ذلك فقال اسال الله ان لا يمقتني على تلاوتي وقد قالت عايشة
رضى الله عنها كم من قارى يقرا القران والقران يلعنه يقول
الا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم انتهى ولا يظن ظان ان الظلم
انما هو فى الدما والاعراض بل هو عام اذ قد يكون ظالما لنفسه فيدخل او الاتو اضح
اذ ذاك تحت الوعيد وبالجملة فالموضع موضع تخشع وتضرع وابتهال
ورجوع الي المولى سبحانه وتعالى بالتوبه مما قارفه من الذنوب
او اللهو والغفلات او تقصير حال البشرية وان يبدل العبد

جهده

كل صح تولد

جهده على قدر حاله ومرتبته فمن دعايه عليه الصلاة والسلام اللهم
اعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ومن ذلك قوله عليه السلام
اللهم اصلح لى دينى الذي هو عصمة امري واصلح لى دنياى التي فيها
معاشى واصلح لي اخرتي التى اليها معادي ومن ذلك الدعا الذي علمه
جبريل عليه السلام لادم عليه السلام حيث قال له قل اللهم تمم لى النعمة
حتى تهنيني المعيشه وحسن لى العاقبة حتى لا تضرنى ذنوبى وخلصنى
من شبايك الدنيا وكل هول فى القيمة حتى تدخلنى الجنه بسلام ومن
ذلك ما رواه مالك رحمه الله فى موطايه عنه عليه الصلاة والسلام
انه كان من دعايه عليه السلام اللهم انى اسالك فعل الخيرات وترك
المنكرات وحب المساكين واذا اردت بالناس فتنه فاقبضنى اليك
غير مفتون وقد قال الامام الغزالي رحمه الله فى كتاب الاذكار
والدعوات مر بعض السلف بقاص يدعوا بسجع فقال اعلى الله تبالغ
اشهد انى رايت حبيبا العجمي يدعوا وما يزيد على قوله اللهم اجعلنا جيدين
اللهم لا تفضحنا يوم القيمة اللهم وفقنا للخير والناس يدعون من كل ناحيه
ورااه وكان يعرف بركة دعايه وقال بعضهم ادعوا بلسان الذله والافتقار ـد
لا بلسان الفصاحة والانطلاق ويقال ان العلما والابدال لا يزيد احدهم
فى الدعا على سبع كلمات فما دونها ويشهد له اخر سورة البقرة فان الله
لم يخبر فى موضع من ادعيه عباده اكثر من ذلك انتهى هذا هو المستحب
فى الجماعات واما ان كان الانسان وحده او فى جماعة يوثرون تطويل
دعايه فالمستحب ان يمضي فيه لقوله عليه السلام ان الله يحب
الملحين فى الدعا انتهى وهذا فى غير المسجد ويجوز فى المسجد بشرط
ان لا يكون الجهر والتطويل بالدعا عادة فالحاصل من هذا ان يمضى
فيما فتح له فيه فى اي وجهة كانت من صلاة او صوم او علم او دعا او
تضرع او ابتهال او خشوع حتى انهم قد قالوا لو اخده الخشوع فى صلاة
النافله فليمض فى ذلك ولو ختم الختمة فى ركعة واحده وكذلك
لو وجد الخشوع فى ايه واحدة فانه يكررها ما دام على ذلك حتى
الصباح ولا يقطعها الا لفرض تعين وكذلك اذا فتح عليه فى الدعا

فالمستحب فى حقه ان لا يقطعه ايضا من له عقل وليرجع الى عمل السلف رضي الله عنهم وبترك الحدث فى الدين والله المستعان قال الشيخ الامام الجليل ابو الوليد ابو بكر المشهور بالطرطوشي رحمه الله فان قيل وهل يأثم فاعل ذلك فالجواب ان يقال ان كان ذلك على وجه السلامة من اللغط ولم يكن الا الرجال او الرجال والنسا منفردين بعضهم عن بعض يسمعون الدعا فهذه البدعة التى كره مالك واما ان كان على الوجه الذي يجري فى هذا الزمان من اختلاط الرجال والنسا ومضامة اجسامهم ومزاحمة من فى قلبه مرض من اهل الريب ومعانقة بعضهم لبعض كما حكى لنا ان رجلا وجد يطا امراة وهم وقوف فى زحام الناس وحكت لنا امراة ان رجلا واقعها فما حال بينهما الا الثياب وامثال ذلك من الفسق واللغط فهذا فسوق فيفسق الذي يكون سببا لاجتماعهم فان قيل اليس روى عبد الرزاق فى التفسير ان انس ابن مالك كان اذا اراد ان يختم القران جمع اهله قلنا فهذا هو الحجة عليكم فانه كان يصلى فى بيته ويجمع اهله فاين هذا من تلفيق الخطب على روس الاشهاد فيختلط الرجال بالنسا والصبيان والغوغا وتكثر الزعقات والصياح ويختلط الامر ويذهب بها الاسلام ووقار الايمان والضيا فانه ما روي انه دعا وانما جمع اهله فحسب وايضا ما روي ان عمر سمع رجلا يقول واجتذ اصفرة ما ذراعيها الماء كان قد توضات به امراة فبقي فيه من اثر الزعفران فعلاه بالدرة وروي انه نهى ان يجلس الرجل فى مجلس المراة عقيب قيامها وكل من قال باصل الذرايع يلزمه القول بهذا الفرع ومن ابا اصل الذرايع من العلما يلزمه انكاره لما يجري فيه من اختلاط الرجال والنسا انتهى **فصل فى القيام عند الختم بسجدات القران**

وينبغي له ان يتجنب ما احدثه بعضهم من البدع عند الختم وهو انهم يقومون بسجدات القران كلها فيسجدونها متواليه فى ركعة واحدة او ركعات فلا يفعل ذلك فى نفسه وينهى عنه غيره اذ انه من البدع التى احدثت بعد السلف وبعضهم يبدل مكان السجدات

قراءة التهليل على التوالي فكل اية فيها ذكر لا اله الا الله او لا اله الا هو قراها الى اخر الختمة وذلك من البدع ايضا **فصل فى قيام السنة كلها قال الباجي رحمه الله** فى شرح الموطا له ان هذا القيام الذي يقوم الناس به فى رمضان فى المساجد هو مشروع فى السنة كلها يوقعونه فى بيوتهم وهو اقل ما يكن فى حق القاري وانما جعل ذلك فى المساجد فى رمضان لكي تحصل لعامة الناس فضيلة القيام بالقران كله ويسمعوا كلام ربهم فى افضل الشهور انتهى ولكونه نزل فيه القران جملة واحدة الى سما الدنيا ولكون جبريل عليه السلام كان يدارس القران النبي صلى الله عليه وسلم فيه فلاجل هذه الوجوه وما شابهها ناسب محافظة جميع الناس على قيامه وان كان القيام فى السنة كلها مشروعا لمن حفظ القران ومن لم يحفظه ممن حفظه قام به فى بيته جهرا ولا يقوم به فى المسجد اعني فى جماعة كما فى رمضان وغير الحافظ يستحب له ان لا يصلى عدد الركعات بام القران وبما تيسر معها من السور فى بيته ايضا هذه هى السنة الماضية فى الامة خلافا لما فعله بعض الناس من انه جعل القيام المعهود فى رمضان دايما فى زاويته فى جميع السنة ثم نقلت عنه واشتهرت وصارت تعمل فى بعض المواضع المشهورة وقد قال ابن حبيب وغيره من العلما انهم يمنعون من ذلك فى المساجد وفى كل موضع مشهور وكذلك لو تواعدوا على انهم يجمعون فى موضع مشهور يمنعون منه فان فعلوا فهي بدعة ممن فعلها وقد قال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فيما تقدم نعمة البدعة هذه يعني فى جمعهم على قاري واحد فى رمضان على ما تقدم بيانه فذكره رضى الله عنه لذلك تنبيه على ان من فعله على تلك الصفة فى غير شهر رمضان انه بدعة **فصل فيما يفعلونه بعد الختم مما لا ينبغي قد تقدم ان الدعا** بعد الصلاة تستحب على الصفة المذكورة قبل وعند الختم مثله وقال مالك فى المدونة الامر فى رمضان الدعا وليس بالقصص بالدعا قال الطرطوشي رحمه الله فقد نهى مالك ان يقص احد بالدعا فى رمضان وحكى ان الامر المعمول به فى المدينة القراة من غير قصص

ولا دعا ومن المستخرجة عن ابن القاسم قال سيل مالك عن الذي
يقرا القران فيختمه ثم يدعوا قال ما سمعت انه يدعا عند ختم القران
وما هو من عمل الناس وفي مختصر ما ليس في المختصر قال مالك لا باس
ان يجتمع القوم في القراة عند من يقريهم او يفتح على كل واحد منهم فيما يقرا
قال ويكره الدعا بعد فراغهم وروى ابن القاسم ايضا عن مالك ان ابا
سلمة ابن عبد الرحمن راى رجلا قايما يدعوا فرفع يديه فانكر ذلك
وقال لا تقلصوا تقليص اليهود قال مالك التقليص رفع الصوت
بالدعا ورفع اليدين وروى ابن القاسم ايضا قال سيل مالك عن ما يعمل الناس
به من الدعا حين يدخلون المسجد وحين يخرجون ووقوفهم عند ذلك
فقال هذا من البدع وانكر ذلك انكارا شديدا قال بعض اصحابنا انما
عنى بهذا الوقوف الدعا فاما الدعا عند دخوله وخروجه ماشيا
فانه جايز وقد وردت فيه اثار عن النبي صلى الله عليه وسلم وسيل مالك
عن الرجل يدعوا خلف الصلاة قايما قال ليس بصواب ولا احب لاحد ان
يفعله وذكر ابن شعبان في كتابه عقيب ذكره جملا من هذه الامور
المحدثة قال انما كرهها مالك خيفة ان يلحق بما يجب فعله حتى يتخذ
امرا ماضيا وما اتا نقدر ذلك بل قد وجد ما كنا نحذر فاكثر المسلمين
اليوم ان الرسول صلى الله عليه وسلم انما شرع قيام رمضان على هذا
الوجه وان ترك ذلك بدعة مع القطع بان الرسول عليه السلام
لم يجمع في رمضان الا ليليتين انتهى فاذا تقرر هذا من مذهب الامام
رحمه الله تعالى فاعلم ان الكراهة المذكورة محمولة على الجهر ورفع
الصوت به في جماعة واما الدعا في السر فهو جايز ومندوب بحسب
الحال وعلى هذا درج السلف والخلف رضي الله عنهم وقد كان
سيدي ابو محمد رحمه الله اذا ختم عنده في شهر رمضان
في المسجد في جماعة لم يزد على ما يعهد منه خلف المكتوبة شيا وكنا
لا نعرف دعاه بعد الصلوات الا حين يرمق السما بعينيه وهذا ضد ما
يفعلونه في هذا الزمان عقيب الختم من قراة التصديقات والكلام
المسجع حتى كانه يشبه الغنا لما فيه من التطريب والهنول وخلوه

من الخشوع

من الخشوع والتضرع والابتهال للمولى الكريم سبحانه وتعالى قال
عز وجل في كتابه العزيز امن يجيب المضطر اذا دعاه ولم يقل امن يجيب
القوال وقد جمع ذلك من البدع اشيا جملة يعرفها من له اطلاع على
فعل السلف الماضين فان خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وما
مضى عليه سلف الامة الماضين رضي الله عنهم اجمعين واذا كان ذلك
كذلك فينبغي ان يمنع ما يفعله بعض الناس بعد الختم وما انضاف
اليه مما لا ينبغي فمن ذلك اجتماع المودنين تلك الليلة في موضع الختم
فيكبرون جماعة في حال كونهم في الصلاة لغير ضرورة داعية الا المسمع الواحد
فضلا عن جماعة بل بعضهم يسمعون وليسوا في صلاة وهذا فيه ما فيه
من القبح والمخالفة لسنة السلف الماضين وقد تقدم ذلك ويودنونه
كذلك ايضا ثم انهم زادوا على ذلك اذا خرج القاري من الموضع الذي صلى
فيه اتوه ببغلة او فرس ليركبها ثم تختلف احوالهم في صفة ذهابه الى
بيته فمنهم من يقرا القران بين يديه كحالهم يفعلون امام جنايزهم وامامهم
المذكور على عادته الذميمة والمودنون يجهرون بين يديه كتكبير
العيد قال القاضي ابو الوليد ابن رشد رحمه الله كره مالك قراة القران
في الاسواق والطرق لوجوه ثلاثة احدها تنزيه القران وتعظيم له من
ان يقراه وهو ماش في الطريق والاسواق لما قد يكون فيها من الاقذار
والنجاسات والثاني انه اذا قراه على هذه الاحوال لم يتدبره حق التدبر
والثالث لما يخشى ان يدخله ذلك مما يفسد نيته انتهى ومنهم من
يعوض عن ذلك الفقرا الذاكرين بين يديه ومنهم من يعوض عن ذلك
بالاغاني وهو اشدها وان كانت كلها ممنوعة وبعضهم يضيف الى
ذلك ضرب الطبل والابواق والدف وبعضهم بالطار والشبابة في بيته
وبعضهم يجمع ذلك كله او اكثره ويحضر اذ ذاك من اللهو واللعب
تلك الليلة ما هو ضد المطلوب فيها من الاعتكاف على الخير وترك
الشر وترك المباهاة والفخر وغير ذلك مما شاكله ثم انهم يعملون انواعا
من الاطعمة والحلاوات فسبحان الله ما اضر البدع وما الد شوها
حتى لقد رايت بعض الناس عمل لولده ختما ببعض ما ذكر فلما جات

السنة الثانية سالته عن ولده في اي موضع صلى القيام فقال لي انا منعته
من القيام فقلت له ولم قال لان الاصحاب والاخوان والمعارف يطالبوني
بالختم فاحتاج الى كلفة كثيرة فانظر الى شوم البدع كيف جرت الى
ترك الطاعات وترك المحافظة على حفظ الختمة لان الصبي اذا كان
يصلي بالقران في كل سنة بقيت الختمة محفوظة عليه لم ينسها في الغالب
الا ترى الى قوله عليه الصلاة والسلام مثل صاحب القران كمثل صاحب الابل
المعقلة ان عاهد عليها امسكها وان اطلقها ذهبت والغالب في الصبيان
انهم لا يقومون في الليل فاذا لم يصلوا به في الليل ولم يقوموا به في رمضان
والغالب من حالهم الاشتغال بامر الدنيا والاسباب التي تعوقهم عن
معاهدة الختمة فيكون ذلك سببا الى نسيانها لاكثرهم

فصل

في وقود القناديل ليلة الختم وينبغي في ليالي رمضان

كلها ان يزاد فيها الوقود قليلا زايدا على العادة لاجل اجتماع الناس
وكثرتهم فيه دون غيره فيرون المواضع التي يضعون فيها اقدامهم والمواضع
التي يمشون بها الى غير ذلك من منافعهم ولا يزاد في ليلة الختم شي
زايد على ما فعل في اول الشهر لانه لم يكن من فعل من مضى بخلاف
ما احدثه بعض الناس اليوم من زيادة وقود القناديل الكثيرة الخارجة
عن الحد المشروع لما فيها من اضاعة المال والسرف والخيلا سيما اذا انضاف
الى ذلك ما يفعله بعضهم من وقود الشمع وما يركز فيه فان كان فيه شي
من الفضة او الذهب فاستعماله محرم لعدم الضرورة اليه وان
كان بغيرهما فهو اضاعة مال وسرف وخيلا وبعضهم يفعلون فعلا
محرما وهو انهم يعلقون خيمة عند الموضع الذي يختمون ويختلف
احوالهم فيها فبعضهم يتخذها من الشقق الحرير الملونة وبعضهم من
غيرها لكنها تكون ملونة ايضا ويعلقون فيها القناديل وذلك محرم
وسرف وخيلا واضاعة مال واستعمال لما لا يجوز استعماله من
الحرير وغيره وبعضهم يجعل الما الذي في القناديل ملونا وبعضهم
يضم الى ذلك القناديل المذهبة او الملونة او هما معا وهذا كله من
باب السرف والخيلا والبدعة واضاعة المال ومحبة الظهور

التي يقصدونها وان كان الموضع يسمعهم ام لا التي صح

والقيل

والقيل والقال فكيف ما زادت فضيلة الليالي والايام قابلوها بضده
اسال الله العافية بمنه وبعضهم يفعلون فعلا محرما وهو انهم يستعيرون
القناديل من مسجد اخر وهو لا يجوز لان قناديل هذا المسجد وقف عليه
ولا يجوز اخراجها منه ولا استعمالها في غيره ومنهم من يفعل ما هو اشد
مما ذكر وهو ان من كان عنده فرح في طول السنة استعار القناديل من
مسجد واستعملها في بيته للسماع والرقص وما شاكل ذلك ثم انضاف الى ما ذكر
من الوقود الى اجتماع اهل الريب ومن لا يرضى حاله حتى جر ذلك
الى اجتماع الرجال والنسا في موضع واحد مع اختلاط بعضهم ببعض
وانضاف الى ذلك بسبب كثرة الوقود اجتماع اللصوص وتشويشهم على
بعض الحاضرين وانضاف اليه ايضا كثرة اللغط في المسجد ورفع الاصوات
فيه والقيل والقال اذ انه يكون الامام في الصلاة وكثير من الناس يتحدثون
ويخوضون في الاشيا التي ينزه المسجد عن بعضها في غير رمضان فكيف
بها في شهر رمضان العظيم فكيف بها في ليلة الختم منه فليتحفظ من هذا
كله وما شاكله جهده وهذا اذا كان الزيت من مال الانسان نفسه
واما ان كان من ريع الوقف فلا يختلف احد في منعه ولو شرط الواقف
ذلك لم يعتبر شرطه لقوله عليه الصلاة والسلام كل شرط ليس في كتاب
الله فهو باطل ولو مائة شرط انتهى ولانه من باب السرف والخيلا وقد تقدم
وهذه عادة قد استمر عليها بعض اهل الوقت سيما في المسجد الجامع
سيما في مسجد دمشق فانهم يفعلون فيه افعالا لا تليق بسبب سكوت
بعض العلما عن ذلك فانا لله وانا اليه راجعون على انقلاب
الحقايق اذ انهم لو فعلوا ذلك وهم يعتقدون انه سرف وبدعة كما
تقدم لرجي لهم التوبة والاقلاع ولكن زادوا على ذلك اعتقادهم
ان فعل ذلك من اظهار شعيرة الاسلام واذا انفرر هذا عندهم
فلا يتوب احد من اظهار الشعاير وفعلها فمن اراد السلامة من
هذا الامر المخوف فليغير ذلك مهما استطاع جهده فان عدم الاستطاعة
فلا يصلي فيه تلك الليلة لان بصلاته فيه يكثر سواد اهل البدع ويكون
حجة ان كان قدوة للقول بان ذلك جايز غير مكروه لقول من يقول قد كان

سيدي فلان يحضره فلم يغيره فلو كان بدعة لما حضره ولا رضي به وهذا او الحالة
هذه زيادة في الدين وهي مسلة معضلة اذ ان اثم ذلك كله على من فعله او
امر به او استخفه او رضي به او اعان عليه بشيء ما او قدر على تغييره بشرطه
فلم يفعل وكذلك الحكم في كل شي احدثوه في الدين فيتجنب هذا جهده
والله الموفق ولا حجة لمن يقول انه مضطر للصلاة فيه ليحصل فضيلة الجماعة
اذ ان الفضيلة موجودة في غيره من المساجد ان كان سالما مما ذكر ويتاكد
الترك في حق من هو قدوة لقول مالك رحمه الله اذا حضرت امرا ليس
بطاعة الله ولا تقدر ان تنهى عنه فتنح عنهم واتركهم لقوله عليه السلام لا
يمنعن احدكم مخافة الناس ان يقول الحق اذا شهده او علمه نقله عنه ابن يونس
في كتابه فان فرض انه لا يجد مسجدا سالما مما تقدم ذكره فليصل في بيته فهو
افضل له واقرب الى رضا ربه سيما في هذا الزمان اذ ان اقرب ما يتقرب
به المتقرب الى الله تعالى اليوم بغض البدع ومحبة السنن والعمل عليها ومحبة
اهلها وموالاتهم اذ ان هذا الفن قد اندرس الا عند من وفقه الله
تعالى وقليل ما هم وينبغي له ان يتجنب في نفسه **وينهى غيره عما احدثه
بعضهم من احضار الكيزان وغيرها** من اواني الماء في المسجد
حين الختم فاذا ختم القاري شربوا من ذلك الماء ويرجعون به الى بيوتهم
فيسقونه لاهلهم ومن شاوا على سبيل التبرك وهذه بدعة لم تنقل
عن احد من السلف رضي الله عنهم وهذا الذي ذكر لا يختص بليلة
الختم بل هو عام في كل ليلة يفعلون ذلك فيها مثل ما يفعلونه في ليالي
الاعياد والتهاليل والماتم وليلة النصف من شعبان واول ليلة جمعة
من رجب واخر يوم من السنة الذي اتخذوه لزيارة القبور فيه
فمن لم يحضر ذلك منهم كانه فاتته شعيرة من شعاير الدين وذلك كله
على ما يعلم من صفة خروجهم واجتماعهم رجالا ونساء وشبانا الى غير ذلك
على ما تقدم فان توقع شيا مما يخالف السنة على ما تقدم فصلاته في داخل
بيته افضل له من الصلاة في المسجد اذ ذاك ان لم يقدر على تغيير ما
هنالك والله المستعان **وينبغي له ان يتجنب ما احدثوه من البدع
في تواعدهم** للختم فيقولون فلان يختم في ليلة كذا او فلان في ليلة كذا

وبعرض

وبعرض ذلك بعضهم على بعض ويكون ذلك بينهم بالنوبة حتى صار ذلك
كانه ولايم تعمل وشعيرة تظهر فلا يزالون كذلك غالبا من انتصاف شهر
رمضان الى اخر الشهر فليحذر من ذلك في نفسه وينهى غيره عنه اذ انه لم
يكن من فعل من مضى اعني في مواعدتهم في الختم في شهر رمضان واما ان
يكون انسان يريد ان يختم لنفسه في اي وقت كان من السنة فيجمع اهله ليعمهم
الرحمة لان الرحمة تنزل عند ختم القران الكريم فذلك جايز لفعل انس
رضي الله عنه وقد تقدم وانما ينهى عن ذلك في شهر رمضان لوجهين
احدهما ما تقدم من كونه لم يكن من فعل من مضى والثاني خيفة مما قد
وقع وهو ان يعتقد انه شعيرة من شعاير الدين ولو فعلوا ذلك في بيوتهم
في طول السنة لكان ذلك بدعة ايضا اذ ان السنة الماضية في هذا
وامثاله اخفاوه مهما امكن فهذا اذكر بعض ما احدثوه فقس عليه كلما
راك من ما لم نذكره تصب ان شا الله تعالى **فصل في ذكر اداب
المودب اعلم رحمنا الله واياك انما تقدم** ذكره من الاداب في حق من
تقدم انما ذلك كله فرع عن هذا الاصل اذ ان اصل كل خير وبركته انما هو
كتاب الله عز وجل اذ هو معدن الخير وهو ينبوع كل علم نافع واذا كان ذلك
كذلك فينبغي ان يكون حامله من اكثر الناس في التعظيم لشعايره والمشي
على سنن من تقدمه في تعظيمه واكرامه واذا كان ذلك كذلك فهو محتاج
مضطر الى تحسين النية فيه اكثر من غيره وقد تقدم قوله عليه الصلاة
والسلام من عمل من هذه الاعمال شيا يريد به عرضا من الدنيا لم يجد
عرف الجنة انتهى ومعلوم على ما تقدم ان اصل الخير انما هو من
القران فهو اعلى اعمال الاخرة فيحفظ نفسه ان يجلس لسبب استجلاب
الرزق لانه ان فعل ذلك فقد اراد به عرضا من الدنيا فيدخل تحت
هذا الوعيد العظيم اسال الله السلامة من ذلك بمنه اذ ان استجلاب
الرزق لا يسوقه حرص حريص واذا كان ذلك كذلك فان هو جلس
له فهو تحصيل حاصل اذ ان الرزق لا يزيد ولا ينقص بذلك وقد حرم
نفسه خيرا عظيما وثوابا جزيلا ولا يظن ظان ان الترك انما يكون بالانتقال
عن ما هو فيه بل يستصحب الحال على ما هو عليه لكن يبدل النية ويستقيم

حاله ان شا الله تعالى وكيفية ذلك بتوفيق الله تعالى ان ينوي بما يفعله
من ذلك امتثالا لارشاد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله عليه السلام
خيركم من تعلم القران وعلمه انتهى والمراد بالخير هنا خير الاخرة اى ان
عمال الاخرة كلهم هذا هو مقدمهم اذ ان منه انفتح سلوك الطريق الى الله
تعالى لان اصل ذلك معرفة الخط والاستخراج والحفظ والضبط والفهم
للمسايل وذلك كله مفتاحه المودب وهو اول باب من التوفيق دخله
المكلف واذا كان ذلك كذلك فقد ظهرت مزيته وكيف لا وهو حامل
كلام من ليس كمثله شي وقد قال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه لو شيت
ان اوقر سبعين بعيرا من تفسير ام القران لفعلت انتهى وهذا منه
رضي الله عنه يحتمل وجهين احدهما ان يكون تلفظه بالسبعين كناية
منه عما لا نهاية له اذ ان من عادة العرب انها تطلق السبعين على ما
لا نهاية له ومنه قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر
الله لهم لان النبي صلى الله عليه وسلم لما ان نزل ذلك عليه حمل الامر
على ظاهر اللفظ فقال عليه الصلاة والسلام والله لازيدن على السبعين
ما لم انه فنزلت سوا عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله
لهم والمعنى الثاني ان يكون ذلك منه على وجه التقريب والا فالامر يجل
عن ان ياخذه حصر او حد وانظر بعين الحقيقة الى قوله تعالى
ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر
ما نفدت كلمات الله فانك اذا نظرت الى هذا وجدته مشاهدا
سريا بالعلم القطعي اذ ان البحار كلها على عظمها وكثرتها ومددها الدايم
مفتقرة الى من يمدها لان كل نقطة منها محتاجة لكتب ما يجري عليها
من الاحكام من حين بروزها من العدم الى الوجود ومن اي
موضع برزت ومن اي شي اصلها وعلى اي موضع تسلك ومن ينتفع
بها وما يطرا عليها من الاعراض وفي اي موضع تستقر فهي لا تقوم
بنفسها لما تحتاج اليه فبقيت العوالم كلها دون شي يكتب به وهذا معنى
كلام سيدي ابي محمد رحمه الله وهذا تنبيه لمن ايقظه الله فينظر
ويعتبر وقد يجتمع للمودب خير الدنيا والاخرة وهو الغالب لما ورد

في الاثر اخبارا عن رب العزة عز وجل يقول يا دنيا اخدمي من خدمني
واتعبي من خدمك انتهى فاذا كانت نيته بجلوسه لله تعالى لان يعلم اية
لجاهل بها ولكي يصح صلاة المسلمين بتعليمه ام القران الى غير ذلك من
نفعه العام للصغير والكبير فهو قد بدا بحظه من اخرته وقد قال عليه
الصلاة والسلام من بدا بحظه من دنياه فاته حظه من اخرته ولم ينل من
دنياه الا ما كتب له ومن بدا بحظه من اخرته نال حظه من اخرته ولم
ينل من دنياه الا ما قسم له او كما قال عليه السلام وقد تقرر ان الدنيا
تجي راغمة لطلاب الاخرة فكم من زاهد فيها ومتورع وفقير متوجه
صادق في توجهه وعالم صادق في علمه وطالب علم صادق في تعلمه
وعارف ومبتدي ومنتهى اتتهم الدنيا في علمه وطالب علم صادق
في تعلمه وهي راغمة مع فراغهم لما هم بصدده كل ذلك اصله ما جلس هذا
اليه فالكل فرع عنه وراجع اليه فينبغي له ان يعظم ما اكرمه الله تعالى
به من هذا المجلس الشريف وان لا يشينه بشي من المخالفة والاعتقاد
الردي والدسايس والنزغات التي تطرا على بعض الناس في ذلك
وهي كثيرة ودواء ذلك ان وقع صدق الافتقار الى الله تعالى وقوة الشفقة
بمضونه والنزول بساحته والاتصاف بصفات المحتاجين المضطرين الذين
لا ارب لهم ولا اختيار الا مولاهم وهو مقصودهم ومطلوبهم الذي عليه
يعولون واليه يلجون وعليه يتوكلون اذ انه سبحانه وتعالى لا يرد
قاصده ولا يخيب من ساله وهو اكرم واجل من الا يعطي حتى يسال
فكيف بمن نزل بساحته وتضرع اليه والقى كنفه بين يديه فاذا فعل
ما ذكر عادت عليه بركة ذلك سرا وعلنا اما حسا واما معنا او كليهما
وقد ذكر الشيخ ابو عبد الله القرطبي في كتاب التفسير له حديثا قال
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير الناس وخير من يمشي
على جديد الارض المعلمون كلما خلق الدين جددوه اعطوهم
ولا تستاجروهم فتحرجوهم فان المعلم اذا قال للصبي قل بسم الله الرحمن
الرحيم فقال الصبي بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبي وبراءة
للمعلم وبراءة لابويه من النار انتهى واذا كان ذلك كذلك فينوي في جلوسه

للتعليم ما تقدم ذكره في حق العالم وادابه وهديه وهذا من باب اولى
ان يكون مطلوبا بذلك كله لانه الاصل كما تقدم لما مضى اول الكتاب
ان العالم نفعه عام لاجل ما احتوي عليه من مصلحة الدين
واقامته منار الاسلام ومناويه التي يعبد الله بها ولا يعصى وقد تقدم في
العالم ان نيته تكون لاظهار دين الله ومعرفة احكامه اللازمة له ولغيره
ولا ينظر الى المعلوم ولا يلتفت اليه فان جاء شي من ذلك اخذه على سبيل انه
فتوح من الله تعالى ليستعين به على ما هو بصدده وكذلك هنا سوا بسوا
فيركب الطريق الوسطي لا شرقية ولا غربية ويكون الصبيان عنده بمنزلة
واحدة لا يشف بعضهم على بعض فابن الفقير وابن صاحب الدنيا على حد
واحد في التربية والتعليم وكذلك من اعطاه ومن منعه اذ بهذا يتبين
صدق حاله فيما هو بصدده فان كان يعلم من اعطاه اكثر ممن لم يعطه
فذلك دليل على كذبه في نيته كما تقدم في العالم اذا تعذر عليه المعلوم فتسخط وتضجر
دل ذلك على فساد نيته فكذلك هاهنا بل يكون من لم يعطيه ارجا عنده
ممن يعطيه لان من لم يعطه تمحض تعليمه لله تعالى بخلاف من اعطاه فانه
قد يكون مشوبا بدسيسة لا تعلم السلامة فيه معها والسلامة اولى ما يغتنم
المرء فيغتنمها العاقل فاذا جلس لما ذكر فلا ينبغي له ان يبوح بنيته لاحد ولا
يذكر حاله له في هذا الزمان بل يفعل ذلك سرا في نفسه مع ربه عز وجل لا يطلع
عليه غيره فانه سبحانه وتعالى يعلم ما تخفي الصدور وقد تقدم ان النية
لا يجهر بها في الصلاة وقد كان السلف رضوان الله عليهم مع كثرة معروفهم
لا يبالون ان يفعلوه فكيف بقارئ القران فكيف بمن انقطع لتعليمه لله
سبحانه وتعالى وكثير في هذا الزمان على عكس حال من تقدم فاذا تقرر عند
احد من الناس اليوم في الغالب ان المعلم يعلم كتاب الله تعالى لله عز وجل
فقل من يعطيه شيا من ذلك ما كان سيدي ابو محمد رحمه الله يقول
اذا وجد الفقير في هذا الزمان قوته من حيث لا يحتاج لاحد فهو من اكبر
الكرامات وكان يعلل ذلك ويقول ان الناس قد انقسموا في هذا الزمان
على قسمين في الغالب فمنهم معتقد ومنهم سيء الظن فالمسيء الظن ان لم
يصل ما ينفعك والمحسن الظن قد خرج بحسن ظنه على الحد فبعدكم من

الملائكة والملائكة لا تاكل ولا تشرب فما يصلك منهم نفع اصلا فاذا وجد الفقير
القوت في زمان من هذا احالهم كان ذلك كرامة في حقه اذ ان الكرامة
انما هي بخرق العادة وما جرى لهذا فهو خرق عادة والمودب مثله سوا بسوا
اذا شعر وامنه بانه يعلم لله تعالى الغالب عليهم انهم لا يعطونه شيا لعدم
مطالبته اياهم هذا احالهم في امور اخرتهم بخلاف اسباب دنياهم عكس ما تقدم
من احوال السلف رضي الله عنهم الا ترى الى ما حكي عن الشيخ ابي محمد ابن
ابي زيد رضي الله عنه لما ان دخل ولده المكتب وقرا الحمد لله رب العالمين
جا الى والده بلوح الاصرافة فاعطاه ما يجد دينارا يعطيها للفقيه فلما ان
حصلت عند الفقيه اجتمع بالشيخ وقال له يا سيدي واي شي عملت حتى تقابلني
~~بهذا العطا فقال له والله لا قرا ابني عليك شيا بعد اليوم فقال له والله لا~~
~~قرا ابني عليك شيا بعد اليوم~~ فقال له ولم قال لانك استعظمت ما حقر الله واستصغرت
ما عظم الله والغالب على الناس اليوم هذا الحال وهو استعظام الدنيا في قلوبهم
واستصغار ما كان من امر الاخرة فاذا تقرر ذلك فلا يظهر المودب في هذا الزمان
انه جلس يقرى لله تعالى بل يظهر انه جلس للمعلوم ونيته لله تعالى كما تقدم

فصل في ذكر اسباب اوليا الصبيان وينبغي له انه اذا كان

عنده احد من اولاد من يتسبب بسبب حرام على انواعه من مكس او
ظلم او غيرهما فلا ياخذ مما اتى به الصبي من تلك الجهة شيا اللهم الا ان ياتيه من
غير تلك الجهات فلا باس به مثل ان ياتيه بشي من جهة امه او جدته او غيرهما
من وجه مستور بالعلم لكن يشترط في اقرائه للولد الذي يكون متصفا
وليه بما ذكر ان لا يوالي والد الصبي باقبال عليه ولا بسلام ولا بكلام ولا
جواب اذ انه يجب عليه التغيير عليه وعلى امثاله بشرطه فاذا لم يسمع
ولم يرجع فلم يبق في حقه من التغيير الا الهجران له واذا اسلم عليه فقد
خرج بذلك عن هجرانه وذلك حرام وقد رايت بعض من له تحرز عنده
ولد وكيل على بعض الجهات الممنوعة شرعا اذا جاءه والده وسلم عليه
لا يرد عليه سلاما واذا كلمه لا يرد عليه جوابا وكان لا ياخذ من الصبي
شيا الا من جهة امه او جدته او غيرهما ممن هو سالم مما تقدم ذكره فان
تعذرت الجهة الحلال فلا ياخذ شيا ويحذر من هذا جهده فانه من

باب اكل اموال الناس بالباطل اذ انهم ياخذونه من اربابه بالظلم والمصادرة
والقهر وهو ياخذه على ظاهر انه حلال وهذا اعظم فى التحريم من الاول وان كان
كله حراما وهذا الذي ذكر فى نيته على سبيل الاولى والارجح وتجوز له ان
يقري بعوض لقوله عليه الصلاة والسلام ان احق ما اخذتم عليه اجرا كتاب
الله اخرجه البخاري فهذا نص صريح على انه احل شي يكون ومن البيان والتحصيل
سئل مالك رحمه الله عن اجارة المعلمين قال لا باس بذلك يعلم الخير قيل
له انه يعلم مشاهرة ويطلب ذلك قال لا باس به ما زال المعلمون عندنا
بالمدينة يفعلون ذلك انتهى لكن ما قدمناه اولى لمن امكنه ذلك لقوله عليه
الصلاة والسلام الزهد فى الدنيا يريح القلب والبدن او كما قال عليه السلام
ومن اكبر الزهد فى الدنيا خلو القلب عنها وترك النظر اليها وترك السبب هذا
هو الذي ينبغي ان يكون عليه حال حامل القران اذ انه اجله فينبغي ان يكون
حاله اجمل الاحوال وان كانت نفسه تتشوف الى السبب فلا قندا بالكرام
فى الصورة الظاهرة نعمة شاملة والمرجو من الذي انعم عليه بذلك ظاهرا ان
يتم نعمته عليه بالاتباع فى الباطن ومن نزل بساحة الكرام فهو محمول فنسال
الله تعالى الكريم بفضله ان يحملنا بلطفه ويحمل عنا بمنه لا رب سواه **فصل**
فى صفة نوليته بما نوله ويسعى له اذا نوى ما ذكر فليجتهد فى التعليم
اكثر من تعليم من ياخذ العوض على ذلك لانه اذا كان يقري بغير عوض تمحض
لله تعالى فكان ارجى فى صحة اخلاصه وبعض الناس يفعل ضد هذا وهو
انه اذا كانت نيته لله تعالى لا لاخذ عوض يفعل ذلك على سبيل الاستراحة
والتوانى ان تفرغ لذلك فعله والا تركه محتجا بان ذمته بريه لعدم اخذه
العوض عليه وما يشعر انه قد اوقع نفسه فى امر خطير لقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا
ما لا تفعلون فاذا كان كذلك فيكون حرصه على العمل الذي نواه لله
تعالى ان يوفي به اكثر ممن ياخذ العوض عليه كما تقدم وذلك مثل
من يصلي بالناس بغير عوض واخر يصلي بعوض فيكون الذى يصلي
بلا عوض احرص على المواظبة والمبادرة من الذي يصلي بالعوض
بل يزيد عليه فى ذلك المعنى حرصا منه على التوفيه بما التزمه لله تعالى فلو

قال

قال نويت تعليمى لله عز وجل ان قدرت على ذلك فان فعله حصل له
الثواب وان تعذر فلا حرج عليه ولا يدخل فى الايه الكريمه المتقدم ذكرها
وهذا عام فى جميع افعال البر الذي يفعلها المسلم فليحافظ على ذلك
جهده والله المسول فى التجاوز على التقصير بمنه وقد يضطر بعض
المودبين الى اخذ العوض واذا كان ذلك كذلك فينبغي ان يكون
باجرة معلومة وهو احل ما ياكله المرء لقوله عليه الصلاة والسلام ان احق
ما اخذتم عليه اجرا كتاب الله انتهى وقد تقدم واذا اخذ العوض فليحذر
فى نفسه ان يزيد على ذلك شيا من جهة الصبي من غير اذن وليه
فى ذلك فان فعل من غير اذنه فهو حرام عليه واكله له للسحت لان الصبي
محجور عليه بعد وليس له تصرف فى ماله ان كان له مال بعد **فصل**
فيما يامر به المودب الصبي من الاداب وينبغي له بل
يتعين عليه ان لا يترك احدا من الصبيان ياتى الى الكتاب بغدايه
ولا بفضه معه ولا فلوس ولا يشتري شيا فى المكتب لان من هذا الباب
تتلف احوالهم وينكسر خاطر الصغير الفقير منهم والضعيف لما يرى من
جدة غيره فيدخل بذلك فى قوله عليه الصلاة والسلام ومن ضاد مسلم
اضر الله به انتهى لان ولد الفقير يرجع الى بيته منكسرا خاطره متشوشا
فى نفسه غير راض بنفقته والديه عليه لما يرى من نفقه من لها الاتساع
فى الدنيا ويترتب على ذلك من المفاسد جملة قل ان تحصر وفيما اشرنا اليه
كفايه وينبغي له ان لا يدع احدا من الباعه يقف على المكتب
ليبيع الصبيان اذ فيه من المفاسد ما اشرنا اليه ان اشترى منه
وينبغي للمودب ان لا يكثر الكلام مع من مر عليه من
اخوانه اذ ما هو فيه اكد عليه من الحديث معه لانه مشتغل باكبر
الطاعات لله تعالى اللهم الا ان يتعين عليه فرض او امر هو اهم
فى الوقت مما هو فيه فنعم وكثير من المودبين تجدهم بضد هذا الحال
يتحدثون كثيرا مع الناس من غير ضرورة شرعية والصبيان يبطلون
ما هم فيه ويلهون عنه او يلعبون فليحذر من هذا ان يقع منه
وينبغي له ان يكون موضع الكتاب بالسوق ان امكن ذلك فان تعذر

تخلي شوارع المسلمين او في الدكاكين ويكره ان يكون في موضع ليس بمسلوك
فان الصبيان يسرع اليهم القيل والقال فاذا كان بالسوق او على الطريق
او في الدكاكين ذهب عنهم ذلك وفيه فايدة اخرى عظيمة وهي اظهار
الشعاير لانه اصلها اجلها وكذلك يجتنب ان يتخذ الكتاب في المساجد لقوله
عليه الصلاة والسلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم انتهى ولا ينبغي
له ان يكون المكتب في موضع يخفى عن اعين المارين في الطريق اذ
في ذلك من المفاسد ما لا يخفى وقد تقدم ان الصبيان يكونون عنده
على حد سوا ابن الفقير وابن الغني واذا كان ذلك كذلك فلا يترك ذكره
يدخل له الكتاب لان في ذلك ترفيعا لابن الغني على غيره وانكسار الخاطر
الفقير واليتيم والموضع موضع جبر لا موضع كسر اذ الابن بحامل القران
وبموضع تعلمه العدل والتواضع والخير فتكون بدايه امر الصبيان على
المنهج الاقوم والطريق الارشد وينبغي له ان يكون الموضع الذي
يتصرف الصبيان فيه لضرورة البشرية معلوما اما ان يكون وقفا واما
ان يكون ملكا اباحه صاحبه ويومن على الصبيان فيه فان عدما معا
او عدم الامن فكل واحد يمضي الى بيته ليزيل ضرورته ثم يعود
واذا خرج احد من الصبيان لقضا حاجته فلا يترك غيره يخرج حتى ياتي
الاول لانهم اذا خرجوا جميعا يخشى عليهم من اللعب بسبب الاجتماع
وقد يبطون في الرجوع الى المكتب وهو الغالب من حالهم **وينبغي له**
اذا احتاج الصبي الى غدا ابه ان يتركه يمضي الى بيته ليتغدى
فيه ثم ياتي لان ذلك ستر على الفقير وفيه ايضا تعليم الادب للصبيان
في حال صغرهم لان الاكل ينبغي ان لا يكون الا بين الاخوان والمعارف
دون الاجانب فاذا نشا الصبي على ذلك كان متادبا باداب الشريعة فيذهب
عنه ما يتعاطاه بعض عامة الناس في هذا الزمان من الاكل على الطريق
وفي الاسواق وبحضرة من يعرفه ومن لا يعرفه وذلك ليس من السنة
ولا من شيم الكرام وقد قيل لا ياكل على الطريق الا كريم او لئيم وقد وقع
النهي عن الاكل والعينان ينظران فاذا مضوا الى ذلك فينبغي ان يقيم
السطوة عليهم اذا غابوا اكثر مما يحتاجون اليه لئلا يكون ذلك ذريعة

الى اجتماع

الى اجتماع بعضهم مع بعض ووقوع ما لا ينبغي منهم **وينبغي له ان يتولى تعليم**
الجميع بنفسه ان امكنه ذلك فان لم يمكنه وتعذر عليه فيامر بعضهم
ان يقرى بعضا وذلك بحضرته وبين يديه ولا يخل نظره عنهم لانه اذا غفل
قد يقع منهم مفاسد جملة لم تكن في بال لان عقولهم بعد لم تتم ومن ليس
له عقل اذا غفلت عنه وقتا ما فسد امره وتلف حاله في الغالب سيما في هذا
الزمان كما هو معلوم وينبغي له اذا وكل بعضهم ببعض ان لا يجعل صبيانا
معلومين لشخص واحد منهم بل يبدل الصبيان في كل وقت على العرفا
مرة يعطي صبيان هذا لهذا او صبيان هذا لهذا لانه اذا كان لواحد صبيان
معلومون قد تنشا بينهم مفاسد بسبب الود لا يشعر بها فاذا فعل ما تقدم
ذكره سلم من هذا الامر ويفعل هو في نفسه مثل ذلك فياخذ صبيانهم تارة
ويدفع لهم اخرى فان كان الصبيان كلهم صغارا فلا بد من مباشرة ذلك
كله بنفسه فان عجز عنه فليتخذ من يستنيبه من الحفاظ المامونين شرعا
باجرة او بغيرها وينبغي له ان يمتثل السنة في الاقرا ومن جملة ذلك ان السلف
رضوان الله عليهم انما كانوا يقرون اولادهم في سبع سنين لانه زمن يومر
الولي ان يكلف الصبي بالصلاة وبالاداب الشرعية فيه فاذا كان الصبي
في ذلك السن فهو غير محتاج لمن ياتي به الى المكتب ان امن عليه غالبا
فان لم يومن عليه فيرسل معه وليه من يثق به في ذهابه الى بيته لضرورته
وغدايه ومن ياتي به الى المكتب فهو اسلم عاقبة من ان يكون الذي يتولى ذلك
من المكتب والغالب في هذا الزمان انهم يدخلون اولادهم المكتب في حال
الصغر من حيث انهم يحتاجون الى من يربيهم ويسوقهم الى المكتب ويردهم
الى بيوتهم بل بعضهم يكون سنه بحيث لا يقدر ان يمسك ضرورة نفسه
بل يفعل ذلك في المكتب ويلوث به ثيابه ومكانه فليحذر ان يقرى مثل
هولا اذ لا فايدة في اقرايه لهم الا وجود النفع غالبا وتلويث موضع القران
وتنزيهه عن ذلك متعين اعني بالنسبة الى عدم انتفاع الصبيان بالقراة
في ذلك السن غالبا الا ترى ان الغالب منهم انهم يرسلون اولادهم المكتب
في حال صغرهم لكي يستريحوا من تعبهم لا لاجل القراة وحامل القران
يجل منصبه الرفيع عن تربية من هذا حالهم ومن اقرايه لغيرهم سعة

ونايده وينبغي ان يعلمهم اداب الدين كما يعلمهم القران فمن دلك
انه ادا سمع الادان امرهم ان يتركوا كلما هم فيه من قراه وكتابه وغيرهما
اد داك فيعلمهم السنة فى حكايه المودن والدعا بعده لانفسهم وللمسلمين
لان دعاهم مرجو الاجابه سيما فى هدا الوقت الشريف ثم يعلمهم حكم الاستبرا
شيا فشيا وكدلك الوضو والركوع بعده والصلاة وتوابعها وياخد لهم فى دلك
قليلا قليلا ولو مسلة واحدة فى كل يوم او يومين وليحدر ان يتركهم يشتغلون
بعد الادان بغير اسباب الصلاة بل يتركون كلما هم فيه ويشتغلون بدلك
حتى يصلوا فى جماعة وقد تقدم انهم فى قضا حاجتهم يمضون الى موضع
وقف او موضع ابيح لهم او الى بيوتهم فكدلك هاهنا سوا ويصلون جميعا
فى المسجد الدي يصلى فيه مودبهم فان خاف عليهم من اللعب او العبث
فيصلون فى المكتب جميعا ويقدمون اكبرهم فيصلي بهم جماعة وينبغي
ان يعودهم الصلاة فى المسجد وان لا يسامحهم بترك الصلاة
فيه ولا يعودهم الصلاة افدادا ادان المسله مختلف فيها اعنى شهود الجماعة
هي هي فرض او سنه فقد ذهب جماعة من العلما الى ان الصلاة لا تصح
الا فى جماعه فادا فرغوا من الصلاة وتوابعها رجعوا الى ما بقي عليهم من
الوضايف فى المكتب وينبغي ان يكون وقت كتبهم الالواح معلوما ووقت
تصويبها معلوما ووقت عراضها معلوما وكدلك قراه الاحزاب حتى
ينضبط الحال ولا يختل النظام ومن تخلف عن دلك الوقت منهم لغير
ضرورة قابله بما يليق به فرب صبي يكفيه عبوسة وجهه عليه واخر
لا يرتدع بدلك بل بالكلام الغليظ والتهديد واخر لا ينزجر الا بالضرب
واخر لا ينزجر الا بالضرب والاهانه كل على قدر حاله وقد جا ان الصلاة
لا يضرب عليها الا لعشر فما سواها احري فينبغي له ان ياخد معهم
بالرفق مهما امكنه ادا انه لا يجب ضربهم فى هدا السن المتقدم دكره
فادا كان الصبي فى سن من يضرب على ترك الصلاة واضطر الى ضربه
ضربه ضربا غير مبرح ولا يزيد على ثلاثة اسواط شيا بدلك مضت
عادة السلف رضي الله عنهم فان اضطر الى زيادة على دلك فليكن فيما
بين الثلاثه الى العشرة سعة لكن لا بد ان تكون الالة التي يضرب

١٧

١٦

بها دون الالة الشرعيه التي تقام بها الحدود وهو ما دكره مالك رحمه الله
فى موطايه عن زيد ابن اسلم ان رجلا اعترف على نفسه بالزنا على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بسوط فاتي بسوط مكسور فقال فوق هدا فاتي بسوط جديد لم تكسر ثمرته فقال
دون هدا فاتي بسوط قد ركب به ولان فامر به رسول الله صلى الله عليه
وسلم فجلد انتهى ولا يكون الادب باكثر من العشرة دموضا من لما يطرا على الصبي
ان زاد على دلك وليحدر الحدر الكلي من فعل بعض المودبين فى هدا
الزمان وهو انهم يتعاطون الة اتخدوها لضرب الصبيان مثل عصى اللوز
اليابس والجريد المشمع والاسواط النوبيه والفلقه وما اشبه دلك
مما احدثوه وهو كثير ولا يليق هدا بمن ينتسب الى حمل الكتاب العزيز
ادان حاله كما ورد فى الحديث من حفظ القران فكانما ادرجت النبوة بين
كتفيه غير انه لا يوحى اليه انتهى وينبغي له ان يعلمهم الخط والاستخراج
كما يعلمهم حفظ القران لانهم بدلك يتسلطون على الحفظ والفهم
وهو اكبر الاشيا المعينه على مطالعة الكتب وفهم مسايلها وينبغي له بل
يجب عليه ان يكون لمسح الالواح موضع طاهر مصان نظيف لا يمشي فيه بالاقدام
ثم مع دلك ياخد الما الدي يجتمع من المسح فيحفر له فى مكان طاهر مصان عن
ان يطاه قدم ويجعل فيه او يلقي فى البحر او البير او يجعل فى انا طاهر لكي يستشفي
به من يختار دلك وكدلك الما الدي يغسل به الحرف بعد المسح يجعل فى موضع
حتى لا يمتهن ويشترط فى الحرف التي يمسح بها الالواح ان تكون طاهرة وان
يكون الما الدي تبل منه حتى يمسح بها طاهرا والافضل ان يكون الما غير
مستعمل وان امكنه ان يكون حلوا فهو اولى لان من الناس من يشربه
للاستشفا به فادا كان اجاجا امتنع عليه دلك او تنغص بشربه كما مر
فى الانيه ادا غسلت فيها الايدي بعد الاكل انه لا يبصق فيها ولا يغسل
فيها باشنان ولا غيره خيفه ان يشربه من يتبرك به كما تقدم ففي الما
الدي يمسح به الالواح من باب اولى واحري ويتعين عليه ان يمنع
الصبيان مما اعتاده بعضهم من انهم يمسحون اللوح او بعضه ببصاقهم
ودلك لا يجوز لان البصاق مستقدر وفيه مهان والموضع موضع ترفيع

لم تنقطع

وتعظيم وتبجيل فيجل عن ذلك وينبغي له ان لا يسامح الصبيان في دق المسامير
في المكتب ان كان وقفا وان كان ملكا فلا يجوز الا باذن صاحبه ولا ضرورة تدعوا
اذ انهم مامورون ان ياكلوا في بيوتهم لا في المكتب كما تقدم فان كان بعضهم بيته
بعيدا بحيث يشق عليه الذهاب اليه والرجوع فيكلفه المودب ان يمضي
الى بيت احد اقارب والديه او معارفهما فان لم يكن له ذلك فليجعل وقت
غدايه حين تنصرف الصبيان الى غداهم وقبل ان يرجعوا وقد تقدم ان
المودب يحملهم على اتباع السنة ويعلمهم احكام دينهم عليهم كما يعلمهم القران
ومن ذلك ان لا يعودهم القراءة في جماعة اذ ان ذلك ليس من فعل
السلف رضي الله عنهم كما تقدم لانهم ان تعودوا ذلك في صغرهم يخاف عليهم
ان يفعلوه في كبرهم وايضا فان حفظهم لا يتاتي بذلك اذ ان من لم يحفظ
منهم لا يعلم حاله اذا كانوا على صوت واحد في الغالب واتباع السلف رضي
الله عنهم اولى بل هو المتعين ولم ينقل عنهم ذلك فيتعين تركه وينبغي
له ان لا يستقضي احدا من الصبيان فيما يحتاج اليه الا ان يستاذن اباه
في ذلك وياذن له عن طيب نفس منه ولا يستقضي اليتيم في حاجة بحال
وليحذر ان يرسل الى بيته احدا من الصبيان البالغين او المراهقين
فان ذلك ذريعة الى وقوع ما لا ينبغي او الى سوء الظن باهله وبالجملة
فان ذلك لا يجوز لان فيه خلوة الاجنبي بالمراة الاجنبية وهو محرم فان
سلموا منه فلا يخلوا من الوقيعة في اعراضهم في هذا الزمان غالبا وما
ذكر من استقضا حوايجه لبعض الصبيان فهو من باب الجواز والا
فالذي ينبغي ان لا يستقضي احدا منهم في حاجة اصلا لانه قد دخل
على تعليمهم لله تعالى كما تقدم لكن قد تقدم ايضا انه اذا فعل ذلك
وجاه شي اخذه على سبيل الفتوح فكذلك فيما نحن بسبيله لكن يشترط
ان تكون نفسه غير متشوفة لشي من ذلك لما تقدم من قوله
عليه الصلاة والسلام ان هذا المال خضرة حلوة فمن اخذه بسخاوة
نفس بورك له فيه ومن اخذه باسراف نفس لم يبارك له فيه
انتهى وقد تقدم ذكر المكان الذي يقضي الصبيان فيه ضرورة البشرية
فليحذر ان يتركهم يفعلون ذلك في غيرها مثل ما يفعل بعضهم في هذا الزمان

من انهم

من انهم يقضون حاجتهم مع جدرات بيوت الناس وطرقاتهم فينجسون
ذلك عليهم فمن جلس الى تلك الجدرات تلوث ثوبه بالنجاسة وكذلك
الماشي قد يصيبه منها اذا وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام اتقوا
الملاعن الثلاث فهذا من اشدها فتلحق اللعنة الصبيان وذلك كله في ذمة
من سكت لهم ممن له عليهم امر ونهي فيتهاون عن ذلك جهده وينبغي
له ان يكون على اكمل الحالات ومن ذلك ان يكون متزوجا لانه
وان كان صالحا في نفسه فالغالب اسراع سوء الظن في هذا الزمان بمن كان
غير متاهل اذ لا فرق بين الصبيان والبنات في الظاهر الا عند من اتقى الله
فيسري اليهم القيل والقال فاذا كان متاهلا انسد باب الكلام والوقيعة
فيه وينبغي له ان لا يتضاحك مع الصبيان ولا يباسطهم لئلا يفضي
ذلك الى الوقوع في عرضه وعرضهم والى زوال حرمته عندهم اذ من
شان المودب ان تكون حرمته قائمة على الصبيان بذلك مضت عادة الناس
الذين يقتدى بهم فليهتد بهديهم وقد تقدم ان الصبيان يمضون الى
بيوتهم لقضا ضرورة البشرية ولغدايهم واذا كان كذلك فليحذر مما يفعله
بعض العوام المودبين في هذا الزمان وهو ان الصبيان الذين عنده
اذا اتى كل واحد منهم بغدايه او بعضهم فيتسلم ذلك منهم وبعضهم يخلط
جميع ذلك ثم يعطي منه ما يخطر له لمن يخطر فيجد بعض الصبيان يطلب
منه شيا من غدايه فيحرمه ويوثر ذلك لنفسه ولمن يختار وهذا حرام
سحت وذلك جرحة في حقه ويتعين اقامته من المكتب الا ان يتوب
بشرط ان يعلم حقيقة امره في ذلك وفيه من المحذور انه ياخذ
غدا هذا فيعطيه لغيره فيدخل الخلل في غدا الناس لانه قد يكون
والد بعضهم صالحا متورعا في كسبه والاخر متساهلا وقد يكون غدا
احدهم احسن من غدا الاخر في الطعم والصبي محجور عليه كما تقدم ووليه
لم يرض بذلك سيما ان كان يتيما فلا يجوز ابداله ولا يجوز لوليه ان
ياذن في مثل ذلك وبعض المودبين يفعل فعلا شنيعا محرما وهو
انه ياكل مع الصبيان من اغديتهم ويطعم من يختاره ومن يجتمع به ويرسل
منها الى بيته ما يختار وهذا النوع من الخلسة ولو فرضنا ان الصبيان لقي اهم

غداوهم لم يمسه غيرهم واكلوا منه ما شاووا وبقى منه بقية تركوها فى المكتب
رغبة عنها فجائز للمودب ان ياخذها وينتفع وينبغى له ان يعلم وليه بذلك
هذا ما لم يكن ليتيم كما تقدم اللهم الا ان يكون الصبى لم ياكل شيا من غدايه
وتركه كله فى المكتب فلا يجوز ان يقدم المودب على اخذه الا باعلام والد الصبى
والا فلا بخلاف ما تقدم لانها فضلات عن شبعهم واما ما يحتاجه الصبيان
من الما للشرب فجائز ان ياخذ من كل واحد منهم شيا بقدر الحاجه
ويكون ذلك بينهم بالسويه فيشترى به ماعون الما والما ولا يمكن الصبيان
من الذهاب الى بيوتهم للشرب وان كان بيت بعضهم قريبا لان ذلك مما يتكرر
فى الغالب واذا كان الامر كذلك فينبغى بل يتعين ان لا يشرب معهم غيرهم
الا ان ياذن فى ذلك اباهم فان كان فيهم يتيم فلا يوخذ منه شى لثمن
الما ولا غيره والحالة هذه ويصير من جمله من اذن له فى الشرب ويسحب
ذلك فى حق مودبهم وقد تقدم ان سكنى دور القرافة تمنع واذا كان
ذلك كذلك فلا يتخذ فيها مكتبا للعلة المذكورة ومن فعل ذلك فقد
خالف ولا حاجة تدعوا الى تفصيله فان الحكم فيه معلوم لمن وفق
اليه **فصل فى انصراف الصبيان وانصراف الصبيان واستراحهم**
يومان فى الجمعة لا باس به وكذلك انصرافهم قبل العيد بيومين او ثلاثه
وكذلك بعده بل ذلك مستحب لقوله عليه الصلاة والسلام روحوا القلوب
ساعة واذا استراحوا يومين فى الجمعة نشطوا لباقيها وينبغى له ان لا
يدع عنده من الصبيان من فيه رايحة ما من الخصال الذميمة
اذ ان ذلك سبب الى الوقيعة فى حق بعض من فى المكتب عنده وقد
يفضى ذلك الى ان يشتهر مكتبه بما لا ينبغى فقد ينسب الى المودب
ما لا يليق بمنصبه وفيه مفسده اخرى وهو انه قد يكون سببا الى
عدم مجى الصبيان اليه او قلتهم فيحصل بسبب ذلك تمزيق العرض
وقله الرزق فليحذر من ذلك جهده والله المستعان **وينبغى له ان**
يجتنب ما يفعله بعض عوام المودبين من انه اذا قل
عنده الصبيان او فتح مكتبا وليس فيه احد بعد ان يكتب اوراقا
ويعلقها على باب المكتب لكثرة مجى الصبيان اليه وهذا لا يفعله الا سفها

الناس

الناس وفيه استشراف النفس لتحصيل الدنيا وقد تقدم ومنصب المودب
يجل عن هذا واشباهه وينبغى ان لا يقبل من احد من الصبيان ما ياتى به
اليه من الاطعمة التى يعملها بعض الناس فى مواسم اهل الكتاب فان
قبوله لذلك من باب التعظيم لمواسمهم وفى التعظيم لمواسمهم تعظيم لهم وتعظيمهم
فيه ما فيه وقد يكون ذلك سببا الى انهم يعتقدون ان دينهم هو الحق
وان غيره هو الباطل لما يرون من تعظيم المسلمين لهم كما تقدم وفيه عدم
الانكار والتغيير على من فعل ذلك من المسلمين واتاه به بل يرده ويزجر
فاعله ويبين له ولغيره ان ذلك لا يجوز لما تقدم وبعض المودبين فى
هذا الزمان يفعل ما هو اشنع من هذا وهو انه يطلب ذلك بنفسه وبعض
المودبين ايضا يطلب من بعض الصبيان الذين عنده فلوسا ياتون بها
اليه حتى يصرفهم فى مواسم اهل الكتاب وهذا اشنع مما قبله وبعض
المسلمين يطلبون من اهل الكتاب من اطعمتهم التى يعملونها فى اعيادهم
ومواسمهم وهذا اقبح مما ذكر من فعل بعض المودبين وينبغى له ان
يصرف الصبيان لغدايهم كما تقدم ويترك لهم مع ذلك وقتا يستريحون
فيه فى بيوتهم وليحذر ان يبيح لهم فعل ذلك فى المكتب لان الصبيان اذا
خرجوا عما بنى المكتب له عاد عليهم ذلك بالضرر غالبا وعلى غيرهم وما بنى
المكتب الا لاجل الدرس والحفظ والعرض والكتابه فان كان غير ذلك
ففى بيوتهم ولا يتركهم ينامون فيه وقتا ما فى الحر وقد تقدم المنع فيما هو
اخف من هذا وهو انهم يمضون الى بيوتهم وياكلون فيها ولا ياكلون فى
المكتب **وينبغى له اذا اشتكى احد من الصبيان وهو فى المكتب**
بوجع عينيه او شى من بدنه وعلم صدقه فى ذلك ان يصرفه الى بيته
ولا يتركه يقعد فى المكتب بغير قراه لان ذلك سبب لبطالة غيره فى
الغالب وينبغى له ان كان له ولد صغير ان لا يترك احدا من صبيان
مكتبه يحمله ذكرا كان او انثى والمنع فى الانثى اشد ولا يستاذن فى مثل
هذا الاباء بخلاف ما تقدم فى استقضايه حوايجه باذن الاباء وينبغى له
ان لا يغيب عن المكتب اصلا ما دام الصبيان فيه اذ انهم لا عقل لهم يمنعهم
عما يخطر لهم فعله فلا بد لهم من راع يرعاهم بنظره ويسوسهم بعقله

ويودبهم بكلامه الاترى ان الراعى اذا غفل عن الماشية فلعلها اختل نظامها
وتغير حالها فى الغالب وربما تلف بعضها وما ذاك الا لعدم العقل عندها
ولاجل ذلك ذكر النبى صلى الله عليه وسلم الصبيان مع المجانين حيث قال
قال عليه الصلاة والسلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم الحديث وقد
تقدم ولا باس ان يغيب الغيبة اليسيرة لضرورته ولا يفعل ذلك الا ان لا
يجد من يقوم بها عنه اذ ذاك ومثل خبزه اذا اختمر لكنه يشترط فيه ان
يستنيب عليهم اكبرهم سنا واعقلهم بشرط ان يامره ان لا يضرب احدا منهم
فى غيبته ولا ينهره الا انه من فعل منهم شيا كتب اسمه حتى ياتى المودب
فيعلمه به فيرى فيهم رايه **وينبغى ان يجتنب ما يفعله بعض
المودبين من كتبهم** اوراق المستادنات للافراح يكتب فيها بحو لوله
الى الحجاب المنيع والستر الرفيع الى غير ذلك من الفاظ التزكيه وما شاكلها
والشعر الذي ينزه غير المودب عن الكلام به فكيف بالمودب وله ان يكتب
الحجروز لاطفال المسلمين ولكبارهم وكذلك الصحيفه فيها ايات من كتاب
الله تعالى والرقا وليحذر ان يكتب شيا بالعبرانيه فان ذلك لا يجوز ولو
قيل ان فيه من المنافع ما لا يحصى فانه ممنوع وقد سيل مالك رحمه الله
عنه فقال وما يدريك لعله كفر **وينبغى لاباء الصبيان ان يتخيروا
لابنايهم ولاولادهم افضل ما يمكنهم** فى وقتهم ذلك من المودبين وان كان
موضعه بعيدا فيختارون لهم اولا اهل الدين والتقى فان كان مع
ذلك عنده علم من العربيه فهو احسن فان زاد على ذلك بالفقه فهو
اولى فان زاد عليه بكبر السن فهو اجيد فان زاد عليه بورع وزهد فهو
اوجب الى غير ذلك اذ انه كيف ما زادت الخصال المحمودة فى المودب
زاد الصبى به تجملا ورفعة واذا كان كذلك فيتعين النظر فيما ذكر والله
اعلم **وينبغى للمودب ان يجتنب بعض ما احدثه بعض المودبين
وبعض** مشايخ القرات من القراءة عليهم فى الاسواق والطرق لانه لم
يكن من فعل من مضى وفيه مفاسد جملة منها وطء الاعقاب
وهو منهى عنه وقد ضرب عمر ابن الخطاب رضى الله عنه على ذلك
بالدرة وقال فيه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع انتهى ومنها ان السوق

موضع

موضع اللغط والكلام والقران ينزه ان يقرا فى مثل هذه المواضع ومنها
ان القران اذا تلي يتعين الانصات او يندب اليه فيوقع من يسمعه
ممن فى الاسواق او الطرق فيما لا ينبغى والمسلم يحب لاخيه المسلم ما يحب
لنفسه ومنها ان قراءة القران والحالة هذه لا يسلم القارى غالبا من ان يقرا
وهو فى مواضع النجاسات والاماكن التى ينزه قراءة القران عنها ومنها ان القران
اذا قرى ينبغى لقاريه ولسامعه ان يتدبره ويفكر فيه وذلك متعذر فى الاسواق
والطرق غالبا ولو ان يقرا خارج البلد اذ المتعين النجاسة ومن قربه الى
قربة مع عدم تعيين النجاسة ايضا ولا فرق فيما ذكر بين ان يكون راكبا
او ماشيا اذ المعنى واحد منهما **وينبغى له ان يجتنب ما احدثه بعض
العوام من المودنين وهو** انه اذا دخل وقت الصلاة يوذنون على
باب المكتب او فوق سطحه او فيه وذلك كله من البدع الممنوعة لان الاذان
انما شرع فى الاماكن التى تهرع الناس اليها لاداء فرضهم وهى المساجد والمكتب
ليس بمسجد حتى ياتى الناس اليه للصلاة فيه ومثله من يوذن فى بيته
او بستانه فانه يدخل تحت قوله سبحانه وتعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون
ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون لانه ينادى الناس
بلسانه حى على الصلاة حى على الفلاح ومعنى ذلك هلموا الى الصلاة هلموا
الى الفلاح ثم مع هذا النداء يغلق الباب دونهم وذلك ممنوع لانه جمع
مفاسد منها انه من باب الغش لانه قد يسمعه من يسمعه فياتى الى
موضع الاذان فلا يجد السبيل الى دخول المكان الذي سمع فيه الاذان
ومنها انه كلفهم المشى باذانه الى ان اتوا سيما الغريب الذي هو عابر سبيل
الى غير ذلك وهذا بخلاف ما لو اذن خارج البلد فان ذلك جايز اذ انه فى
بريه فمن اتى اليه صلى معه وهذا القسم الاخير من باب المندوب
لما ورد فى الحديث عن ابى سعيد الخدري انه قال لبعض من اعتنى
به يا بنى انى اراك تحب البادية فاذا كنت فى غنمك وباديتك فاذن
بالصلاة فارفع صوتك بالنداء فانه لا يسمع مدى صوت المودن جن ولا انس
ولا شى الا شهد له يوم القيمة قال ابو سعيد سمعته من رسول
الله صلى الله عليه وسلم انتهى والاول من باب البدعة والوقوع

في النهي بالايه الكريمة المتقدم ذكرها فيتعين عليه ان لا يشتم من
استحق الادب من الصبيان وكثيرا ما يفعل بعض المودبين هذا
وهو حرام وذلك انه اذا حصل للمودب غيظ ما على الصبي شتمه وتعدى
بذلك الي والديه وربما حصل لبعضهم في ذلك الوقت قذف يجب عليه
فيه الحد سيما من كان منهم في خلقه حده او فيه غلظه وفظاظة فينبغي
عليه اذا ادركه شي مما ذكران لا يودب الصبي في وقته ذلك بل يتركه
حتى يسكن غيظه ويذهب عنه ما يجده من الحنق عليه وحينيذ
يودبه الادب الشرعي على ما تقدم ذكره لانه ان ادبه في حال غيظه
يخاف عليه ان يتعدى الادب المتقدم ذكره ولاجل هذا المعنى
قال عليه الصلاة والسلام لا يقضي القاضي حين يقضي وهو غضبان وعداه
علماونا رحمة الله عليهم الى كل ما يشوش عليه كحصبه بول او غيره ولا
فرق بين القاضي والمودب الا ان القاضي يحكم بين الكبار وهذا يحكم
بين الصغار وحامل القران ينزه عن هذا كله فيتعين الادب على
الصبي من غير ان يتناول عرضه ولا يشتم ابويه كما يودبه والداه
وهما يرحمانه ويشفقان عليه ويذبان عنه في كل احواله وقد تقدم
انه ينبغي للابا ان ينظروا لاولادهم من المودبين من هو اورع وازهد
واتقى الى غير ذلك مما تقدم لانه رضاع ثان للصبي بعد رضاع الام
واذا كان ذلك كذلك فيحذر ان يفعل ما احدثه بعض عوام المسلمين
باولادهم من انهم يخرجونهم من المكتب الذين يقرون فيه كتاب
ربهم عز وجل ويتعلمون فيه سنة نبيهم عليه الصلاة والسلام
ويذهبون بهم الى كتاب النصارى لتعلم الحساب وهذا رضاع ثالث
بعد رضاع المودب وقد قيل الرضاع يغير الطباع وهذا امر شنيع قبيح
من الفعل لان الولد لم تحصل له قوة الايمان بعد ولم يقرا العلم
ولم يعرف اقوال العلما وقد تسبق اليه الدسايس من النصارى
الذي يقرا عليهم الحساب او من الجماعة الذي عنده صغارا كانوا
او كبارا ثم ان النصراني مع ذلك يودبه على ما يخطر له وما يمر بباله
من كفره وكلبيانه ويظهر ان ذلك من قبل تعليمه الحساب

وهذا

وهذا لا يرضى به عاقل ولا من فيه مروة من المسلمين والصبي في هذا
السن قابل لكل ما يلقى اليه مثل الشمع اي شي عملت عليه طبع فيه
فيخاف على الولد وهو الغالب ان يتغير حاله فيرجع مكان الصدق كذبا وموضع
النصيحة غشا وخديعة وموضع الالفة بالمسلمين انقطاعا ووحشة ومكان
الاستسلام والانقياد خبثا ومداهنة الى غير ذلك من مكرهم وخصالهم
الرديه واذا كان ذلك كذلك فيخشى ان يركن الى قول النصراني او الى
شي ما من اعتقاده او استحسان حال من احواله وقد قال مالك رحمه الله
لا يمكن زايغ القلب من اذنيك لا تدري ما يعلقك من ذلك ولقد سمع
رجل من الانصار من اهل المدينه شيا من بعض اهل القدر فعلق
قلبه به فكان ياتي اخوانه الذين استنصحهم فاذا نهوه قال فكيف
بما علق قلبي لو علمت ان لله رضي ان القي نفسي من فوق هذه
المنارة فعلت ومن قول اهل السنة لا يعذر من اداه اجتهاده الى
بدعة لان الخوارج اجتهدوا في التاويل فلم يعذروا اذ خرجوا بتاويلهم
عن الصحابه فسماهم الرسول عليه السلام مارقين من الدين نقله ابن
يونس ومن كتاب سير السلف للامام الحافظ اسماعيل ابن محمد ابن
الفضل الاصبهاني رحمه الله اوحى الله الي موسي عليه السلام يا موسي
لا تخاصم اهل الاهوا فيلقوا في قلبك شيا فيرد ذلك فيسخط الله عليك وقال
عمر ابن عبد العزيز رحمه الله من جعل دينه غرضا للخصومات
فقد اكثر التنقل وقال جعفر ابن محمد رحمه الله اياكم والخصومه في
الدين فانها تشغل القلب وتورث النفاق انتهى وقد كان السلف
رضي الله عنهم يتحفظون على الرضاع الثالث اكثر من الرضاعين المتقدمين
وهما رضاع الام ورضاع المودب لان الصبي قد رجع له عقل ومعرفة
بالامور وقابليه لقبول ما يسمعه او يراه واذا كان ذلك كذلك فينبغي
ان يكون بعد رضاع المودب رضاع العلما العاملين بعلمهم المتبعين
لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم المبينين لها الكاشفين عن غامضها
والمخرجين لخباياها فاذا ارتضع الصبي هذا الرضاع الثالث فالغالب
انه يقع له غير ما سبق اليه بسبب علمه وما انطبع عليه

من معرفة ما حصل عنده من الكتاب والسنة ومحبتهما وايثارهما الى انكاره وعدم قبوله لذلك وقد جا بعض الناس بولده الى بعض السلف رحمه الله يريد ان يسلكه فقال له اقرا قبل هذا علما غير ما نحن فيه يعني من علم الكتاب والسنة قال نعم قال وما هو قال العربيه قال اذهب بولدك فانه لا يجي منه شي قال ولم قال لانه قد سبق له تغزلات العرب واشعارها وانطوى على ذلك فكيف يمكن صلاحه فلم يقربه ومعلوم بالضرورة ان العربيه مطلوبة في الدين لاجل فهم الكتاب العزيز وفهم سنة النبي صلى الله عليه وسلم لكن ما وقع لوم هذا السيد له الا لما سبق له من تغزلات العرب واشعارها فلو سبق له العلم بالكتاب والسنة او بعضه من حيث انه يعلم ما يجب عليه وما يسن وما يندب اليه لما عذله فاذا كان هذا تحفظهم على سبق العربية مع وجود الاحتياج اليها في الشرع كما تقدم فما بالك بغيرها وما قدمناه في حق المودب انه اذا كان عنده علم من العربيه فهو احسن اعني ان يكون عالما بالعوامل وهو لم رفع هذا او نصب هذا وخفض هذا او ما اشبه ذلك لان علوم العرب على اربعة اقسام احدها علم العوامل وهو ما تقدم ذكره والثاني علم اللغة والثالث علم الادب والرابع علم البديع فالاول هو الذي يحتاج اليه المودب وليس فيه كبير امر في الغالب ثم نرجع الى تمام ما بقي من بيان المفاسد التي في دخول الصبي لكتاب النصارى فمن ذلك ما في ظاهره من الذله للمسلمين بسبب ما فعل هذا بولده وفيه تعظيم للنصارى فانهم اذا راوا اولاد المسلمين ياتون اليهم ليتعلموا هذه الفضيله منهم راوا ان لهم رفعة وسوددا وفضيله على المسلمين وهذا كله ممنوع شرعا وعقلا فيالله يا للعجب كيف يترك التعليم من المسلمين وهم متوافرون في هذا العلم وغيره من العلوم الشرعيه ويوتى الى نصراني عدو الدين عدو لله ولرسوله مظهر لذلك معاند للمسلمين فهذا من الخسف الباطن الذي لا يرتاب فيه ولا يشك فان قال قايل ان النصراني في علم الحساب او الطب اعلم احذق واعرف بالتعليم من غيرهم من المسلمين فالجواب ان هذا باطل لانه لو كان للصبي علم كما عند المسلمين من العلم

الذي

الذي يريد ان يتعلمه من النصراني حتى فاق المسلمين في ذلك ثم رقي بعد ذلك الى النصراني لزيادة عنده فيه لكان هذا القول فيه شي ما من الميل الى ذلك فكيف والصبي بعد لم يعلم شي من الحساب ولا غيره ولو عرفه لكان في المسلمين والحمد لله من يعرف اكثر من النصراني فلا حاجة تدعوا الى التعليم من اهل الكفر والضلال وقد اقامهم عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وقال قد اغنى الله عنكم بالمسلمين وقد نهى رضي الله عنه ان يتخذ احد من اهل الكتاب كاتبا وقال جوابا لمن اثنى على نصراني بالمعرفة والحذق في الحساب مات النصراني والسلام وقال ايضا لا تكرموهم وقد اهانهم الله ولا تامنوهم وقد خونهم الله ولا تستعملوا على اموالكم وانفسكم الا المسلمين الذين يخشون الله او كما قال فانظر رحمنا الله تعالى واياك الى اشتراط امير المومنين عمر رضي الله عنه الخشيه فيمن تولى من المسلمين على المسلمين فما بالك في حق اعدا الدين وانما هي حجج شيطانيه ونفسانيه وركوب الهوى وركوب العوايد الرديه وترك النظر الى امور الشريعه وما يندب اليه من الفوايد الجسيمه العظيمه والاخلاق الجميله اسل الله السلامة بمنه وفيه من المفاسد التي ياباها الاسلام ومن فيه عرق وسط طبع وانقياد للشريعة المطهرة وهي ان المعلم النصراني يجلس على موضع مرتفع واولاد المسلمين دونه ويقبلون يده او ركبته حين اتيانهم اليه وانصرافهم ويقيم السطوة عليهم وقد تقدم بعض ذلك وفيه ان الولد يتربى على ترك التحفظ من النجاسة لانهم ليس عندهم نجاسة فيما يعتقدونه الادم الحيض ليس الا وابوالهم وفضلاتهم كلها طاهرة عندهم وقد يسقون الادويه بالنجاسات ويكتبون منها فتنجس اجسادهم واثوابهم من ذلك ومنها ان المعلم يشرب الخمر بحضورهم وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث حاملها وحاضرها في جملة من لعن بسببها والولد المسلم والحالة هذه حاضرها وحاملها في بعض الاحيان فان كان الولد بالغا او مراهقا فهو داخل تحت اللعنة وان كان صبيا صغيرا فاللعنة عايدة على والده او وليه او من اسناد

اليه بذلك وقل ان يسلم الولد من شوم ذلك وان كان صغيرا غير مكلف
وربما امرهم المعلم بحمل الخمر اليه او الى بيته لان من عادته ان يستقضيهم
في حوايجه وضروراته ومنها ان الولد لا يقدر على الصلاة بحضرته ويمنعهم
من الانصراف في وقت صلاة الظهر او العصر او هما معا حتى لقد يمنعهم
عليهم في صلاة الجمعة حتى يخرج وقتها او يفوته بعضها ومنها ان الولد
في صوم رمضان يعيبون عليه في ذلك ويضحكون منه ويستهزون
ومنها انهم اذا كان صومهم يمنعون الماء ان يأتوا به الى ذلك الموضع فتبقى
اولاد المسلمين بالعطش غالبا ومنها انه يخاف على الولد وهو الغالب
ان يقع على اعتقادهم الباطل او في بحث بعضهم مع بعض في الواحهم
فان اكثرها مكتوب بالعربيه ويتكلمون باللسان العربي بحضرته
فقد يسبق الى الولد ويتعلق بذهنه ما هم عليه فان وقع له شي من
ذلك قل ان يتاتى خلاصه منه غالبا وسبب وقوع هذه النازلة ما اخبر
به عليه الصلاة والسلام في الحديث حب الدنيا راس كل خطيه فانظر
رحمنا الله تعالى واياك الى هذا الامر المخوف وهو انه ما كان سبب
اتيان الولد الى النصراني لتعليم الحساب الا حب الدنيا غالبا لا جرم
انهم عوقبوا على ذلك بنقيضه فوقعوا في الفقر والحاجة والوقوف
على ابواب الظلمة من الكتبة وغيرهم واذا ترى الولد على مثل هذا الحال
يخاف عليه من احد امرين احدهما وهو اشدهما ان يدخل عليه
شي في اعتقاده كما تقدم والثاني ان يقل اهتباله بامر دينه في حق
نفسه وفي حق غيره فاي شي وقع منه من المخالفه او من غيرها
فلا يكترث به ولا يندم في حق نفسه ولا يغير على غيره وهذه
خصلة تنافي اخلاق المسلمين وهديهم وادابهم وقد قال الشيخ
ابو محمد ابن ابي زيد رحمه الله في كتاب الرساله له واعلم ان
خير القلوب اوعاها للخير وارجى القلوب للخير ما لم يسبق الشر
اليه واولى ما عني به الناصحون ورغب في اجره الراغبون ايصال
الخير الى قلوب اولاد المومنين ليرسخ فيها وتنبيههم على معالم الديانه
وحدود الشريعه ليراضوا عليها وما عليهم ان يعتقدوه من الدين

قلوبهم

قلوبهم وتعمل به جوارحهم فانه روي ان تعليم الصغار لكتاب الله يطفي
غضب الله وان تعليم الشي في الصغر كالنقش في الحجر انتهى فاذا كان
ذلك كذلك فيخاف على الولد الذي يدخل كتاب النصارى ان ينتقش
في قلبه ما هم عليه او بعضه ولا اعدل بالسلامة شيا نسال الله السلامة
بمنه ومن اقبح ما فيه واهجنه واوحشه ان الولد يتربى على تعظيم النصارى
والقيام لهم الذي قد تقدم منعه في حق اهل الخير والصلاح من المسلمين
وعدم الاستيحاش من عوايدهم وسماع اعتقاد اديانهم الباطله حتى لو
خرج الصبي من مكتبهم لبقي على عادته في التعظيم لهم وعدم الاستيحاش
منهم ومن اديانهم الباطله واذا دارت معلمه الذي علمه الحساب
او الطب قام اليه وعظمه كتعظيم ما اصطلح عليه بعض المسلمين مع بعض
او اكثر غالبا وكذلك يفعل مع كل من يصحبه من مكتب معلمه النصراني من
جماعة اهل دينه فيالف هذه العادة الذميمة المسخوطة شرعا ولا يرضى
بهذه الاحوال من له عقل او غيرة اسلاميه او التفات الى الشرع الشريف
الا ترى الى قوله تعالى في كتابه العزيز يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
اليهود والنصارى اوليا بعضهم اوليا بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم
وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا
ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اوليا واتقوا الله
ان كنتم مومنين وقوله تعالى لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر
يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباهم او ابناهم او اخوانهم او عشيرتهم
وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اوليا تلقون
اليهم بالمودة الى غير ذلك من الاي والاحاديث وهي كثيرة متعددة
وفيما ذكر تنبيه على ما عداه

فصل في تزويق الالواح

واما تزويق الالواح في الاصرافات والاعياد في بعض
البلاد فهو من باب المباح الجايز وفيه ادخال سرور على الاولاد
وادخال السرور فيه من الاجر ما قد علم وفيه التنشيط للصبيان
على الاعتنا بالمواظبة على القراة لكن يتعين عليه ان يجتنب ما
احدثوه من المفاسد في الاصرافات وهي كثيرة متعددة فمنها تزيين

الكتب في الاعياد والاصرافات بالحرير وغيره ارضا وحيطانا وسقفا وقد
تقدم من شناعة ذلك وقبحه في زينة الاسواق للمحمل وغيره سيما اذا انضاف
الى ذلك ان يكون فيه صور مما لها روح فيكونون في ارتكاب ذلك نقيض
ما جلس المودب اليه فاذا كان السوق يمنع فيه ذلك فمن باب اولى موضع
يتلى فيه كلام الله عز وجل فمنعه فيه اوجب ثم يفعلون افعالا يفعلها بعضهم
في الاصرافات وهي قبيحة مستهجنة فمنها انهم يجعلون لوح الاصرافة
مكفتا بالفضة في خرقة من حرير واستعمال الحرير لا يجوز الا للنساء حيث
اجيز لهن ذلك واما تكفيت اللوح بالفضة فلا يجوز لوجهين احدهما لما فيه من
السرف والثاني لما فيه من الخيلاء وقد ورد ان النبي صلى الله عليه وسلم
لعن المتشبهين من الرجال بالنساء وبعض هولاء ياخذون الصبي
الذي له الاصرافة يزينونه كما يزينون النساء فيحفونه ويخططونه ويلبسونه
الحرير ويحلونه بالذهب من القلائد وغيرها مع قلائد العنبر كانه عروس
تجلى ويركبونه على فرس او بغلة مزينة باللباس من الحرير والذهب
وغيرهما فيجعلون عليها كنبوشا من الحرير المزركش بالذهب ويلبسون
وجهها وجها من الذهب ثم يضيفون الى ذلك اشياء رديئة منها انهم يحملون
امامه اطباقا فيها ثياب من حرير وعمائم معممة على صفة ثم هم مختلفون
فيما يفعلونه بين يديه فمنهم من يمشي بين يديه صبيان المكتب وهم
ينشدون في طريقه الى ان يوصلوه الى بيته ومنهم من يضيف
الى ذلك القراء يقرؤون كتاب الله تعالى بين يديه فيزيدون فيه وينقصون
كما تقدم في الجنائز ثم يضيفون اليه المكبرين والمدبرين على عادتهم
الذميمة في جنائزهم ثم مع ذلك يمرون في الاسواق ويلقاهم من ينتسب
الى العلم او الخير او الصلاح او المجموع وقل من يغير عليهم شيئا من ذلك
او ينهاه له في الغالب فانا لله وانا اليه راجعون ومنهم من يعوض عما
ذكر ما هو اشنع واقبح وهو ان يضرب بين يديه مع رمي النفط بالطبل
والبوق وبعضهم يمشون الفيل والزرافة بين يديه مع رمي النفط
وبعضهم يمشي بين يديه المغنية وطايفتها مكشوفة على ما يعهد من
حالها مع ضرب الطار والشبابة والمغني وترفع عقيرتها على ما يعهد من

فمنها

فمنها فكان الامر اولا للفرح بكتاب الله تعالى فكانوا في قربة فعكسوه الى
ضده اسال الله السلامة بمنه ولو كلف بعضهم ان يتصدق ببعض ما صرفه
فيما لا يجوز مما صنعه في الاصرافة لشق ذلك عليه في الغالب لانه محض
طاعة لله تعالى ليس فيه لهو ولا لعب ولا رياء ولا سمعة وذلك
شاق على النفوس الا من رحم ربك ثم يضيفون الى ذلك ان بعض
المودبين يدخلون مع صاحب الاصرافة البيت ويجلسون مع النساء وهن
متبرجات على ما يعلم من عادتهن في بيوتهن ويعطي اللوح لام صاحب
الاصرافة او لاخته ولخالته وعمته ولجارته الى غير ذلك من اقارب الولد
ومعارفه حتى تنقط كل واحدة منهن بما امكنها وذلك محرم لا يجوز
لانه اجنبي عنهن فلا يجوز لهن ان يظهرن عليه ولا ان يسمع كلامهن
الا لضرورة شرعية والضرورة هنا معدومة والله الموفق **وينبغي**
للوالد الصبي بل يتعين عليه ان يجتنب ما يفعله بعض
الناس في هذا الزمان وهو ان الصبي اذا ذهب اكثر القران به وقرب
ان يختم القران نقله والده الى كتاب اخر حتى يفوت الاول ما يستحقه
من الاصرافة وقد قال مالك رحمه الله في الصبي اذا دخل سورة الاعراف
عند مودب ثم انتقل الى غيره فاصرافة البقرة قد استحقها الاول
واختلف قوله فيما اذا دخل سورة يونس هل يستحقها الاول
او الثاني قولان ولا يختص هذا باصرافة سورة البقرة
ليس الا بل هو عام في كل اصرافة من القران قرب
اليها الصبي فان المودب الاول يستحقها ومن البيان والتحصيل
سئل مالك عن تعليم اولاد اليهود والنصارى الكتابة بغير قران
فقال لا والله ما احب ذلك يصيرون الى ان يقرؤوا القران قال
وسالته عن تعليم المسلم عند النصراني كتاب المسلمين او كتاب
الاعجمية فقال لا والله وكرهه ولا يعلم المسلم عند النصراني ولا
النصراني عند المسلم لقول الله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم قال ابن
رشد رحمه الله اما تعليم المسلم ابناء اليهود والنصارى او تعليمهم عندهم
فالكراهة في ذلك بينة وقد قال ابن حبيب ان ذلك سخطة ممن فعله

مسقطة لامامته وشهادته وقال ابن رشد في الجدفه يعني الاصرافه انه
يعصى بها وذكر عن حبيب انه فرق بينهما وبين الاحضار فقال انه لا يعصى
بالاحضار في الاعياد وان كان ذلك مستحبا فعله في اعياد المسلمين ومكروها في
اعياد النصارى مثل النيروز والمهرجان ولا يجوز لمن فعله ولا يحل لمن قبله لانه من
تعظيم الشرك **فصل في ذكر اداب المجاهد وكيفية نيته وهديه قد**
تقدم رحمنا الله تعالى واياك اداب العالم وهديه وما احتوت
عليه فالمجاهد وغيره تبع له في ذلك كله الا اشيا قلايل اختص بها العالم
وشيا قليلا اختص به المجاهد يقع ذكره ان شا الله تعالى ولتعلم ان الجهاد
ينقسم قسمين جهاد اصغر وجهاد اكبر فالجهاد الاكبر هو جهاد النفوس
لقوله عليه الصلاة والسلام هبطتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر
والكلام عليه ياتي ان شا الله تعالى في ذكر اداب الفقير المنقطع والكلام هنا انما هو
على الجهاد الاصغر وهو جهاد اهل الكفر والعناد وهو من اجل الطاعات
واعظمها وقد تقدم ان افضل الاعمال طلب العلم لان به يعرف المجاهد
كيف يجاهد وبماذا يصح له الجهاد وبماذا يفسد وكذلك غيره من امور الدين
فكان افضل الاعمال لما جا في تفضيله في الحديث الصحيح والحديث ليس على
عمومه اذ ان ذلك راجع الى احوال الناس فرب شخص ليس فيه اهلية
لطلب العلم وهو قادر على الجهاد لما فيه من فضل القوة والشجاعة
والاقدام فالجهاد في حق هذا اكد امره واخر يكون فيه كاد فهم وحفظ
وتحصيل للمسايل وهو ضعيف في نفسه ليس له قوة على الضرب
والطعن فطلب العلم لمثل هذا ابتغي وقد يتعين عليه الجهاد بحسب
حال الوقت وبالجملة فالجهاد فيه فضل كبير جابه الكتاب العزيز والحديث
الصحيح لكن ينبغي للمجاهد ان لا يدخل في الجهاد حتى يسل اهل العلم
عما يلزمه في الجهاد ان لم يعلمه لقوله عليه الصلاة والسلام طلب
العلم فريضة على كل مسلم قال العلما المحققون في معناه ما وجب
عليك عمله وجب عليك العلم به انتهى فيعرف اولا الاحكام اللازمة
له وحينيذ يدخل فيه فنبدا بما ذكره علماونا رحمة الله عليهم من الاحكام
اللازمة له فمن ذلك انهم قالوا شروط وجوب الجهاد سبعة وهي ان يكون

مسلما

مسلما عاقلا بالغا ذكرا حرا مستطيعا بصحة البدن والمال وفرايضه
ستة النية بطاعة الامام وترك الغلول والوفا بالامان والثبات
عند الزحف وان لا يفر واحد من اثنين **فصل في الغنيمة والغنيمة**
يستحقها من اتصف بعشرة شروط السبعة المتقدم ذكرها وان
يكون خرج للجهاد لا للتجارة ولا للاجارة وان تكون الغنيمة حصلت
بالقتال او ما اوجف عليه بالخيل والركاب **فصل في حكم الاسارى**
الامام مخير في الاسارى بين خمسة اشيا القتل او الاسترقا ف
او المن او الفدا او الجزية **فصل في الاوصاف الموجبة**
للجزية الجزية واجبة بعشرة اوصاف الكفر والاقامة عليه بدار
الاسلام وان يكون عاقلا بالغا ذكرا حرا غير معتق لمسلم قادرا على ادايها
ولا يكون قرشيا ولا مرتدا **فصل في حكم المرتدين دار المرتدين**
من تفارق دار الحرب من اربعة اوجه احدها انهم لا يهادون
على الاقامة ببلدهم الثاني انهم لا يصالحون على مال يقرون به على
ردتهم الثالث لا يسترق رجالهم ولا تسبا نساوهم الرابع لا يملك الغانمون
اموالهم وهي ايضا تفارق دار الاسلام من اربعة اوجه احدها انه
يجوز قتالهم مقبلين ومدبرين كالمشركين الثاني اباحة دمايهم اسرى
وممتنعين الثالث ان اموالهم تصير فيا للمسلمين الرابع بطلان مناكحهم
فصل في قتال الفية الباغية وهي التي تفارق راي الجماعة
وتنفرد بمذهب مبتدع وتنعزل بدار يفارق قتالهم قتال
المشركين من ثلاثة عشر وجها احدها انهم يقاتلون بنية ردعهم
ولا يعتمد به قتلهم الثاني يقاتلون مقبلين ويكف عنهم مدبرين
الثالث لا يجهز على جريحهم الرابع لا تقتل اسراهم الخامس لا تسبى
نساهم السادس لا تسبا ذراريهم السابع لا تغنم اموالهم الثامن
لا يهادنون على الاقامة ببلدهم التاسع لا يصالحون على مال يقرون
به على بدعتهم العاشر لا يستعان على قتالهم بمشرك الحادي
عشر لا ينصب عليهم الرعادات الثاني عشر لا يحرق عليهم بيوتهم الثالث
عشر لا تقطع اشجارهم **فصل في حكم المحاربين قتال**

المحاربين كقتال الفية الباغية في عامة احوالهم الا في خمسة اشيا
يخالفونهم فيها احدها انهم يقاتلون مقبلين ومدبرين الثاني يجوز ان يعتمد
في الحرب قتلهم الثالث انه يجوز حبس اسراهم لاستبراء حالهم الرابع
انهم ضامنون لما استهلكوه من دم او مال في الحرب وغيره ولا يجوز ذلك
في الفية الباغية بعد انجلا الحرب الخامس ان ما اخذوه من خراج
وصدقات فهو كالماخوذ غصبا فعلى من اخذ من يده غرمه فاذا تحصل
عنده معرفة ما ذكر فليكن عالما باحكام صلاة الخوف في الحالتين من
قتال وغيره وكيفيه ما يلزمه من ذلك كله وكذلك يتعين عليه معرفه
احكام التيمم وفي اي وقت يلزمه وفي اي وقت يحرم عليه ومسايله وقد
تقدم بيان هذا عند ذكر غسل المراة في بيتها وكذلك ينبغي له ان يعرف
احكام صلاة المسافر وفي اي وقت يقصر وفي اي وقت يتم وذلك كله
موجود في كتب الفقها متيسر على السنتهم لمن جا اليهم مستفتيا لان
الصلاة هي عماد الدين وبها قوامه فاذا كان المجاهد يخل بها او بركن
من اركانها كان تركه للجهاد اولى به بل اوجب عليه اذا لم يتعين فان
تعين والحالة هذه كان عاصيا وان كان مجاهدا وهذه مسله قد عمت
بها البلوي اذا انا نري ونباشر من يخرج الى الجهاد وغالب احوالهم عدم
الفقه وعدم المعرفة بجل ما ذكر او باكثره وقل من تجد منهم يجتمع باحد
من اهل العلم ولا يسال عما يلزمه من الاحكام فيما ذكر سيما صلاة الخوف
التي ما بقيت تعرف عندهم في الغالب ولا تذكر الا في كتب الفقها
كانها حكاية تحكى سيما صلاة المسايفة فانها كادت لا تعرف ايضا لعدم
فاعلها وقلة السوال عنها فيخرج المجاهد وهو عند نفسه انه في طاعة
وهو يقع في مخالفات جملة لعدم التلبس بمعرفة ما ذكر وقد يكون
سببا الى وقوع الرعب في قلبه من العدو وانهزامه عند روية العدو
العدو وانما سعد له باقامة هذا الدين قال الله تعالى في كتابه العزيز
يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم قال علماونا
رحمة الله عليهم نصر العبد لربه هو اتباع امره واجتناب نهيه فاذا فعل
ذلك كان سببا لنصرة الله له وامنه مما يخافه سيما والمجاهد انما يجاهد

لاجل هذا الدين والصلاة هي عماده وبها قوامه وقد ورد ان عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه جاءه كتاب من بعض جيوشه بالشام وهم يخبرونه فيه
بانهم قد افتتحوا البلدة التي نزلوا بها وكان الحرب بينهم وبين اهلها من اول
النهار الى الزوال فبكى حتى بلت دموعه لحيته فقيل له اتبكي والنصر لنا فقال
والله ما الكفر يقف امام الاسلام من غدوة الى الزوال الا من امر احدثتموه
انتم او انا فانظر الى ما قرره رضي الله عنه ما نظر في النصر وعدمه الا
بصلاح الحال فيما بين العبد وربه فاين هذا الحال الذي ذكر من حال
اكثر الناس اليوم في كونهم يخرجون الصلاة عن وقتها ويقضونها بعد
ذلك ولا قايل به من المسلمين اعني جواز اخراجها عن وقتها عمدا من غير
عذر شرعي والعذر الشرعي انما هو زوال العقل او استتاره الا تري
ان المسايف تجب الصلاة عليه وهو يضارب ويجوز له ان يتكلم ان
اضطر الى ذلك وهو يصلي ويجوز له ان يصلي لاي جهة كانت ويكر ويفر
وكذلك الغريق تجب عليه الصلاة في حال غرقه والمطلوب الى غير
ذلك فحال هولاء صلاتهم انما هي بالايمان واللسان واغتفر في حقهم ومن
شابههم ترك فرايض في الصلاة جملة في حال صلاتهم اذ ذاك خيفة على
الوقت ان يخرج فلو ترك احدهم ما لزمه من الاتيان بالصلاة في الوقت
على الصفة المذكورة كان عاصيا وان قضاها بعد خروج وقتها لان علماونا
رحمة الله عليهم قد اختلفوا فيمن اخرج الصلاة عن وقتها متعمدا هل عليه
قضا ام لا فالمشهور ان القضا واجب عليه وانه اثم فيما فعله من التاخير
وذهب بعضهم انه لا قضا عليه بنا منهم على انه مرتد وحكمه معروف
وما ذكر في حق المجاهدين من تاخير الصلاة حتى يخرج وقتها هو موجود
بعينه في كثير من الحجاج كما هو مشاهد من احوالهم فانهم يحصلون الزاد
والراحلة وما يحتاجون اليه من ضروراتهم بخلاف ما يحتاجون اليه من
امور دينهم فقل من يسل عن مسايل التيمم وقصر الصلاة واتمامها واحكام
الحج ومناسكه وان وجد ذلك من بعضهم فالغالب منهم انهم يعتنون
بالمناسك بادعيه معلومة على قانون معروف فيعولون عليها ويتركون
ذكر الاحكام في الغالب وقد كره مالك رحمه الله تعيين الدعا لبعض

الاركان وقال هذه بدعة انما يذكر الله تعالى ويدعوا بما يمر بباله او كما قال
ثم نرجع الى ما كنا بسبيله من امر الجهاد فمن اهم ما يقدم فيه قبل الخروج
اليه وعنده حسن النية واهتباله بها والتعويل عليها وقد ثبت عن النبي
صلى الله عليه وسلم بيانها اتم بيان حين جاء الاعرابي فقال يا رسول الله ما
القتال في سبيل الله فان احدنا يقاتل غضبا ويقاتل حمية فرفع اليه راسه
قال وما رفع اليه راسه الا انه كان قائما فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا
فهو في سبيل الله انتهى فقد اتضح وبان ما ينوي المجاهد حين خروجه وتلبسه
بالقتال وان ما يقع له من غير ما نواه لا عبرة به ولا يواخذ به لان الاعرابي
قال ان احدنا يقاتل غضبا ويقاتل حمية فاجابه عليه السلام بما تقدم ذكره
فدل على انه اذا نوى ان يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا لا يضره ما اعتراه
بعد ذلك من قتاله غضبا او حمية وما اشبههما لان هذا كله من وساوس
الشيطان ونزغاته وهواجس النفوس التي لا تملك والله عز وجل قد
رفع ذلك عنا ومن علينا بترك المحاسبة عليه ببركة هذا النبي الكريم
على ربه صلى الله عليه وسلم وذلك انه لما نزل قوله وان تبدوا ما في
انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الاية صح الصحابة رضي الله عنهم من ذلك
واتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله كلفنا الصلاة
والصوم والزكاة والحج فقبلنا واما ما يقع من نفوسنا فلا نقدر على ذلك
او كما قالوا فعلمهم عليه الصلاة والسلام الادب مع الربوبية فقال اتقولون
مثل ما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا ولكن قولوا سمعنا واطعنا فقالوا
سمعنا واطعنا فانزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها الى اخر
السورة فرفع الله الاصر عنهم وعدم المواخذة بالوسواس والهواجس
ولاجل هذا المعنى الذي نحن بسبيله قال عليه الصلاة والسلام لما ان
جاء اصحابه يشكون له ما وقع لهم من هذا المعنى فقالوا انا نجد في
انفسنا ما يتعاظم احدنا ان يتكلم به فقال او جدتموه قالوا نعم قال
ذلك صريح الايمان الحمد لله الذي رد كيده لهذا فقوله عليه السلام ذلك
صريح الايمان يعني في دفعه وتعاظم الامر عندهم لا في نفسه ووقوعه
وقوله عليه السلام الحمد لله الذي رد كيده لهذا وذلك ان ابليس اللعين

لم يقنع

لم يقنع منهم في الجاهلية حتى جعلهم ينشرون خشبا وينحتون حجارة ويجعلونها
صورا يسجدون لها ويعبدونها من دون الله عز وجل وهم قد صنعوها بايديهم
فلما ان جاء الاسلام وظهر امره وانتشر ايس اللعين منهم ان يردهم الى ما كانوا
فلم تبق له حيلة الا الوساوس والهواجس المشوشة على قلوب المومنين
فقال عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذي رد كيده لهذا انتهى فمحمد صلى الله
الله عليه وسلم على كون اللعين عجزت قدرته عن جميع الحيل اذ ان ما بقي
له من الحيل الا الوساوس والهواجس وذلك غير مواخذ به فمن وقع له
ولو وقف المكلف مع ما يقع له من الهواجس قل ان يتاتى له اذا اعتاده بسبب
تسليطه فالحاصل انه يقاتل اولا بنية ان تكون كلمة الله هي العليا كما تقدم وان
يحتسب نفسه وماله لله عز وجل لقوله تعالى ان الله اشترى من المومنين
انفسهم واموالهم الى اخر الاية وقوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون
في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص وقد نقل الشيخ الامام ابو محمد عبد
الحميد الصدفي الشهير بابن ابي الدنيا قال روى الترمذي عن عبد الرحمن
ابن عوف رضي الله عنه قال عبانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر
ليلا والتعبية هي تسوية الصفوف وتقدم للعمل الصالح بين يدي القتال
من الامام والناس من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يرجى به الظفر
والنصر قال الله تعالى ولينصرن الله من ينصره ثم الادارة على العدو والخدعة
له من اسباب الظفر اخرج مسلم ابن الحجاج في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد غزوا ورى عنه بغيره ومن الخدع في الحرب
ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الاحزاب روي ان رجلا من المشركين
كان لا يكتم الحديث وكان مع المشركين عام الاحزاب وكان ياتي النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يوما للنبي صلى الله عليه وسلم ان بني قريظة قد مالوا عليك
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لعلنا امرناهم بذلك فاتى الرجل ابا سفيان
فقال هل علمت محمدا يقول ما ليس هو قال لا قال فانه قال لي في بني قريظة لعلنا
امرناهم بذلك قال سننظر فارسل الى بني قريظة قال نحب ان تعطونا
رهاين ووافق تلك الليلة السبت للقدر المقدور فقالوا نحن في السبت

فاذا انقضي فعلنا فقال ابو سفيان نحن في مكر بني قريضة فالقى الله في قلوبهم
الرعب وارسل عليهم ريحا وجنودا لم يروها ورد الله الذين كفروا
بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المومنين القتال وكانت هذه من الخديع
التي خدعهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه عن ابي اوفي قال
سمعته يقول يعني النبي صلى الله عليه وسلم يدعوا على الاحزاب
اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم
فهذا الدعا ينبغي ان يدعا به عند ملاقاة العدو واقتدا برسول
الله صلى الله عليه وسلم ومنه عن المهلب عن ابي صفرة عن من سمع
النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان بيتكم العدو فقولوا حم لا ينصرون ومنه
عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكه ولواوه ابيض ومنه عن
ابي الدردا قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ابغوني في ضعفايكم
فانما ترزقون وتنصرون بضعفايكم معنى قوله عليه السلام ابغوني في
ضعفايكم اي اطلبوني اي انه يكون معهم ويناسب ذلك ما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم حكايه عن الله تعالى انا مع المنكسرة قلوبهم من اجلي
فاذا كان الله معهم فهم منصورون ويريد بالضعفا والله اعلم الذين لم يكن
لهم ظهور في الدنيا ولا هم طالبون لها وهم اتقيا في دينهم راغبون في الاخرة
طايعون لله تعالى ناصرون لدينه فهم منصورون قال الله تعالى ان
تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم وقال والله مع الصابرين اي بالنصر
والمعونه اي مع الصابرين عن المشتهيات من المحرمات والصابرين
على الطاعات وجلاد الكفار فالله ناصرهم ومعينهم روي عن ابي بكر
الصديق رضي الله عنه انه قال لخالد ابن الوليد حين بعثه لقتال
اهل الردة احرص على الموت توهب لك الحياة ووجه ابو مسلم قوما
الى الغزو فقال اشعروا قلوبكم الجراة عليهم فانه سبب الظفر واذكروا
كثرة الضغاين فانها تحث على الاقدام والزموا الطاعة فانها حصن
المحارب ومن الحكمة قوة النفس في الحرب علامة الظفر ومنها
نفح الحرب بجع القلب ومنها الهزيمه محل العزيمة ومنها الحيل ابلغ
من العمل ومنها الراي السديد اجدى من الايد الشديد ومنها شدة

الصبر فاتحة النصر وينبغي للمشورة في القتال وفي كل امر يعرض من الترمذي
عن ابي هريرة قال ما رايت احدا اكثر مشورة لاصحابه من رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا انه ينبغي مشاورة من له عقل ودين وتجارب
من كلام الحكمة توقع مشاورة الجاهل ومنها لا تشاور من تميل به رغبته
او رهبته اخرج مسلم ابن الحجاج في صحيحه باسناد عن ثوبان قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طايفه من امتي ظاهرين على الحق
لا يضرهم من خالفهم حتى ياتي امر الله ومنه عن جابر ابن سمرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال لن يبرح هذا الدين قايما يقاتل عليه عصابة من
المسلمين حتى تقوم الساعة ومنه عن سعد ابن ابي وقاص قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم
الساعة قال البخاري رضي الله عنه هذه الطايفه هم اهل العلم وقال
القاضي عياض هم اهل السنه والجماعة انتهى كلامه بلفظه ثم نرجع الي
ذكر بعض فضيلة الجهاد فمن ذلك ما تقدم من قوله تعالى ان الله
اشتري من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنه يقاتلون في سبيل
الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوريه والانجيل والقران
ومن اوفي بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك
هو الفوز العظيم قال الشيخ ابو محمد عبد الحميد روي عن عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه انه قال جعل الله للمجاهدين في سبيله للصفين جميعا
بيانه قول الحسن رضي الله عنه انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها ومع
ذلك اثابنا هو خالق فعل المجاهد وقدرته وعزمه على الجهاد
في سبيله ورغبته فكل فضله ونعمته ومنته فكل من عند الله تبارك
ربنا يبتدي ايادي ويمنح عن اياديه الجزا وروي في معنى الايه ان الانصار
حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله ابن رواحة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اشترط لربك ولنفسك ما شيت قال
اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا واشترط لنفسي ان تمنعوني
مما تمنعون منه انفسكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا
ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي

وهو يقرا ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم الاية فقال الاعرابي
كلام من قال كلام الله قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى
العدو واستشهد رحمه الله فقوله تعالى وعدا عليه حقا هذا وعد
موكد اخبر الله تعالى ان هذا الوعد الذي وعده المجاهدين في سبيله
وعد ثابت وقد اثبته في التوراة والانجيل كما اثبته في القران وعن
الجوهري ناهيك من صفقة البايع فيها رب العلا والثمن جنة الماوي
والواسطة محمد المصطفى وفي ذلك قيل اكرم بها صفقة الرب عاقدها
على لسان رسول الله من مضر سلعتها جنة ناهيك من نزل دارها
نعم تخفى عن البشر انواع مطعمها من كل شهوتها شرابها عسل صاف
من الكدر من كل مالذة طابت مواردها وحورها در تزهو على
القمر انا لها ثمن دنيا بها محن لم يصف مشربها الى لمعتبر ثم قال
ومن اوفى بعهده من الله لان اخلاف الميعاد انما يطرا على البشر
لاحد امور او مجموعها وذلك لبخل او شح خوف الفقر او محبة في الازدياد
من الشهوات او لعجز او لنسيان وذهول او لغير ذلك من الافات
وكل ذلك محال على خالق الارض والسموات فهذه الاية اذا فهمت
معانيها وحضر محلو القلب وشروط الاستماع فانها لا يطلب في الترغيب
في الجهاد زيادة عليها ولا انضمام شي من المؤكدات اليها وذكر بسنده الى
مالك ابن انس في موطايه عن ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثل المجاهد في سبيل الله
كمثل الصايم القايم الذي لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع وقال
الله تعالى ولين قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة
خير مما تجمعون فهذا وعد من الله سبحانه موكد بالقسم ان القتل في
سبيله او الموت لمقترن بهما المغفرة والرحمة وخبره تبارك وتعالى
ووعده حق وتاكيده بالقسم للترغيب في الجهاد وتحقيق فضله في
قلوب العباد اخرج مسلم في صحيحه بالسند عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه
الا جهاد في سبيلي وايمان بي وتصديق برسولي فهو علي ضامن

ان ادخله

ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نايلا ما نال من اجر او
غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله الا جا يوم القيمة
كهيئته حين كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده لولا
ان يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله ابدا
لاكن لا اجد سعة فاحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم ان يتخلفوا عني
والذي نفس محمد بيده لوددت ان اغزو في سبيل الله فاقتل ثم اغزو فاقتل
قوله صلى الله عليه وسلم لا يخرجه الا جهاد في سبيلي وايمان بي وتصديق
برسولي في هذا حث على النية وتخليصها من الشوايب الدنيوية والمامور به
من النية ان تكون كلمة الله هي العليا وهي الشهادتان وعلو المستمسك
بهما من اهل الايمان لان الكفر اذا علا بالضرورة تكون الشهادتان وشرعة
الاسلام السفلى فيقصد بالخروج من بيته هذا مخلصا او بيع نفسه
من الله تعالى بالجنة التي وعدها في القران نصا او مجموع الامرين ابتغا الجنة
وعلو الكلمتين فاذا صح قصده نال من الله تعالى ما وعده وقوله هو علي ضامن
قيل مضمون وقوله او ارجعه الى مسكنه نايلا ما نال من اجر او غنيمة
او بمعنى الواو ورواه ابو داود من اجر وغنيمة والكلم الجراح وباسناده الى
مالك عن ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يكلم احد في سبيل الله والله اعلم بمن يكلم في سبيله الا جا يوم القيمة
وجرحه يثعب اللون لون الدم والريح ريح المسك في هذا التنبيه على النية
ومنه عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لغدوة في سبيل
الله او روحة خير من الدنيا وما فيها وفي حديث ابي ايوب خير مما طلعت
عليه الشمس الغدوة بفتح الغين السير الى الزوال مرة واحدة
والروحة السير من الزوال الى المغرب مرة واحدة والمعنى ان ثواب
هذه الغدوة الواحدة وفضلها ونعيمها على قلتها ويسارها وخفتها خير
من نعم الدنيا كلها على كثرتها فان نعم الدنيا زايلة فانية ونعم الاخرة دايمة
باقية او المعنى ان الدنيا لو ملكها ملك باسرها وانفقها لثواب الاخرة واجرها
لكان جزا هذه الغدوة اكثر وفضلها اعظم واكبر ومن صحيح مسلم متصل
عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا سعيد

من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وجبت له الجنة فعجب لها ابو سعيد
فقال اعدها علي يا رسول الله ففعل ثم قال واخرى يرفع الله بها للعبد مايه
درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السما والارض قال وما هي يا رسول
الله قال الجهاد في سبيل الله الدرجات المنازل في الجنة بعضها فوق بعض
على ما ورد به القران والسنة لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف
مبنية ومنه عن النعمان ابن بشير قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال رجل ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اعمر المسجد الحرام وقال
الاخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا اصواتكم
عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت
الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فانزل الله عز وجل اجعلتم
سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل
الله لا يستوون عند الله الايه عن ابي سعيد الخدري ان رجلا سال
النبي صلى الله عليه وسلم فقال اي الناس افضل فقال رجل مجاهد في سبيل
الله بماله ونفسه قال ثم قال مومن في شعب من الشعاب يعبد الله
ويدع الناس من شره ومنه عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من خير معاش الناس لهم رجل ممسك بعنان
فرسه في سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة او فزعة طار عليه
يبتغي القتل او الموت مظانه او رجل في غنيمة في راس شعفة من
هذه الشعف او بطن واد من هذه الاودية يقيم الصلاة ويوتي الزكاة
ويعبد ربه حتى ياتيه اليقين ليس من الناس الا في خير تضمن هذا
الحديث تفضيل الجهاد وشرفه والمواظبة عليه وان الاكتساب
منه خير كسب اذا احسن المغنم ولم يبسنا تر على الغازين بشي الا ما
الضرورة داعية اليه مثل الطعام والشراب وشبههما مما هو مقرر
في السنن الماثورة والكتاب والهيعة الصوت المفزع والطيران
هو اغاثة المستغيث باري المكث في الفعل المسرع والسعفة
روس الجبال وفيه حض على الانزوا عن الناس والاعتزال
لما فيه من افات القيل والقال وهذا الانزوا والاعتزال انما يحمل

ادالم

اذا لم يتوجه فرض الجهاد والقتال او فرض من الفروض على حسب
الاحوال ومنه عن ابي بكر ابن عبد الله ابن قيس عن ابيه قال
سمعت ابي وهو بحضرة العدو يقول قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان ابواب الجنة تحت ظلال السيوف فقام رجل رث الهيئة فقال
يا ابا موسى انت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا
قال نعم قال فرجع الى اصحابه فقال اقرا عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه
والقاه ثم مشى بسيفه الى العدو فضرب به حتى قتل قال القاضي عياض
رحمه الله يعني ان الجهاد وحضور المعارك سبب لدخولها ومقرب
اليها ويظهر والله اعلم ان مكان المعركة وجلاد الكفار منه تنقل روح
الشهيد حين الشهادة وتدخل الجنة كما جا في القران وصحيح الاخبار وفي
صحيح مسلم ابن الحجاج عن ثابت قال كان انس عمي سميت به لم يشهد مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا قال فشق عليه قال اول مشهد شهده
رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه وان اراني الله فيها بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما اصنع قال فهاب ان يقول غيرها قال
فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا قال فاستقبل سعيد ابن
معاذ فقال له انس يا ابا عمرو اين فقال واها لريح الجنة اجده دون احد
قال فقاتلهم حتى قتل قال فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة
ورمية قال فقالت اخته عمتي الربيع بنت النضر فما عرفت اخي الا ببنانه ونزلت
هذه الاية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم
من ينتظر وما بدلوا تبديلا قال فكانوا يرون انها نزلت فيه وفي اصحابه
قوله واها لريح الجنة كلمة تلهف وتحسر وشوق الى الجنة وتمن لا حرم لما
صدق اعطي سوله وبلغ مما تمنى مامولة واوجده الله ريح الجنة كما ورد في
الخبر الصحيح انها توجد من خمس مايه سنة وذلك من الله تعالى تشريف
لاهل السعادة وتكرمة لمن كتبت له الشهادة من مسند النساي عن
فضالة ابن عبيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انا زعيم
والزعيم الحميل لمن امن بي واسلم وجاهد في سبيل الله ببيت في ربض
الجنة وبيت في وسط الجنة وبيت في اعلى غرف الجنة من فعل ذلك

لم يبرح للخير مطلبا ولا من الشر مهربا يواتك حيث يموت ومن مسند ابي
داود عن ابي امامة ان رجلا قال يا رسول الله ايذن لي في السياحة
قال سياحة امتي الجهاد في سبيل الله ومن الترمذي عن خريم ابن
فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق نفقة في سبيل
الله كتبت له سبع مائة ضعف ومنه عن زيد ابن خالد الجهني قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزى ومنه عن
يزيد ابن ابي مريم قال لحقني عباية ابن رفاعة ابن رافع وانا ماش الى
الى الجمعة فقال ابشر فان خطاك هذه في سبيل الله سمعت ابا عبس يقول
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اغبرت قدماه في سبيل الله
فهما حرام على النار انتهى كلام الصدفي رحمه الله قال الترمذي في جامعه
ابو عبس هذا اسمه عبد الرحمن ابن جبر ويزيد ابن ابي مريم هو رجل
شامي روى عنه الوليد ابن مسلم ويحيى ابن حمزة وغير واحد ثم قال
الصدفي رحمه الله ومنه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في
الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم **فصل في
الرمي وفضيلته اخرج الترمذي** وابو داود والنسائي
عن عقبة ابن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب في
صنعته الخير والرامي به ومنبله وفي الترمذي كلما يلهو به الرجل
المسلم باطل الا رميه بقوسه وتاديبه فرسه وملاعبته اهله ومن
مسند الترمذي عن ابي نجيح الاسلمي قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من رمى بسهم في سبيل الله فهو له عدل
محرر وروى البخاري عن سلمة ابن الاكوع قال مر النبي صلى الله
عليه وسلم على نفر ينتضلون فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا
بني اسمعيل فان اباكم كان راميا وانا مع بني فلان قال فامسك احد
الفريقين بايديهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لكم لا
ترمون قالوا كيف نرمي وانت معهم فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم ارموا وانا معكم كلكم ومن صحيح مسلم عن عقبة ابن عامر قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم الارضون ويكفيكم
الله فلا يعجز احدكم ان يلهو باسهمه ومنه عن عبد الرحمن ابن شماسة
ان فقيما اللخمي قال لعقبة ابن عامر تختلف بين هذين الغرضين وانت كبير
يشق عليك فقال عقبة لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم اعانه فقيل لابن شماسة وما ذاك قال انه قال من علم الرمي
ثم تركه فليس منا او ليس منا متبعا كتابه عصى وقوله صلى الله عليه وسلم
فليس منا اي ليس متبعا لنا ولا مهتديا بهدينا تارك الرمي وكتب عمر
رضي الله عنه لاهل حمص علموا اولادكم السباحة والرماية والفروسية
والاحتفاء بين الاغراض وقال احتفوا وتجردوا واخشوشنوا وتمعددوا
واقطعوا الركب وانزوا على الخيل نزوا وارموا الاغراض واياكم ولباس العجم
البسوا الازر والاردية والقوا السراويلات واستقبلوا حر الشمس بوجوهكم
فانها حمامات العرب واطرحوا الخفاف والبسوا النعال **فصل
في الرباط وفضله وذكر الخيل وفضلها اخرج** البخاري
في صحيحه عن سهل ابن سعد انه قال رباط في سبيل الله خير من الدنيا
وما فيها وموضع صوت في الجنة خير من الدنيا وما فيها والروحة يروحها
العبد في سبيل الله والغدوة خير من الدنيا وما فيها روى الترمذي
عن فضالة ابن عبيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم
على عمله الا الذي يموت مرابطا في سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم
القيمة ويامن من فتنة القبر اخرج مالك رحمه الله في موطايه وغيره
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل لرجل اجر
ولرجل ستر وعلى رجل وزر فاما الذي هي له اجر فرجل ربطها في
سبيل الله فاطال لها في مرج او روضة فما اصابت في طيلها ذلك من المرج
او الروضة كان له حسنات ولو انها قطعت طيلها ذلك فاستنت شرفا
او شرفين كان اثارها وارواثها حسنات له ولو انها مرت بنهر فشربت
منه ولم يرد ان يسقي به كان ذلك حسنات له فهي له اجر ورجل
ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي

لذلك سنة ورجل ربطها فخرا ورياء ونوا لاهل الاسلام فهي على ذلك وزر
ومنه عن عبد الله ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل
في نواصيها الخير الى يوم القيمه ومنه عن يحيى ابن سعيد ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم رئي يمسح وجه فرسه بردائه فسيل عن ذلك فقال
اني عوتبت الليله في الخيل وروي العتبي عن مالك انه ساله بعض اهل
ثغر الاسكندريه هل الرجوع لثغرهم والسكون فيه للحرس وسده افضل
ام المقام بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم لطلب العلم فرجح لهم الرجوع
الى الاسكندريه والسكون فيها عن ذلك وروي عن ابن عمر انه كان
يقول الحرس افضل من الغزو لان الحرس فيه حفظ دما المسلمين
والغزو فيه اراقه دما المشركين فحفظ دما المسلمين اولى اخرج الترمذي
في صحيحه عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشيه الله وعين باتت
تحرس في سبيل الله ومن الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من لقي الله بغير اثر من جهاد لقي الله وفيه
ثلمة ومنه عن ابي صالح مولى عثمان ابن عفان قال سمعت عثمان
وهو على المنبر يقول اني كتمتكم حديثا سمعته من رسول الله صلى
الله عليه وسلم كراهيه تفرقكم عني ثم بدا لي ان احدثكموه ليختار
امرؤ لنفسه ما بدا له سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
رباط يوم في سبيل الله خير من يوم فيما سواه من المنازل قال ابو عيسى
هذا حديث حسن صحيح ومنه عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ليس شي احب الى الله عز وجل من قطرتين ومن اثرين
قطرة دموع من خشيه الله وقطرة دم تراق في سبيل الله واما
الاثران فاثر في سبيل الله واثر في فريضه من فرايض الله قال
ابن حبيب الرباط شعبه من شعب الجهاد وقيل من رابط فواق
ناقه حرمه الله على النار قال ابن حبيب فواق ناقه قدر ما
تحلب وقال غيره قدر ما بين الحلبتين وعن ابي هريرة لحرس
ليله احب الي من صيام الف يوم اصومها واقوم ليلتها في المسجد

الحرام

الحرام وعند قبر النبي عليه السلام وعن مالك ابن انس رحمه الله ينبغي
لكل قوم ان يرابطوا في ناحيتهم ويمسكوا اسوا اعلهم الا ان يكون مكانا
مخوفا يخاف فيه على العامة بريد فليذهب اليه من المحوط في الثغور
حفر الخنادق والاحتساب في حفرها مستنبط في ذلك بفعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقطعه عليه السلام الحجر الذي منه اعيت
الصحابه الحيله في كسرها اخرج النساي عن البرا ابن عازب قال لما
امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرض لنا حجر لا ياخذه
المعول فاشتكينا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم والقى ثوبه واخذ المعول وقال بسم الله فضرب
ضربه وكسر ثلث الصخرة فقالوا الله اكبر اعطيت مفاتيح الشام والله
اني لانظر الى قصورها الاحمر الان من مكاني هذا قال ثم ضرب اخرى
وقال بسم الله وكسر ثلثا اخر وقال الله اكبر اعطيت مفاتيح فارس والله
اني لابصر حصر المداين والى القصر الابيض ثم ضرب الثالثه وقال
بسم الله فقطع الحجر وقال الله اكبر اعطيت مفاتيح اليمن والله اني
لابصر باب صنعا **فصل في فضل الشهادة اخرج مسلم في
صحيحه عن** مسروق قال سالنا عبد الله عن هذه الاية ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم يرزقون فقال
اما انا قد سالنا عن ذلك فقال ارواحهم في جوف طير خضر لها قناديل
معلقة بالعرش تسرح في الجنة حيث شات ثم تاوي الى تلك القناديل
ومنه عن انس ابن مالك قال ما من احد يدخل الجنة يحب ان يرجع
الى الدنيا وان له ما على الارض من شي غير الشهيد فانه يتمنى ان يرجع
فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة وفي روايه لما يرى من فضل
الشهادة ومنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمع كافر
وقاتله في النار ابدا ومن الموطا عن معاذ ابن جبل انه قال الغزو
غزوان فغزو ينفق فيه الكريمة ويياسر فيه الشريك ويطاع فيه
ذو الامر ويجتنب فيه الفساد فذلك الغزو خير كله وغزو لا ينفق
فيه الكريمه ولا يياسر فيه الشريك ولا يطاع فيه ذو الامر ولا يجتنب

فيه الفساد فذلك الغزو لا يرجع صاحبه كفافا ومن صحيح البخاري عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من امن بالله ورسوله واقام الصلاة
وصام رمضان فان حقا على الله ان يدخله الجنة هاجر في سبيل الله او جلس
في ارضه التي ولد فيها قالوا يا رسول الله افلا نبشر الناس بذلك قال ان
في الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيله كل درجتين كما بين
السما والارض فاذا سالتم الله فاسالوه الفردوس فانه وسط الجنة وفوقه
عرش الرحمن ومن صحيح الترمذي عن المقدام ابن معدي كرب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للشهيد عند الله ست خصال
يغفر الله له في اول دفعه ويري مقعده من الجنة ويجار من عذاب
القبر ويامن من الفزع الاكبر ويوضع على راسه تاج الوقار الياقوته
منها خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنين وسبعين زوجة من الحور
العين ويشفع في سبعين من اقاربه قال ابو عيسى هذا حديث صحيح
غريب ومنه عن ابي هريرة قال مر رجل من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم بشعب فيه عيينه من ماء عذب فاعجبته لطيبها
فقال لو اعتزلت عن الناس فاقمت في هذا الشعب ولن افعل حتى استاذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال لا تفعل فان مقام احدكم في سبيل الله افضل من صلاته
في بيته سبعين عاما الا تحبون ان يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة اغزوا
في سبيل الله من قاتل في سبيل الله فواق ناقته وجبت له الجنة ومنه
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرض علي اول
ثلاثة يدخلون الجنة شهيد وعفيف متعفف وعبد احسن عبادة
الله ونصح لمواليه ومنه عن ابي ادريس الخولاني انه سمع فضالة
ابن عبيد يقول سمعت عمر ابن الخطاب يقول سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول الشهدا اربعة رجل مومن جيد
الايمان لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك الذي يرفع الناس
اليه اعينهم يوم القيمة ورفع راسه حتى وقعت قلنسوته قال فما
ادري اقلنسوة عمر اراد ام قلنسوة النبي صلى الله عليه وسلم قال

ورجل

ورجل مومن جيد الايمان لقي العدو فكانما ضرب جلده بشوكة طلح من الجبن
اتاه سهم غرب فقتله فهو في الدرجة الثانية ورجل مومن خلط عملا
صالحا واخر سيا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة
ورجل مومن اسرف على نفسه لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك
في الدرجة الرابعة انتهي وفضيله الجهاد قد جا فيها ما هو اكثر من هذا
واكثر لكن ذلك متعذر على المرء وحده اذ لا بد فيه من جماعة وامام
تنعقد كلمتهم عليه ولا يخفا المونه وقد ذكر العلما رحمة الله عليهم ذلك
وشرطوا له شروطا وبينوا حال الامام وحال الجماعة التي تكون معه
وصفة هديهم وطريقهم وادابهم وما يتجنبون فيه من المفاسد وهذا
النوع كثير قل ان يحصر اعني عما احدث فيه من المفاسد وهذا النوع كثير
شرقا وغربا فمن اراد الجهاد فليتوقف حتى يسال اهل العلم والنهي
ماذا يجب عليه فيه وماذا ينبغي له وماذا يحرم عليه او يكره وما يتجنب
فيه من المفاسد فانها مختلفة بحسب اختلاف الاقاليم والايمة والجماعة
والعصر فلا يمكن الكلام على معنى من معانيها لكثرتها واختلاف
الاحوال والازمان والعصر فبالسوال يتبين له ما يصلح به فان راي
انه لا بد من خلل يرتكبه بسبب جهاده فالترك به اولي اللهم الا ان يتعين
الجهاد فلا سوال اذ ذاك اذ انه لا ينتظر فيه اذن الامام ولا حضور الجماعة
ولا اذن الوالد ولا الوالدة ولا اذن السيد اذ ان النفير واجب
متعين على كل من كانت له قدرة بوجه ما ثم الاصل الذي يعول
عليه في جهاده ويعتقد النصر من جهته هو التعلق بجناب
اوليا الله تعالي والرجوع اليهم والصدور عن رايهم الا تري الي
ما حكي عن عبد الملك ابن مروان لما ان خرج الي بعض غزواته
قال انظروا الي محمد ابن الحنفيه فذهبوا اليه ثم رجعوا قالوا وجدناه
في المسجد يصلي فقال اذهبوا فقد نصرنا سبابته في القبله عندي
خير من كذا وكذا الف فارس فمضوا لما كانوا بسبيله فنصروا وغنموا وقد
تقدم قوله عليه السلام انما تنصرون بضعفايكم ومع ذلك فلا ينبغي ان
يتمني المرء لقا العدو امتثالا للسنة لقوله عليه الصلاة والسلام لا تتمنوا

لقا العدو واسالوا الله العافيه فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنه تحت
ظلال السيوف خرجه البخاري وغيره فشان المكلف امتثال الادب
بترك الدعاوي وغيرها حتى اذا تعين عليه الامر استعان بربه وامتثل
امره متبعا بذلك مرضاته وما وعد من جزيل الثواب لفاعله وهذا عام
في كل الاحوال دقها وجلها فليكن المرء متيقظا فانه يخشى على ما مات عليه
والجهاد مظنة الموت غالبا الا ترى الى قوله عليه الصلاة والسلام واعلموا
ان الجنة تحت ظلال السيوف قال علماؤنا رحمة الله عليهم معناه ان
روح المومن تنتقل من ذلك الموضع الى الجنة والتعلق بالله تعالى هو الاصل
لهذا الاصل المتقدم ذكره وانما هي اسباب ويبقى الامر الى الله تعالى ما شا
فعل فهو عز وجل القادر على النصر بسبب وبغير سبب الا ترى الى قوله
تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فنفى الرمي عن نبيه عليه السلام
اولا بقوله وما رميت ثم اثبته له بقوله اذ رميت فانه عز وجل جمع لنبيه
عليه الصلاة والسلام في ذلك بين الحقيقه والشريعة اما الشريعه
فلكونه عليه الصلاة والسلام اخذ كفا من تراب بيده الكريمه ورمى
به في وجوههم وقال شاهت الوجوه واما الحقيقه فبوصول ذلك التراب
لعين كل واحد واحد من العدو حتى انه لم يبق احد منهم ان يفتح
عينه لمليها بالتراب وهذا شي يعجز البشر عنه وكذلك كانت افعاله عليه الصلاة
والسلام غالبا لابد فيها من امتثال الحكمه ثم يظهر الله سبحانه وتعالى
قدرته للخلق على يديه صلى الله عليه وسلم الا ترى الى ما جرى
في نبع الماء من بين اصابعه الكريمه فانه عليه الصلاة والسلام لم يفعل
ان يمد يده دون ماء بل حتى امتثل الحكمة بوضع يده الكريمة في انا
فيه ما ثم امرهم ان يسقوا ويشربوا ويملوا والما يتفجر من بين اصابعه
عليه الصلاة والسلام في ذلك الما ومن ذلك امره عليه الصلاة والسلام
بجمع ما بقي مع اصحابه من الازواد حين نفدت وبارك فيها فاكل الجميع
منها حتى شبعوا ومن ذلك فعله عليه الصلاة والسلام في قصة جابر
ابن عبد الله في الداجن الذي ذبحه والعجين الذي خبزه وكونه
عليه الصلاة والسلام تصف فيهما وبارك ثم اذن لعشرة عشرة ممن

كان يعمل في الخندق حتى اكل الجميع وشبعوا وكانوا الفا والبرمه تفور
كما هي والعجين يخبز كما هو ومن ذلك خروجه عليه الصلاة والسلام الى
الجهاد فانه كان يعبد لذلك بجميع اصحابه وباتخاذ الخيل والسلاح وما يحتاجون
اليه من الات الجهاد والسفر ثم اذا رجع عليه الصلاة والسلام يعرى
من ذلك ويرد الامر كله الى مولاه عز وجل لا لغيره بقوله ايبون تايبون
عابدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب
وحده فانظر رحمنا الله واياك الى قوله عليه الصلاة والسلام وهزم
الاحزاب وحده فنفى عليه الصلاة والسلام ما تقدم ذكره وهذا هو معنى
الحقيقه اذا ان الانسان وفعله خلق ودبر واعان واجرى الامور على
يد من شا ومن اختار من خلقه فكل منه وكل اليه راجع ولو شا الله عز
وجل ان يبيد اهل الكفر من غير قتال لفعل وقد نطق به القران
العزيز فقال سبحانه وتعالى ذلك ولو شا الله لانتصر منهم ولكن
ليبلو بعضكم ببعض فيثيب سبحانه وتعالى الصابرين ويجزل الثواب
للشاكرين قال الله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
ونبلوا اخباركم فعلى المكلف الامتثال في الحالتين اعني في امتثال
الحكمة والرجوع الى المولى سبحانه وتعالى والسكون اليه فالنزول
بساحة كرمه امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم
خلفا الارض الى غير ذلك مما جا في هذا المعنى وهو كثير فتجده عليه
الصلاة والسلام في كل ذلك يمتثل الحكمه اولا تادبا مع الربوبيه وتشريعا
لامته ثم يظهر الله تعالى على يديه قدرته الغامضه المخباة التى
ادخرها له عليه الصلاة والسلام وما جرى له عليه الصلاة والسلام
مما تقدم ذكره فهو جار لامته ببركة اتباعه عليه الصلاة والسلام
وكثيرا ما قد وقع مثل هذا كتكثير القليل وقلب الاعيان والمشي
على الما والطيران في الهوا وما اشبه ذلك مما هو معروف مشهور
يقطع العذر ويوجب القطع بوجوده وقد قال علماؤنا رحمه الله
عليهم كل كرامة ظهرت لولي فهي معجزة لنبيه عليه الصلاة والسلام
اذ انه ما حصلت له تلك الكرامه الا ببركة اتباع نبيه عليه الصلاة والسلام

فالحمد لله الذي بقيت هذه البركات في الامة لا تنقطع وكيف لا والله عز وجل
يقول في كتابه العزيز كنتم خير امة اخرجت للناس وقال عليه الصلاة
والسلام لا تزال طايفة من هذه الامة قايمة على امر الله لا يضرهم من خالفهم
حتى ياتي امر الله وهذا عام فيما نحن بسبيله وفي غيره **فصل**
وينبغي للمجاهد ان لا يقاتل بنيه اراقة دماء الكفار ليس
الا بل يجاهد بما تقدم ذكره من نيه اعلا كلمه التوحيد واظهارها واخماد
كلمة الكفر وابطالها وينبغي للمجاهدين اذا كانوا مع الامام او في سريه
واذ دنوا ابلاد العدو وانهم اذا اصلوا الخمس يرفعون اصواتهم بالذكر ليرهبوا
العدو بذلك وليقتدوا فيه بالسلف الماضين رضي الله عنهم اجمعين
وفعل ذلك في غير هذه الحالة على هذه الصفة بدعة وقد تقدم ذلك
بما فيه الكفايه والله الموفق والناصر والهادي لا رب سواه ولا مرجو الا
اياه **فصل في اداب الفقير المنقطع التارك للاسباب**
وكيفية نيته وهديه قد تقدم ان الجهاد ينقسم على قسمين جهاد اصغر
وجهاد اكبر وقد تقدم الكلام على الجهاد الاصغر وبقي الكلام على الجهاد
الاكبر وهو عام في كل الناس الا ان هذا الفقير احوج الناس اليه اذ انه
خلف الدنيا وراء ظهره واقبل على اخرته لشغله بربه واقباله على اصلاح
نفسه وتنظيفها من الغير ثم قال عليه الصلاة والسلام لا احد اغير من الله
تعالى فكل قلب كان فيه غير الله تعالى كان في حيز المنزول المطرح وكل
قلب لم يكن فيه غيره سبحانه وتعالى وقع له الفتح والتجلي والمخاطبة في
سره بما يليق بحاله وهذا مقام لا يعرفه الا اهله المختصون به واذا
كان ذلك كذلك فيحتاج المريد الى مجاهدة عظيمه لكي يصفوا قلبه ويتوجه
لتحصيل الفوايد الربانيه لعله ان يظفر بها او بشي منها فيحصل بذلك
في جملة السابقين وقاعدة الفقير ابدا لا يزال في جهاد فاول
جهاده جهاد الشيطان ثم جهاد نفسه وقد قال علماونا رحمة الله عليهم
ان الجهاد ينقسم على اربعة اقسام جهاد بالقلب وجهاد باللسان
وجهاد باليد وجهاد بالسيف انتهى وقد تقدم الكلام على الجهاد
بالسيف وبقي الكلام هاهنا على باقي اقسام الجهاد فالجهاد بالقلب

جهاد

جهاد الشيطان وجهاد النفس عن الشهوات المحرمات قال الله عز وجل ونهى
النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى وجهاد اللسان الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر ومن ذلك ما امر الله سبحانه نبيه عليه الصلاة والسلام
به من جهاد المنافقين لانه عز وجل يقول يايها النبي جاهد الكفار
والمنافقين واغلظ عليهم وماواهم جهنم وبيس المصير فجاهد صلى الله
عليه وسلم الكفار بالسيف وجاهد المنافقين باللسان لان الله عز
وجل نهاه ان يعمل بعلمه فيهم فيقيم الحدود عليهم وكذلك جاهد صلى
الله عليه وسلم المشركين قبل ان يومر بقتالهم بالقول خاصه وجهاد
اليد زجر ذوي الامر اهل المناكر عن المنكر والاباطيل والمعاصي المحرمات
وعن تعطيل الفرايض الواجبات بالادب والضرب على ما يوديه
اليه الاجتهاد في ذلك ومن ذلك اقامتهم الحدود على القذفة والزناة
وشربة الخمر ثم اول ما يحتاج اليه في مجاهدته الزهد في الدنيا لان
محبتها والعمل على تحصيلها مع وجود شغف القلب بها يعمي عن امور
الاخرة ويطمس القلب ويكثر فيه الوساوس والنزغات لان الشيطان
وجد السبيل الى ذلك بسبب ما شغف قلبه بما تقدم لانها راس كل
خطيه وقد مر عيسى عليه الصلاة والسلام على رجل نايم في السحر فوكزه
وقال له يا عبد الله قم فقد سبقك العابدون فقال له يا روح الله دعني
فقد عبدته باحب العبادة اليه قال له عيسى عليه الصلاة والسلام
وما ذلك قال بالزهد في الدنيا قال له عيسى عليه الصلاة والسلام
نم نومة العروس في خدرها انتهى ثم ان الزهد لا يقتصر به على الزهد
في الدنيا ليس الا بل هو عام في كل الحركات والسكنات وضابطه ان كل
حركه وسكون ونفس الى غير ذلك فلينظر فيه فما كان منه لله فليمضه
وما كان لغيره فليدعه وقد قالوا الزهد في فضول الكلام افضل من
الزهد في غيره يشهد لذلك قوله عليه الصلاة والسلام جوابا لاصحابه
رضي الله عنهم لما اثنوا على رجل قد مات فقال عليه الصلاة والسلام
ما يدريكم لعله كان يتحدث بما لا يعنيه او كما قال عليه السلام وقد
قال الشيخ الامام ابو عبد الرحمن الصلقي رحمه الله اقل فايدة في السكوت

تسبيح الاعضا انتهى فاذا كانت هذه اقل فوايده فما بالك بما هو اكبر منه ولو
لم يكن فيه الا السلامة من عثرات اللسان لكان غنيمه عظيمه وقد تقدم في
اول الكتاب ان الاعضا تصبح كل يوم تناشد اللسان ان يسلمها من افاته لانه اذا
عطب لم يعطب وحده بل تعطب كل الاعضا بسببه وقد ورد ان عمر ابن الخطاب
رضى الله عنه دخل على ابي بكر الصديق رضى الله عنه فوجده ممسكا بلسانه
فقال له عمر رضى الله عنه ما هذا قال هذا اوردني الموارد فاذا كان الصديق
رضي الله عنه يقول مثل هذه المقاله فما بالك بغيره واذا كان ذلك كذلك
فليشمر الفقير الى سلوك هذه المفازة ليقطعها فانها عقبه كوود لا يجاوزها
الا المشمرون اعاد الله علينا من بركاتهم ثم ان الزهد فى الرياسه اعظم
من الزهد فى كل ما تقدم ذكره لان النفس والمال يتفقان فى الرياسة
والرياسة لا تنفق فيهما فالزهد فيها متعين ثم لا يظن ظان ان الرياسة
انما هى فى رتب الدنيا ليس الا بل هى عامة فى رتبة الدنيا والاخرة فمن
كان عند نفسه شي فهو عند الله لا شي ومن كان عند نفسه لا شي فهو
عند ربه شي ولاجل هذا المعني قال بعض الشيوخ نفع الله تعالى به من راي
انه خير من الكلب فالكلب خير منه وما قاله بين الا ترى ان الكلب مقطوع له
بانه لا يدخل النار بخلاف من لم يقطع له من الادميين فانه محتمل لاحدي
الداريين فاذا كان هذا الادمي من اهل النار والعياذ بالله عز وجل فالكلب
خير منه وان كان من اهل الجنة فهو خير من الكلب ولاجل هذا المعنى حكي عن
ابرهيم ابن ادهم رضى الله عنه واعاد من بركاته انه كان جايعا ووجد فضلة طعام
على مزبله فجعل ياكل منه واذا بكلب قد جا فاكل من الناحيه الاخري ثم
نبح الكلب على ابرهيم فقال ابرهيم لا تنبح علي ولا انبح عليك كل من جهتك
واكل من جهتي ان دخلت انا الجنة فانا خير منك وان دخلت النار فانت
خير مني نص بحاسنه رحمه الله بالمعني المتقدم ذكره وقد قال الشيخ الامام
ابو عبد الرحمن الصقلي رحمه الله ان كانت نفسك فى هذه الارض
فسرك فى السما الدنيا فان نزلت الى الارض الثانيه فسرك فى السما الثانيه
فان نزلت الى الارض الثالثه فسرك فى السما الثالثه فان نزلت الى الارض
الرابعه فسرك فى السما الرابعه فان نزلت الى السما الخامسة فسرك

فى السما

فى السما الخامسة فان نزلت الى الارض السادسة فسرك فى السما السادسة
فان نزلت الى الارض السابعة فسرك فى السما السابعه فان نزلت عن الارض
السابعة الى ظهر الثور الذي عليه قرار الارضين فسرك ناظر الى العرش
انتهي فقرر رحمه الله ان بسبب التواضع وعلى قدر نزول النفس يسموا
امره ويعلوا قدره فمن اراد الفوز فليعمل علي اشارته يحظ بالسلام واعني
بالزهد في مراتب الاخرة انه يعبد الله تعالي لوجهه الكريم لا لعوض قال
الله يريدون وجهه وصاحب هذ الحال يري نفسه انها ليست اهلا لشي
لا ستحقاره لنفسه وترك النظر اليها وصغارها عنده لعظيم ما هو فيه من
الخطر وقد ورد انه كان فى بني اسرايل رجل عابد مجتهد وكانوا يفضلونه علي
انفسهم اعني من كان فى وقته من العباد فاوحى الله الى موسى عليه الصلام
والسلام ان قل لفلان يعبد بي ما شا فهو من اهل النار فاصبح موسى عليه
السلام فاخبر بني اسرايل بذلك فتعجبوا وقالوا اليس فينا احد مثله في
العباده والخير فبينما هم كذلك واذا بالرجل قد اتى فسلم وجلس فاخبره
موسى عليه السلام بما قد وقع فقال اهلا بقضا ربي ومضي لسبيله فلما
جنه الليل تطهر وصلي ركعتين وقال اللهم اني كنت اعبدك ولست عند
نفسي اهلا لشي والان قد مننت علي وجعلتني اهلا لنارك فوعزتك لا
زال هذا مقامي بين يديك شكرا لك على هذه النعمه حتى القاك فلما اصبح
من الغد وجا الى موسى عليه السلام فقال له موسى عليه السلام ان
الله قد اوحى الي ان قل لفلان يفعل ما شا فهو من اهل الجنة لازدرايه
بنفسه وقد حكي ان ابرهيم ابن ادهم رحمه الله ونفع به عتب له بعض
الناس فى كونه لم يجلس اليهم ويحدثهم حتى ياخذوا عنه العلم لانه كان
رحمه الله من افاضل العلما والمحدثين فقال شغلني اربع لو فرغت
منها لجلست اليكم وحدثتكم فقالوا له وما هي فقال افكرت فى نزول
الملك لتصوري فى الرحم وندايه يا رب اشقي ام سعيد فما اعرف كيف
خرج جواب الثانيه اني افكرت فى نزول ملك الموت لقبض روحي
وندايه يا رب اقبضه على الاسلام ام علي الكفر فما اعرف كيف خرج
جوابي الثالثه اني افكرت فى قوله تعالى وامتازوا اليوم ايها المجرمون

فما اعرف في اي الفريقين امتاز الرابعة اني افكرت في المنادي الذي ينادي
حين حصول اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار يا اهل الجنة خلود لا موت
فيها ويا اهل النار خلود لا موت فيها فما اعرف في اي الدارين اكون انتهى فمن
كان يتقلب بين هذه الاحوال كيف يقر له قرار او ياوي الى عمران وانما هي
غفلات والمريد مبرا من الغفلات متيقظ لما بين يديه من الامور المفضعات
ناظر للناس نظر عموم يراهم هلكى فيرحمهم ويستغفر لهم قد شمر عن ساعده
خوفا منه ان يلحقه ما لحقهم اذ ان الدنيا لولا الحمقى ما عمرت وطول الامل
في الانسان من اكبر الحمق والمريد ناظر الى زمانه وهو ينقسم على ثلاثة
اقسام ماض ومستقبل وحال فالماضي ان نظر اليه فهو كذب الاطلال
ان نظر اليه بطالة لا تغني ولا فايده فيها وان نظر الى المستقبل فالمقدر
ليس بيده والحياة ليست بحكمه فلم يبق الا النظر في الحال هو ما قاله
بعض الشيوخ رحمه الله الفقير ابن وقته انتهى لان الموت متوقع مع
الحركات والسكنات ومع الانفاس فاذا خرج منه نفس فقد لا يرجع
اليه واذا رجع اليه نفس فقد لا يخرج منه واذا كان ذلك كذلك فقد
ارتفعت عنه الكلف والنظر في الملبس والقوت والمسكن الى غير ذلك
من الضرورات البشرية اذ ان نفسا واحدا لا ثمن له ولا يعتبر امره
في الاقامة في الدنيا اذ ان من صار حاله الى ما تقدم ذكره وهوان الموت
نصب عينيه فقد انقطعت فكره وهمومه وجرانه الا في كيفية موته على
الاسلام وفي قبره وحشته وجوابه حين السوال فيه وما بعده من
الاهوال العظام فاي راحة تبقى لمن هذا حاله ونكتته كما حكي ان انسانا
جا لبعض اخوانه يزوره فوجده وحده وهو يلتفت يمينا وشمالا وخلفا
واماما فقال له الزاير لمن تلتفت فقال انظر ملك الموت من اي ناحيه
ياتيني وقد جا بعضهم الى شيخ له يزوره وكان قد لقيه بعض اصحابه
فعزم عليه فقال اني صايم فاعطاه سبع تمرات او لوز على انه يفطر عليه
فربط ذلك في طرف كسايه فلما دق الباب وخرج له شيخه سلم عليه
فقال له الشيخ ما هذا في طرف كسايك فاخبره بما جرى فقال له الشيخ وانت
تظن ان تعيش الى الغروب والله لا كلمتك بعدها ابدا ولاجل هذا المعنى

قال سيدي ابو مدين رحمه الله ونفع به عمرك نفس واحد فاحرص
ان يكون لك لا عليك انتهى وها هو ذا بين ان من كان حاله على ما تقدم
وصفه فلا راحة له دون لقا ربه وقد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه
وسلم بالنص على ما نحن بسبيله حيث قال عليه الصلاة والسلام لا راحة
للمومن دون لقا ربه ومعنى ذلك والله اعلم ان المومن طالما هو في دار
التكليف لا يزال في مكابدة واهوال واخطار حتى يخرج منها فيلقى ربه
عز وجل فيرى ما له عنده من الكرامة فحينيذ تحصل له الراحة الحقيقية
الدايمة التي لا انفصام لها وقد ذكر الشيخ الامام القدوة المحقق بن ابي
دارقه رحمه الله ونفع به في حال الفقير وزهده ما هذا لفظه فقال
اعلم ان الناس في الزهد على طبقات فمنهم اخذ وهو تارك ومنهم تارك
وهو اخذ وانما يحمل ويصح هذا الامر لمن ترك الدنيا وزهد فيها بعد قدرته
عليها ومن الناس من يكون مصليا نايما واخر نايما مصليا ومفطرا صايما وصايما
مفطرا وكاسيا عاريا وعاريا كاسيا وانما ذلك كله على منصرف ارادة القلب
وتصحيح النية وفساد ارادة القلب وفساد النية والسلامة من الكسب
الخبيث والقول الخبيث وفي هذا كلام كثير الا انه من صدق النظر وينبغي
للعالم بالله وبما امره الله به ونهاه عنه ان يكون قد ملأت
قلبه عظمة الله فاشتغل بالقيام بحقوق الله عن كل فضول الدنيا
من الاكل والشرب واللباس والبنيان والمراكب والازواج والاولاد
والخدم وان كان فيهم لمن يكون له الزوجة والولد واشيا مما ذكر لم يا خذ
ذلك على الرغبة ولم يشغله عن فهم وعي القران وعبيده واعلم
ان القوم لما وصلوا الى ما وصلوا اليه لم يغتروا بدار الغرور ولم
يكن لهم همة الا خوف فوات ما شوق اليه وعد القران ووعيده من
الخلود في دار النعيم او دار الهوان وفي هذا بلاغ لقوم عابدين انما
دعي الى دار السلام من خلقها وزينها وحلاها بحسن العمرات
شوقا الى نعيمها واوجب الداعي الصادق الوفي بما وعد ودعاك
اليه فانه قد حذرك نفسك وهواك واندرك حلول دار سخطه
والتخلص من ذلك كله والوصول الى نعيم دار الخلود رفض

المحبوب من اتباع الهوى فارفضه ثم اجعل الموت صحيحك والزهد قرينك والجد سلاحك والصدق مركبك والاخلاص زادك والخوف من الله على مقدمتك والشوق الى الجنة صاحب لوايك والمعرفة على ميمنتك واليقين على ميسرتك والرضا وزيرك والعلم مشيرك والتوكل درعك والثقة على ساقتك والصبر امير جندك والشكر خليلك ثم اعزم على عدوك وصافه بجميع ما ذكرت لك تطب نفسا عن دار الهموم والاحزان الى دار البقا والسرور مع الخيرات الحسان والله المستعان والحمد لله رب العالمين

فصل ثم قال رحمه الله فلينظر العبد الى الله في كل امره فانه من نظر الى نفسه او الى احد من المخلوقين باملٍ رجا منفعته كان غرورا بالغفلة عن الله عز وجل وكان منقوصا عن منزلة المواقنين الموحدين وقد قال عز وجل ذكره لداود يا داود اني قد اليت على نفسي ان لا اثيب عبدا من عبادي الا عبدا قد علمت من طلبته وارادته والقايه بين يدي الا انه لا غنا له عني وانه لا يطمئن الى نفسه بنظرها وفعالها الا وكلته اليها اصف الاشيا الي فاني انا مننت بها عليك واعلم ان العباد انما تفاوتوا وتباينوا بالنظر الى الله في امورهم في صنعه ومعونته ولطفه وبالسهو عنه اختيارا والى انفسهم على نظر ربهم فزادهم ذلك ابطا وبعدا من معونة الله لهم وصنعه وتسهيله عليهم فكن في نظرك الى ربك بالنظر الى تامل غير صنعه ولا ترجوا غير معونته لك فان الذين قلدوا امورهم ربهم ونقوا به ولجوا اليه قد اماتوا من قلوبهم تدبير انفسهم وجعلوا الامور عندهم اسبابا مع قيامهم بها والمحافظة عليها فاولئك هم الذين صفوا الدنيا والاخرة لسكون قلوبهم اليه فوجدوا بذلك الروح والراحة فهم جهابذة الدين والعلما بالله قد فاقوا على من سواهم على اطمانينتهم به وسكونهم اليه فاوجب لهم صنعه واقام قلوبهم على منهاجه بما تقلبوا فيه من الامر فعلى الرضا والاطمانينة ومن سواهم من الخلق في مونة فنعت من انفسهم حيث اختاروا الها وتوكلوا عليها فاورثتهم الهم والاغتمام واما اهل العبودية لله فهم الذين قلدوه امورهم وخرجوا من طبايع العباد لما تبين لهم من خطا من اختار لنفسه

فجعلوا

فجعلوا اختيارهم الرضا بما صيرهم اليه من امورهم فزالت الغموم عن قلوبهم فاوجب عليهم الفرح والسرور في احوالهم واورثهم الغنا والعز في قلوبهم وسد عنهم ابواب الحاجات الى المخلوقين واتاهم لطايف الله من حيث لا يحتسبون وقام لهم بما يكتفون به ونزه انفسهم عن ما سوى ذلك اكراما لهم عن فضول الدنيا وطهارة لقلوبهم عن الشاغل بما اعطاهم عنه وحصنهم عن كل دنس واسناهم في طرقات الدنيا طيبين موالي عليه موالين له فهم في السموات اشهر منهم في الارض ولاصواتهم هناك دوي ونور يعرفون به ويحبون عليه وقد رفع ابصار قلوبهم اليه فهي ناظرة اليه بتلك القلوب غير محجوبة عنه بلا ادراك منهم لصفة ولا صورة ولا حد ولا احاطة منهم به سبحانه وتعالى ولكن كيف شا لهم ذلك فاحبهم وحببهم الى ملايكته وساير خلقه وقد قال الله تبارك وتعالى يا داود تفضلي على عبادي اكتبك من اوليائي واحبائي واباهي بك حملة عرشي وارفع الحجب بيني وبينك فتنظر الي ببصر قلبك لا احجبك عن ذلك ما كنت مستمسكا بطاعتي وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه انه قال قل لاهل محبتي يشتغلوا بي فاذا علمت ان الغالب على قلوبهم الاشتغال بي والانقطاع الي كان حقيقا علي ان ارفع لهم الحجب بيني وبينهم ينظرون الي بابصار قلوبهم فهم يتنعمون بذكري قد اغناهم ذلك عن كل نعيم من نعيم الدنيا والاخرة قد ملا الله اسماعهم وابصارهم وجوارحهم من حبه فادبوا انفسهم بالعبودية له والدخول في محبته وذلك ان تاديب الرجل نفسه في مطعمه وملبسه يزيد في صلاح قلبه ونفاذ جوارحه لقلبه ويقوى عزمه ويقهر هواه فيقوم عند ذلك مقام اهل القوة الى ان يرفعه الله الى منزلة فوقها حتى يستوي عندهم الاخذ والترك فلا ياسفوا على ما فاتهم ولا يفرحوا بما اتاهم للغنى الذي وقر في قلوبهم يزدادون له محبة ومودة وشكرا له في العلم به والمعرفة به فعند ذلك رقت قلوبهم وانقادت اهواهم الى ما قل من الدنيا وكفى لا يطلع الى غير ذلك ناظرين الى ربهم في امورهم كلها لا الى الاسباب نظرهم من غير تفريط من اقامة الاسباب الخالصة من اعمال البر فان لبسوا خشنا او لينا او حسنا او قبيحا او اكلوا طيبا او كريها او

حلوا او مرا او حامضا او قليلا او كثيرا لم يتغير ذلك من قلوبهم على الحالة التي هي
عليها من ذكر ربهم وتعظيمه وذلك ان قلوبهم عامرة من ذكر الخالق وليس
لشي سواه في قلوبهم ثبت الا بالخاطر من غير ان يرسخ او يثبت فلم يقم الناس
مقاما اشرف من ان يعلقوا قلوبهم بربهم ولا اولى بهم من ذلك لانهم اشد
الناس محافظة على جميع همومهم في صلاتهم وجميع ما يتقربون به من
ربهم ان قاموا عرفوا بين يدي من هم قيام وكذلك ان ركعوا او سجدوا
او تلوا القران او دعوا ربهم لا تعزب قلوبهم عن ذلك فبه زكت اعمالهم
وصونت عقولهم فهو يتعاهدهم بلطفه ويسوسهم بتوفيقه فقل عند
ذلك خطاهم وكثر صوابهم فمن كان يريد الدخول في محبة طاعة الله
فلا يكن له ثقة الا الله ولا غنا الا به ولا امل غيره يرجوه ويتخذه وكيلا
في اموره كلها راضيا بقضايه في ما نقله اليه من امره راضيا باختيار الله
له متهما لرايه ولما تهواه نفسه مسلما راضيا عن الله غير متخير ولا متملك
فيما احدث الله من بلا او مصيبة او رجا او شدة مما احب او كره كان
قلبه لذلك راضيا لموضع الثقة بربه وحسن الظن به فاذا كان
العبد كذلك ورث الله قلبه المحبة له والشوق اليه وصار الى
منزلة الرضا بما كفاه وحماه من الدنيا وان قل واخرج من قلبه مطامع المخلوقين
واستغنى بالله فجعله الله من اولي الالباب ثم الهمه الله علما من علمه
فعرفه ما لم يكن يعرفه وعلمه ما لم يكن يعلمه فعن الله اخذ علمه
وبامر الله جل ذكره تادب فظهرت اخلاقه لما اثر امر الله ولجا اليه
فتمت عليه نعمة الله في الدنيا والاخرة فاوليك المحبون في اهل
السموات المعروفون بها حتى امرهم على اهل الارض وظهر امرهم
لاهل السموات لكلامهم هنالك دوي ولبكايهم حنين تفتح له ابواب
السما سرعة تفتحها اجابة لدعايهم اعظمهم عند الله جاها ومنزلة
واعظمهم خوفا من الله وحسن ظن به فهم مسرورون بربهم قريرة
اعينهم طربة قلوبهم بذكره مشتاقة ساكنة مطمينة اليه قد تقدموا الناس
وانقطع الناس عنهم واشرفوا على الناس وسفل عنهم فحجبوا من الناس
وحجب الناس منهم وانقطعوا الى الله بهمومهم واهوايهم وعلقوا به قلوبهم

ولجاوا

ولجاوا الى الله لجا المستغيثين به المتوكلين عليه قد تخلصت اليه عقولهم بالمودة
فانزلوا اسبابه معصمة بحرمته عليهم فقبلهم واجتباهم وصنعهم وخصهم
وكفاهم واواهم وعلمهم وعرفهم واسمعهم وابصرهم وحجبهم عن الافات وحجب
الافات عنهم واقامهم مقام الطهارة وانزلهم منازل السلامة واقام قلوبهم بذكره
فلم يريدوا به بدلا ولا عنه حولا صيانة اليه وطربا واشتياقا اليه قد اذاقهم
من حلاوة ذكره واعلقهم من لذاذة مناجاته وسقاهم بكاسه فهم ولهون
اليه ليس لهم سكن غيره تضطرب قلوبهم عند فقده حتى ترجع الى موضع
حنينه يحتملون الاشيا له ولا يحتملون شيا من غيره من امره ولهم في كل يوم
وليلة منه هدايا مجددة فتارة يغلب على قلوبهم تعظيم ربهم وجلاله وتارة
يغلب على قلوبهم قدرته وسلطانه وتارة يغلب على قلوبهم الايه ونعمايه
وتارة يغلب على قلوبهم تقصيرهم في واجب حقه وتارة يغلب على قلوبهم
عنها اسماعهم وانصرفت ابصار قلوبهم الى رافته ورحمته وتارة يصيرون الى
حنينه ولهم في كل تارة دمعة ولذة وفي كل دمعة ولذة فكرة وعبرة وقلوبهم
في كل فكرة وعبرة مهتاجة طربة هايمة لذكر الله مشتغلة به عما سواه لهم
يسقونها من كل بادرة مشربا سابغا يزيدهم لذته ولهم في كل مقام علم
زيادة يعرفهم ما تجددت لهم في قلوبهم من الزيادة فلو رايتهم وقد تقطعت
امال الخلق عنهم وافضوا الى الله جل ذكره بجميع رغباتهم وانزاحت
الاشيا الشاغلة عن قلوبهم فصمت عنها اسماعهم وانصرفت ابصار قلوبهم
اليه فلهت به عما سواه حتى اذا جنهم الليل وزجرهم القران بعجايبه من وعده
ووعيده واخباره وامثاله شربوا بكل نوع كاسا من الزجر والتحذير والاخبار
والامثال والوعد والوعيد ووجدوا حلاوة ما شربوا حتى اذا صفى لهم يقينهم
ارتفعوا الى عظمة سيدهم وجلال مولاهم خضع كل عضو منهم لملكه وخشعت
كل جارحة منهم لسكونها غير منتشرة عليهم همومهم بل كل ذلك لارادة
لاستماعه فقد كشف لهم القران عن اموره ويكشفونه عن عجايبه
ويدلهم على باطن علمه يفهمونه فيسمو بهم الى جلال سيدهم ووقاره
حتى اذا تقاربت الانوار في قلوبهم وتمكن اليقين من اجوافهم
وحنت القلوب بحنينها وضاقت عن احتمال ما هجم عليها هاج منهم ما لا

بملكوت اسماكه فلما بلغ الامر منهم مداه وانتهى كل شي منهم منتهاه واقبل عليهم
ربهم جل ذكره بالاطمانينه والسكون فلولا حسن سياسته لهم ونظره ولطفه
بهم ما رجعت اليهم عقولهم ولا اثبتوا معارفهم وما سكنوا اما نالهم الذي
هجم على ابصارهم قلوبهم من عظمة سيدهم فهم يزدادون له ذكرا ومودة وحبا
في كل ما امتحنهم به من امر الدنيا والاخرة فقد اعرضوا عن كل نعيم عاجل او
اجل وتشاغلوا بالنعيم بذكر مولاهم وكل ذلك منة منه وتفضل عليهم
فهم ادلا العباد واعلام في بلاده وحجة له على خلقه وخلف الانبيا وودايع
علمه فيهم ينزل الغيث وبهم يصرف العذاب وبهم ينصر على العدو وهم بركه
بين ظهراني العباد يحبون الله ويحبون ذكره اقاموا مشيتهم فيما وافق محبة
ربهم يبغضون لبغضه ويحبون لمحبته فهو يسوسهم بسياسته ويوفقهم
بتوفيقه يانيهم العون من الله في كل حال يرجون الخلق برحمة ربهم ويومّلون
فضله قد ازال عن قلوبهم المطامع واسكنها الغنا فاكتفوا بما جاءهم دون بلغوا
بما بلغهم فهم القانتون الراهبون الساجدون الراغبون المحبون لله الذين
فكروا في قدرته وعملوا في محبته حتى ورثوا الرهبة ثم ورثوا الرغبة ثم
ورثوا بعد الرغبة الشوق ثم دفعهم الى منزلة لم يكن لهم في غير ربهم
همة غلبت على قلوبهم واستولت على عقولهم واهوايهم فبنوا على ذلك
اعمالهم وصبروا فيه جميع رغباتهم ثم دفعهم الى مزيده وفوايده فهم اوليا الله
حقا منهم المرسلون والنبيون والصديقون والشهدا والصالحون فاقول
اهل السما واهل الارض لشدة حبهم لربهم فما اصابوا من الدنيا لم يصيبوه
على جهة ما يصيبه اهل الدنيا من التلذذ والطرب اليه والاشتغال
به والتفكه انما يصيبونه على موضع التقوي على عبادة ربهم ولودوا انهم
اكلوا من الدنيا اكلة واحدة تكون اخر زادهم منها اكتفوا بما قل وكفاهم
فلما اعطوا الله ذلك من قلوبهم ضيق امعاهم واسقط عنهم شهواتهم واكتفوا
باليسير من المطعم فعند ذلك خفت عنهم مونة الدنيا فلم ينافسوا
فيها احدا فتلك حالاتهم في المطعم والملبس ما تهيا اكلوه ولبسوه ليس
لهم تخيير ولا تلذذ في احد ولا ترك خوف الشهوة والاشتغال عما هم فيه
ما سكن الله قلوبهم من معرفته وحبه ما اذاب كل مودة لاهل اوولد

اومال

اومال فان عرض من ذلك في قلوبهم عارض لخاطر من غير نية فيها ودنوا
نور الهدى فابصروا مواضع حيل ابليس ومكره فكسروا وغلبه كيده ولبسوا
عليه امره ودلوا الناس على مواضع مكره فهم نصحا الله في عباده وامناوه في
بلاده ثم اسكن محبتهم في ملكوت السما في عليين فاحبهم وحبابهم الى ملا بكته
فاحيوا قلوبكم ايها المريدون بالذكر واصنوها بالخشيه ونوروها بحب لقا الله
وفرحوها بالشوق اليه واحيوها بالمناصحة واعلموا انكم بالمحبه ترتفعون
وبالمعرفه ترهبون وبالشوق ترغبون وبحسن النيه تقهرون الهوى وبترك
الشهوات تصفوا لكم اعمالكم وتورون ربكم وحده حتى يورثكم ملكوت السما
في عليين من كان منكم مريد الراحة فليعمل في منازل اهل محبه الله جل
ذكره بعزم وارادة قوية وهي الدرجات السبع التي تنتقل فيها بنوا ادم
خير بصير والى المعرفه والعلم وهي الدرجات التي ارسل الله جل ذكره
عليها الرسل ثم الانبيا الذين لم ياتهم الوحي مع جبريل ولا غيره من الملايكه
انما كان يكون ذلك بالالهام من الله عز وجل والفوايد وانما ورث ذلك
الانبيا من المرسلين الذين خصهم الله برسالته ثم ورث ذلك الانبيا الصديقين
من بعدهم فاقتدوا بهم وجدوا في اثارهم فانه لم يحكم هذه الدرجات
السبع الا رسول او نبي او صديق او بدل من الابدال الذين جعلهم الله
اوتاد الارض يستقا بهم الغيث وانزل عليهم بدعاهم الرحمه وصرف عنهم
بهم السو فمن كان مريد العمل في هذه الدرجات والاقتدا بالمرسلين
والنبيين والصديقين في سيرتهم فليرفض الدنيا من قلبه حتى لا يكون
منها فيه علاقة تشغله عن ربه فانه من تعلق قلبه بشي منها شغله
حتى يغلب عليه فليبدا برفض الدنيا وطرحها من قلبه حتى لا تعدل
عنده قدر جناح بعوضة فانها عند الله تعالى بتلك المنزلة واصغر فصل

قال رحمه الله فاول ما يتناول من الدرجات السبع درجه

المعرفة وهو ان يعرف ربه كما ينبغي له ومن حيث تعرف العبد ربه فقد
تعرف الى خلقه بخلقه اياهم وتدبيره فيهم وبصفته بما وصف به نفسه
فانه غفور رحيم لمن اناب اليه وطلب رضاه وانه شديد العقاب
لمن كذب به وكذب عليه وعصاه وكذب رسله واعلم انه لم يكن يحكم

امر المعرفة لم يدرك ماسواها من العلم والعمل ولا من الدرجات التي ذكرناه ولا
تكون المعرفه حتى تثبت في القلب باليقين الراسخ فاذا كان ذلك كانت الاعمال
الخالصة على قدر المعرفه فان قصر في المعرفه كان في العمل اشد تقصيرا او
اضعف لنيته ولم يجد السبيل الى بلوغ تلك الدرجات ومن عرف الله علم
انه قايم على قلبه بما كسب وانه معه يراه في جميع احواله فاذا علم ان ذلك كذلك
لم يكن شي احب اليه من رضاه ولقايه ولا ابغض اليه من معصيته وبقايه
وان احب البقا في الدنيا لم يحبه الا للعمل بطاعته ولينظر المريد للمعرفة في اسما
الله ويتدبرها حتى يعرفه بها ويدخل ذلك قلبه فانه يورث قلبه بذلك
العلم وهي الدرجه الثانيه فاذا كان عالما به علم انه لا يقبل منه الا ما امره
به ونهاه عنه وعلم ذلك عنده انه ينشطه للعمل الصالح ثم يورث قلبه بعد
ذلك الخشيه وهي الدرجة الثالثه درجة التقوي لقول الله عز وجل
انما يخشى الله من عباده العلما وهي مراقبته في السر والعلانيه فاذا
دخل في هذه الدرجه استقل كل ما يعمله سجل ذكره فعند ذلك لا يالوا
جدا ولا اجتهادا ولا يمل فاذا وصل العبد الى ذلك وداب على عمله فيما
يرضي ربه نظر الله اليه بالرحمة فعند ذلك يورث قلبه الحب لله وهي
الدرجه الرابعة فاذا صار الى هذه الدرجه احبه الله على حب
جميع خلقه واحبه الله وحببه الى مليكه حول عرشه والى مليكه
السموات كلها واهل الارض ومن فيها وبسط حبه على الما فلا يشرب
الما احد الا احبه من جميع خلقه ولا يزداد في عمله الا جدا واجتهادا ويورث
قلبه بعد هذا الشوق اليه والحب للقائه وهي الدرجة الخامسة
فيكون بمنزله العاشق قد غلب على قلبه الذكر لله وشغل عن كثير
من العمل ما خلا الفرايض واجتناب المحارم ويكون في ذلك الحال
اقوى من كل عامل في الدنيا وارفعه منزلة لانه لم يتفرغ قلبه من ذكر
ربه طرفة عين نايما ولا قايما اكلا ولا شاربا والله لا ينسى من ذكره
فلو تركه الله على تلك الحال لذاب كما يذوب الملح في الما ولما انتفع بشي
من امور الدنيا حتى يموت تشوقا الى الله الا انه اذا اراه الله على تلك الحال
من عليه بالاطمانينه وهي الدرجة السادسة فيطمين قلبه حتى يكون

كانه

كانه معاين له وكانه بين يديه فيكون هو مستودعه وانيسه وسابسه
ودليله فعند ذلك يورث الغنا ولن يحتاج الى غير تلك الحال فيكون عظيم
دعايه للخلق بالصلاح وصرف السو عنهم حتى يصير بمنزله المليكه الذين
يسبحون الليل والنهار لا يفترون ويستغفرون لمن في الارض فعند ذلك
لا تسقط له دعوة وهي الدرجه السابعه فاذا صار الى تلك الحال لم يدعوه
بشي من حوايجه اذا خطر بباله حتى تصير بين يديه والى ما اراد منها من
غير ان يدعوا بشي باتيه من حوايجه ما لم يخطر له على بال لطفا من الله
وتعاهدا منه حتى يتعجب من لطفه ونظره وصنعه فيكون قوله عند لا
وفعله رضا فالحمد لله الذي من والاه نعمه واغناه والحمد لله انتهى

فصل في اداب المريد

اعلم وفقنا الله واياك ان اكد ما على المريد
في ابتدا امره التحفظ على نفسه والتحرز من الافات التي تعتوره فيما هو
بصدده اذ ان العوايق كثيرة ظاهرا وباطنا فقد يكون ذلك سببا لمنع
الوصول الى ما تقدم ذكره فياخذ نفسه اولا بالجد والاجتهاد في
التحرز مما ذكر ليسلم له ما تقدم وصفه فاول ذلك ان يتقي الريا والعجب
والشهرة والكبر لانه سم قاتل ادنى الاشيا منه تحبط الاعمال كلها وقد
تخفى في بعض الاحوال لانه اخفى من دبيب النمل كما ورد ولكن نبه امره
ونظهر افاته بما ذكره الشيخ الامام يمن ابن رزق رحمه الله وهو ان قال
اصل العبد لم يزل مد نشاءه في جميع احواله وذلك لميله الى الدنيا
وايثاره لها على الاخرة واهماله نفسه وارساله بنيته فلما اهمل نفسه
وقلت محاسبته لها لم يتخلص من الريا فعمل للدنيا على غير اصل نيه
ثابته وقد نهى الله عن اهمال النفس وتضييع الاعمال فقال الله تعالى
يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم فنهاهم
عز وجل عن اضاعه العمل ولا يكون عمل من الاعمال الا عن ارادة ولا
تكون الارادة الا عن النيه وقد نهى الله تبارك وتعالى عن اضاعة
شي من ذلك واي عمل اكثر من الارادة والنيه وقد وجدنا الانسان
لا يخلوا من حركه او سكون والحركه والسكون جميعا عمل وقد نهى
الله عن تضييع العمل فلما ترك ما امره الله به من اخلاص العمل لم يميز

بين الريا من غيره اخرج لنفسه فعل على ما يخطر باله وجميع ما ينقلب فيه ريا
محض ظاهر لا يعرفه هو من نفسه ويعرفه منه من نور الله الحكمة في قلبه
فهم يرون فعلهم فعل اهل الريا فمنهم من يمسك عن صاحبه لمعرفته به
ولو انه ابدى اليه شيا من عيوبه نفر عنها ودب عن نفسه وابطل ما
تنسبه اليه فصار عدوا واستاحشا واقل ما يقول للعارف بعيوبه حسدتني
فلما عرف الحكيم اهل زمانه وان زمانه زمان غلب الهوى واعجاب كل ذي
راي برايه اعتزل بنفسه ونفر عن العامة وعلم انه زمان قد صار المعروف
عند اهل زمانه منكرا وان الشر قد احاط بالخير اعتزل اهل زمانه بصدق
اهل الارادة فلما تبين له الصدق وما فيه وان العمل لا يصفو الا بالصدق
اتقى الكذب وفنونه كلها وتشوفت عند ذلك نفسه الى الكذب
والريا الحلاوة فنونه عندها فاخذها بالجد في ترك ذلك والاجتهاد
فلما رات ذلك منه رجعت منقادة فلما صارت الى تلك الحال ورأى العبد
ذلك منها ازداد الى الصدق تشوقا وازداد الكذب مقتا وانما كان
ينفر الصدق وفنونه من قلبه لغلبة الكذب وفنونه عليه وهو الريا
والعجب وحب الرياسة واتخاذ المنزلة عند المخلوقين والمحمدة
والتعظيم والتحبير في الاعمال الكاذبة فمن عمل بالصدق ونفى الكذب
بتركه من الريا والعجب ودواعي الشر كله فاذا حكي من ذلك نبت
الصدق وفنونه في قلبه قال بعض الحكما ان الشيطان ياتي ابن
ادم من قبل المعاصي فان امتنع منه اتاه من وجه النصيحة ليستدرجه
فلا يزال به حتى يلقيه في بدعة فان امتنع عليه امره بالتحرج والشدة
ليحرم حلالا او يحل حراما فان امتنع عليه اتاه من قبل الوضو فيشككه
في وضوئه وصلاته وصيامه حتى يعتنق بهواه امرا يضل به عن السبيل
ويدع العلم فاذا قدر منه على شي من ذلك خلا بينه وبين العبادة
والزهد وقيام الليل والصدقة وكل اعمال البر ويخفف ذلك عليه
وربما كان يده الشيطان من المردة فيقول له ابليس دعه لا تصده
عما يريد فانما يامرني بعمل فاذا نظر اليه الناس في عبادته وزهده
وصبره ورضاه بالذل قالت العامة ومن لا علم له هذا عالم مصيب
صابر

صابر فيتبعونه على ضلالته ويبدله ابليس الصوت فيعجب بعمله فيكون فتنة لكل
مفتون ومن علامة الاعجاب برايه والازراء على من لا يعمل بمثل عمله ويكون نظره
الى الناس بالاحتقار لهم ويتقضب عليهم في التقصير به وقد روي في العلم احذروا
فتنة العابد الجاهل والعالم الفاسق فان فتنتهما فتنة لكل مفتون واعلم يا
اخي ان العبد اذا اراد ان يعمل العمل بالرفق قال له العدو ان العمل بالخير
لا ينفعك حتى تدع الشر كله وتزهد في الدنيا وتعتزل الناس فاعرف نفسك
واصلح عيوبك والذي عندك اكبر واعظم من ان يصلح هكذا سريعا ويعظم عليه
الامر حتى يكاد يقنط وينقطع عن العمل وان كان في يديه دنيا عرض له
بحسن الظن والرجا والتسويف وطول الامل فان اجابه الى هذا
الباب قطعه عن البر وشغله بالدنيا وشهواتها وان رد ذلك عليه وقال
التوبة قال صدقت ولعمري لقد فرطت واخاف ان يدركك الموت
فعليك بالجد والاجتهاد ولا تريد ان تقصر يلزمه اشد العبادة فتثبت او ينقطع
او يذهب عقله فان اشتهر بذلك عند الناس القى اليه طول الامل وخوفه
قلة الصبر ويقول له لك بالناس اسوة فيبغض اليه العبادة ويثقلها عليه
ثم يقول له ان الناس قد عرفوك بالعمل فلا تبد لهم التقصير ودع نفسك في
السر ويعرض له بعداه الاول من الشهوات التي كان يصيبها فيميل
اليها ويرجع الى حالته الاولى ويصير عمله علانية ريا لا ينفعه شي وعلامة
ذلك ان يستحل الكلام في الزهد وما يزينه عند الناس ويحب اليه مجالسة
الناس فتصير عبادته وزهده كله بالكلام فالعالم عرف ضعف نفسه
وعرف زمانه وقلة الاعوان فيه على الخير وكثرة الاعدا فاخذ الامر بالرفق
والاستعانة بالله وطلب صفا الاعمال والاخلاص فيها وان قلت
الاعمال وطلب مخالفة الهوى ونقل الطباع بالرفق وموافقة السنة
واخرج الناس من قلبه وقصد قصد جهاد نفسه ومحاربة الشيطان
والمعاندة للهوى بالخلاف لما يلقون اليه فان الله جل ثناؤه قد جعل
لكل مكيدة من مكايد الشيطان سلاحا تدفع به تلك المكيدة وينبغي
للعابد ان يعرف نزغات الشيطان الى تابعه وما يهواه النفس
فان الشيطان لا يصل الى العبد ولا يقدر عليه الا من قبل موافقة الهوى

فاذا بدا العبد بنفسه ومحاربتها وبهواه فاماته هان عليه السلطان واعلم
يا اخي ان هذا الدين متين فان انت وغلت فيه بالرفق امكنك وسر السير
الحقيقه وقليل تدوم عليه خير من اجتهاد يقطعك فانك لم تر شيا اسد
توليا من القاري اذا تولي ويروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان
يتعوذ من الحور بعد الكور وكانوا يحبون الزيادة ويكرهون النقصان
وينبغي للعابد ان يكون حذرا لخلاف السنة فان من خالف
السنه خالف الحق ومن خالف الحق هلك فات العلما والزم اذابهم فان
رايتهم يقصرون في بعض ما يقولون فلا تزهد فيهم واقتد منهم بذي البصيرة
والصبر ومن يوافق قوله فعله وذلك انه يروي عن مطرف ابن عبد
الله ابن الشخير انه قال عقول الرجال على قدر ازمنتهم فاذا نقص العقل
نقص البر كله فاعلم ان نفسك في زمانك واعلم ان الزهد والعباده والعلم
المعمول به في هذا الزمان قليل وان كان من يتشبه بالعلما لا يصبر على
نزول المحن فكيف بالجاهل على نزولها واذا كان من يتشبه بالزها لا
يصبر فكيف يصبر الراغب في الدنيا والعالم من اهل هذا الزمان
من شده الصبر خرج والجاهل من شده الصبر خرج واما العالم الصادق
الذي استوجب اسم العلم على الحقيقه فانه يكره من علمه بالله ان
يظهر بلسانه او بيده او بجوارحه اكثر مما في قلبه فيمقته الله على ذلك
ولم يره الله يوثر دنياه على اخرته فصبر على الدنيا وصبر على الذم
والتقصير والمهلك وكثره المدح والتوسع من الدنيا والجاهل الذي
يعمل بجهل جزع من الذم وفرح بالمدح حتى صبر على الدنيا من الجزع
فاحذر ان تصبر صبر الجاهل وكذلك ثقل العمل على اهل العلم بالله
وخف على اهل الجهل ونوم العالم افضل من اجتهاد الجاهل وضحك
العالم بالله افضل من بكا الجاهل فاحذر ابليس على اعمالك كلها واحذر
نفسك وهواك واحذر اهل زمانك ولا تامن احدا منهم على دينك واعلم
ان ابليس قد نصب لك حباله واقعد لك الرصده في كل منهل وقد
سلط ان يجري منك مجري الدم في العروق ويراك هو واعوانه من
حيث لا ترونهم واعلم انه ياتيك من قبل الريا والعجب والكبر والشك

والاباس

والاياس والامن من المكر والاستدراج وترك الاشفاق فان تابعته في
شي من ذلك فانت على سبيل هلكه حل حينيذ بينك وبين ما شيت
من العمل فان خالفته اتاك من قبل الدنيا ليستولي الهوي على قلبك
فيتمكن هو من الذي يريد منك فان خالفته اتاك من قبل المعاصي
فان خالفته اتاك من قبل النصيحة وهذه الخصال التي وصفت
لك كلها اشد من المعاصي ربما انتبه العبد فتاب منها وصاحب هذه
الخصال او شي منها لا يكاد يتوب فان ظفر من العبد بالعجب قال له
ان الناس يقتدون بك فاعمل واعلن عملك فيتاسي الناس بك
ويعملون مثل عملك ويكون لك مثل اجر من عمل بمثل عملك لانه من
دل على خير فله مثل اجر فاعله فاذا اظهر عمله فرح به فصار معجبا وحمد
نفسه ونسي النعمة عليه فاذا نظر الى عمله حبب اليه حمدهم واعاد
المنزلة عندهم فاذا فعل ذلك صار مرايا مفاخرا فاتهم فرح القلب
بالعمل فان الفرح الى القلب الفرح اقرب واسرع منه الى القلب الحزين
واقل من معرفه الناس فانه ليس ياتيك ما تكره الا ممن تعرف فمن
كان لا ياتيك ما تكره الا من قبلهم فكلما قلوا كان خيرا واعلم ان العبد يعمل
العمل في السر فلا يزال به ابليس يقول اظهره ليقتدي بك الناس فيه
وتنشطهم على طاعة ربك فلا يزال به حتى يظهره فاذا اظهره كتب في ديوان
العلانيه ولا يزال به حتى يفتخر به فاذا افتخر به كتب في ديوان الريا فعليك
بعمل السر وكتمانه واخمال النفس واسقاط المنزلة واكتم الحسنات كما
تكتم السيات وخف من فضيحه الحسنات كما تخف من فضيحه السيات
فان المفتضح بالسيات ليس يفتضح عند الخلق كلهم انما يفتضح عند قوم دون
قوم والمفتضح بالحسنات اذا داخلها الريا افتضح عند جميع العالم كلهم
واحذر واستحي من الله ان يراك تعمل لغيره وتطلب الثواب منه واخلص
العمل لله واصدق في عملك واعلم ان تخليص العمل في العمل اشد من
العمل حتى يتخلص والابقا على العمل بعد العمل اشد من العمل واعلم
انه لا يقبل الله عملا لمراي ولا من مسمع ولا من داع الا من قلبه
واحذر الريا كله فان اوله واخره باطل وكن في العمل متانيا وقافا فاذا

همه بعمل فقف عنده فان كان سخالصا فاحمد الله وامض فيه واستعن
بالله على اخلاصه واكلف من الاعمال ما تطيق وتحب ان تزداد منه ودم عليه
فان احب الاعمال الى الله ادومها وان قل فاعمل بما تبين لك انه حق واضح
فاذا اشكل عليك فقف ولا تقتحم وناظر العلما الذين يعملون بعلمهم فهم الذين
نصحوا الى الله وهم الدعاة الى سبيل النجاة الادلا على الله لان المومن وقاف
عند ما اشتبه عليه كحاطب الليل فناظر العلما فيما التبس عليك فما اجتمعوا
عليه فخذ به وما اختلفوا فيه فخذ انت فيه بالثقه والاحتياط فان الاثم حواز
القلوب واعلم ان ابليس ربما قال للعبد قد سبقك الناس الى الله متى تلحق بهم
فليقل له عند ذلك قد عرفتك انا في الطلب ان وقفت لحقت وان لم ارفق
لم الحق ان صبرت على القليل نلت الكثير وان عجزت عن القليل فانا عن الكثير
اعجز وقد قال الله عز وجل واذ زين لهم الشيطان اعمالهم فالزينه من الشيطان
والنور من الله عز وجل فاذا عمل العبد عملا فراى الشيطان معه نورا كانت
همه الخبيث ان يطفي ذلك النور فان كان الغالب على العبد عمل السر
اخرجه الى عمل العلانيه بحيله ومكيده فان عمل في العلانيه بصدق واخلاص
فراى معه في عمل العلانيه نورا وصبر امره لمخالطة الناس ليوذي
ولا يحتمل فان خالطهم فاوذي فاحتمل الاذي امره بالعزله والراحة من
الناس ليعجب بالعمل ويخرج من العمل فان اعتزل وصبر واخلص قال له
ارفق بجسدك فيصده عن العباده وانما يلتمس في الاشيا غفله فينبغي
للعبد ان يكون غير غافل عنه وليستعن بالله عليه واعلم ان صاحب
الاخلاص خايف وجل حزين متواضع منتظر الفرج من عند الله يود انه نجا
كفافا لا له ولا عليه والجاهل فرح فخور متكبر مدل بعمله ويروى عن بعض
الحكما انه قال اني لا اعرف مايه باب من الخير ليس عندي منها شي اعلم
ان العالم العامل الصادق المخلص العارف الخايف المشتاق الراضي
المسلم الموفق الواثق المتوكل المحب لربه يحب ان لا يرى شخصه ولا يحكى
قوله ويود انه انقلب كفافا لمعرفته بنفسه بلغت به هذه الدرجه
وتمسكه بهذه العزايم اوصله ذلك الى محض الايمان والجاهل المسكين
يحب ان يعرف بالخير ويشتهر عنه وينشر ذكره ولا يحب ان يزري عليه

في قول

في قول ولا فعل بل يحب ان يحمل على ذلك كله ويوطا عقبه وان لم يرد الهم شيا
وانما شهوته حبه لذلك لحلاوة الثنا والمحبة لاقامة المنزله والفتنه في هذا
عظيمه والمونه عليه شديده وهو عبد من عبيد الهوى يتلاعب به الشيطان
كل التلاعب تنقضي ايامه ويفنى عمره على هذا الحال اسير الشيطان وعبد
الهوى واعلم ان الشيطان اذا نظر الى العبد مريدا صادقا مخلصا مداوما
عارفا بنفسه عارفا بهواه معاندا لها جاحدا راسه ثم اذا عارفا بفقره الى الله قال
له ان هذا الامر لا يصلح الا بالاعوان عليه والشيطان على الواحد اقوى
وهو من الاثنين ابعد فجالس اخوانك وذاكرهم واخبرهم بما ينوبك في
عملك من نفسك وهواك ومن عدوك يريد لوك ويعينوك يريد بذلك
ذهاب حزن الخلوات ولطفا نور العزلة وقطع سبيل النجاه وفتح طريق
الفضول والتشاغل بغير الله واخراجه من عمل السر الى عمل العلانيه
وانما يريد بذلك كله اطفا ما قد احدث الله عز وجل في قلب العبد
من نور فكر الخلوات فان قلت هذا انما هو من الشيطان قال لك اجل
انما هو من الشيطان تعليمك الناس افضل من عملك فلو اختبرت الناس
بذلك كان خيرا لك ليعلموا من افات الاعمال ما تعلم فيوجر فيهم فان قلت
ايضا هذا من الشيطان قال لك لولا علمك لم تعلم بهذه الافات ليعجب
بنفسك وتنسى النعمة عليك في العمل فتحمد النفس فلا يجاوز عملك
راسك فاحذر هذا الباب فان فيه شهوات خفيه ومن الشهوة
الخفيه ان يخفي العبد عمله ويحب ان يعلم الناس به ويحب ان يرى اثر
ذلك عليه والعمل خفي في السر الا انه يحب ان يرى اثر ذلك العمل عليه
اما من علامة عطش ان كان صايما او علامة السهر في الوجه ان كان
قام من الليل واعلم ان العبد ان قال انا اعمل لله لا للناس قال صدقت
اخلص عملك لله فان المخلص يحببه الله الى الناس ويعرفهم فضله فان
قال العبد وما حاجتي الى الناس قال فانت الان المخلص الذي
قد اخرجت الناس من قلبك وعرفت مكيدة ابليس وقد نجوت
وانت معصوم فان عقل العبد وقال له فمن انا وانما الاعمال بخواتيمها
وانما الثواب على الله يوم الجزا لمن اخلص ولم يعجب بعمله ولم

نزه الله عمل العباد وليعلم انما الاعمال بالخواتيم

ينسب الى نفسه نعمة هي من الله قد وجب له بها عليه الشكر فانه يقول
للعبد عند ذلك الان نجوت حين اعترفت لله بذلك ووفقت لشكر النعمة
وتواضعت لربك وبرات نفسك من العمل ونسبته الى الذي هو منه فان
قبلت ذلك منه هلكت ولكن قل انا ارجوا واخاف وليس لي من النجاة شي ولست
ادري بما يختم لي عملي واياك والتزين بترك التزين وذلك انه ربما تزين
الرجل بالرقاع والخرق والشعث وترك الدنيا وانما يريد بذلك كله التزين
فان فعلت ذلك نزلت بمحله خشوع النفاق وان عرفت نفسك بشي من
ذلك ولم تسارع الى التحول منه خفت ان يلحقك الخذلان والمقت فاتق
الله في جميع امورك واعمل له كانك تراه فان قال لك الخبيث الان نجوت
حين عرفت نفسك وانزلتها هذه المنزلة وحذرت هواك وعدوك
فقل الان هلكت حين امنت العقاب فان قال لك الان نجوت حين خفت
ان تكون قد امنت العقاب فقل الان هلكت فلو كنت صادقا لصدق
قولي فعلي ولازددت خوفا من الله جل ذكره وحيا ولو كنت كذلك
لحال بيني وبينك ولجعلني في حزبه وحصنه ومن عباده الذين
قال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ولم تكن انت تدخل علي في عملي
فان قال لك جاهد نفسك فانه افضل العمل فان الناس قد شغلهم
امر غيرهم واتبعوا اهواهم وانت بينهم غريب وانت كالشجرة الخضرة
بين الشجر اليابس وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
طوبى للغربا وانت المعروف في اهل السما والمجهول في اهل الارض
فان قبلت ذلك هلكت وان قلت هذا من السلطان قال لك صدقت
هذا من الشيطان وقد كثرت عليك محاربه ومجاهدة نفسك وهواك
فلم تعذب نفسك ان كنت شقيا لم تسعد ابدا وان كنت سعيدا لم
تشق ابدا ولا يضرك ترك العمل ان كنت سعيدا ولا ينفعك العمل الكثير
ان كنت شقيا فان قبلت القنوط الذي القاه اليك هلكت وان تركت العمل
وملت من الشهوات على الغرور وحسن الظن بربك والاتكال على الرجا
الكاذب والطمع الكاذب والاماني الكاذبه ورجوت الجنة بالغرور
وطلبتها طلب المتعبدين بالراحة عطبت وان امتنعت قال احسن

ظنك

ظنك بالله فانه يقول انا عند ظن عبدي بي والله يحب اليسر والدين واسع
والله غفور رحيم فاعرف نفسك عند ذلك واعتصم بالله وكفى بالله حسيبا
واعلم انك ان كنت في بلد انت فيه سالم وامرك فيه مستقيم والنور معك
في فعلك وقولك قال لك عليك بالثغور وعليك بمكة وعليك بكذا وعليك
بكذا فان قبلت ذلك رايت فترة في عاجل عملك وقساوة في قلبك ووقعت
في المشورة يريد بذلك النقصان بسبب السفر والشغل به عن
الدؤوب والنشاط الذي كان معك فان صرت الى بلد انت فيه ماجور
وقليل ربح قال لك موضع كذا كان اصلح لقلبك واجمع لهمك فارجع الى موضعك
فان احب الاعمال الى الله ادومها مع معرفة النفس والفقر الى الله فان
الدؤوب ثوابا والصبر ثوابا وان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
واعلم ان من نجوا بالاعمال اكثر ممن يهلك بها وكل عبد بعد ميسر
لما خلق له واعلم انه من يهلك بالتفريط والتضييع اكثر وينبغي للمومن
ان يكون راغبا راهبا لا يامن ولا ييئس واعلم انه ياتيك من وجوه
كثيرة ما يغفل ولا بالوك خبالا ان كنت مقلا عندك من الدنيا شي
يسير يريد ان تقوته نفسك امرك بالصدقة ورغبك فيها ليخرج
ما في يديك وتحتاج رجا ان يظفر بك في حال الغفلة وان كنت
غنيا امرك بالامتثال ورغبك فيه وخوفك الفقر والحاجة
وقال لك ابدا ابن تعول ولعلك تكبر وتضعف ويطول عمرك يريد
بذلك ان تصير الى حال البخل فيظفر بك وان كنت تصوم وقد عرفت
بالصوم فاحببت ان تريح نفسك قال لك قد عرفت بالصوم لا تفطر
فيضيع الناس امرك على انك قد تغيرت وفترت وعجزت
فان قلت ما لي وللناس قال لك صدقت افطر فان المحسن معان
سيضعون امرك على احسنه فان قبلت ذلك منه وافطرت على ان
الناس سيضعون امرك على احسن الوجوه والمنزلة لا يسقط عندهم
افطارك فقد عطبت وان هو نفى ذلك تركه ونصب له بابا اخر فقال
له عليك بالتواضع ليشهره عند الناس كلما ازداد تواضعا على قبوله والشهوة
للشهوة ازداد كلبا عليه فاتق ما وصفت لك والجا الى الله في امورك كلها واترك

طلب شي من الدنيا بعمل الاخرة رغبه منك فى الاخرة وحبالها وايثارا لها على
الدنيا فتحلى اياها تصل اليها وتفقد رحبك لها تعمل لها واقلا الدنيا وابغضها
وتفقد بغضك لها تزهد فيها وانظران كنت داعلم فخف ان توقف يوم
القيمه فيقال لك بعدا وسحقا بعد العلم والبصر ملت الى الدنيا وتركت
العلم واجتريت على ما اسخط الله ماغرك بربك الكريم ايها المغرور فليعبد
الله العالم بطاعه العلم ويترك طاعه الجهل ويترك الاغترار واعلم ان
الشيطان يوم القيمه يتبرا من جميع من اطاعه فى الدنيا وهو يقول
فى الدنيا من ظن انه ينجوا مني بحيله فقى حبالى وقع قال الله تعالى
ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده
وعلى الله فليتوكل المومنون وقال انتم الفقرا الى الله والله هو الغني
الحميد فافهم واحذر وافطن وانظر وحارب واستعد وكابد وجاهد
واستعن بالله واعلم ان العبد اذا قام الى الصلاة يريد بها ثواب
الله وحده فثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون
وان اراد بها ثواب الله وحمد غيره هلك واعلم ان اولى الاشيا بالعبد
ان يخلص عمله كله لله والكلام فيه كثير غير ان الاصل فيه اخلاص
العمل ان يعمل العمل يريد به الله كله لا يحب ان يطلع عليه احد من الناس
فان اطلع احد على عملك كرهت ذلك بقلبك ولم تسر بذلك ولم تحب
ان يحمدك احد على شي من عملك ولا تتخذ به منزلة عندهم فهذا اصل
اخلاص العمل والله المستعان واما الريا فهو ان تحب ان يحمدك الناس على
شي من عملك او تقوم لك به منزله عندهم ومن اراد العمل اقتصر على القليل
ومن لم يرد العمل لم يكتف بالكثير واعلم ان الناس فى العمل على ثلاثة اصناف
صنف اهلوا انفسهم فى العمل من البر فعملوا ليعرفوا بالخير فهم اليها لكون
وصنف اهل رهبه من الله ورغبة فيما عنده يكابدون الاعمال بالصدق
والاخلاص ويتقون فساد الاعمال ولا يحبون المحمدة من المخلوقين ولا المنزلة
عندهم ولا يعملون شيا من العمل للناس ولا يتركون من اجلهم شيا واحيانا
تعرض لهم العوارض واحيانا يسلمون منها وفرقة قوي اخلاصهم
مستقيمة سيرتهم وعلانيتهم اخلصوا العمل لله وتركوا الدنيا بعد معرفتهم

بها ونظروا اليها بالعين التى ينبغي ان ينظر بها اليها فراوا عيوبها فمقتوها
وصدقوا الله فى مقتهم لها وتركوها زهدا فيها وصدقوا الله فى ذلك فمات
ذلك من قلوبهم وذاب ولم يكن لها فى قلوبهم قرار لقوة التعظيم فى قلوبهم
فلما استولت العظمة على قلوبهم لم يكن للدنيا ولا لاهلها فى قلوبهم قرار
لقوة التعظيم مستقر ولا قرار فالحمد لله ذي المن والفضل العظيم ومن
الريا ان العبد يراي اهل الدنيا بالدنيا فى لباسه ومركبه ومسكنه وفرشه
وطعامه وخدمه حتى الدهن والكحل ونحو ذلك يزينهم به صيانة لنفسه
وهو ريا وليس كالريا بالاعمال التى يبتغى بها وجه الله لان المرايي من
العز يخاف عليهم من النار لقوله بل اردت ان يقال فلان كذا وكذا فقد
قيل ذلك وهذا الذي رايا بالتكاثر والتفاخر وطلب الدنيا حلالا مكاثرا
مفاخرا مرايا لقي الله يوم القيمه وهو عليه غضبان وهذا مع ما فيه
من الفساد اهون من الباب الاخر وكلاهما شديدان والله المستعان
وذلك ان المفاخر انما يريد اقامة مروته عند الناس فلو كانت له الدنيا
كلها لاحتاج اليها لما معه من حب الدنيا وذلك ان قلبه مشغول عن الله وعن
طلب الاخرة وهو مع هذا خايف وجل ان ينزل به نازل او تغير حاله فيتغير
من كان له مطيعا فما اشد مضرة هذا الباب وعلامة المريد النظر الى
من هو دونه من الرزق والى من هو فوقه فى العمل فى الاخرة ويتواضع
ولا ينافس اهل الكبر والفخر والريا والتكاثر وياخذ ما اخذ لنفسه ويترك
ما ترك لنفسه وما اخذ فانما هو بنيته فيه قوة على دينه واقامة فرايضه
والاستغنا عن غيره ويدع جميع ما كان للناس من ذلك واما العجب
فاصله حمد النفس ونسيان النعمة وهو نظر العبد الى نفسه وفعاله
وينسى ان ذلك انما هو من الله منة منه عليه فيحسن حال نفسه عنده
ويقل شكره وينسب الى نفسه شيا هو من غيرها وهي مطبوعة على
خلافه فان تخلل هلك واستدرج ويكون معجبا بعبادته مزريا على من
لم يعمل بعمله عمي عن عيوب نفسه ويكون مستكثرا لعمله مسرورا به
راضيا عن نفسه فرحا بها يسعى فى هواها عصمه لها ورضاه لها ولا
يخلوا المعجب بعمله ان يكون مرايا لانهما قرينان لا يفترقان ولا يكون

المعجب محزونا ولا خايفا ابدا لان العجب ينفي الخوف واعلم يا اخي ان الناظر
الى الله فيما يعمل قد نفى العجب عنه لعلمه ان العمل انما هو من الله وهو
قايم بالشكر مستعين بالله عز وجل على كل حال متهم لنفسه قد نفى الاعمال
كلها عنها فليس لها عنده فيها حظ ولا نصيب واعلم انهم صنفان صنف علما
اقويا فهم الذين نظروا الى الله فيما يعملون فحمدوا الله على ما وهب لهم من
قليله وكثيره وصنف نظروا الى السبب الذي اعطاهم الله فاشتغلوا بشكر
السبب والصنف الاول اقوى من هولا اوليك لا يعرض لهم العجب لعلمهم
به وهولا ربما اعجبوا بالسبب وربما انتفى عنهم فهم مكابدون له فان قاموا
بشكر ذلك في الهم حسنة وهم دون اوليك وان ركنوا الى ما يدخل عليهم
من العجب فقد هلكوا الا ان يرحمه الله من شا منهم فيتوب عليه والعجب
كثير وهو افة المتعبدين من الاولين والاخرين وهو من الكبر والكبر
افة ابليس التي اهلكه الله بها واما الشهرة واشارة الناس الى العبد
فانها لن تضر الا من ارادها والمرء ملبس زين عمله ان خيرا فخير وان شرا
فشر فكم من مستتر بعمله قد شهره الله به وكم من متزين بعمل يريد به
الاسم واتخاذ المنزلة عند الناس قد شانه الله به وانما يصلح ذلك ويفسده
الضمير فان احب الشهرة جمع الشهرة والريا والعجب جميعا وان اراد
الله وحده كان مخلصا لم يضره عرف او لم يعرف وربما لحقه حب معرفتهم
اياه بالعمل فيخرج به الى الباب الذي يحبط الاعمال ومن ذلك حب معرفتهم
اياه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والغضب لله وفي الله فان
قام بذلك ونوى ما يحبه وكانت نصيحته لله وللمومنين ونجاة نفسه نجا
وان اعتقد شيا من اتخاذ المنزلة او حب الثنا او طلب رياسة او ليقبل
قوله فقد شرب السم الذي لا يبقي ولا يذر ولا عاصم من ذلك الا
الله والريا والعجب والكبر والشهرة انما هي من اعمال القلب فتوسل
بالحق الى الله في صلاح قلبك فان سلم قلبك وعلم الله ارادتك انما هي
له خالصة من كل افة دخلت عليك والله يقسم الدنيا كما يقسم الرزق
ومن خاف الله خوف الله منه كل شي ومن لم يخف الله اخافه الله
من كل شي ومن احب الله احبه كل شي والله مسبب العبادة وانما

تصحيح

تصحيح العمل بالحوادث على قدر صحة القلب ومع صحة القلب دلالة العقل
وسياسة العلم وسايقه الخوف فاذا اردت عملا فابتغ بذلك ثواب الله وكثير
ما تومل من الله من النجاة من النار والوصول الى نعيم الجنة يهون عليك العمل
ويخلصه الله من الافات وتقوى عليه فاذا عملت فاشكر وانظر هل ينقص
من بدنك شي في ليلك ونهارك لتعقد النية فيما تستقبل وانظر اذا
اصبحت كيف مضت عليك ليلتك بتعبها ونصبها وبقي لك ثوابها وسرورها
يكن ذلك قوة لك على ما تستقبل والحسنة لها نور في القلب وسرور
يجد العبد حلاوة ذلك السرور وضيا ذلك النور ولم يدع الله جل ذكره المطيعين
حتى جعل لهم بالطاعة اللذة والنشاط وقرة العين وحلاوة القربة اليه
ولم يدعهم حتى حببهم الى الناس وحتى نظر اليهم بالهيبة لهم والاجلال
مع ما في قلوبهم من التواضع والخوف لله فان لم يعرفه الناس وكانوا من
اهل الجهالة به فان اوضع خلق الله في الدنيا اذا كان بالطاعة عاملا كان
من اعز الناس عند الناس واغناهم بالله غنا ومن هاب الله في
السر يره هابه الناس في العلانية وبقدر ما يستحي العبد من
الله في الخلوة تستحي الناس منه في العلانية وينبغي للعالم ان تكون
محبته في العمل بالحسنات ويسترها وينساها فانه سيحفظها له من لا
ينساها ويحصي له مثاقيل الذر من عمله وان ظهرت الحسنات فليعرف
نفسه ولا يفرنه شا من جهله وتفكرها العالم في العواقب فان احببت
ان يحبك الناس او يعظموا حسناتك اذا عملتها فيكرموك ويجلوك فقد
تعرضت لمقت الله عز وجل لك ويحك انك ان اسقطك الله سقطت
فلا تعتز من الوجهين جميعا وان سلمت لك اخرتك سلمت لك دنياك
وان خسران الاخرة خسران الدنيا والاخرة جميعا ومن ربح الاخرة
ربحهما جميعا واعلم انك ان غضبت على الناس في شي هو لنفسك
فابديته لهم او لم تبده لهم علم الله ذلك من قلبك فقد تعرضت
لغضبه اذا اظهرت انك انما غضبت لنفسك واعلم ان الله جل ذكره لا
تخفى عليه من امرك خافية وليس الفرق بين غضبك عليهم وبين
سرورك بهم وبرحك شانهم عليك بحسناتك وانت تريد ثوابها من

ربك لقد ابتليت ايها العبد بحسناتك وعظم فيها بلاوك ولعلها اضر عليك
من بعض سيئاتك فان بلغ بك البلاء ان تفرح اذا مدحوك بغير عملك او
باكثر من عملك فقبله فلبك احبط الله عملك ثم تصير الى حال تحب مجي الاخوان
اليك في اوقات الاعمال فتفرح وان اتوك في وقت فراغك غمك ذلك
والله سايلك عن ذلك كله وتظهر منك الحزن وتوهم الناس ان ذلك من
شدة همك بالاخرة وانما ذلك منك تصنع تحب ان تحمد وتعلى ذلك فاذا انت
قد هلكت من الوجهين جميعا فخف الله في سراير امرك وعلانيتها واحتقر
حسناتك بجهدك واستكثر منها ما استطعت حتى يعظم قدرك عند
الله وتعظم حسناتك واستكثر صغير ذنبك حتى يصغر عند الله وخف
من صغير ذنوبك ان يحبط الله به عملك كله وارج بحسناتك ان يمحو الله
بها عنك كل سيئة عملتها فارج حسناتك وخف سيئاتك ان الحسنات
يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين **وينبغي للعبد ان**
يعرف عجزه وضعفه وسقطه من نفسه ويرجع الى المعروف المنعم
ويتوجه الى الملك القادر على ما يريد بالاعتصام والتوكل والاستغاثة
والانتصار به على الاعدا فيجد عند ذلك العز والروح والفرح والمنعة
ويفوض امره الى الملك الجبار فما اختار له من شي رضي به وسلم
فان عرض له بعد ذلك غم او ترويع علم انها بلوى من الله رجع اليه
حينيذ بالانكسار والافتقار اليه لما فرط منه ويطلب الروح والفرج
بالتقوى وهو استماع العبد الى قول ربه ما امره به فعله وما نهاه
عنه انتهى حتى تكون كلها مجموعة له في روضة واحدة فانظر يا اخي
لا تبتغ مما فيه المخرج الا خرجت منه وما كان مما فرط منك ما الاحيلة فيه
الا الندم والاستغفار فاندم عليه ندما صحيحا بالقلق منك والاضطراب
في حظوظه والاجتهاد قبل تفاوت الايام وهجوم الموت عليك واكثر
من الندم الصحيح ذكر ما ندمت عليه ولا تفتر ان امكنك من الاستغفار
ثم عليك بعد بالتخلص من العايق الذي يشغل عن الله جل ذكره
حتى تكون موثر الله على ما سواه وهذا هو الطريق الى سبيل النجاة والله
المستعان واعلم ان من ذلك لان العقول والعلوم تاسيس التقوى

فاذا

فاذا كان كذلك صار الى حياة القلب قابلا للموعظة معظما لما عظم الله
مصغرا لما صغر الله فاذا كان كذلك تفقد حسن قلبه بالعلم والعمل ولو ان رجلا
احيى في كل يوم الف مرة ويكون بين الحياة والحياة موته لخف عليه حتى تكون
حياته دايمة تموت به خواطر نفس ليس لها قرار والخاطر اذا صرم اصله وقطع
دخل عليه الحزن والبكا ولا يكون مسرورا بالعوارض ولا يشتغل
بالنعمة عن المنعم فهذا سبيل النجاة ان شا الله والله المستعان واذا لم يكن
مع العبد ترويع وغم عند الخاطر فهو ميت فاذا كان كذلك فليرجع الى التقوى
والاخلاص والصدق والتخلص مما يكره الرب والحيا يتولد من العلم
المفهوم فاذا علم وفهم العمل بما امره الله به قبل الموعظة لنصحه بتعظيمه
ما عظم الله والقلب الحي يكفيه عمره ينبهه والقلب الميت لو قرض بالمقاريض
لم ينتبه ولم يحيى وذلك ان الله عز وجل يقول اومن كان ميتا فاحييناه
وذلك لمن قبل واجاب الداعي ومن لم يقبل الموعظة ولم يجب الداعي
فانه قال عز وجل اموات غير احيا وما يشعرون ومن علم انه ميت
فقد حيي بعلمه انه ميت ولا ينفعه العلم الا بالقبول وايثار الرب
على هواه فمن كان مقرا بانه عاص وليس يتحول ولا معه الترويع والغم
الشديد وهو على حالته التي ليس يرضاها ولا يبادر للتوبة والتطهير
فهو ميت ولا ينفعه علمه الا ان يتوب الله عليه قبل موته فيحيى بالتوبة
ويرجع الى الرغبة والرهبة والطاعة ومن اراده الله وفقه الله ونبهه
من الزلة وايقظه من الغفلة وانما هذه كلها مواريث حب الدنيا
واتباع الهوى وطول الامل وقد ينبغي لمن كان يبتغي بنفسه طاعة
ربه ان يرجو ما تقل عليه من البر ويتهم ما خف عليه من ذلك لان
قليل الصدق يثقل خفيف العمل والكذب من النية في العمل يخفف
ثقيل العمل وقليل الصدق اوزن وارجح من كثير الكذب واعلم ان
ارادتك العمل عمل فانظر في ارادتك حتى يصح لك عملك ويراك الله لنيتك
طالبا ولها مصححا كما يراك في عملك مخلصا فان الاعمال بالنيات واعلم انك
ان ظفرت بتصحيح النية مع قليل العمل ربحت عملك وظفرت باكثر من
عملك واعلم ان عدوك ينظر الى ابتدا نيتك وابتدا عملك وقد يخفي

عليك سقم نيتك كما يخفى عليك سقم عملك فاحذر ان تكون نيتك سقيمة
ثم على تصحيحها فان العمل متابع النية ان صحت صح وان فسدت فسد
واعلم ان العدو اذا راي في نيتك سقما عنك في ذلك العمل ولم يثقله عليك
بل يخفف عليك مخافة تعطلك بالسقم وود حينئذ ان الناس كلهم احبوك
في ذلك العمل ومدحوك اذا ظفر منك فيسقم النية ويزيدك قوة ونشاطا في
عملك وتحسنه عندك وفي اعين الناس وتحببهم اليك فكلما اتوا عليك
استحليت عملك وخف عليك وقد ستر عنك ذا الحسنات وذا السيئات
ومن داء الحسنات انه لا يمنعك من تركها الا مخافة ان تسقط من اعين
الناس واعلم ان نيحه منك اذا سقمت نيتك اكثر من نيحه منك اذا احببت
الدنيا واتسعت منها ومن ذا السيئات سقم نيتك واعلم ان العدو ربما
افسد الحسنات اولا بسقم النية وربما افسدها اخرا بتعظيم الناس
لك فاذا علم انه قد احب ذلك وهو لا يحسنه لمعصية خلاه وذلك فاحذر
على عملك كله من حيله الخبيث واذا رايت العمل قد خف فكن اشد ما
يكون له حذرا اذا خف على نفسك العمل فهو اشد ما يكون اذا صح
عندك واعلم ان الشيطان اعرف بك وربما تهواه لنفسك منك ولا
تدع العمل من اجل افته ولكن اعمل بنيته وصححه واستعن بالله
وكن حذرا طالبا للخلاص كارها معاندا لفساد العمل لا تريد الثواب
الا من الله وحده وطلب الدار الاخرة ولا تعمل ليعطيك في الدنيا ثوابا
فان الذي قد قدر الله عز وجل ان يصل اليك من رزق او اجر او
ثنا فانه صاير اليك فعليك بالصدق فانه ذخر اليوم ينفع الصادقين
صدقهم وانظر اذا صح عملك عندك فكن اخوف ما تكون من فساده ولا
تامن عليه من الفساد فيفسده فان افة العمل الامن عليه واعلم
ان الامن على الحسنات اضر عليها من السيئات والامن على السيئات
اضر عليك من السيئات واعلم ان امنك على الحسنة احب الى ابليس
من سيئة وقنوطك بعد السيئة احب الى ابليس من سيئة واستصغارك
السيئة كبيرة احب اليه من سيئة بعد سيئة واستصغارك لسيئة
ارتكبتها ثم تركتها احب اليه من كبيرة عملتها ثم استغفرت منها لعظمها

عندك

عندك فافهم ما القي اليك من هذا الباب واحذره واعلم ان ابليس اللعين
يجري على السنة الناس مدح الصادق ليفسد عليه صدقه ويزيد الكاذب
في عمله قوة حتى يساوي بين الصادق والكاذب فاحذر تجديد القوة
في العمل عند تجديد المدح فان له سورة وسلطانا يزيد الكاذب كذبا ويفسد
على الصادق صدقه ولا تظهرن الخوف من قلبك ولا تظهرن قلة الخوف
فان اظهار قلة الخوف هو من قلة الخوف وهذا فيه باب فساد للعمل
كبير وهو ربا فيه لطف وله حلاوة واياك ان تقول واحزناه على الحزن واخاف
ان لا اكون اخاف واحزناه على الاحزان فان هذه اشيا من دقايق مداخل
ابليس والله سايلك عن مخافتك واظهارك الخوف والحزن واظهارك انك
ليس تحزن واظهارك انك لا تخاف وما تظهر من الانكسار والتواضع
واظهارك الهم بامر الاخرة وذمك نفسك وبغضك ماذا اردت بذلك
كله ولابليس في هذه الخصال مذاهب تلتبس على كثير من الناس وهي
تنسب الى خشوع النفاق فان كنت صادقا فيها فاحذر ابليس عندها
وفي وقتها احذر اشد الحذر والله المستعان وانظر كيف يكون احتمالك
اذا قال لك غيرك ما تقوله انت لنفسك من الذم والوقيعة فيها حتى
يبين لك عند ذلك اصادق انت في فعالك ام كاذب فاذا كان باطنك
كظاهرك ولم تبال كيف كان امرك وقم على باطنك اشد من قيامك على
ظاهرك فانه الموضع الذي الله فيه مطلع فنظفه وزينه لينظر الله
اليه اشد مما تزين ظاهرك لنظر غيره فافهم ما اقول لك بعناية منك
وقبول واعلم ان فرايض جوارحك انما تقوم بفرايض قلبك واعلم
ان النية والصدق والاخلاص فريضة تقام بها الفرايض وتبنى عليها
الاعمال وترك الهوى فريضة وكل بر نيته معصية فهو مردود ومحال
ان يتقرب الى الله بمعاصيه لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله
التقوى منكم واعلم ان الله فرض الارادة له بالايمان والاعمال يراد بها وجهه
فاصاب المومن الصادق بنيته الفريضتين جميعا الظاهرة والباطنة واعلم
انك ان عملت بما وصفت لك ثم عرضت عليك الدنيا بما فيها على ان تظهر حسناتك
او تراي بها ما فعلت واعلم ان المريد في ترك المسة يخاف الله ان

يشبع منها ويخاف منه ان ينال منها وهو مستغن عنها ويخاف منه ان
يدخر منها وهو محتاج اليها فهو يخاف من الله ان يعصيه فيما احله له
ويخاف ان يشبع مما اباحه له فمن قام في هذا المقام من اهل الدنيا
فقد بلغ الغاية من الزهد فيها واقام الاشيا كلها التي في الدنيا مقام
الميتة فانما ينال منها البلغة عند ما اضطر اليها ويخاف من الله ان
يترك اخذ تلك البلغة في وقت الضرورة ان يعذب على تركها كما يخاف
ان يعذب على اخذ الحرام البين واعلم ان تمام الاشيا كلها انما هو بالقيام
بما امر الله والانتها عما نهى الله عنه واعلم انه ليس من عقلك ان
تاخذ مينة تتحزنها ولا ان فاتت حزنت عليها ولا ان وجدتها فرحت
لانك منها على مقت لها وبعد رمنك لها فاذا اخفت منها ان تنالها نفسك
المخافة التي حلت بقلبك حلاوتها وهي الدنيا فتحرى منها بما اقام
صلبك واديت به فرضك ودع ما سوى ذلك يكفيكه غيرك والذي
تحتاج اليه من الدنيا يسيرها وهو ما تستر به عورتك وتقيم به صلبك
لاداء فرايضك وما كان وراء ذلك فهو من الدنيا ومنتهى طلب الاخرة
ترك الدنيا ومنتهى طلب الدنيا جمع ما احببت من الدنيا فاذا رايتك
تانس بقرب الدينار والدرهم وتستوحش لفقدهما فاعلم انك محب
للدنيا ومن كان محبا للدنيا فهو قال الاخرة انتهى **فصل في الصدق
والعقل** **واعلم ان الاصل الذي يتحرز به** مما تقدم ذكره انما هو
الصدق والصدق محله القلب والعقل واذا كان كذلك فينبغي الاعتنا
ببيانهما وما قاله الشيخ الامام يمن ابن رزق رحمه الله في ذلك
فيه غنية عن غيره وبيان تام فقال رحمه الله اعلم يا اخي علما يقينا
لا شك فيه ان الصادق لا يكذب اهله ولا بالوهم نصحا في ازدياده لهم
فان اخاك من صدقك ونصحك وان خالف صدقه ونصحه هواك
فان عدوك من كذبك وغشك وان وافق ذلك هواك واعلم يا اخي
اني لما اطلت الفكرة ومحنت في ذلك النظر علمت ان الله جل ثناوه باري
النسم وولي النعم ومالك الامم لم يخلقني واياك عبثا ولا هو تاركي واياك
سدى وان لي ولك معادا نقف بين يديه الملك الجبار للحكم بيننا

وللفضل

وللفصل بيننا وانه لم يخلقني واياك حين خلقنا لهزل ولا للعب ولا لفنا دايم
وانما خلقنا لبقا الابد ودوام النعم في جواره وجوار ملايكته وانبيايه او في
الشقا الدايم الابد فعاقل يتيقظ لما خلق له مستعد لما هو صاير اليه فانتبه
من رقدتك وافق من سكرتك فعمل وجد وابصر فزجر النفس عن دار
الغرور الخاذلة الخادعة الزايلة التي قد ولت تخدعها وفتنت بغرورها
وتشوقت بحطامها فلما عرفها العاقل الكيس حق معرفتها زهد فيها ورغب
في دار البقا والسرور وتقرب الى مالك الدار بجميع ما يجب مما يطيق
التقرب به اليه ورتب بيانه واما المغتر بالدنيا المؤثر لهواه فيها فهو منغمسها
ايها الميت عن قليل والمبعوث بعد موته الى دار المقامة المسول عن
اقباله وادباره في دار الدنيا الموقوف عن قليل بين يدي الملك الجبار
الذي لا يجور هل اعددت لذلك الوقف حجة تحاجج عنك او اعددت
للسوال جوابا فان الله يقول ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر
حكمة بالغة فما تغني النذر فاياك يا اخي والنزول بمحلة المجد وعين
واعلم ان السيد الكريم نعمه كثيرة لا تحصى وان عطاياه كثيرة لا تجازى
وان مواهبه كثيرة لا تكافى واعلم يا اخي اني لم ار نعمة متقدمة من
الله عز وجل لخلقه افضل من نعمة العقول التي جعلها الله دلالة لخلقه
على معرفته والوصول بها الى محض الايمان به والذي اطلعهم الله به
على مكنون علمه حتى دنوا البصاير ونفوا به خاطر الشك وكابدوا وساوس
الشيطان ومعارض فتنته واستضاوا بنور العقول في طريق حيرتهم
فتجنبوها وخرجوا من ظلم الشك واعتقدوا انها معرفة الله والايمان به
والاخلاص والتوحيد وافردوا الله جل جلاله وقدسوا اسماوه
بالربوبية والعظمة والكبريا واعلم ان اهل اللب استدلوا به على خلق
انفسهم وعلى خلق الخلق كلهم انهم موسومون بسمة الفطرة واتيان
الضعف والنقص والزيادة مع تغيير الاحوال فاول ابتدا الله لهم ان
وهب لهم العقول التي بها وصلوا الى الايمان به وبالايمان به وصلوا الى
نور اليقين وبنور اليقين وصلوا الى خالص التفكر وبخالص التفكر وصلوا
الى استقامة القلوب وباستقامة القلوب وصلوا الى الصدق في الاعمال

واخلاصها لله تعالى فنورتهم ذلك البصاير فى قلوبهم توضحت الحكمة فى صدورهم
وجرت ينابيعها على السنتهم فجحموا بفطن قلوبهم على غوامض الغيوب
بالارادة والاخلاص الذي ذكرتهم وادركوا بصفا يقينهم غايص الفهم
وادركوا بغايص فهمهم العلم المحجوب تعرفوا الله حق معرفته وتوكلوا
عليه حق توكله وسلموا لله الخلق والامر فصارت قلوبهم معادن لصفا
اليقين بيوتا للحكمه وتوابيت للعظمة وخزاين للقدرة وينابيع للحكمة
فهم بين الخلايق مقبلون ومدبرون وقلوبهم تجول فى الملكوت
وتلدذ والمحجوب الغيوب وتخطر فى طرقات الجنان قلوبهم فالحمد لله الذي
لا اله الا هو العظيم الذي من والاه نعمه واغناه واعلم يا اخي ان
من صدق الله اوصله الى الجولان فى ملكوت السموات بقلبه ثم يرجع
اليه بطرف ما قد افاده السيد الكريم فصار قلبه وعا الخير لا ينفد وعجايب
فكر لا تنقضى ومعادن جواهر لا تفنى وبحور حكمه لا تنزح ابدا مع ذلك
ملوك ملكوا الجوارح والابدان واعلم يا اخي ان فى ابن ادم مضغه ان
صلحت صلح ساير جسده وان فسدت فسد ساير جسده وهي القلب
واعلم انه لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولسانه ومن اجل ذلك
صار القلب واللسان ملكي البدن والجوارح والقلب هو المسلط على
استخدامهم وذلك انه معدن العقل والعلم والعنايه بجميع الخير
والشر مستودع للقلب واعلم يا اخي اني وجدت اللسان مترجما عن
القلب ارادته وذخاير بصايره ووجدت الذكر جلا صدا القلوب
وتيقظا من وسن الافيدة واعلم اني وجدت الشكر على من اختصه
الله بنور العقل اكثر والحجة عليه اوكد فمن هاهنا الزم الحجه وانقطعت
المعاذير مع الاعذار والانذار فلله الحجة البالغة علينا وعلى اهل
العقول من خلقه وما اعرف ان احدا الى الامن قبل تضييع الشكر لانه
ليس من ولد ادم احدا الا وهو مختص بنعمة العقل الا قليل فمنهم من
حق له وحق الشكر عليه ومنهم من اعطى من العقل دون ذلك
فشكر الله على قليل ما اعطى فزاده الله حتى علا فى درجه العقل ومنهم
من كفر النعمه فلم ياخذها بشكر فنقص من درجته غير ان العبد

قد اعظم الله عليه النعمة فى العقل فينبغي ان يكون شكرها على قدر عظيم النعمة
عليه واعلم ان العقل والهوى ضدان مركبان فى العبد كتركيب الجوارح وهما
لغير كان فى قلب ابن ادم فايهما غلب استعلى على صاحبه واستولى على العبد
فكانت اعماله كلها بالمستولى عليه فكان له تبعا فشكر العبد اذا كان ذلك
لله على نعمه عقله ان يتبع دلاله علمه وعقله فيوثر دلالتهما وما تدعوان
اليه على هوى لنفسه واعلم ان الامر عظيم على قدر ما ادي من غلبه
الهوي علينا واستمكان الدنيا من قلوب علمايا وجهالنا فلما كان ذلك
منا لذلك عن وجود الصدق على كثرة وجود معرفته ووصفه وقل العمل
به والقيام بحقه وقد فشى الكذب وكثر الريا والتزين للدنيا وسلوك
اوديه الهوى وتروك اوديه الغفله فلا يومن السبيل ان يركب على
تلك الغفلة فتكشف النفس وان الهوى قد قام مقام الحق يعمل به
ويقضى بقضايه ويحكم بحكمه وقام سوالادب والمكر والخديعة مقام
العقول وقامت المداهنه مقام المداراه وقام الغش مقام النصح وقام
الكذب والتزين مقام الصدق وقام الريا مقام الاخلاص وقام الشك
مقام اليقين وقامت التهم مقام الثقه وقام الامن مقام الخوف وقام
الجزع مقام الصبر وقام السخط مقام الرضى وقام الجهل مقام مقام العلم
وقامت الخيانه مقام الامانه فصار من قلة الاكياس لا يعرف الحمقا
ومن قلة اهل الصدق لا يعرف اهل الكذب الا عند اهل الفهم والعقل
والبصيرة فاعتدل الناس فى قبح السيرة وقلة الاستقامة فى امور
الاخرة الا من عصم الله فاصبحنا وقد حيل بيننا وبين الخروج من النقص
الذي نكرهه من انفسنا وحيل بيننا وبين ان ندخل فى الزيادة التي نحبها
لانفسنا عقوبه الاصرار لجرينا فى ميدان الجهل وغلب علينا شكر حب
الدنيا فنحن نستبق فى هدين الشيئين وتتنافس فى الاستكثار منهما
فصح عندي ان من الجهل بامر الله والاغترار به القيام على هذه
الحال والسلامة منها ايسر واقرب رشدا وهو ان يكون المرء
فى البلد الذي لا يعرف فيه والتخلص الى اخمال الذكر انما كان
وطول الصمت وقله المخالطة للناس والاعتصام بالله وعض على الكسر

اليابسة وما دنا من الناس ما لم يكن مشهورا والتمسك بالقران والصبر على
الشدايد وانتظار الفرج واعلم اني قد نظرت بحث النفس وعناية لها
فوجدت غفلتنا عظيمة وخطرنا عظيما والغفلة عن الخطر اعظم من الخطر
لانه انما يعظم الخطر عند اولي العقول فكلما عظم الخطر وعلمت انه عظيم
وكنت من اهل البصيرة حركك عظيم الخطر فانتقلت من عظيم الغفلة
الى حال التيقظ ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم **فصل في
ذكر الطمع وقبحه وقال رحمه الله وانظر يا اخي** ان لا تاذن
لقلبك في استصحاب ما يعسر عليك طلبه وتخاف اطفا نور القلب
من اجله وكن في تاليف ما بينك وبين الله محمود العاقبة واقطع اسباب
الطمع فيستريح قلبك ويصير الى عز الاياس وامانة الطمع يسد عنك سبل
الفقر ويسكن قلبك عن العنا ويسقط عنك به ذلك التشاغل بالمخلوقين ولتحله
حلاوة الزهادة بقصر الامل وقطعه واطلب راحة البدن باجمام القلب عن
التشاغل برويه المخلوقين وتعرض لرقة القلب بدوام مجالسة اهل
الذكر من اهل العقول والمعرفة وحسن الاداب التاركين لفضول
الكلام فان مجالسة هولا يصفو القلب ويرق وينفتح فيه النور وتجري فيه
ينابيع الحكمة وافتح باب دوام دواعي الحزن الى قلبك واستفتح بابه بطول
الفكر واستوجب الفكر بالتوحش من الناس فان ابوابها في مواطن
الخلوات وتحرز من ابليس بالخوف الصادق واستعن على ذلك
بمخالفة هواك واياك والرجا الكاذب فان التوسع فيه ينزلك محلة
المغترين من اهل المكر والاستدراج وذلك ان للرجا طرف يودي
الى الامن والغفلة فاياك ان تتخذه مطية لسفرك وتخلص اي اخي
الى عظيم الشكر باستكثار قليل الرزق مع كثير الرضا به لك واستقلل
كثير الطاعة واستجلب النعم بعظيم الشكر واستدم عظيم الشكر بخوف
زوال النعم واطلب لنفسك العز باماتة الطمع وادفع ذل الطمع بعز الاياس
واستجلب عز الاياس ببعد الهمة واستعن على بعد الهمة بقصر
الامل وبادر بانتهاز النعمة عند امكان الفرصة خوف فوات
الامكان ولا امكان كالايام الخالية مع صحة الابدان واحذر سوف

فان

فان دونه ما يقطع بك عن بغيتك واياك يا اخي والتفريط عند امكان
الفرصة فانه ميدان تجري لاهله الحسرات واياك والثقة بغير المامون
فان للشر ضراوة كضراوة الا انا الضاري ولا عمل كطلب السلامة ولا سلامة
كسلامة القلب ولا عمل كمخالفة الهوى ولا مصيبة كمصيبة العقل ولا عدم
كقلة اليقين ولا اجتهاد كجهاد النفس ولا غلبة كغلبة الهوى ولا قوة كرد
الغضب ولا معصية كحب النفاق وان حب الدنيا من حب النفاق
ولا طاعة كقصر الامل ولا ذل كالطمع توفقنا الله واياك لما لديه دعانا واعاننا
واياك على اجتناب ما عنه نهانا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
فصل في التزين وقال رحمه الله وروي عن عبد الله
ابن مسعود انه قال للعقول معادن الراس والعلم دلالة على اعمال الطاعات
والمعرفة دلالة على افات الاعمال والبصاير دلالة على اختبار عواقب
الامور واختبار مواردها وتصريف مصادرها والتزين اسم لثلاث معان
متزين بعلم ومتزين بجهل ومتزين بترك التزين وهو اعظمها فتنة واحبها
الى ابليس واعلم ان الاساس الذي ينبغي للمريد ان يبني عليه دينه
معرفته بنفسه وبزمانه واهل زمانه فاذا عرف عيوب نفسه واراد
ما يحذر ابتليه من شر نفسه ان شا الله فليبدا بالخلوة واجمال نفسه
فلعله حينيذ ان يدرك بذلك الحزن في القلب والخوف الذي يحتجز
به عما نهى الله عنه والشوق الذي يدرك به امله من محبة الله والا
لم يزل متحيرا متلددا متزينا بالكلام يانس بمجالسة الوحشة ويثق
بغير المامون ويطمين الى اهل الريب ويحتمل اهل الميل الى الدنيا
ويعتبر باهل الحرص والرغبة ويتاسى باهل الضعف ويستريح الى
اهل الجهل ميلا منه الى هواه الى ان يفاجيه الموت وحلول الندم
واذا وجدت المريد المدعي للعلم والمعرفة يانس بمن يعرف
ولا يهرب ممن لا يعرف وينبسط ويمكن نفسه من الكلام بين ظهراني
من يعرف فاتهم حاله اما ان يكون صادقا في ارادته او يكون جاهلا بطريق
سلامته او مغلوبا على عقله وعلمه مستحوذا عليه هواه وما التوفيق
الا بالله العظيم واعلم يا اخي علما يقينا لا شك فيه انا لم نر اساس الدين

على طلب السلامة فيه من الخطا ولا على حسن السيرة منا في الاخلاق والاداب
ولكنا ابتنيناه على اساس الهوى وعلى ما خف محمله على قلوبنا واستخفته
انفسنا واستحلته السنتنا فامضينا فيه اعمالنا طمعا في الزيادة من التقوى
بزعمنا وتركنا الحسن السيرة منا في الاخلاق والاداب فنظرنا بعيد فاذا قد
رجع علينا اعمالنا ايثار الهوى بالنقص من الزيادة في الدين وتقبيح
السيرة منا في الاخلاق والاداب بنظرنا لامور الدنيا والاخرة فورثنا
ذلك الحب والغش والمداهنة فصيرنا للغش والمداهنة مدراة
وصيرنا الحب عقولا واداباو مروات يحتمل بعضنا على بعض فاعقبنا ذلك ذلك
تباغضا وتحاسدا وتقاطعا وتدابرا فتحاببنا بالالسن مع الروية وتباينا
بالقلوب مع فقد الروية قدم الدنيا بالالسن ونميل اليها بالقلوب
والجوارح وندافعها عنا في الظاهر بالقول ونجرها بالايدي والارجل
في الباطن والظاهر فاصبحنا مع قبح هذا الوصف وسماحته لانستاهل
به خروجا على النقص ولا دخولا في الزيادة فانا لله وانا اليه راجعون
وبالله المستعان واصبحنا لانجد المرصاد فاينا ناسي به ولا خايفا فيلزمه
الخوف للزومه له ولا محزونا يعقل الحزن فسالمه فقد صرنا ملاهي
بفضول الكلام ونانس بمجالسة الوحشة ونقتدي بغير القدوة مصرين
على ذلك غير مقلعين ولا تايبين منه ولا هاربين من مكر الاستدراج
فنعوذ بالله من التولي عن الله والسقوط من عين الله والتشاغل بغير
جل ذكره
الله ان الله اوجب على نفسه الطاعة ثوابا اي ما وعد به سبحانه من
التفضل والاحسان وعلى المعصيه عقابا فالثواب لايجب للعبد على
الله الا من تصحيح العمل وتخليصه من الافات وتصحيح ذلك وتخليصه
لايتم الا بالمعرفة والاعتزام على احتمال مونه تصحيح العمل والاعتزام
والاحتمال والصبر على العمل لايكون الا من بعد ثبات الخوف في
القلب والخوف لايوجد الا من بعد ثبات التيقن في القلب وثبات
اليقين لايكون الا من بعد صحة تركيب العقل في العبد فاذا صح تركيب
العقل في العبد وثبت وقع الخوف مما قد ايقن به فجاءت عزيمة الصبر
من غير تكلف واحتملت النفس حينيذ مونه العمل طمعا في ثواب

ماقد

ماقد ايقنت به ورهبت عقاب ماقد ايقنت به على المعصيه فتركت المعصية
والشهوة هربا من عقوبتهما واحتملت الطاعة بالاخلاص رجا ثوابها فكلف
الاحمق الكيس ولم يقدر على لزوم الحمق وكلف الجاهل التعلم ولم يقدر
على غلبة الهوى وكلف العامل الصدق والاخلاص والتيقظ في
عمله ولم يقدر على الشهوات والغفلة وترك الاخلاص فيه وكلف
القايل الصدق في قوله ولم يقدر بالميل الى الكذب وكلف القايل الصادق
المخلص الصبر عن ابتغا تعجيل ثواب عمله في الدنيا من المخلوقين من
حب الدنيا والتكرمة والتعظيم وعندها انقطع العمل خاصة وجل بهم
الجزع وتركوا عزيمة الصبر في طلبهم تعجيل ثواب اعمالهم ولم ثواب الاعمال
ليوم يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وخدعتهم الانفس الامارة بالسوء عن
سرسراير اعمالهم حتى ابدوه المخلوقين بالمعاني والمعاريض وفي اظهار
الاعمال ليعرفوا بفضيلة العمل ليزدادوا عند الناس فضيلة ورفعة
فتعجلت انفسهم ذخاير اعمالهم وحلاوة سرايرهم بحسن الثنا والتكرمة
والتعظيم ووطي الاعقاب والرياسات والتوسع لهم في المجالس واعقلوا
المسايلة في عقدهم لمن عملوا وماذا طلبوا لخسروا انفسهم واعمالهم
وخسارة ما هنالك باقيه وندامة ما هنالك طويله لما وردوا على الله
فوجدوا اعظم ما كانوا يوملون من ثواب سراير اعمالهم التي عاجلوا
فيها انفسهم في الدنيا فمنعوها هنالك لانهم كانوا قد تعجلوا ثوابها من
المخلوقين وخرجوا من خير اعمالهم صفرا فانا لله وانا اليه راجعون
ما اقبح الفضيحه بالعالم العامل البصير الناقد العارف عند قلة الصبر
وابتغا تعجيل الثواب والميل الى الدنيا وايثار شهواتها ولذاتها فينبغي
للعاقل الحازم اللبيب العالم العامل العارف البصير الناقد ان يحذر
ذلك كله ويتخذ الصبر مطية ولا ينبغي تعجيل الثواب هاهنا وما
التوفيق الا بالله العلي العظيم **فصل في الغيبه والنميمة**
وقال رحمه الله اعلم ان مخرج الغيبه انما هي من تزكيه النفس
والرضا عنها لانك انما تنقصت غيرك بفضيلة وجدتها عندك وانما
اغتبته بما ترى انك منه بري ولم تغتبه بشي الا وما احتملت في

نفسك من العيب اكثر وانما يقبله منك مثلك فلو عقلت ان فيك من
النقص اكثر لحجزك ذلك عن غيبته ولاستحييت ان تغتابه بما فيك اكثر منه
ولو علمت ان جرمك عظيم بغيبتك غيرك وظنك انك مبرا من العيوب لحجزك
ذلك ولشغلك عن ذلك وكيف وانما يلقى الاموات ولو كانوا
احيا اذا ما احتملوا ذلك منك ولتناهوا واعلم ان ميت الاموات احمد في
العاقبة من ميت الاحيا وتفسير ميت الاحيا موت القلوب وهم احيا في
الدنيا فمن كانت هذه صفته كثرت اوزاره وعظمت بليته فاحذر يا اخي
الغيبة فحذرك عظيم البلا ان نزل بك فان الغيبة اذا ثبتت في القلب
فاذن صاحبها النفسه في احتمالها لم ترض بسكانها حتى توسع لاخواتها
وهي النميمة والبغي وسو الظن والبهتان والكبر وما احتملها لبيب
ولا رضي بها حكيم ولا استصحبها ولي لله قط فانا لله وانا اليه راجعون **فصل**
في الاستدراج وقال رحمه الله الاستدراج اسم لمعنيين
فاحد المعنيين استدراج عقوبة السيئة تنبيها على الانابة فيه ولا رجوع
والمعنى الثاني استدراج الانابة فيه ولا رجوع فنعوذ بالله من الاستدراج
وانما يستدرج العبد على قدر بغيته فمنهم من يستدرج بالملك والسلطان
وطاعة الناس له ومنهم من يستدرج بالدنو من الملوك والسلاطين
والحظوة عندهم ومنهم من يستدرج بالتوسع في تجارته ومنهم من يستدرج
بالاهل والولد والماشية والتبع ووطي الاعقاب ومنهم من يستدرج
بعلمه ان يكرم بسببه ويحمد ويعظم ويسمع قوله فهو مستدرج بالحظه
من علمه ومنهم العابد يستدرج من طريق العجب في عمله والقوة على
ذلك في بدنه ومنهم ذو البصيرة يستدرج في الزيادة في بصيرته فجميع
من ذكرنا من المستدرجين فكلهم لا يخلوا من الريا والعجب وكل
مزين له ما هو فيه لا يرى الا انه على الطريق مقبول منه احسانه
وقد عمي عن فتنة ما هو فيه من الاستدراج ومنهم من ينبه فيتنبه
فيراجع الانابة ويفزع الى الاستكانة ومنهم من يهمل فيهمل لنفسه
الى حضور اجله وقد قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا

لنفتنهم

لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى فهذه فتنة الاستدراج فنعوذ بالله
من ذلك والمستدرج مفتون فلا يعلم بفتنته مزين له عمله مستحق ما هو
فيه طالب للزيادة مما هو عليه النعم مقيم فاحذر فتنة الاستدراج واعلم
ان الاستدراج عقوبة للمضيعين شكر النعم **فصل في اليقين وقال**
رحمه الله اعلم ان للموقن علامة واضحة فتعرفها من نفسك
ومن غيرك ان الموقن تعظم عنده ذنوب الخطا والزلل وان كان غير
ماخوذ به لغفلته عنها وركونه اليها بالشهوات وهجوم ابليس على قلبه وطمع نفسه
فيما هو اعظم منها اذا عمل منها بشي ظن انه قد استوجب النار وانه مسلوب بها ما انعم
عليه به فاذا كان العبد كذلك كان موقنا وهو يعلم قلت ما بال اقوام عارفين يذنبون
قال ليعرفهم الله فضله عليهم واحسانه اليهم عند اساتهم الى انفسهم فيجدد عندهم
النعم ويستقبلون الشكر فيصيرون بذلك الى اعلى درجاتهم انتهى **فصل**
في العجب وهذا راجع الى ما تقدم ذكره من الاستدراج اعني
من استدراج الملوك وغيرهم لكن بقي من الكلام على ذلك بقية نحتاج الى ذكرها
في هذا الفصل فقال رحمه الله فالعامة محجوبون او نوا من الاهل والولد والاموال
والارباح والمساكن والعلما محجوبون بعلمهم وما بسط لهم فيه من الذكر والقدر
محجوبون بما نالوا من الثنا والتزين بقرائهم والعباد محجوبون بما نالوا من
القوة على اظهار الزهد والصلاح والصوم فليس من هذه الاصناف صنف الا
وهو يحب التعظيم والمحمدة عند من هو دونه وعند من هو فوقه ومخرج ذلك
كله من التجبر وهذه فنونه فاذا ثبت التجبر في قلب عبد ثبتت فنونه جميعا
فالتجبر اصل منه يتفرع جميع الشر من الغضب والطمع والريا وحب التعظيم
والرياسة والمنزلة والسفه والتزين والطيش والعجلة وسو الخلق
والحرص والشره والمكر والخديعة والجريرة والغش والخلابة والكذب
والغيبة والنميمة والحسد والقساوة والجفا والشح وقلة الحيا مع فنون
جميع الشر نعوذ بالله من الشر كله **فصل في التواضع وقال رحمه**
الله اذا ثبت التواضع في القلب ثبت فيه جميع الخير كله من الرافة
والرفق والرحمة والاستكانة والقنوع والرضا والتوكل وحسن الظن
وشدة الحيا وحسن الخلق ونفي الطمع وجهاد النفس وبذل المعروف

وسلامة الصدر والتشاغل بالنفس والمبادرة فى العمل بالخير والابطاعن الشر
كل امرئ على قدر ما فيه من البر يكون فعله على قدر ذلك ويكون حذره
على قدر ذلك فان كنت تسال عن العجب الذى دخل اصحاب الاعمال من العباد
فساخبرك بفتنتهم وشدة بليتهم فتوقها واحذرها واستعن بالله فانه ليس
شي احب الى ابليس الخبيث من فتنة العابد لان فتن اهل الدنيا مكشوفة
بطلبهم للدنيا فالناس قد عرفوهم بطلبها وفتنتها فمنهم من يحملها وهو يعلم
انه مفتون فيها واما فتنة العابد فهي اعظمها فتنة واعظمها بلية واعظمها صرعة
لانهم قد تركوا عبادة الدنيا وجدوا فى طلب الاخرة وكابدوا المفاوز والقفار
وجاهدوا واصعود العقاب وجاهدوا انفسهم على ترك الدنيا لمعرفتهم بالنفس
وما تدعوا اليه ولمعرفتهم بالدنيا وما تدعوهم اليه واقبلوا على طلب الاخرة
وايثارها بالصدق منهم وحسن الارادة غير ان الله جل ذكره ممتحن هذا الخلق
فى كل احوالهم فى تمسكهم بالدنيا وفى تركهم لها وفى طلبهم للاخرة وايثارهم لها بالجد
والاجتهاد وجعل فى كل نوع من ذلك مونة لا تندفع الا بالصبر ووعد ابليس
وعدا انه منجزه له الى يوم القيمة بان اسكنه هو وذريته صدور بنى
ادم يجرى منهم مجري الدم وذلك لمن اطاع منهم ولمن عصى ولاوليائه واعدائه
وليس للعابد فى عبادته ان ينفى الشيطان عن قراره او يزعجه عن
المسكن الذي اسكنه الله فيه ومكنه منه وهذه من المحن التى امتحن
الله بها خلقه لينظر كيف يعملون غير ان العبد اذا تيقظ بقلبه خنس الخبيث
عنه ولم يكن له شي الا مع غفلته وطبع الله الخلق طرهم على الغفلة والتيقظ
وابد العهد العبد بمجاهدة ابليس فليس احد احوج الى صحة تركيب
العقل فيه من هذا العابد الذي قد قصده قصد خلافه وقوى
على احتمال ترك الاسباب التى يصل بها ابليس الى ابن ادم من فنون
الشهوات فخدعه ذلك اجمع وخلفه خلفه ثم قرب من العقبة التى ان
جاوزها كان متحدرها الى الجنة باذن الله فتجرد له ابليس وعلم انه لم
يبق عليه الا هذه الدرجة التى ان سلم منها نجا ولا يسلم فى مثل زمانك
مع كثرة هذه الفتن والمحن الا من كان على مثل ما اصف لك **فصل**
فى النية والعبادة وقال رحمه الله ينبغى للعبد ان يصحح

بنيته التى هى قوام عمله ويجمع لذلك قلبه وذهنه وعنايته ويعرر عمله
علمه فيما ياتى ويذر فى عبادة ربه ويقصد قصد معرفة ربه ومكايده
عدوه ومجاهدة نفسه واياسه اياها من عملها بطلب الثواب انها ان انقطعت
عن عبادتها لم تبلغ درجة العفو لعظيم ما جنت من الاساة ولو ان تلك
العبادة والاحسان بازاء ذنب واحد من ذنوبها الا استاهلت بذلك الذنب
العقاب الا ان يعفو فكيف بجميع اساتها مع قلة ما تستقبل من صاد
التوبة والمراجعة ثم يحملها على طاعة الله ما استطاعت وان عارضه ابليس
بشي او رفعت نفسه راسها لتذكره شيا من احسانها قمعها بما قد عرفه
الله من قديم اساتها ويذكرها عيوبها فتنقمع عند ذلك ويكون لك زاجرا
لعدوه ان شا الله عند ما اراد من خديعته ليوقعه فى العجب بالباطل
فلو كان عجبه عجب حقيقة من احتمال نفسه طاعة ربها بشاشة منها
وسرور وزهد فيما يكره الله كان اولى الاشيا بالمتقى مع صدقها فى
الطاعة الرجوع الى الشكر لان العمل بطاعة الله نعمة من الله على
العامل فيما يسر له من العمل ومن غفل عن الشكر فى العمل وذكر
نفسه احسانه كان جاهلا بربه جاهلا بالعمل جاهلا بالنعم من مناهج
الشيطان يعوف الله صاغرا ناكصا على عقبيه فالزم نفسك الذم وارجع
الى ما عرفتك به من نفسك ومن معرفة عدوك وارغب اليه فى العصمة
ومن شر نفسك وشر عدوك واساله الكفاية فانه لم يلجا اليه احد فى شي
من ذلك الا وجده قريبا مجيبا فاذا صار العبد الى هذه الدرجة اعطي
هذه المعرفة ولا يكون له همه ولا بغيه ولا مسالة الا النقلة من ضيق
الدنيا وغمها مخافة ان يعارضه فتنة من فتنها تحول بينه وبين معرفته
ويترجى ان يصير الى الاخرة وروحها ليامن مما فيها على نفسه من
دعوات ابليس وجنوده وانا اوصيك ان تطيل النظر فى مراة الفكرة
مع كثرة الخلوات حتى يريك شين المعصية وقبحها فيدعوك ذلك
النظر الى تركها **فصل فى العلم وقال رحمه الله اعلم ان**
لدواعى الخير علامات يستجلب بها دواعيه الحزن والتفكر
فهو يزيد ذلك مسرور لانه جعل ذلك فى الدنيا بغيته وامله واذا

ادرك امله ووجد بغيته طاب عيشه كما ان طالبي الدنيا اذا ادركوا امالهم
من نعيمها وزهرتها احاط بهم السرور فكذلك طالب الاخرة وهو بعد ذلك
من نفسه وعدوه وزوجته وولده واهل زمانه خايف وجل لا يامن الشيطان
الا مع استنادكاره نفول الله عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه فجنيد
بقوى قلبه واستصغر كيد من كايده وهو مع ذلك معتصم بربه واتق
به ممن طلب الاخرة ولا يغفلن وليبني على طلب السلامة من الخطا وعلي
اساس الصدق فيما بينه وبين ربه ولا يخاف على قليك عمله اذا اخلصه
لله من الافات كلها ان ينميه الله ويكثره ولاسيما اذا كنت في زمان
قد كثرت فيه الشبهه والاختلاف فان عملك قليل عملك من بين
ظهراني اهل الشبه والاختلاف حتى تكون عاملا على حكم الكتاب
والسنه فان ذلك عند الله كثير لكن في زمانك اشد تيقظا للتخلص الي
معرفة ما كان عليه السلف الماضون من اتباع حكم الكتاب والسنة
واعلم ان المعرفة اذا استحكمت فيك لم تدع علو التقصير في العمل
بل تنقلك من درجة الى درجة حتى تبلغك غايات ما علمت من الخير
او يأتيك الموت وانت طالب لغاياتها وكما ان الارض لا تنبت بغير
ما فكذلك العمل لا يصلح بغير معرفة فكلما ازداد العبد بالله معرفة
ازداد يقينا وكلما ازداد يقينا ازداد لله خوفا وكلما ازداد لله خوفا
ازداد لربه طاعة وكلما ازداد لربه طاعة ازداد له حبا وكلما ازداد
له حبا ازداد اليه شوقا وكلما ازداد اليه شوقا ازداد للموت
حبا فاذا كان كذلك كان معموما في حاله مسرورا في اخري وذلك
ان المغموم على الحقيقه لا يتاسى باهل السرور في الدنيا ولا يجري معهم
فيما هم فيه وذلك ان للمغموم جمع هومه كلها نصبها بين عينيه ثم جعلها
هما واحدا اقصر به اجله وهجم به معاينه اهوال اخرته والمغموم
بالحقيقه منه الغم عن التسويف فيعمل في النقله من دار الغموم
الى دار السرور وساصف لك حال المغمومين ان شا الله اعلم ان لله عبادا
تدبروا فعرفوا فلما عرفوا ايقنوا فلما ايقنوا خافوا فلما خافوا تعلموا فلما
علموا اضنوا فلما اضنوا عملوا فلما عملوا اشفقوا فلما اشفقوا اجتهدوا

فلما اجتهدوا

فلما اجتهدوا ارغبوا فلما رغبوا اصبروا فلما صبروا ابصروا مساوي انفسهم فلما
ابصروا مساوي انفسهم قصدوا اقصد مجاهدتها بالقلوب فارتفعوا عن
اعمال الجوارح الى تصحيح القلوب فنقلوا طباعهم من الريب والدناة وجانبوا في
احوالهم كلها ومعاملاتهم احوال اهل المكر والخديعة والحب والزموا انفسهم
صحه الطريق في افعالهم كلها ومنطقهم واستخلصوا باطن الاعمال التي لا تظهر
للمخلوقين واراحوا ابدانهم من ظاهر الاعمال الا ما الزمهم من ادا الفرايض
المحتومة فصارت اعمالهم سرا بين قلوبهم التي هي اربح وزنا واخمل ذكرا عند
الناس وعلقوا قلوبهم بحب لقا الله فصغرت الدنيا في اعينهم فاذا اقبلت
عليهم خافوا وحربوا ان تكون من الاستدراج والمكر وان ادبرت عنهم سروا وفرحوا
ودافعوا الايام مدافعه جميله مستترين عن الاهل والولد والاخوان والجيران
فهمتهم في باطن امورهم كالديباج حسنا وفي الظاهر مسا دبل مبد لين
لمن ارادهم مغمومين يخاشرون الناس بوجوههم وقلوبهم باكيه وصفاتهم
اكثر من ان يحيط الواصف بها في الكتب والكلام يكثر في ذلك فهذه صفات
المغمومين على الحقيقه المسرورين بالله جل ذكره الفرحين به المنقطعين
اليه والحمد لله رب العالمين **فصل في عيوب النفس وقال رحمه
الله اخواني انه لم يعرف** نفسه وعيوبها فهو من استقامة دينه على
اعوجاج واعلم ان من حسن سيرة العارف بعيوب نفسه ان يبني
دينه على غير قبح ولا فساد واصل العلم القريب بذلك يفطن العقول
الرضيه وبنور الحكمه النافيه وبمخالفه الاهوا وبفوايد المعرفه الشافية
وباصابة الحق والقول والعمل ولا يبلغ هذه المراتب العاليه الا من تقلد
حب الاخرة متوقنا بها بل اعيا فيها وموثرا لها على ما سواها وخلع عن قلبه
حب الدنيا وزهد فيها بالحقيقه واستشعر التواضع وهجر الهوي فينبغي
للعاقل الحازم اللبيب العالم العامل العارف البصير ان يجرد ذلك
كله ويتخذ الصبر مطيه ولا ينبغي تعجيل الثواب وبتحرك لعزيمة الصبر وبالله
التوفيق **فصل في الاشيا التي يستعين بها على عيوب
نفسه** وقال رحمه الله اعلم اني وجدت الذي يعين على معرفة
عيوب النفس والعمل في مجاهدتها مخالفة الهوي ولا حول ولا قوة الا

بالله العلي العظيم يا اخي انه لم يعدمك من عدوك خاطر السر في القلب
للمعصية فادفعه عند تحاكم العلم من القلب الطاعة وانه لن يعدمك من
نفسك سرعة القبول لموافقة الهوى فارده عنك بقلة المساعدة
بخلاف الهوى وانه لن يعدمك من عدوك التثبط عن العمل فادفعه عنك
باغتنام الصحة واعلم يا اخي ان القلب اذا تراكبت عليه اقذار الذنوب
واطفاش الشهوات عمي والبنود ونكس وطفى نوره فلم يبصر عيوب
نفسه وابصر بعينه عيوب غيره فيشتغل به عن عيوب نفسه فليس
شي اولى بالمدعين للارادة من ان يتوسلوا الى الله عز وجل بطلبهم منه
صلاح عيوبهم ليسلموا من شرور انفسهم وغلبة اهواهم واعلم ان القلب
اذا لم يثبت فيه الحزن خرب كما ان البيت اذا لم يسكن خرب

فصل في الحزن والخوف وقال رحمه الله اعلم ان العلم

والعمل بالعلم لا ينفع العبد الا باستقامة قلبه والا عاد العلم عليه
فصار جهلا وعاد العمل فصار ضررا مع ان فساد قلوبنا هو الذي
فرق بيننا وبين سلوك طريق الاستقامة والاتباع للقوم الذين
يصلحون عند فساد الناس هم الذين لم يتركوا من الفرايض
شيا الا ادوه لم يتركوا الصلاة والزكاة والحج والصيام والغسل من الجنابة
والطهور للصلاة عليهم واجب ذلك كله وهو شي معروف لم يزد
فيه ولم ينقص منه فما بال الفساد واقع علينا ونحن لا ننكر هذه
الفرايض كما لم ينكروها وانا لنعمل في الظاهر باكثرها غير ان القلوب
منا مايلة الى حب ما زهد القوم فيه والانفس منا قابلة لحب هواها
مستثقلة لما في الحق من الصبر والمكروه وسا عطيك دوا الفساد
قلبك ينفعك الله به ان كانت لك حياة ان شا الله تعالى اعلم يا اخي ان
القوم قد صبروا على مكروه ما دلهم عليه الحق فصبروا في الغضب والرضى
والشدة والرخا والعسر واليسر والعافية والبلا فكانت اهواهم
تابعة للحق على ما احبت الانفس وكرهت فكان الحق لهم والهوى
للعقل تابعا فاستقامت منهم السيرة بلزومهم محجة الحق في موطن
غضبهم ورضاهم وطمعهم وتقواهم وكانوا اذا امتحنوا في هذه المواطن

ظهر

ظهر منهم في الغضب قول الحق في مواطن غضبهم هم له في ذلك الوقت الزم
واشد تمسكا منهم في مواطن الرضى فان عارضهم طمع دنيا ظهر منهم التنزه والتقا
والتاني والورع وتعد منهم الحرص والرغبة خلقا كان منهم ما لطباع لم يتصنعوا
فيه فطبايعنا اليوم بخلاف ذلك كله وكانوا اخوف لله وله احذر مخافة
ان لا يقبل لهم عملا ولا تفرحن بكثرة العمل مع قلة الحزن واغتنم قليل العمل
مع الحزن فان قليل حزن الاخرة الدايم في القلب ينفي كل سرور الفه
من سرور الدنيا وقليل سرور الدنيا في القلب ينفي عنه جميع حزن
الاخرة والحزن لا يصل الى القلب الا مع تيقظه وتيقظه حياته وسرور
الدنيا الغير الاخرة لا يصل الى القلب الا مع غفلته وغفلة القلب موته
والحزن يستيقظه التيقظ من خالص عين اليقين وبخطرات
غامض الفهم تكون خطرات اليقين وعلامة ثبات اليقين في القلب
استدامة الحزن فيه

فصل في الزهد والخلوة وقال رحمه الله اعلم اني لم اجد

شيا ابلغ في الزهد في الدنيا من ثبات حزن
الاخرة في القلب وعلامة ثبات حزن الاخرة في القلب انس العبد
بالوحدة وموضع هياج الحزن التيقظ والسرور ومعدنه ومفتاحه
العقل ومحال ان يكون محزونا مسرورا في حال واحد وجميع الطاعات
توخذ بالتكلف والحزن لا يوخذ بالتكلف الا ان يصل الى القلب الذي
يكون منه الحزن وذلك ان اهل الطاعة قدموا بين يدي الاعمال
لطيف معرفة الاسباب التي بها يستندبون صالح الاعمال ويسهل
عليهم ماخذها توطينا منهم لانفسهم استصحاب بينهم الى انقضا اجالهم
فصروا اعمالهم في الدنيا يوما واحدا او ليلة واحدة كلما مضت ليلة استانفوا
الثانية وطلبوا من انفسهم حسن الصحبة ليومهم وليلتهم وكلما مضى عنهم
يوم بحسن الصحبة منهم او ليلة راقبوا انفسهم على جميع الطاعة وكان
ذلك عندهم غنما وذكروا اليوم الماضي فسروا به فصبروا انفسهم
على اليوم المستقبل لا انقضا الاجل فيه او في ليلته وطرحوا شغل
القلب بذكر غد واعملوا ابدانهم وجوارحهم فيه وتفرغوا له فقصرت
عنهم الامال وقربت عندهم الاجال وتباعدت عنهم اسباب وساوس

الدنيا وعظم شغل الاخرة فى قلوبهم فنظروا اليها بعين صاحيه النظر نافذه
البصر وتقربوا الى الله بالاعمال الزاكيه فاستقامت لهم السيرة حتى وجدوا
حلاوة الطاعة وطواعتهم الزيادة فى التقوى فقرحت بالخوف اعينهم وشعوا
بالحزن فى عباداتهم حتى نحلت اجسامهم وبليت اجسادهم وقل مع المخلوقين
كلامهم وتلذذوا بمناجاة خالقهم فقلوبهم بملكوت السموات متعلقه وفكرهم
باهوال القيمه مقبله ومدبره وابدانهم بين المخلوقين عاديه فعموا عن
الدنيا وصموا عنها وعما فيها ووضح لهم امر الاخرة حتى كانهم اليها ينظرون
والحمد لله رب العالمين ثم نظرت فى ذلك فلم ار شيا اقرب اليه ولا اجمع
لذلك كله من حميه النفس عن الفها وقطع محاورة المخلوقين بمنع القلوب
عن الاخبار التى بها تهيج القلوب من الاشغال القواطع عن التفرغ
للحزن والبحث عن امر الاخرة والترك للدنيا وما فيها فورثه ذلك
حب الخلوات فاحبها ولزمها وانس بها واستوحش من المخلوقين
وذلك حين جرت عذوبه الخلوة فى اعضايه كما يجرى الما فى اصل
الشجرة فاورقت اغصانها واثمرت عيدانها ولزم خوف ما يجى به القيامه
سويدا قلبه فهاج له من الخلوة فنون من اصول الزهد فى الدنيا
حتى انه لو اجتهد فى فن منها على ان يستحكم له لعظمت عليه المونه
واشتد عليه فيه الصلاح فاذا بلغ الله بالعبد هذه الدرجة
حببت اليه الخلوة فاول ما يستفيد من حب الخلوة الاخلاص فى
العمل والصدق فى القول فيما بينه وبين الله وفى حب الخلوة راحة
القلب من عموم الدنيا وترك معاملة المخلوقين فى الاخذ والعطا ومخرج
ذلك كله من صحة العقل فاسقط عن نفسه بالخلوات وجوب
الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومداهنة المخلوقين وحبب
اليه بالخلوة خمول النفس واخمال الذكر فى الناس وهو طريق الصدق
ومنه يكون الاخلاص وحبب اليه الخلوة الزهد فى معرفه الناس
والانس بالله ويوهب له استثقال المخلوقين حتى يفر منهم فراره
من الاسد وهو غير مفارق لجماعتهم ويعطي من حب الخلوة
طول الصمت من غير تكلف وغلبة هواه بالصبر ومن الصمت والصبر

غلبه

غلبه الهوى ويعطى من حب الخلوة الاشتغال بامر نفسه وقلة اشتغاله
بذكر غيره وطلب السلامة مما فيه الناس ويعطى بالخلوة كثرة الهموم والاحزان
والفكر وهذه الخصال من افضل العبادة ومخرجها من خالص الذكر
ويعطى بالخلوة الاعمال التى تغيب عن اعين العباد وتظهر لرب العباد
والبلاد وقليل ذلك كثير ومخرج ذلك من الصدق ويعطى بالخلوة التيقظ من
غفلة اهل الدنيا وما يذكر منها الخاص والعام ويعطى بالخلوة ترك الريا والتزين
وكل ذلك من دواعى الاخلاص وهو محض الصدق ويعطى بالخلوة
ترك المرا وترك الخصومات والجدال وذلك ينفى حب الرياسة من القلب
ويعطى بالخلوة قلة الخلف فى المواعيد والتوقى من الكذب والايمان
والحنث فيها ومخرج ذلك من الصدق ويعطى من الخلوة قلة الغضب
والقوة على كظم الغيظ وترك الحقد والشحنا ومعاملة الخلق بسلامة
الصدر ويعطى بالخلوة رقة القلب والرحمة وهما ينفيان الغلظة والقساوة
وهما من دواعى الخوف وبالخوف الثابت فى القلب يخشع العبد ويبكي
من خشية الله فى الليل والنهار وهى غايات العبادة ويعطى بالخلوة
تذكر نعم الله عليه واحسانه اليه وطلب الشكر والزيادة من الطاعة
ويعطى بالخلوة وجود حلاوة العمل والنشاط فى الدعا ويحرك ذلك
من القلب مع تضرع واستكانة ويعطى بالخلوة القنوع والتوكل
والرضا بالكفاف للعفاف والاستغنا عن المخلوقين ويعطى بالخلوة
عزوف النفس عن الدنيا وشهواتها وفتنتها والشوق الى لقا الله ومخرج
ذلك من حسن الظن بالله وخوف التقصير فى العمل ويعطى بالخلوة حياة
القلب وضيا نوره ونفاذ بصره فى عيوب الدنيا ومعرفتها بالنقص والزيادة
فى دينه ويعطى بالخلوة الانصاف للناس من نفسه ويعطى بالخلوة خوف
ورود الفتن التى فيها ذهاب الدين والاشتياق الى الموت والانس بكلام
رب العالمين وهو القران لما تجد من حلاوة المناجاة والقران هو
الذى جعله الله نورا وشفا للمومنين فاذا التبس عليك طريق واشتبهت
عليك الامور فاوقف نفسك على دلالة من الترغيب والترهيب والتشويق
الى ما ندب الله اليه المومنين فانك ترجع بصيرا من حيرتك وعالما

من جهالتك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وانظر الى كل موطن تضطرك الى الصبر
فاهرب منه فانك تعجز عن القيام به واعلم انه لا ينبت لك قدم على محجة دينك
خوفان خوف الفقر مع الغنا والثروة فان ذلك مفتاح فقر الابد وخوفك للسقوط
من اعين الناس يسقطك من عين الله ويبسيك حظك منها فاذا رادك عند واطلب
التخلص واعدد لذلك خوفين خوفا ان مثلك لا يستاهل ان يبلغ ما يومك من
الاخرة فان تفضل عليك ببلوغ املك فانعمه الشكر ولتحضره خوفا شديدا
انك لا تقوم بالشكر لما انعم به عليك كما ينبغي فان لم تفعل ذلك خفت عليك
ان تسلب النعمة فترجع الى اسوا حالك فاذا الزم العبد نفسه هذين الخوفين
وتمسك بهما رجوت ان يومنه الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
وقد روى عن بعض العلما بالله انه قال لست امن على نفسي الفتنه
وان بحال بني دين الاسلام بها ولا يخافون هذا وهم الصفوه الذين اختار
الله لنبيه صلى الله عليه وسلم خافوا مع سابقتهم وطاعتهم وجهادهم
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهجم عليهم اقل مما انت فيه من
الفتنه فيحول ذلك بينهم وبين ما كانوا يعرفون من حلاوة الايمان
فكيف بك يا مسكين ولا سابقة لك الا في الشر ولا حلاوة عرفتها قديما
من الاسلام الا حلاوة المعاصي وانت بادرك في دولة الفتنة وزمان
الشر تحب المقاطعا في الزيادة وانت مع ذلك لا تقم عليها حجبها تخفى عنك
وانت لا تعلم انك مخدوع واعلم ان المستطيع اذا كان غير عالم بما يلزمه من
الطاعة في عبادة ربه ولا عارف بمكايدة عدوه هان على ابليس صرعته
لانه ليس نوع من العبادة الا ولها ضد من الفتنة فمن لم يعرف الخير
وضده من الشر ولا سيما في العبادة خاصة ثم اجتهد خلاه ابليس واياها
لما يعلم من قلة علمه بعبادته وما يجب عليه فيها ولم يعرض له في نفس
عبادته بشي ويقصد له قصد افتها التي تبطل عبادته من شهوة النفوس
التي تسارع الى قبول ذلك فتزين عنده ان ذلك من خير عندها وانه
سيجزى ويثاب فيصدقها بما تلقى اليه من ذلك فتزهوا النفوس لرضي
صاحبها عنها ويحقق ابليس ظنه به وبالخديعة له فاذا قد صرع وخذل والجا
الى نفسه بميله عن طريق الشكر ويظهر له من فتنة عدوه ما يستصغر

به المخلوقين وتكون نفسه عنده انه لا عدل لها زكا وطيبا وهي اخبث الانفس
وانتهار اسقطها من عين الله فكلما سولت له نفسه من عمل احتمل فيه
الاذى مع مساعدته اياها وشده رضاه عنها من حمل لبس الخشن واكل الخشن
وطول السهر والصبر على ظاهر العبادة ما يفتتن به ويستميل به ابليس قلوب
الجهال ولقد قال بعض الحكما اني لا عد كلامي فيما لا بد لي منه مصيبه واقعة
استعين الله على السلامة منها واني لا عد صمتي عما لا يغنيني غنما واجرا انه
نعمة الحسن الشكر اذا علمت ان من وراء كل كلمة رقيبا عتيدا او انزل
ما اضطررت اليه من القول مصيبة نازلة وما كفيت من الكلام غنيمة
باردة ويروي عن بعض الحكما انه قال ان من شر مكسبه الدين والدنيا
منقص العبد غيره والوقيعه فيه وهي الغيبة ويقال انها تفطر للصايم
وتنقض الوضو وتحبط الاعمال وتستوجب بها صاحبها المقت من الله
والغيبه والنميمة مخرجهما من طريق البغي والنمام قاتل والمغتاب
اكل ميته والمباهي متكبر هولا الثلاثة امرهم واحد بعضها مفتاح لبعض
وذلك كله مجانب لاحوال المتقين **فصل في معرفة اصل الاشيا
التي تتفرع منها فنون الخير** وقال رحمه الله سال سايل حكيما فقال
اخبرني باصل الاشيا التي منها تتفرع فنون الخير وتجرى به المنافع وتصح
عليه الاعمال ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وتصح فقال له الحكيم
اعلم ان اصل الاشيا التي منها تتفرع فنون الخير وتجرى به المنافع وتصح
عليه الاعمال بعد اليقين بمعرفة النعم والعمل في اداء الشكر وان
يصح عندك ان جميع الخير مواهب من الله وتعلم ان جميع المعاصي كلها
عقوبة من الله وانما هي من طريق الخذلان وذلك من علامة السخط
فاذا اعترفت بذلك كثرت حسناتك وقلت سياتك لانك اذا علمت
ان الاحسان نعم ومواهب من الله ازددت في الشكر واستقللت كثير
شكرك عند اصغر نعمة عندك لان الجبار العظيم من بها عليك وساقها
اليك فقل عندك كثير الشكر وكبر عندك صغير النعم فجرت حينيد
من مبدا ان الزيادة من عمل الخير وعلمت معرفة الرضا وطمعت
في العفو واذا علمت ان الاساة التي اكتسبتها خذلان من الله وانما

هي من طريق السخط فاذا علمت ذلك فزعت الى التضرع فنزلت بساحته
واني الاستكانه فصحبتها والى التواضع فاتخذته حدبا فاذا ان ذلك
كذلك لجات الى التوبه فاستجرت بها ولبست جلباب الحيا ما سلف منك
وشهد الله عليك به وشاهده منك من الاساة مع ما تعرف من كثره
احسانه فلم تتعرض بعد ذلك لشي ما يكره وعمدت الى المعاصي
فعاديتها منك ومن غيرك فانت تكره ان يعصيه احد من خلقه كلهم
بصغيره ولا كبيره فراجعت الاحسان مجتهدا وانت مع ذلك عارف
بالنعمة عليك في التنبيه والمراجعة وان ذلك تفضل منه عليك فالتمست
لطيف الشكر بعد اقلاعك عن الاساة بسده المضادة لها فعظم شكرك
عند التحويل الى الاحسان بعد الاساة فاذا ذلك قد صرت في جميع
احوالك شاكرا ابدا ولم تجز لك معرفة الاحسان شكرت حينيذ
للشاكر المشكور الذي وعد على الشكر الزيادة ووعده لا يخلف
وعرفت الاساة من اين كان مخرجها فراجعت الاحسان بالعتاب
منك لها ولمن زينها لك ودعاك اليها فهذا الاصل الذي يتفرع منه فنون
الخير وبه تغلق ابواب الشر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

فصل في كيفيه تهويت سلوك الطريق والوصول

بعون الله وقال رحمه الله سبيل رجل من اهل العلم فقيل له اوضح لنا
المنزلة التي ينال العباد بها القربه من ربهم ويقوون على معرفته ويبلغون
بها رضوانه والامر الذي يقربهم ويقصر بهم عنه ايضاحا شافيا حتى يكون
ذلك عندنا بينا قال ساوضح لك ذلك ان شا الله تعالى فافهم قولي
بفهم لا يخالطه سهو وتذكر فيه بذكر لا يخالطه غفلة واصبر عليه صبرا
لا يخالطه جزع فانك ان تفعل ذلك يتضح لك منهاج الطريق وتسلم من
تقصير طريق الهلكه والتوفيق بالله اعلم ان الامور مبتداها والذي لا
ينتفع بشي الا به العقل الذي جعله الله جل ذكره زينه لخلقه ونورا لهم
فبالعقل عرف العباد خالقهم وانهم مخلوقون وانه المدبر وهم المدبرون
وهو الباقي وهم الفانون واستدلوا بعقولهم بما راوا من خلقه في ارضه
وسمايه وشمسه وقمره وليله ونهاره وعلموا ان لهم ولهذا الخلق خالقا

وان لذلك

وان لذلك كله مدبر وانه لم يزل ولا يزال وعرفوا به الحسن من القبيح وعلموا
ان الظلمة في الجهل والنور في العلم هذا ما دلهم عليه العقل فقيل له كيف يكتفي
العباد بالعقل دون غيره فقال ان العاقل دله عقله الذي جعله الله قوامه وزينته
ان له ربا وعلم ان ربه لم يخلقه عبثا وانه لم يخلق خلقه لعبا وعلم ان لخالقه
محبة وكراهيه وان له طاعة ومعصية فلم يجد عقله يدله الا على ذلك وعلم
انه لا يوصل اليه الا بالعلم وطلبه وانه لا ينتفع بعقله ان لم يطلب ذلك وبعلمه
فوجب على العاقل طلب العلم والادب وهو الذي لا قوام له الا به فقيل له صف
لنا ما هذا العلم الذي لا ينبغي للعاقل الا طلبه ولا يجوز له التقصير بنفسه عنه
فقال طلب العلم الذي جات به رسله وانبياوه عنه من امره ونهيه ووعده
ووعيده وملايكته وكتبه ورسله وجنته وناره وبعثه وحسابه وحلاله
وحرامه وطاعته ومعصيته ومحبته وكراهيته فقيل له فهل يكتفي العالم
بما علم من ذلك او يحتاج الى غيره فقال لا ينتفع العالم بما علم من ذلك دون
الايمان به وان يقر ذلك في قلبه حتى يعلم ان الله هو الحق وان ما سواه باطل
وان احدا لا يملك له نفعا لم يقدره له ولا ضرا لم يكتبه عليه فقيل له
فهل يجب عليه بعد الايمان غير ذلك ويكتفي به قال نعم ان الله تبارك وتعالى
امر عباده بالطاعة والعبادة والعمل بها ونهاهم عن معصيته وذكوبها فمن
امن ولم يعمل كان متهاونا وتصديق الايمان للعمل به فقيل له فكيف العلم
وكيف العمل قال ان تعمل بمحبه الله عز وجل وان خالف هواك وان
تعمل بطاعة الله وان اسخطك وان تجتنب سخط الله وان سرك وان
تدع كراهيه وان اعجبك وان توثر ما هو له وان ساك وان ترغب فيما
رغبك وتزهد فيما زهدك وان تجعل القران امامك ودليلك فقال له السايل
قد دللتني على العمل فعرفت وعرفت فامنت فلم يكن علي في ذلك
كثير مونه ولا عظيم مشقه بل خفة وراحه مع ما ازددت به هدايه ولطف
معرفه فلما صرت الى العمل به لزمني في ذلك مونه شديدة وثقل كبير
حتى حال بيني وبين كثير من لذيذ عيشي ونعيم دنياي وحملني على
المكروه وصرفني عن كثير من السرور فصف لي امرا اقوى به على العمل
بما امنت به فقد استددت على مونته وثقل على احتماله فقال الامور التي

يقوي بها على العمل والادب للصبر الذي هو تمامه وقوامه فانك ان صبرت
انتفعت بعملك وبلغت منه رضوان الله وقويت فيه على العمل وليس منزلة
من منازل الخير الا وللصبر فيه عمل وبه تمامه فبالصبر قوي العباد على
ادا الفرايض والحلال والحرام وبالصبر قووا على اجتناب المحارم وبالصبر
بلغوا الغاية من كرامة الله وثوابه فاذا صبرت على العمل انتفعت بالعلم
والادب وانك ان لم تصبر لم تعمل وان لم تعمل لم تنتفع بالايمان بما علمت
ومن لم ينتفع بالايمان لم ينفعه العمل ومن لم ينتفع بالعمل لم يغن عنه
العقل فراس امر العباده العقل ودليلهم العلم ونورهم الايمان وسايقهم
العمل ومقويهم الصبر فمن لم يكن له قوة على الصبر ضعف ومن ضعف لم يعمل
ومن لم يعمل لم يتم له امره ونوره وبقي في ظلمة ومن ذهب عنه النور
عمي وحاد عن الطريق ومن لم يبصر فليتبع الدليل وهو القران ومن يتبع
العلم الذي هو النجاه من الهول العظيم وعمل له وصبر عليه صار الى غايه
العلم والصبر فقال قد بصرتني من فضل الصبر قوته وعلمتني ما رغبتني
فيه وقواني على العمل به مع ثقله علي فصف لي امرا ازداد بالصبر بصرا
وفيه رغبه وعليه حرصا فقال مقرك بالمنفعه وطلبك لها وهربك
من المعصيه وبليتها ما هو يرغبك فيها ويبين لك فضلها قال فقد شرحت
لي امر الصبر وفضله فزدني به بصرا فقال له هذا الدليل والامام هو
كتاب الله هو يبين لك فضل الصبر ويرغبك في لزومه فان الله تبارك
وتعالى وصف اعمال العباد وذكر ثوابهم فلم يذكر ثوابا يعدل ثواب
الصبر فانه ذكر انهم يوفون اجرهم بغير حساب فهو الدليل على فضل الصبر
مع ما ذكر من ثوابهم في غير موضع من كتابه فقال له صاحبه قد دلني
العلم وكتاب ربي على ما ذكرت من فضل الصبر وثوابه فزادني
لفضله بصرا وازددت عليه حرصا وفيه رغبه وبه تمسكا وعليه
اعتمادا مع شدة منه علي وثقل وصبري على اختلاف ما اشتهي
وحمل نفسي على ما اكره لطلبي فيه الاجر والفضل وابتغا العلم والادب
فصف لي امرا يخفف علي مونه الصبر ويسهل علي لزومه ويخف علي
احتماله ويذلل لي صعوبته فقال له اراك للخير مريدا وللفضل طالبا

وعليه

وعليه حريصا وتحب ان تكون قد قويت على ما دلك عليه العلم بنفاذ من
البصر وقوة من العلم وذلك من علامات السعادة فان العبد كلما ازداد
علما وفيه تعمقا ازداد للخير طلبا وعليه حرصا فخف عليه الثقيل وقرب
عليه البعيد ولها من الدنيا عما يريد وانما الفضل والتعسير تمثل الدنيا
في قلب العبد وهو مرصد ابليس وسلاحه فاذا انقطع عنه ذلك انار قلبه وخرجت
الظلمة منه فلم يكن للشيطان به قوة ولا له فيه نصيب ووصل من الامر الى
ما يريد قال له فالامر الذي يسهل عليك ثقل احتمال الصبر ويخففه عليك
الرضا عن الله تبارك وتعالى بما صنع بك واختاره لك وساقه اليك
فقال له صاحبه فاوضح لي كيف تهون على هونه الصبر برضاي عن الله
ويخف على احتماله فقال له الست تعلم انك انما انتسبت الى الرضا وسميته
صبرا لان الامر الذي نزل بك مكروه عليك وان هواك ونفسك تنازعا
بك الى غيره فاحتجت الى الصبر فتدبرت وصبرت فاعتبرت من ذلك
الى موضع رضاه ثم تجاوز بك الامر حتى تصير الى موضع الشكر وحتى ترى
ان لو صرف ذلك الامر عنك لصرت منه الى تفويت نفسك وعلمت
ان ما صرف عنك عقوبة لبعض ما احدثت من ذنوبك او قصرت فيه
من شكر ما انعم الله به عليك فصرت منه الى درجة رفيعه ومنازل
اهل الرضا وانما يوصل الى ذلك بالمعرفه بالله وبمعرفته بنظره اليه فيعلم
انه انظر له من نفسه فيرضى بما رضي به له ويرغب فيما رغبه ويزهد
فيما زهده والزهد من الرضا قال قد علمت فضل الرضا ووضح لي امره
فصف لي كيف يهون على امر الصبر بالزهد وكيف ما اخذه فقد اراني
مع ما اصير اليه من الزهد مقيما على الصبر وازداد ايضا مع زهدي
في الدنيا امورا احتاج فيها الى الصبر مخالفة لهواي ورفضي شهوات
وما نازعتني نفسي من لذاتي فقد اراني اذ ازددت ثقلا وضجرا قال
اراك لا تقبل من الامور الا اصحها ولا ترضى لنفسك الا باوضحها ولا
تختار منها الا ارشدها وذلك من الامور التي ارجو لك بها القوه والنجاح
لحاجتك والظفر بطلبتك وبلوغك اقصى الغايه من ارادتك فافهم
قولي وتدبر نصحي فان الحجة لي ذلك واضحه والامر فيه بين قال

الست تعلم ان الدنيا كانت باقيه في قلبك وان حبها غالب عليك وان سرورها
فرح لك وان مكروهها شديد عليك فحملت نفسك على قطع ذلك مع حبك لها
وايثارك لها وتركها منك لطلب الفضل من احتمال الصبر وحملت نفسك على
المكروه من امر دنياك فصبرت عليها لشدة منه عليك لان مكروهها
عندك مكروه ولان سرورها عندك سرور فثقل عليك الصوم
لقطعك الشهوه عن نفسك من الاكل والشرب وثقلت عليك الصلاه والاشتغال
بها لما تسره اليك نفسك من الهوى والحديث في الباطل وثقلت عليك
الزكاة والصدقه لما تحب ان تصرفه فيه من لذاتها وثقل عليك التواضع
من تصغير شانك ودناة منزلتك عند اهل الدنيا وثقل عليك الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر لئلا يعاديك الناس او ينقطع رجاوك
منهم او يسمعوك ما تكره فيدخل عليك التنغيص في سرورك وثقل
عليك القنوع والرضا لعظيم موقع الدنيا من قلبك وحبك الاكثار منها وحرصك
عليها وكذا هيبتك للموت ولعظم ما بعده مع اشيا كثيره يطول وصفها وكل
ذلك انما صار شدته عليك بحب الدنيا وانما ثقل عليك الصبر وملكته وضيق
الشيطان عليك المذاهب من اجل ذلك لان سلاحه الذي به يقوى
وكيده الذي يصل به الى اهل الدنيا الرغبة فيها وطلبها فاذا انت زهدت
في الدنيا ورفضتها ورغبت في الاخرة وطلبتها عليك الامر
وادبرت عنك الدنيا وثقلها وولت عنك هاربة ببلايها واثقالها
بمنافعها وصرفت عنك سرورها بزعم منك وانقطع رجا الشيطان
وصغر كيده وولى وقل سلاحه ولا قوة له بك ونجوت بعصمه الله
وتوفيقه من الضيق والعسير والهلكه وصرت الى النعمة والسرور
والراحة وخرج حب الدنيا من قلبك فلزمت الصيام وخف عليك لانه لم
تكن نفسك الى الاكل والشرب من الشهوات ولزمت الصلاه واشتغلت
بها لان نفسك لم تكن تنازعك الى اللهو وخلوه الى حديث في باطل
وخفت عليك الزكاة والصدقه لانك اعتددت ما قدمته امامك ولا
تريد منه شيا يبقى خلفك وخف عليك التواضع لان الياس قد خرج
من قلبك وهان عليك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان الناس

قد استووا عندك فلم ترج احدا غير ربك ولم تخف شيا غيره وخف عليك القنوع
لانك رضيت من الدنيا باليسير ولم تنازعك نفسك الى غير البلاغ والكفايه
وخف عليك الجهاد لان الدنيا قد اخرجتها من قلبك وحب البقا فيها واحببت
الموت لما ترجوا من النعيم والسرور والحياه الدايمه التي هي امامك فالزهد
في الدنيا راحة للقلب والبدن وهو جماع الخير وتمامه وليس شي من اعمال
البر الا وله ضد من غيره فما قصرت عنه فارفضه وازهد فيه يسلم
لك عملك ويخف عليك ثقله فقال له صاحبه اوضحت فبينت وارشدت
وهديت وكشفت فاريت فصف لي كيف الزهد وما حده والذي ينبغي
لي العمل به فقد استبان لي فضله ووضح لي رشده فقال له صاحبه
ان الزهد في الدنيا واجب عليك وهو الورع لا يجوز لك التقصير فيه
ولا الرغبه عنه وهو اجتناب ما حرم الله عليك ونهاك عنه فهذا الامر
لازم لك لا عذر لك في التقصير عن الزهد طلبا للفضل والقربه الى
ربك ونعما لحل امر قصرت عنه المسارعة في طاعته والمسابقه
الى رضوانه فهذا ما ينبغي لك العمل به وادارة نفسك عليه فقال
اما حرم الله علي ونهاني عنه فقد دلني عليه العمل لانه صار ولا
ينبغي لي المقام عليه ولا العمل به فزهدت فيه ورفضته فصف
لي الزهد الذي ارجوا ان انال به كرامة سيدي وان ابلغ من ذلك
محبته وان ادفع به عني كيد الشيطان ومكره فقال له ذلك الزهد
في فضولها والرضا من الدنيا بيسيرها والاخذ منها بقدر البلاغ الى
غيرها ورفض ما سوى ذلك من فضولها وامورها باخراج الياس
من قلبك فلا تخف احدا في الله ولا ترد حمد احد من الناس
وتستوي الناس عندك فلا ترج احدا غير الله ولا تطلب فضله وتنصح
في الله في السر والعلانيه ولا تخف لوم احد من الناس ولا عدله وتحب
في الله وتبغض في الله ولا تشغل قلبك بشي غيره وتلزم التواضع والتذلل
لربك وتحمد ذكرك وتعيب اسمك ولا تريد بذلك تعظيم احد من الناس
غير الله تبارك وتعالى وتحب الموت ويكون ممثلا بين عينك لرجا ما
بعده وتزهد في الحياة مخافه الفتنه والبليه فهذا اصل الزهد فاذا

انت وصلت الى ذلك نلت شرف الاخرة ونجوت بعون الله من بليه عاجلتك
فقال له صاحبه لقد ذكرت لي من امر الزهد شيا ضاق به ذرعي واشتد
له غمي واعتصر له قلبي واستصعب على امري وتفرق له راي واشتدت
على المونه فيه وقد كان الصبر والاحتمال له ايسر علي مونة منه واخف
على محملا من الزهد وحسبت ان لا اقوى على احتماله ولا تطيق نفسي العمل
بحمله ولا تعزم على القيام بتمامه وان تمله وترفضه وترجع معه الى غيره مما فيه
هلاكها وعطبها وقد عرفت فضل الزهد وعظيم قدره فصف لي امرا اتقوى
به على الزهد ويخففه علي فقال له صاحبه قد فهمت قولك ولقد صعب
عندك الذلول واستوعر عندك اليسير وثقل عليك الخفيف وعمي عليك
المنهاج وما اوتيت حيث اشتد عليك من امرك ما ذكرت حتى لم تعلم
الامر الذي له في الدنيا زهدت والذي به عليه قويت ولو علمته لهان
عليك من امرك الشديد وخف عليك الثقيل وسهل عليك موارده
وسهل لك فيه المذاهب وخفت عليك فيه المونه فتفهم قولي بعقل
وتدبره بحكم وخذ فيه بقوه وجد واعلم ان العباد زهدوا في الدنيا
ودعاهم الى الزهد فيها ورفضها خصال شتى بعضها ارفع واعلى درجة
من بعض وكلها داعيه الى الزهد فيها فاول درجات الزهد ان الله
تبارك وتعالى خلق العباد في الدنيا وجعل ما فيها زينه لها وزهدهم
فيها وخلق الاخرة ونعيمها وندبهم اليها ورغبهم فيها واعلمهم انهم عن
الدنيا مرتحلون وانهم الى الاخرة صايرون فرغب العباد في الباقي وزهدهم
في الفاني فاثر الاخرة واطلبها وازهد في الدنيا وارفضها كي لا ينتقص من
حظك في الاخرة بما نلت من نعيم دنياك واما المنزله الثانيه من الزهد
في الدنيا فان الله عز وجل خلق العباد في الدنيا فاوجب الموت عليهم
واعلمهم انهم ميتون وضرب لهم فيها اجلا فلم يعلموا في اي الاوقات
والساعات ياتيهم منيتهم فتحول بينهم وبين دنياهم ونعيم عيشهم ومفارقه
احبابهم فلما استقر الموت في قلوبهم اسهر والذلك اعينهم واشغلوا
بهمومهم عن اهاليهم واولادهم ودام حزنهم وبكاهم وزهدوا في الدنيا
واهلها ونعيمها فصار الليل والنهار بمنزله الضيفان وكان المقوى لهم

على الزهد

على الزهد في الدنيا ذكر الموت وقصر الامل فهذه الخصله شريفة من خصال
الزهد في الدنيا واما الخصلة الثالثه في الزهد تصديق العبد بربه فيما اخبرهم
من نعيم الاخرة وما خوفهم من عقاب النار وعذابها وما حذرهم من الدنيا
والاغترار بها فزهد فيها واحب الموت ومفارقتها والتباعد والخروج منها الى
داره وقراره لضرامنه بالدنيا وحالها فهذه الخصله من خصال الزهد اشرف
مما قبلها فقال له صاحبه ما تركت لي الى الدنيا والركون اليها سبيلا ولقد
استبان لي من قولك البر والحق ووضح لي من وصفك الصدق وقويت بحمد
الله وتوفيقه على الزهد فيها ورفضها فصف لي بصفتك الشافيه والدوا
النافع لداء قلبي دواحتى تخبرني ما الامر الذي يدلني على هذه الخصال
ويقويني عليها فقال الامر الذي يدلك على هذه الخصال ويقويك عليها ويبورها
في قلبك هو اليقين الذي لا يخالطه شك والتصديق بربك الذي لا يخالطه
لبس فانه من صدق ربه ايقن ومن ايقن ابصر ومن ابصر زهد والزهد
في الدنيا شعبه من شعب اليقين وافضل اليقين التوكل قال فصف
لي اليقين لاعرفه قال ان تعلم ان الله وحده لا شريك له وانه الحق المبين
وانه كما وصف نفسه في قدرته وسلطانه وخلقه وان وعده حق وقوله
صدق ووعيده وكتابه ورسله حق تقر بذلك في قلبك وتتبع كتاب
ربك بهذا اليقين الذي لا يشك فيه قال صف لي التوكل لاعرفه فقال
التوكل هو العمل بطاعته وتصديق اليقين دلالته فمن ايقن وعلم ان الله
خالق الاشيا والمقتدر عليها والمالك لها والمتفرد بها توكل عليه في جميع
اموره وقطع رجاه عمن سواه من خلقه ولم يثق باحد ولا يتانس الا به فانقطع
الى الله وتوكل عليه في جميع حالاتك فهذه صفه العمل والتوكل وما خذه
فقال ما الذي يدلني على الفكرة ويقويني عليها وليس كلما اردت
الفكره وصلت اليها ولا قدرت عليها قال اجل لا تصل الى ما تريد من
الفكرة مع الاشتغال بغيرها فسبيل الوصول الى الفكرة الصيام وترك
الاكثار من الطعام والشراب واعتزال الشهوات ولزوم الصمت الا من
ذكر الله والخير والخلوة في الاعتزال ورفض الاشتغال بالفضول والله
المستعان ولا حول ولا قوه الا بالله العلي العظيم

فصل في السماع

وكيفيته وما يمنع منه وما يجوز فانظر رحمنا الله واياك الى ما
قرره هذا السيد رحمه الله في كيفية السلوك والاخذ اولا بالصيام وترك الاكثار
من الطعام والشراب واعتزال الشهوات ولزوم الصمت الا من ذكر الله والخير
والخلوة في الاعتزال ورفض الاشتغال في الفضول فلم يكتف رحمه الله
بالخلوة ليس الا حتى ذكر الاعتزال في الخلوة فلو كانت خلوة دون اعتزال
فقل ان يفتح له ولاجل ذلك احترز بقوله في الاعتزال فان هذا الحال
من حالنا اليوم اذ ان الغالب على من ينتسب الى الحرفة في هذا الزمان
انما شانه كثرة الاجتماع وحضور السماع والرقص فيه حتى كان ذلك شروط
في السلوك نسال الله السلامة بمنه فمن اراد الخير فليعتزل عمن هذه
صفته والا فالفتح عليه بعيد اعني الفتح الحقيقي الذي يقرب به من ربه عز
وجل دون ادعا والا فبعض هولا يدعون الاحوال ويزعمون انه يفتح عليهم
في ظل رفقتهم وتاخذهم الاحوال اذ ذاك ويخبرون باشيا من امر الغيب ولو
وقع ذلك في بعض الاحيان لكان مصادفة ثم انهم يولون ويعزلون في
تلك الحال ويخبرون بمنازل اصحابهم فيقولون مثلا فلان احد السبعة
فلان احد العشرة وفلان احد السبعين وفلان احد الثلاث ماية الى
غير ذلك ولا شك انها احوال نفسانية او شيطانية لان الفتح من الله تعالى
لا يكون مع ارتكاب المكروهات او المحرمات وهذا السماع على ما يعملونه
محرم قال الامام ابو عبد الله القرطبي رحمه الله في تفسيره لما ان تكلم على
سورة الكهف في قوله تعالى اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض
هولا قاموا فذكروا الله على هدايته وشكروا لما اولاهم من نعمه ثم هاموا
على وجوههم منقطعين الى ربهم وخايفين من قومهم وهذه سنة
الله في الرسل والانبيا والفضلا الاوليا اين هذا من ضرب الارض بالاقدام
والرقص بالاكمام وخاصة في هذا الزمان عند سماع الاصوات الحسان
من المرد والنسوان هيهات بينهما والله مثل ما بين الارض والسما
ثم ان هذا حرام عند جماعة العلما انتهى وقد تقرر فيما مر اول الكتاب
ان الفقيه لا يعرف الا في واجب اومندوب وان المكروه عند هذه الطايفة
كالمحرم لا سبيل الى ذكره فضلا عن فعله وقد اختلف العلما رحمة الله عليهم

في ضرب الطار على حدته هل يجوز ام لا وكذلك اختلفوا في الشبابة على
حدتها وقاعدة اهل الطريق الخروج من الخلاف فكيف يقدمون على
فعل شي قد اتفق الناس على منعه ذلك محال في حقهم ثم مع ارتكاب
بعضهم ما ذكر يدعون الاحوال الرفيعة ويشيرون الى مقامات ومنازلات
تستعظم في الغالب على من هو متصف بالاقتدا والاتباع فكيف تحصل لاهل
التخليط وارتكاب ما لا ينبغي ذلك محال ومن اشد ما فيه من القبح ما احدثوه
من السجود للشيخ حين قيام الفقير للرقص وبعده وقد نقل الشيخ الامام
ابو عبد الله القرطبي رحمه الله في كتابه ما هذا لفظه روى ابن ماجه
في سننه والبستي في صحيحه عن ابي واقد قال لما قدم معاذ ابن جبل من
الشام سجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما هذا فقال يا رسول الله قدمت الشام فرايتهم يسجدون لبطارقتهم
واساقفتهم فرايت انك اولى بذلك قال فلا تفعل فاني لو امرت شيا يسجد
لشي لامرت المراة تسجد لزوجها لا تودي المراة حق ربها حتى تودي
حق زوجها حتى لو سالها نفسها وهي على قتب لم تمنعه لفظ البستي
وفي بعض طرق معاذ ونهى عن السجود للبشر وامرنا بالمصافحة
قلت وهذا السجود المنهي عنه قد اتخذه جهال المتصوفة عادة في سماعهم
وعند دخولهم على مشايخهم واستغفارهم فترى الواحد منهم اذا اخذه
الحال بزعمه يسجد للاقدام لجهله سوا كان للقبلة او غيرها جهالة منه
ضل سعيهم وخاب عملهم **فصل فانظر رحمنا الله واياك الى
قصة معاذ المتقدمة** وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم انت اولى
بذلك يوخذ منها من الفوايد النفيسة التحرز عن مخالطة اهل الكتاب
والبعد منهم اذ ان النفوس تميل غالبا الى ما كثر تردداه عليها ومن
ها هنا والله اعلم كثر التخليط على بعض الناس في هذا الزمان لمجاورتهم
ومخالطتهم لقبط النصارى مع قلة العلم والتعلم في الغالب فانست
نفوسهم بعوايد من خالطوه فنشا من ذلك الفساد وهو انهم وضعوا
تلك العوايد التي انست بها نفوسهم موضع السنن حتى انك اذا قلت
لبعضهم اليوم السنة كذا يكون جوابه لك على الفور عادة الناس

كذا وطريقة المشايخ كذا فان طلبته بالدليل الشرعي لم يقدر على ذلك الا انه
يقول نشأت على هذا وكان والدي وجدي وشيخي وكل من اعرفه على
هذا المنهاج ولا يمكن في حقهم ان يركبوا الباطل او يخالفوا السنة فيشنع على من
يأمره بالسنة ويقول له انت اعرف بالسنة ممن ادركتهم من هذا الجم
الغفير وقد تقدم انكار بعض العلما على الامام مالك رحمه الله في اخذه بعمل
علما اهل المدينة على ساكنها افضل الصلاة والسلام فكيف يحتج هذا المسكين
بعمل اهل القرن السابع او الثامن مع مخالطتهم لغير جنس المسلمين من
القبط والاعاجم وغيرهما نعوذ بالله من الضلال مع ان السماع المعروف عند
العرب هو رفع الصوت بالشعر ليس الا فاذا فعل احدهم ذلك قالوا عمل السماع
وهو اليوم على ما يعهد ويعلم ولاجل هذا المعنى قال الشيخ الامام رزين
رحمه الله ما اتى على بعض العلما المتاخرين الا لوضعهم الاسما على غير
مسميات وها هو ذا بين الا ترى ان السماع كان عندهم على ما تقدم ذكره
وهو اليوم على ما نعاينه وهما ضدان لا يجتمعان ثم انهم لم يكتفوا بما ارتكبوه
حتى ونعوا الى حق السلف الماضين رضي الله عنهم ونسبوا اليهم اللعب
واللهو في كونهم يعتقدون ان السماع الذي يفعلونه اليوم هو الذي
كان السلف رضوان الله عليهم يفعلونه ومعاذ الله ان يظن هذا بهم
ومن وقع له ذلك فيتعين عليه ان يتوب ويرجع الى الله تعالى والا
فهو هالك الا ترى الى الشيخ الامام السهروردي رحمه الله لما ان تكلم على
السماع قال في اثنا كلامه ولا شك انك اذا خيلت بين عينيك جلوس هولا
للسماع وما يفعلونه فيه فان نفسك تنزه اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن تبعهم عن ذلك المجلس وعن حضوره انتهى ولقد
انصف فيما وصف وهذا هو الحق الذي يجب اعتقاده في حق السلف
الماضين رضي الله عنهم اجمعين وقد قيل عن الجنيد رحمه الله انه قال
ان السماع لا يرجع مباحا الا بعشرة شروط وهو ان يكون في مكان لا يطلع عليهم
غيرهم لانهم لا يطلع عليهم الا ذو محرم اعني ان يكون منهم ذا امكان واخوان
قال الشيخ الامام ابو طالب مكي رحمه الله وان يكون القوال هو الذي يمدحهم قال
الشيخ الامام الجنيد رحمه الله وان يكون بغير اجارة وان لا يكون بين احد

ممن

ممن يحضره شنآن وان لا يحضره احد من ابنا الدنيا وان لا يحضره شاب الى غير
ذلك من الاوصاف الجميلة وحينئذ كان مباحا بهذه الشروط ان اتفق اجتماعها
هو اذا كان السماع المعروف عند العرب وهو انشاد الشعر برفع الصوت
كما تقدم ولاجل هذا المعنى ذكر الشيخ الامام ابو طالب مكي رحمه الله في كتابه
عن بعض السلف رضي الله عنهم انهم كانوا يدخلون الى خلواتهم فمن عجز منهم
عن تمام المدة التي دخل عليها خرج لحضر السماع ثم رجع الى خلوته لتنشيط لان
القوال كان يمدهم في مواطنهم ثم مع ذلك يذكر لهم من ورد الشعر ما يناسب
حالهم وتقوى به قلوبهم على السير الى المقامات العلية والنهوض اليها وترك
التراخي والتسويف التشاغل عنها ومثل ذلك كانوا يفعلون اذا عجز احدهم
عن تمام المدة التي دخل عليها الى الخلوة خرج الى مجلس عالم يحضره ثم
يرجع الى خلوته قويا لان حضور مجالس العلما العاملين بعلمهم تحيي القلوب
الميتة كما يحيي المطر الوابل النبات بل النظر اليهم تنتاب به النفوس الابية
وينشرح صدرها وتجد لها عند ذلك الرؤية انزعاج وقوة باعثة على
ما تؤمله من الخير كيف لا وهم امنا الله في ارضه وخلفاؤه في خلقه وقد
خلقهم الله عز وجل رحمة وكهفا لمن ياوي اليهم ويستظل بظلهم نصبهم
هداة للمتحيرين ونورا للسالكين اللهم لا تحرمنا بركتهم ولا تخالف بنا عن سنتهم
فانت ولي ذلك والقادر عليه فاذا تقرر هذا من حالهم وعلم فلا شك انما
يفعل اليوم من هذا السماع الموجود بين الناس مخالف لجماعتهم
اذ انه احتوى على اشيا محرمات او مكروهات او هما معا وقد تقدمت
الحكاية عن العلما في ذلك اذ انهم جمعوا فيه بين الدف والشبابة والتصفيق
وقد تقرر في الشرع ان التصفيق انما هو للنسا دون الرجال فهو ممنوع
كما منعت الالات المتقدم ذكرها وبعضهم ينسب جواز ذلك للشافعي رحمه
الله وقد ذكر انه سئل الشيخ الامام المزني رحمه الله وكان من كبار اصحاب
الشافعي رحمه الله فقيل له ما تقول في الرقص على الطار والشبابة فقال
هذا لا يجوز في الدين قالوا اما قد جوزه الامام الشافعي رحمه الله فانشد
رحمه الله حاشى الامام الشافعي النبيه ان يرتضي غير معاني نبيه
او يترك السنة في نسكه او يبتدع في الدين ما ليس فيه او يبتدع

فى الدين ماليس فيه طار او شبابه لناسك فى دينه يقتدي به الضرب بالطارات
فى لبله والرقص والتصفيق فعل السفيه هذا ابتداع وضلال الوري
وليس فى التنزيل مايقتضيه، ولاحديث عن نبى الهدي ولاصحابى ولا
تابعيه، بل ناسك يلعب فى دينه قد ضيع العمر بلهو وتيه، وراح فى اللهو
على رسله وليس يخشى الموت اذ يعتريه، ان ولى الله لايرتضي الاما الله
به يرتضيه، وليس يرضى الله لهو الوري بل يمقت الله به فاعليه، بل
بصيام وقيام للدجي واخر الليل لمستغفريه، قد اكلوا الدنيا بدين لهم
ولبسوا الامر على جاهليه، جهل وطيش فعلهم كله وكل من دان به
نزدريه، شبه نسا جمعوا ماتما فهن فى الندب على ميتيه،
والضرب فى الصدر كما قد نري ليس لهم غير النسا من شبيه، انكر
عليهم ان تكن قادرا فهم رجال ابليس لاشك فيه، ولاتخف فى الله من
لايم وفقك الله لما يرتضيه، انتهى وقد تقدم ان من ثبتت عدالته
لاينسب اليه الامايليق بحاله وبطريقه من الخصال الحميده فمن ذكر عنه
غير مايناسبه كذب فيما ادعاه وانكر عليه الاتري ان المزنى رحمه الله لما
ان باشر الشافعى رحمه الله انكر على من نسب اليه جواز السماع بما تقدم
ذكره **فصل واشد من فعلهم السماع كون بعضهم يتعاطونه**
فى المساجد وقد تقدم توقير السلف رضوان الله عليهم للمساجد كيف كان
وانهم كانوا يكرهون رفع الصوت فيه ذكرا كان اوغيره وقد نها النبى صلى
الله عليه وسلم عن رفع الصوت بالقراة فيه ومن ذلك ماورد من
نشد ضالة فى المسجد فقولوا لاردها الله عليك ومن ذلك ماورد من
سال فى المسجد فاحرموه وروي ابوداود والترمذي والنساي عن
عمرو ابن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم نهي عن الشراو البيع فى المسجد وان ينشد فيه ضالة وان
ينشد فيه شعر ونهي عن الحلق قبل الصلاه يوم الجمعة انتهى وبعض
هولا يفعلون السماع على ماهو عليه اليوم فى المساجد ويرقصون
فيها وعلى حصر الوقف التى فيها وكذلك يفعلون فى الربط والمدارس
وقد ذكر ان بعض الناس عمل فتوي وكان ذلك فى سنه احدي

وخمسين

وخمسين وستمايه ومشى بها عن الاربع مذاهب ولفظها ماتقول السادة الفقها
ايمة الدين وعلما المسلمين وفقهم الله لطاعته واعانهم على مرضاته فى جماعة
من المسلمين وردوا الى بلد فقصدوا الى المسجد وشرعوا يصفقون ويغنون
ويرقصون تاره بالكف وتارة بالدفوف والشبابه فهل يجوز ذلك فى المساجد
شرعا افتونا ماجورين رحمكم الله تعالى فقالت الشافعيه السماع لهو مكروه
يشبه الباطل من قال به ترد شهادته والله اعلم وقالت المالكيه يجب
على ولاه الامور زجرهم وردعهم واخراجهم من المساجد حتى يتوبوا
ويرجعوا والله اعلم وقالت الحنابله لايصلى خلفه ولاتقبل شهادته ولا
يقبل حكمه وان كان حاكما وان عقد النكاح فهو على يده فاسد والله اعلم
وقالت الحنفيه الحصر التى يرقص عليها لايصلى عليها حتى تغسل والارض
التى يرقص عليها لايصلى عليها حتى يحفر ترابها ويرمي والله اعلم وقد قال
الشيخ الامام ابوعبد الله القرطبى رحمه الله فى تفسيره حين تكلم على قصة
السامري فى سورة طه سيل الامام ابوبكر الطرطوسي رحمه الله مايقول
سيدنا الفقيه فى مذهب الصوفيه واعلم حرس الله مدته انه اجتمع
جماعة من رجال فيكثرون من ذكر الله تعالى وذكر محمد صلى الله عليه وسلم
ثم انهم يوقعون بالقضيب على شى من الاديم ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد
حتى يقع مغشيا عليه ويحضرون شيا ياكلونه هل الحضور معهم جايز ام
لا افتونا ماجورين يرحمكم الله وهذا القول يذكرونه يا شيخ كف
عن الذنوب قبل التفرق والزلل واعمل لنفسك صالحا مادام ينفعك
العمل، اما الشباب فقد مضي وشيب راسك قد نزل وفى مثل
هذا وجوه الجواب يرحمك الله مذهب الصوفيه بطاله وجهاله وضلاله
وما الاسلام الا كتاب الله وسنه رسوله واما الرقص والتواجد
فاول من احدثه اصحاب السامرى لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار
قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل
واما القضيب فاول من اتخذه الزنادقه ليشغلوا به المسلمين عن كتاب
الله وانما كان مجلس النبى صلى الله عليه وسلم مع اصحابه كانما على رؤسهم
الطير من الوقار فينبغى للسلطان ونوابه ان يمنعهم من الحضور

في المساجد وغيرها ولا يحل لاحد يومن بالله واليوم الاخر ان يحضر معهم
ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب مالك وابي حنيفة والشافعي واحمد
ابن حنبل وغيرهم من ايمة المسلمين وبالله التوفيق انتهى وقال الشيخ الامام
ابو بكر الطرطوسي ايضا رحمه الله في كتابه المسمى بكتاب النهي عن الاغاني
وقد كان الناس فيما مضى يستتر احدهم بالمعصية اذا واقعها ثم يستغفر الله
ويتوب اليه منها ثم كثر الجهل وقل العلم وتناقص الامر حتى صار احدهم
ياتي بالمعصية جهارا ثم ازداد الامر ادبارا حتى بلغنا ان طايفة من اخواننا
المسلمين وفقنا الله واياهم استزلهم الشيطان واستغوى عقولهم في
حب الاغاني واللهو وسماع الطقطقة واعتقدانه من الدين الذي
يقربهم الى الله تعالى وجاهرت به جماعة المسلمين وشاقت به سبيل
المومنين وخالفت العلما والفقها وحملة الدين ومن يشاقق الرسول
من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولى ونصله
جهنم وساءت مصيرا وقد سيل مالك رحمه الله عما يترخص فيه بعض اهل
المدينة من الغنا فقال انما يفعله عندنا الفساق ونهى عن الغنا واستماعه
واما ابو حنيفة رحمه الله فانه يكره الغنا ويجعله من الذنوب وكذلك
مذهب اهل الكوفة سفيان وحماد وابرهيم والشعبي لا اختلاف
بينهم في ذلك ولا نعلم ايضا بين اهل البصرة خلافا في كراهية ذلك
والمنع منه واما الشافعي فقال في كتاب اداب القضا ان الغنا لهو
مكروه يشبه الباطل والمحال واما سماعه من المراة التي ليست بمحرم
له فان اصحاب الشافعي مجمعون على انه لا يجوز بحال سوا كانت مكشوفة
او من ورا الحجاب وسوا كانت حرة او مملوكة قال الشافعي وصاحب
الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وغلظ القول
فيه وقال هو دياثة فمن فعل ذلك كان ديوثا وكان الشافعي
يكره الطقطقة بالقضب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن
القران واما العود والطنبور وساير الملاهي فحرام ومستمعه فاسق
وقال صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية وهذه
الطايفة مخالفة المسلمين لانهم جعلوا الغنا دينا وطاعة ورات اعلانه

في المساجد

في المساجد والجوامع وقد كان اولى الناس بالاحتياط لدينهم هذه الطايفة
فانهم يتلبسون بالدين ويدعون الورع والزهد حتى يوافق باطنهم ظاهرهم
وقد قال الله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل
الله الاية قال الحسن ومجاهد والنخعي هو الغنا وقال ابن مسعود لهو الحديث
الغنا والاستماع اليه وقوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك
قال مجاهد بالغنا والمزامير واجلب عليهم بخيلك ورجلك قال اكثر المفسرين
كل راكب وماش في معصية الله فهو خيل ابليس ورجله وشاركهم في الاموال
والاولاد قال قوم كلما اصيب من حرام وانفق في حرام قال الطرسوسي رحمه
الله ويجوز ان يقال مشاركته لنا في الاموال والاولاد ما يزينه لنا من الايمان
ثم يزين لنا الحنث فيها فنطا الفروج بعد الحنث ونكتسب الاموال بالايمان
الكاذبة وقال تعالى افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم
سامدون قال ابن عباس رضي الله عنه سامدون هو الغنا بلغة حمير
وقال مجاهد هو الغنا يقول اهل اليمن سمد فلان اذا غنى وروى ابو
اسحق ابن شعبان رحمه الله في كتاب الزاهي باسناده الى النبي صلى
الله عليه وسلم قال لا يحل بيع المغنيات ولا شراوهن ولا التجارة فيهن
وزاد الترمذي ولا تعلموهن واكل اثمانهن حرام وفيهن نزلت ومن الناس
من يشتري لهو الحديث زاد غيره والذي بعثني بالحق ما رفع رجل
عقيرته اي صوته بغنا الا بعث الله عز وجل عند ذلك شيطانين يرتدفان
على منكبيه لا يزالان يضربان بارجلهما على صدره واشار النبي صلى الله
عليه وسلم الى صدره حتى يكون هو الذي يسكت وروى جابر ابن عبد
الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ابليس
اول من ناح واول من تغنى وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال يمسخ قوم من امتي اخر الزمان قردة وخنازير قالوا يا رسول
الله مسلمون هم قال نعم يشهدون ان لا اله الا الله واني رسول الله
ويصلون ويصومون قالوا فما بالهم يا رسول الله قال اتخذوا المعازف
والقينات والدفوف وشربوا هذه الاشربة فباتوا على شرابهم واصبحوا
قد مسخوا وروى علي ابن ابي طالب رضي الله عنه قال قال النبي صلى

ماهي

الله عليه وسلم اذا عملت امتي بخمسة عشر خصلة حل بهم البلا قالوا يا رسول
الله قال اذا اتخذوا المغانم دولا والامانه مغنما والزكاه مغرما واطاع
الرجل زوجته وعق امه وجفا اباه وبر صديقه وارتفعت الاصوات في
المساجد واكرم الرجل مخافه شره وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذوا
القينات والمعازف وكان زعيم القوم ارذلهم ولعنت اخر هذه الامه اولها
فارتقبوا ريح حمرا او خسف او قذف او مسخ وروي ابن عباس ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من اشراط الساعة او القيامة اضاعه الصلوات
واتباع الشهوات وتكون امرا خونه ووزرا فسقه فقال سليمان رضي
الله عنه بابي وامي يا رسول الله ان هذا لكاين قال نعم يا سليمان
عندها يكذب الصادق ويصدق الكاذب ويوتمن الخاين ويخون
الموتمن يا سليمان عند ذلك يكون الكذب ظرفا والزكاه مغرما ان
اذل الناس يوميذ المومن يمشي بين اظهرهم بالمخافة يذوب قلبه في جوفه
كما يذوب الملح في الما هما ولا يستطيع ان يغير عندها يا سليمان يكون
المطر قيظا والولد غيظا والفي مغرما والمال دولا يا سليمان عند ذلك تكتفي
الرجال بالرجال والنسا بالنسا وتركب ذوات الفروج السروج فعليهم من امتي
لعنة الله يا سليمان عند ذلك يجفو الرجل والديه ويبر صديقه ويحتقر السنة
قال ويكون ذلك يا رسول الله قال نعم يا سليمان عند ذلك تزخرف المساجد
كما تزخرف الكنايس والبيع وتطول المنابر وتكثر الصفوف والقلوب
متباغضة والالسن مختلفه دين احدهم لعقة على لسانه ان اعطي
شكر وان منع كفر قال ويكون ذلك يا رسول الله قال نعم يا سليمان
عندها يغار على الغلام كما يغار على الجاريه البكر ويخطب كما تخطب
النسا قال ويكون ذلك يا رسول الله قال نعم يا سليمان عند ذلك
تحلى ذكور امتي بالذهب والفضه عند ذلك ياتي من المشرق
والمغرب قوم يكونون امتي فويل لضعيفهم منهم وويل لهم من الله
تعالى يا سليمان عند ذلك تحلى المصاحف بالذهب والفضة ويتخذون
القران مزامير باصواتهم وينبذ كتاب الله وراء ظهورهم يا سليمان عند ذلك
يكثر الربا ويظهر الزنا ويتهاون الناس بالدما ولا يقام يوميذ بنصر الله

ياسليمان

ياسليمان يكثر القينات وتشارك المراة زوجها في التجارة عند ذلك يرفع
الحج فلا حج امرا الناس تنزها فلهوا واوساطهم التجارة وقراوهم الريا والسمعة
وفقراهم للمسالة وروي علي ابن ابي طالب رضي الله عنه قال قال النبي صلى
الله عليه وسلم كسب المغنية والمغني حرام وكسب الزانيه سحت وحق الله
ان لا يدخل الجنة لحما نبت من سحت قال عطا ابن ابي رباح رحمه الله رايت جابر
ابن عبد الله رضي الله عنه وجابر ابن عمير يرتميان فمل احدهما فجلس
وقال الاخر اجلست سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول كل شي ليس من ذكر
الله تعالى فهو لهو وسهو الا اربع خصال مشي الرجل بين الغرضين وتاديبه
فرسه وملاعبته زوجته وتعليمه السباحة قال قتاده رحمه الله لما اهبط
ابليس لعنه الله قال يا رب لعنتني فما عملي قال السحر قال فما قراني قال
الشعر قال فما كتابتي قال الوشم قال فما طعامي قال كل ميته وما لم يذكر
اسم الله عليه قال فما شرابي قال كل مسكر قال فاين مسكني قال الاسواق
قال فما صوتي قال المزامير قال فما مصايدي قال النسا وروي عن علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ضرب
الدف ولعب الطبل وصوت المزمار وروي عمرو ابن شعيب عن ابيه عن
جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كبر مقتا عند الله تعالى الاكل من
غير جوع والنوم من غير سهر والضحك من غير عجب والرنه عند المصيبه والمزمار
وروي ابو هريره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا شرب العبد الما
على شبه المسكر كان ذلك الما عليه حراما ولعن الله بيتا فيه دف
او طنبور او عود واخشى عليهم العقوبه من الله ساعة بعد ساعه وروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لست من دد ولا دد مني قال مالك رحمه
الله الدد اللعب واللهو قال الخليل ابن احمد رحمه الله في كتاب
العين الدد النقر بالانامل في الارض فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم
تبرا ممن ينقر في الارض بانامله فما ظنك بطقطقه القضب قال الحسن
رحمه الله ليس الدف من سنه المسلمين وروي عبيد ابن عمرو قال
وسال انسان القاسم ابن محمد عن الغنا قال انهاك عنه واكرهه لك قال
احرام هو قال انظر يا ابن اخي اذا ميز الله بين الحق والباطل من ايهما

تحصل الغنا وقال الشعبي رحمه الله لعن الله المغني والمغنى له وقال الحكم ابن عيينه رحمه الله حب السماع ينبت النفاق في القلب كما ينبت العشب على الما وقال الفضيل ابن عياض الغنا رقية الزنا وقال الضحاك الغنا مفسدة للقلب مسخطة للرب وكتب عمر ابن عبد العزيز رحمه الله الى مودب ولده ليكن اول ما يعتقدون من ادبك بغض الملاهي التي بدوها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن فانه بلغني عن الثقات من حملة العلم ان صوت المعازف واستماع الاغاني واللهج بها ينبت النفاق في القلب كما ينبت العشب على الما وقال يزيد ابن الوليد يا بني اميه اياكم والغنا فانه يزيد الشهوة ويهدم المروه وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل السكر فان كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النسا فان الغنا داعية للزنا وقال المحاسبي في رسالة الارشاد الغنا حرام كالميتة وقال ابو حصين رحمه الله اختصم الى شريح في رجل كسر طنبورا فلم يقض فيه بشي

فصل واما مزجه الاستنباط فهو جاسوس القلب وسارق المروة والعقول تتغلغل في مكامن القلوب وتطلع على سرائر الافئده وتدب الى بيت التخييل فيثير ما غرز فيها الهوى والشهوة والسخافه والرعونه فبينما ترى الرجل وعليه سمت الوقار وبها العقل وبهجة الايمان ووقار العلم كلامه حكمه وسكوته عبره فاذا سمع الغنا نقص عقله وحياوه وذهبت مروته وبهاوه فيستحسن ما كان قبل السماع يستقبحه ويبدي من اسراره ما كان كتمه وينتقل من بها السكوت الى كثرة الكلام والكذب والزهزهه والفرقعه بالاصابع فيميل براسه ويهز منكبيه ويدق الارض برجليه وهكذا تفعل الخمرة اذا مالت بشاربها وقد روي ان اعرابيه دخلت الحاضرة فسقيت نبيذا فلما خامرها وسخت قالت اويشرب هذا نساوكم قالوا نعم قالت لين صدقتم فما يعرف احدكم من ابوه وقال محمد ابن المنكدر رحمه الله اذا كان يوم القيمه ينادي مناد اين الذين كانوا ينزهون انفسهم عن اللهو ومزامير الشيطان اسكنوهم رياض المسك ثم يقول للملايكة اسمعوهم حمدي وثناي واعلموهم ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال بعض الزهاد الغنا يورث العناد في قوم ويورث التكذيب في قوم

ويورث

ويورث الفساد في قوم واحتج بعضهم على اباحة الغنا بما روي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت دخل على ابو بكر وعندي جاريتان من جواري الانصار تغنيان بما تقاولت به الانصار يوم بعاث فقال ابو بكر رضي الله عنه امزمور الشيطان في بيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعهما يا ابا بكر فان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا فالجواب عنه انه يعرف اولا حقيقه الغنا وذلك ان للفظة الغنا مفهومين لغوي وعرفي فيحمل الخبر على اللغوي فيعني تغنيان ترفعان اصواتهما بانشاد الشعر ونحن لا نذم انشاد الشعر ولا نحرمه وانما يصير الشعر غناء مذموما اذا لحن وصيغ صيغة تورث الطرب وتزعج القلب وهو الشهوة الطبيعيه وليس كل من رفع صوته بالغنا لحن واللذ والطرب والممنوع المكروه انما هو الملذ المطرب فافهمه ولم يعقله من هذا الحديث ان صوتهما كان ملذا مطربا وهذا هو سر المسله فافهمه وقد روى البخاري رحمه الله هذا الحديث عن عايشة رضي الله عنها قالت في اخره وليستا بمغنيتين فنفت الغنا عنهما والدليل على هذا انه ما نقل عنها بعد بلوغها الا ذم الغنا والمعازف على ما بينا وقد كان ابن اخيها القاسم ابن محمد وهو احد فقها المدينه السبعة يذم الغنا وقد اخذ العلم عنها وتادب بها فان قيل اليس قد انشد الشعر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فالجواب انا لا ننكر انشاد الشعر وانما ننكر اذا لحن وصنع صنعة تورث الطرب وتزعج القلب وهذا لا يمكن نقله عن النبي صلى الله عليه وسلم فان قيل اليس قد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا وان من العلم جهلا وان من الشعر حكما وان من القول عيالا فالجواب ان صعصعة ابن صوحان وهو من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسر هذا الحديث فقال قوله ان من البيان سحرا هو الرجل يكون عليه الحق وهو الحن بحجته من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق واما قوله ان من الشعر حكما فهي هذه المواعظ والامثال التي يتعظ بها الناس واما قوله ان من العلم جهلا فيتكلف العالم الى علمه ما لا يعلم فيجهله ذلك واما قوله ان من القول عيالا فعرضك حديثك على من ليس من شانه ولا يريده

فصل وقد قال بعضهم نحن لا نسمع الغنا بالطبع

الذي يشترك فيه الخاص و العام وانما السمع بحق فنسمع بالله
و في الله ولا نتصف بهذه الاحوال التي هي ممزوجة بحظوظ البشرية قلنا ان
زعمت انك فارقت طبع البشرية وصرت مطبوعا على العقل و البصيرة بمنزلة
الملايكة فقد كذبت على طبعك وكذبت على الله في تركيبك و ما وصفك
به من حب الشهوات وقد قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه من فارق
الفقه وادعى العصمة فاجلدوه فانه مفتر كذاب وكان يجب ان لا يكون مجاهدا
لنفسك ولا مخالفا لهواك ولا يكون لك ثواب على ترك اللذات والشهوات
وكان يجب ان تكون انت واصحابك تسبحون الليل والنهار لا تفترون
وتستغفرون لمن في الارض ثم كان يجب ان تسمع الاسماع العود والطنبور
وساير الملاهي بهذا الطبع الذي لا يشارك فيه احد من الناس فصل
اليس قد روي عن جماعة من الصالحين انهم سمعوه قلنا
ما بلغنا ان احدا من السلف الصالح فعله وهذه مصنفات ايمة اهل الدين
واعلام المسلمين مثل مصنف مالك ابن انس وصحيح البخاري ومسلم
وسنن ابي داود وكتاب النساي رضي الله عنهم الى غيرها خالية من
دعواكم وهذه تصانيف فقها المسلمين الذين تدور عليهم الفتيا قديما وحديثا
في شرق البلاد وغربها فقد صنف المسلمون على مذهب مالك تصانيف
لا تحصى وكذلك مصنفات علما المسلمين علي مذهب ابي حنيفه والشافعي
واحمد ابن حنبل وغيرهم من فقها المسلمين كلها مشحونة بالذب عن الغنا
وتفسيق اهله فان كان فعله احد من المتاخرين فقد اخطا ولا يلزم الاقتدا
بقوله وترك الاقتدا بالايمة الراشدين ومن هاهنا زل من لا بصيرة
له فيحتج عليهم بالصحابة والتابعين وعلما المسلمين ويحتجون علينا بالمتاخرين
سيما وكل من يري هذا الراي الفاسد خلو من الفقه عاطل من العلم
لا يعرف ماخذ الاحكام ولا يفصل الحلال من الحرام ولا يدرس العلم
ولا يصحب اهله ولا يقرا مصنفاته ودواوينه وقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وقال النبي صلى الله
عليه وسلم ما استرذل الله عبدا الا حظر الله عليه العلم فمن هجر اهل
الفقه والحكمه وانقضى عمره في مخالطة اهل اللهو والبطالة كيف لو من

على هذه

على هذه المساله وغيرها وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله فيا من رضي
لدينه ودنياه وتوثق لاخرته ومثواه باختيار مالك ابن انس ان كنت على
مذهبه او باختيار ابي حنيفه والشافعي واحمد ابن حنبل ان كنت تري
رايهم كيف هجرت اختيارهم في هذه المساله وجعلت امامك فيها شهواتك
وبلهوك اوطارك ولذاتك وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون فصل
وقد روي عن بعض شيوخ الصوفيه قال رايت في المنام
ان الحق وقفني بين يديه وقال يا احمد حملت وصفي على ليلى وسعدي لولا
اني نظرت اليك في مقام واحد اردت فيه خالصا لعذبتك قال فاقامني من ورا
حجاب الخوف فارعدت وفزعت ما شا ثم اقامني من ورا حجاب الرضى
فقلت يا سيدي لم اجد من يحملني غيرك فطرحت نفسي عليك فقال
صدقت من اين تجد من يحملك غيري وامر بي الى الجنة وقال الجنيد
رايت ابليس في النوم فقلت هل تظفر من اصحابنا بشي او تنال منهم
نصيبا فقال انه ليعز على من شانهم ويعظم على ان اصيب منهم سيا الا في
وقتين وقت السماع وعند الفطر فاني انال منهم فتنه وادخل عليهم
به وسيل ابو علي الروذباذي عن السماع وكان من شيوخ الصوفيه
فقال ليتنا تخلصنا منه راسا براس وقال الجنيد اذا رايت المريد يحب
السماع فاعلم ان فيه بقيه من البطاله وقال ابو الحارث الاولاسي وكان
من الصوفيه رايت ابليس في المنام على بعض سطوح اولاس على يمينه جماعة
وعلى يساره جماعة وعليه ثياب نظاف فقال لطايفة منهم قولوا فقالوا
وغنوا فاستفزعلي طيبه حتى هممت ان اطرح نفسي من السطح ثم قال ارقصوا
فرقصوا باطيب ما يكون ثم قال لي يا ابا الحارث ما اصيب شيا ادخل به عليكم
الا هذا وقال الحريري رايت الجنيد رحمه الله في النوم فقلت كيف حالك
يا ابا القاسم فقال طاحت تلك الاشارات وبادت تلك العبارات وما نفعتنا
الا تسبيحات كنا نقولها بالغدوات واين هذا مما وصف الله
به العلما فقال ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا تتلى عليهم يخرون للاذقان
سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان
يبكون ويزيدهم خشوعا فصل وقد اشتد عظيم من شيوخهم

على اباحة الغنا فقال ان الطفل سيكن الي الصوت الطيب
والجمل يقاسي تعب السير ومشقة الحموله اذا سمع الحدا قال وقد روي
ان بعض ملوك العجم مات وخلف ابنا صغيرا فارادوا ان يبايعوه فقالوا
كيف يصل الى عقله وذكايه فتوافقوا على ان ياتوا بقوال فان احسن
الاصغا علموا ذكاسته فلما اسمعوه القول ضحك الرضيع فقبلوا الارض بين
يديه وبايعوه فالجواب انظروا يا اولي الالباب كيف قادهم ركوب
الهوي وعشق الباطل وقلة الحيله الى هذه السخافه وحسبك من
مذهب امامهم فيه الانعام والصبيان في المهد وهكذا يفضح الله من
من اتبع الباطل وحسبك من عقول لا تقتدي باخبار المسلمين وعلمايهم
وتقتدي بالابل فلين كان كلما طربت له البهايم سندوبا او مباحا فانا نري
البهيمه تندو وتعلو على امها واختها وتركب بنتها فليقتد بالبهيمه في مثل هذا
فصل فان سالوا عن معنى قراة القران بالالحان فالجواب
ان مالكا قال ولا تعجبني القراة بالالحان ولا احبه في رمضان ولا غيره
لانه يشبه الغنا ويضحك بالقران فيقال فلان اقرى من فلان
قال وبلغني ان الجواري يعلمن ذلك كما يعلمن الغنا اتري هذا من
القراة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقراها قال ولا يعجبني النبر والهمز
يقول لا يرجع في القران ويقطع بالالحان لان ذلك لا يتم الا بزيادة همزات
في القران والزيادة في القران لا تجوز وقيل لمالك هل يقرا الرجل في الطرقات
قال الشي اليسير واما الذي يديم ذلك فلا قيل له فالرجل يخرج الى
الى السوق فيقرا في نفسه ما شا قال اكره ان يقرا في السوق وسيل
عن القراة في الحمام قال ليس موضع قراه وان قرا الانسان الايات
فلا باس بذلك قيل له فالرجل يخرج الى قريته فيقرا ما شا قال نعم قال
سحنون ولا باس ان يقرا الراكب والمضطجع وسيل عن الرجل يختم القران
في ليلة فقال ما اجود ذلك لمن اطاقه قال مالك ولم تكن القراه في
المصحف في المسجد من امر الناس القديم واول من احدثه الحجاج قال
واكره ان يقرا في المصحف في المسجد فان سالوا عن معنى قول النبي
صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لشي كاذنه لنبي يتغنى بالقران

يجهر به

يجهر به يعني ما استمع الله لشي كاستماعه لنبي يجهر بالقران لان اصل الغنا رفع
الصوت على ما بينا وهذا فسره في اخر الخبر فقال يجهر به قال مجاهد
في قوله تعالى واذنت لربها وحقت اي سمعت قال ابو عبيد وجماعة من
العلما لا يجوز تلحين القران معنى الحديث التحبير والتحزين قال عبس
الغفاري ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اشراط الساعة فقال بيع الحكم
وقطيعة الرحم والاستخفاف بالذمه وكثرة الشرط وان يتخذ القران
مزامير يقدمون احدهم ليس باقرايهم ولا بافضلهم الا ليغنيهم غنا فان
سالوا عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم زينوا القران باصواتكم فان
معناه التحزين يعني حزن القلب والله اعلم قال شعبه نهاني ايوب
ان احدث بهذا الحديث مخافة ان يتاول على غير وجهه وهذا الجواب
عما رواه عبد الله ابن معقل انه راى النبي صلى الله عليه وسلم يقرا سورة
الفتح فقال لولا ان يجتمع الناس علينا لحكيت تلك القراة وقد رجع وان
سالوا عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقران
قال سفيان ابن عيينه معناه ليس منا من لم يستغن به يعني
القران وهكذا فسره ابو عبيد قال معنى الحديث لا ينبغي لحامل
القران ان يري احدا من اهل الارض اغنى منه ولو ملك الدنيا
برحبها وقال النبي صلى الله عليه وسلم من قرا القران فراي احدا اعطي
افضل مما اعطي فقد عظم صغيرا وصغر عظيما وقال ابن مسعود نعم
كنز الصعلوك آل عمران ان يقوم بها من اخر الليل والدليل على ان
التغني يكون بمعنى الاستغنا دون الصوت قول الاعشى
وكنت امرا زمنا بالعراق عفيف المنام طويل التغني قال ابو عبيد
يريد الاستغنا والعرب تقول تغنيت تغنيا وتغانيت تغانيا بمعنى
استغنيت قال بعض العرب يعاتب اخاه كلانا غني عن
اخيه حياته ونحن اذا متنا اشد تغانيا وقال الحاي مررت
على عجوز من العرب قد اعتقلت شاة في بيتها فقلت لها ما تريدين
بهذه الشاة قالت نتغنى بها يا هذا تريد نستغني بها وقال بعض
الصالحين من تلذذ بالحان القران حرم فهم القران وقال ابو هريرة

انتم اقرا السنه ونحن اقرا قلوبا وقال ابن مسعود نحن قوم ثقلت علينا قراة القران
وخف علينا العمل به وسيجي قوم يخف عليهم قراه القران ويثقل عليهم العمل به وقال
كعب الاحبار ليقران رجال القران هم احسن اصواتا من المعازف ومن حداه الابل
لا ينظر الله اليهم يوم القيمه وقد امعن واجاد الشيخ الامام الحافظ الجليل ابو عبد
الله القرطبي رحمه الله في هذا الموضع وبينه اتم بيان واحسنهُ في كتاب التفسير
له فمن اراده فليقف عليه هناك اذ ان هذا الكتاب يضيق عما اتى به وما ذكرنا ما هو
اشارة لاولي الالباب والله الموفق للصواب **فصل قال الطرطوشي رحمه الله**
ومما اشتهرت به هذه الطايفه اتباع الشهوات والتنافس في القران الاطعمة وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم ما ملا ادمي وعاشر من بطن حسب ابن ادم اكلات
يقمن صلبه فان كان لا محاله فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس قال
ابو جحيفه اكلت ثريده بلحم سمين فتجشيت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال
اكفف عنا جشاك فان اطول الناس جوعا يوم القيمه اكثرهم شبعا في الدنيا
ويروي ان فاطمة جات بكسرة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه
الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى اتيتك بهذه الكسرة فقال
اما انه اول طعام دخل في فم ابيك منذ ثلاثة ايام وقال يحيي ابن معاذ لو
ان الجوع يباع في الاسواق لما كان ينبغي لطلاب الاخرة ان يشتروا غيره
وقال الشافعي رحمه الله ما شبعت منذ خمسة عشر سنه الا شبعه نطرحتها
لان الشبع يثقل البطن ويقسي القلب ويزيل الفطنه ويجلب النوم ويضعف
صاحبه عن العبادة وقال سهل ابن عبد الله التستري رحمه الله لما
خلق الله سبحانه الدنيا جعل في الشبع المعصيه والجهل وجعل في الجوع
العلم والحكمه وقال بشر ابن الحارث رحمه الله الجوع يصفي الفواد ويميت
الهوي ويورث العلم الدقيق وقال يحيى ابن معاذ الرازي رحمه الله
الجوع للمريدين رياضه وللتايبين تجربه وللزهاد سياسه وللعارفين
تكرمه وسيل الجنيد رحمه الله عن صفه الصوفيه فقال طعامهم طعام
المرضى ونومهم نوم الغرقي وقال يحيي ابن معاذ الرازي رحمه الله نعوذ
بالله من زاهد قد افسدت معدته الوان الاغنيا وقال رجل لبعض
المشايخ رحمهم الله اني جايع فقال كذبت قال ومن اين علمت قال لان الجوع

في خزاينه الوثيقه لا يطلع عليها من يفشي سره ولا يعطيه من لا يشكره وروي
ان بعض الفقرا اشتكى الى شيخه الجوع ثم ذهب فراي درهما مطروحا
فجثوا عليه اما كان الله عالما بالجوع حتى قلت اني جايع وقال فتح الموصلي
رحمه الله وصاني ثلاثون شيخا عند فراقي لهم بترك عشره الاحداث
وقله الاكل ويروي ان مالك ابن دينار رحمه الله دخل على ابن عون
في الحبس واذا عمال بني اميه مقيدون في الحديد يحضر عداوهم فجعل
الخدم ينقلون الالوان فقالوا هلم يا ابا يحيي فقال ما احب ان اكل مثل هذا
الطعام ولا يوضع في رجلي مثل هذا الحديد وقال ابو هريرة رضي الله عنه
خرج النبي صلى الله عليه وسلم فلقيه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال
ما اخرجكما فقالا الجوع فقال وانا والذي بعثني بالحق ما اخرجني الا الذي
اخرجكما فقوموا فاتوا بيتا من الانصار واذا الرجل غايب فقالت امراته مرحبا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اين فلان قالت خرج يستعذب لنا من الما
فاذا بالرجل وعليه قربة ما فلما نظر الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ما احد
من الناس اكرم اليوم مني اضيافا فاتاهم بعذق من رطب وبسر وتمر
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اجتنيته فقال يا رسول الله تخيروا
على اعينكم ثم اخذ المدية فقال النبي صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب
فذبح لهم شاة فاكلوا وشربوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده لتسئلن عن نعيم هذا اليوم وفي لفظ عن هذا النعيم **فصل**
ويقال ان هذه الطايفه تضيف الى ما هي فيه من
الباطل استحضار المرد في مجالسهم والنظر في وجوههم وربما زينوهم بالحلي
والمصبغات من الثياب وتزعم انها تقصد بذلك الاستدلال بالصنعه على
الصانع قال الاستاذ القشيري رحمه الله وهو من روسا طايفتهم عظيما
في الرد عليهم وكشف فضايحهم قال من ابتلاه الله بشي من ذلك فهو
عبد اهانه الله واخذله وكشف عورته وابدي سوته في العاجل
وله عند الله سو المنقلب في الاجل وروي ابو داود في السنن ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال من خبب زوجه امرئ او مملوكته فليس
منا خبب اي افسد وخدع واصله من الخب وهو الخداع ويقال فلان

مفسدا
خبث اذا كان فاسدا قال الواسطي رحمه الله وهو من كبار الصوفيه اذا اراد
الله هوان عبد القاه الي هولاء الانتان الجيف اولم يسمعوا الى قول الله تعالى
قل للمومنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم وقال النبي
صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه لا تتبع النظرة النظرة فانما لك الاولى
وليست لك الاخره وقال بقيه ابن الوليد رحمه الله قال بعض التابعين
كانوا يكرهون ان يحد النظر الى الغلام والامرد الجميل الوجه قال ابن عباس
رضي الله عنه للشيطان من الرجل ثلاثة منازل في نظره وقلبه وذكره وقال
عطا رحمه الله كل نظره يهواها القلب لا خير فيها وقال سفيان الثوري رحمه
الله لو ان رجلا عبث بغلام بين اصابع رجليه يريد الشهوة لكان لوطا وقال
الحسن ابن ذكوان رحمه الله لا تجالسوا ابنا الاغنيا فان لهم صورا كصور النسا
وهم اشد فتنة من العذاري وقال بعض التابعين ما انا باخوف علي
الشاب الناسك من سبع ضاري عليه من الغلام الامرد يقعد اليه وقال
بعض التابعين رضي الله عنه اللوطيه على ثلاثة اصناف صنف ينظرون
وصنف يصافحون وصنف يعملون ذلك العمل وروي ان احمد ابن حنبل
رحمه الله جا اليه رجل ومعه ابن له حسن الوجه فقال لا تجيني به
مرة اخري فقيل انه ابنه وهما مستوران فقال علمت ولكن علي راي
اشياخنا وكان محمد ابن الحسن صاحب يحيى ابن معين لم يرفع راسه الى السما
اربعين سنة لحاه غلام حدث ليجلس اليه فاجلسه من خلفه فاما اتيان
الذكور فهي الفاحشة العظمي وهو محرم مغلظ التحريم اتاتون الذكران
من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم قال مالك ويرجم الفاعل
والمفعول به احصنا او لم يحصنا وبه قال ربيعه واحمد ابن حنبل واسحق
وقال الحسن البصري وعطا والنخعي وقتادة والاوزاعي وابو يوسف
ومحمد هو كالزنا ان كان بكرا يحد وان كان ثيبا يرجم ولا يفرق بين ان يفعله
مع غلام او امراه اجنبيه والحجة لمالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ومن
وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به وايضا فان الله تعالى
رجمهم بالحجارة وقال فلما جا امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة
من سجيل الايه وروي ان ابا بكر استشار الصحابه رضوان الله عليهم في رجل
كان

كان ينكح كما تنكح المراة فقال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه اري ان يحرق فكتب
ابو بكر رضي الله عنه الى خالد ابن الوليد رضي الله عنه فحرقه بالنار وروي
عنه ايضا انه قال يرجم اللوطي وقال ابن عباس رضي الله عنه يرمي من
شاهقة جبل اعلى ما في البلد منكسا ثم يتبع بالحجارة وروي عن ابي
بكر الصديق رضي الله عنه انه قال يهدم عليه البيت وقال عثمان يقتل
وروى ان قوم لوط كانت فيهم عشرة خصال اهلكهم الله تعالى بها كانوا
يتغوطون في الطرقات وتحت الاشجار المثمرة وفي شطوط الانهار وكانوا
يحذفون الناس بالحصا فيعورونهم واذا اجتمعوا في المجالس اظهروا
المنكر واخراج الريح منهم واللطم على رقابهم وكانوا يرفعون اثوابهم قبل ان
يتغوطوا وياتون بالطامة الكبري وهي اللواط قال الله تعالى اينكم لتاتون
الرجال وتقطعون السبيل وتاتون في ناديكم المنكر والنادي المجالس
والمحافل ومن ارتقى في هذا الباب عن باب حالة الفسوق واشار الي
ذلك من باب بلاء الارواح وانه لا يضر فهذه وساوس الشيطان وادعا
العصمة وهو الكفر ونظير الشرك فاحذر مجالستهم فان في اليسير منه
فتح باب الخذلان وادخال الهجران بينك وبين الحق ثم يقال وهتك انها
المغرور فقد بلغت رتبة الشهدا الليس قد شغلت ذلك القلب لمخلوق
وفي الحديث يقول الله تعالى حرام على قلب سكنه حب غيري
ان نسكنه جنتي واما قولهم انهم يستدلون بالصنعه علي الصانع
فهما نية في شغايه الهوي ومخادعة العقل ومخالفة العلم قال الله تعالى
افرايت من اتخذ الهه هواه وقال ابن عباس رضي الله عنه الهوي اله
يعبد من دون الله تعالى قال تعالى في باب الاعتبار افلا ينظرون الى الابل
كيف خلقت والى السما كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض
كيف سطحت وقال تعالى اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن
ما يمسكهن الا الرحمن وقال جل وعلا ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس
الايه وقال الذين يذكرون الله قياما وقعودا الايه وقال وكاين
من ايه في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون

فعدلوا عن ما امرهم الله به من الاعتبار الى ما نهاهم عنه بقوله تعالى
قل للمومنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم الاية
فصل واما الرقص والدق بالرجل وكشف الراس وتخريق
الثياب فلا يخفا عن ذي لب انه لعب وسخف ونبذ للمروة والوقار
ولما كان عليه الانبيا والصالحون فروي اهل التفسير عن على ابن
ابي طالب رضي الله عنه قال كان مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس
حكم وحيا وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم يتواصون
فيه بالتقوي متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير
ويوثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب قال وكان النبي صلى الله عليه
وسلم لين الجانب سهل الخلق دايم البشر ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب
فى الاسواق ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي قد
ترك نفسه من ثلاث المرا والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من
ثلاث كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب عوراته ولا يتكلم الا فيما رجى
ثوابه اذا تكلم اطرق جلساوه كانما على روسهم الطير واذا سكت تكلموا
ولا يتنازعون عنده الحديث من تكلم انصتوا له حتى يفرغ يعني يسكتون
ويغضون ابصارهم والطير لا يسقط الا على ساكن انتهى كلامه ولو لم
يكن فى السماع والرقص شي يذم به الا انه اول من احدثه بنو اسرايل
حين اتخذوا العجل الهاً من دون الله فجعلوا يغنون بين يديه ويصفقون
ويرقصون فبقي حالهم كذلك الى ان جاهم موسى عليه الصلاة والسلام ووقع
من قصتهم ما قد ذكرها الله تعالى فى كتابه فهم اصل لما ذكر وما كان هذا
اصله فينبغي بل يتعين على كل عاقل ان يهرب منه ويولي الظهر عنه
ان كان عاجزا عن تغييره واما ان كانت له قدرة على ذلك فيتعين
عليه والله الموفق وقد قال عليه الصلاة والسلام حبب الى من دنياكم
ثلاث النسا والطيب وجعلت قرة عيني فى الصلاة قال الامام الطرسوسي
رحمه الله وهولا زعموا ان قرة اعينهم فى الغنا واللهو والنظر فى وجوه
المرد **فصل وقال رحمه الله واما تخريق الثياب فهو مجمع الى ما فيه**
من السخافة افساد المال وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن
قيل

قيل وقال واضاعة المال وكثرة السوال وقال ابن العاصي رضي الله عنه مر
النبي صلى الله عليه وسلم بشاة ميتة اعطيها مولاة لميمونة من الصدقة
فقال هل انتفعتم باهابها فقالوا انها ميتة قال انما حرم اكلها قال العلما وحجر
على السفها وهم المبذرون لاموالهم وما فى السفه اعظم من تمزيق الثياب
وقال انس رايت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يطوف بالبيت وعليه
جبة صوف فيها اثنتا عشرة رقعة الواحدة منها من ادم احمر وروي
ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انقطع شسع نعله فقال انا لله وانا
اليه راجعون ومن امثالهم من اصلح ماله فقد صان الاكرمين دينه
وعرضه وتمزيق الثياب داخل فى قوله تعالى لابليس وشاركهم فى الاموال
والاولاد واذا كان الكسب خبيثا كان ماله الى مثل هذا انتهى كلام الطرطوسي
رحمه الله **فصل وقال الشيخ الامام ابو عبد الله القرطبي رحمه
الله فى** تفسيره فى قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث
سيل عبد الله ابن مسعود عن قوله تعالى ومن الناس من يشتري
لهو الحديث فقال الغنا والله الذي لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات
وعن ابن عمر هو الغنا وكذلك قال عكرمة وميمون ابن مهران
ومكحول وروي شعبة وسفيان عن الحكم وحماد عن ابرهيم قال
قال عبد الله ابن مسعود الغنا ينبت النفاق فى القلب وقال
مجاهد وزاد ان لهو الحديث المعازف والغنا وقال القاسم ابن محمد
الغنا باطل والباطل فى النار وقال ابن القاسم سالت عنه مالكا فقال
قال الله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال الحق هو وروى الترمذي
وغيره من حديث انس وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال صوتان ملعونان فاجران انهى عنهما صوت مزمار ورنة شيطان
عند نغمة ومرح ورنة عند مصيبة لطم خدود وشق جيوب
وروي جعفر ابن محمد عن ابيه عن جده عن علي عليه السلام قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت بكسر المزامير خرجه ابو طالب
الغيلاني وخرج ابن بشران عن عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال بعثت بهدم المزامير والطبل وروي ابن المبارك

عن مالك ابن انس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
جلس الى قينة يسمع منها صب في اذنيه الآنك يوم القيمة وقد روي مرفوعا
من حديث ابو موسى الاشعري انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من استمع الى صوت غنا لم يوذن له ان يسمع الروحانيين فقيل ومن
الروحانيين يا رسول الله قال قرا اهل الجنة خرجه الترمذي الحكيم
ابو عبد الله في نوادر الاصول ومن روايه مكحول عن عايشه قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وعنده جاريه مغنيه فلا تصلوا عليه
ولهذه الاثار وغيرها قال العلما بتحريم الغنى وهو الغنا المعتاد عند المشتهرين
به الذي يحرك النفوس ويبعثها على الهوى والغزل والمجون الذي
يحرك الساكن ويبعث الكامن فهذا النوع اذا كان في شعر يشبب فيه
بذكر النسا ووصف محاسنهن وذكر الخمور والمحرمات لا يختلف في تحريمه
لان اللهو والغنا المذموم باتفاق فاما من سلم من ذلك فيجوز القليل
منه في اوقات الفرح كالعرس والعيد وعند التنشط على الاعمال الشاقه
كما كان في حفر الخندق فاما ما ابتدعته الصوفيه اليوم من الادمان على سماع
المغاني بالالات المطربة من الشبابات والطار والمعازف والاوتار فحرام
قال ابن العربي فاما طبل الحرب فلا حرج فيه لانه يقيم النفوس ويرهب
العدو وذكر ابو الطيب طاهر ابن عبد الله الطبري قال اما مالك ابن
انس فانه نهى عن الغنى وعن استماعه وقال اذا اشترى جاريه ووجدها
مغنية كان له ردها بالعيب وهو مذهب ساير اهل المدينه قال
النحاس وهو ممنوع بالكتاب والسنة قال الطبري فقد اجمع علما الامصار
على كراهة الغنا والمنع منه قال ابو الفرج الجوزي وقال القفال من
اصحابنا لا تقبل شهادة المغني والرقاص قال ابو عبد الله القرطبي رحمه
الله واذ قد ثبت ان هذا الامر لا يجوز فاخذ الاجرة عليه لا يجوز وقد
ادعى ابو عمر ابن عبد البر الاجماع على تحريم الاجرة على ذلك وذكر القرطبي
ايضا في سورة سبحان في قوله تعالى ولا تمش في الارض مرحا قال
استدل العلما بهذه الاية على ذم الرقص وتعاطيه قال الامام ابو الوفا
ابن عقيل قد نص القران على النهي عن الرقص فقال ولا تمش في الارض

مرحا وذم المختال والرقص اشد المرح والبطر اولسنا الذين قسنا النبيذ على
الخمر لاتفاقهما في الاطراب والسكر فما لنا لا نقيس القضيب وتلحين الشعر
معه على الطنبور والطبل لاجتماعهما فما اقبح من ذي لحيه وكيف اذا كان ذا
شيبه يرقص ويصفق على ايقاع الالحان والقضبان وخصوصا ان كانت
اصوات نسوان ومردان وهل يحسن لمن بين يديه الموت والسوال والحشر
والصراط ثم هو الى احدى الدارين يشمس بالرقص شمس البهايم ويصفق
تصفيق النسوة والله لقد رايت مشايخ في عمري ما بان لهم سن من التبسم
فضلا عن ضحك مع ادمان مخالطتي لهم وقال ابو الفرج الجوزي ولقد حدثني
بعض المشايخ عن الغزالي انه قال حماقة لا تنزل الا باللعب وذكر القرطبي
ايضا في قوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك قال في الاية
ما يدل على تحريم المزامير والغنا واللهو بقوله واستفزز من استطعت
منهم على قول مجاهد وما كان من صوت الشيطان او فعله وما
يستحسنه فواجب التنزه عنه انتهى **فصل وقد حكي عن**
امام هذه الطريقه وهو الشيخ الجليل ابو القاسم الجنيد رحمه الله
انه سيل لحضور السماع فابى ثم سيل فابى فقيل له الست كنت تحضره فقال
مع من ومن وقد حكي عن غيره من الاكابر انه سيل لحضور السماع فابى فقيل
له اتنكر السماع قال ومثلي ينكره وقد فعله من هو خير مني ومنهم عبد
الله ابن جعفر الطيار وانما انكر ما احدث فيه انتهى وهذا كما قد سبق
من ان الغنا هو رفع الصوت بالشعر بحضرة هذا السيد لما ان كان
كذلك فلما ان حدث فيه ما حدث تركه وهذا ايضا موافق لكلام
الجنيد رحمه الله في قوله مع من ومن لما تقدم عنه رحمه الله ان
القوال هو شيخ الجماعة الذي منه يمتدون وبه يقتدون ولا
شك ان هذه الصفة بعيده من سماع هذا الزمان لما احتوى
عليه مما لا ينبغي كما هو مشاهد مرئي وقد وقعت الاشاره لبعضه
وهذا مع ما فيه مما تقدم ذكره قل ان يسلم من حضور النسا في المواضع
المشرفه عليه من سطح او غيره وسماعهن الاشعار المهيجة للفتنه
والشهوات والملذوذات فان ذلك يحرك عليهن ساكنا لما تقدم من

ان الغنا رقية الزنا وهن ناقصات عقل ودين سيما اذا انضاف الى ذلك ان
يكون لهن طريق الى التوصل الى الرجال او الرجال اليهن فاعظم فتنه وبليه
سيما اذا انضاف اليه ان يكون المغني شابا حسن الصورة والصوت
ويسلك مسلك المغاني في تكسرهم وتقلباتهم في تلك الحركات المذمومة
مع ما هو عليه من الزينة بلباس الحرير والرفيع من غيره وبعضهم يبالغ
في اسباب الفتنه فيتقلد بالعنبر بين ثيابه لتشم رايحته عليه ويجعل
على راسه فوطه من حرير لها حواشي عريضه ملونه يصففها على جبهته
ولهم في استجلاب الفتن بمثل هذا امور يطول ذكرها فيا للعجب من
هذا المسكين الذي عمل السماع لهم وجمعهم له كيف يطيب خاطره او
يسكن باطنه بروية حريمه لما ذكر اذ ان ذلك كله فتنه عظيمه وقل من
يسلم عند سماعها او رويتها فانا لله وانا اليه راجعون اين غيرة الاسلام
اين نخوة الرجال السادة الكرام اين الهمم العاليه العفيفه عن الحرام
اين اتباع السلف القادة الاعلام فتحصل مما تقدم ذكره ان كلا ممن حضر
السماع من الرجال والشباب ومن اطلع عليه من النسا او سمعهم
افتتن وقل ان يرضى بما عنده من الحلال غالبا فتتشوف نفوسهم
الى ارتكاب المحرمات فمنهم من يصل الى غرضه الخسيس وهي البليه
العظمى ومنهم من لا يقدر على ذلك لقلة ذات يده او غيره من العوايق
المانعة له فيكون اثما في قصده ولو وقف الامر على ما ذكر لرجينا
لهم التوبه والرجوع والاستقاله مما وقعوا فيه لكن البلية
العظمى ان كثيرا منهم يتدينون بذلك ويعتقدون به القربه الى
الله عز وجل سيما ان عملوه بسبب المولد فهو اعظم في الفتنه لانهم
يعتقدون انهم في اكبر الطاعات واظهار شعاير الدين وتعطى هذه
القاعدة التي انتحلوها انهم اعرف بالشعاير من سلفهم نعوذ بالله
من المحن والفتن ومن الابتداع وترك الاتباع وبالجملة ففتنته اكثر
من ان تحصر وهذا مع ما فيه من اضاعة المال والريا والسمعة ولو
قيل لاحدهم ان يتصدق ببعض ما ينفقه فيه على المضطرين
او المحتاجين سر النبي بذلك او بخل وما ذاك الا لوجوه الوجه الاول

بخبر

لحب الكسب غالبا لان المال الذي تحصل من وجه خبيث لا يخرج الا في خبيث
مثله جرت الحكمه بذلك الثاني ايثار الشهوات والملذوذات الثالث الريا
والسمعة الرابع محبه الثنا والمحمدة والقيل والقال كما تقدم الخامس محبة النفوس
في الظهور على الاقران السادس ان صدقة السر خالصة للرب عز وجل فلا
يقدر عليها الا ذو حزم ومروه واخلاص فالسعيد السعيد من يمتثل
نور الشريعة وسلك منهاجها وشديده وترك كلما احدثه المحدثون
وعمل على خلاص مهجته واهله وولده ولا خلاص الا بالاتباع وترك الابتداع
سلك الله بنا الطريق الارشد انه ولي ذلك والقادر عليه بمحمد واله فصل
وقد تقدم في اول الكتاب ان تصرف المكلف لم يعد الا في قسمين
وهما الوجوب والندب فاذا كان هذا في حق غير الفقير المنقطع فما بالك
بالفقير المنقطع المتوجه الى ربه الذي ترك الدنيا وشهواتها وملذاتها
خلف ظهره فهو اولى واوجب بالمطالبه بالاتباع وترك الابتداع اكثر من
غيره واذا كان ذلك كذلك فالسماع اذا سلم مما تقدم ذكره لم يدخل في
باب الواجب او المندوب بدليل ما تقدم عن الجنيد رحمه الله حيث
قال لا يصلح السماع مباحا الا بعشرة شروط وقد تقدم اكثرها والفقير اولى
بل اوجب من يحتاط لنفسه ويتقي مواضع الريب ويبعد عن نفسه
ابواب المفاسد كلها فانه شبيه بالعالم في الاقتدا به وصلاحه يتعدى لغيره
وفساده كذلك فيتعين عليه ان يحفظ مهجته ومهجة غيره من المسلمين
بالنهوض الى ما يجب عليه او يندب اليه ويترك ما عدا ذلك ويعرض
عنه والله المستعان فصل وينبغي له ان يصون حرمة الخرقه
التي ينتسب اليها بترك الوقوف على ابواب ابنا الدنيا ومخالطتهم
والتقرب بهم وقد تقدم قبح ذلك في حق العالم ففي حق الفقير اولى
واحرى اذ انه اقبل على طلب الاخرة وترك الدنيا واهلها فوقوفه على
ابواب من تقدم ذكره نقيض طريقته ومقصده بل ينقطع عنهم ظاهرا
وباطنا اعني انه لا ينقطع في خلوته وقلبه متعلق بغيرها هو فيه فان
تعلق خاطره بشي من ذلك فهو منهم وان كان لم يدخل معهم في الظاهر
ولم يكذهم الا ترى انهم قد قالوا اذا رايت الامير على باب الفقير فانهم

الفقير لانه ما جا الا النسبه حصلت لى الفقير من جهة ما يتعاطونه من امور
الدنيا ولاجل ذلك جا الامير لحصول الجنسيه او كما قالوا وقد يكون الفقير
لا يشعر بما اوجب ذلك فى حقه حتى لقد حكى عن بعضهم انه كان لا يمر له خاطر
فى الدنيا ثم حصل منه فى بعض الايام التفات ما اليها واذا الجندى يدق
الباب فدخل اليه وجلس يتحدث معه فى الدنيا فرجع الشيخ الى نفسه
وقال هذه عقوبه من اين اتيت واذا هو قد ذكر الخاطر الذى مر به فتاب
الى الله تعالى واقلع عنه واذا به بالجندى قد قام وخرج من حينه
فهذه كانت احوالهم وسيرتهم الحسنه وهم قدوه لمن بعدهم ممن
يتمسك بطريقهم اسال الله تعالى ان لا يخالف بنا عن حالهم ومع هذا فلا
ينكر الاجتماع بهم اعنى اذا جاوا الى الفقير راغبين فقد وردت
السنة بحسن البشاشه عند اللقا والاخذ مع المضطرين والمساكين
فيما نزل بهم ولا شك ان احتياج ابنا الدنيا للمريد وخاطره اعظم من
احتياج غيرهم من الفقرا المساكين الى المريد المنقطع الى ربه عز وجل
لان الفقير المسكين اقرب الى ربه سبحانه وتعالى اذ هو فى حالة
الاضطرار والمسكنه عليه ظاهرة بخلاف ابنا الدنيا لان الغالب
عليهم الشرود عن باب ربهم لاجل تعلقهم بمن دونهم او من هو مثلهم
من ابنا الدنيا فيحتاج المريد اذا اتوا اليه ان يبسطهم لكى يتوصل بذلك
الى موعظتهم وسياسة اخلاقهم ليسرق طباعهم بالرفق والتيسير وعدم
التنفير قاصدا بذلك وقوفهم بباب ربهم وارشادهم اليه لا لغرض دنيوي
لان نجاة هولاء من باب خرق العادة بخلاف الفقير والمسكين فاذا خلص
واحد من هذه صفته فلا شك انه من الجهاد وفى الجهاد من الفضيله ما
فيه فيحتاج ان يغتنم ما سيق له من هذا الخير العظيم ويشد يده عليه
بشرط ان يحفظ على مقامه الذى هو فيه من تدنيسه بالتشوف الى
ما فى ايديهم او التعزز بعزهم الفانى او الركون الى شي من احوالهم الزايله
فاذا سلم من ذلك فلا ينافى قضا حوايج المضطرين من المسلمين على
ايديهم لان له المنه بل لله عليهم لانه ساق اليهم خيرا عظيما ومعروفا
جسيما لكن بشرط يشترط فيه وهو ان يريهم ان الحظ والمنفعة

والحاجة

والحاجة الكبرى لهم فى استقضا حوايج المسلمين منهم بعد ان تحقق عندهم
انهم مضطرون الى ذلك اكثر من ارباب الحاجات اليهم وان ذلك متعين
عليهم من غير امره بذلك لهم فكيف مع اطلاعه واطلاعهم وهذا باب كبير
متسع فيكفى التنبيه عليه وبالجملة فالفقرا السالكون ممن مضى نفعنا
الله بهم قد انقسموا فى هذا الباب على ثلاثة اقسام فمنهم من كان لا يخالط
احدا من غير جنسه فان وقع لاحدهم شى من ذلك استعمل الحيل فى
التخلص منه كما حكى عن سفيان الثورى انه لما تولى الخلافه من يعتقده
ويرجع اليه هرب من البلاد وسافر الى مواضع لا يعرف فيها فبقى الخليفة
يسال عنه ويبحث عن امره الى ان اجتمع به بعض من يعرفه فتكلم معه
فى ان اجتماعه بالخليفة فيه خير كثير للمسلمين فكان جوابه ان قال
يصلح ما يعلم فساده فاذا فرغ من ذلك اتيته وجلست معه وعلمته ما لم
يعلمه او كما قال وقد حكى عن بعضهم انه اظهر التوله حين اتيان السلطان
اليه بان جعل على بابه احمالا من الخبز فوضعها وجلس هنالك فلما ان
راى السلطان اقبل اخذ رغيفا وجعل بعض فيه وياكل بنهمه فجا السلطان
فسال عنه فقيل له هو ذا فسلم عليه فرد عليه فكلمه فابى عن جوابه
فساله لم لا يرد عليه الجواب فقال اخاف ان تشغلنى عن اكلى او ان
تاكل معى فيذهب هذا الخبز وانا لا اشبع او كما قال فرجع السلطان
عنه وهذا باب السلامة ولا اعدل بالسلامة شى القسم الثانى انهم
يجتمعون بهم اذا اتوا اليهم بالشروط المتقدم ذكرها القسم الثالث الاتيان
اليهم وفيه خطر من اجل مخالطتهم والوقوف على ابوابهم لقضا حوايج المسلمين
اذ ان ذلك جمع بين امرين متضادين احدهما حسن وهو قضا حوايج
المسلمين والفرج عنهم والثانى ضده وهو اهانة حرمة خرقة الفقرا
بالوقوف على ابواب من لا ينبغى وقد قال بعضهم ما اقبح ان يسال
عن العالم فيقال هو بباب الامير فاذا كان هذا القبح فى حق العالم
فما بالك به فى المريد الذى خلف الدنيا وراء ظهره واقبل على الاخرة يطلبها
وتوجه الى ربه عز وجل بالانقطاع اليه ولو لم يكن فيه من القبح الا انا
مامورون بالتغيير عليهم فى بعض احوالهم والوقوف بابوابهم ينافى

ذلك وقد كان سيدي ابو محمد رحمه الله يختار الطريق الوسطى لا غريبه
ولا غربيه لا يقف ببابهم ولا ينفر منهم بل يستقضي حوايج الضعفا والمساكين
منهم اذا اتوا اليه واما من لم يات منهم اليه فانه كان لا يرسل اليه اصلا وان
نزلت به ضرورة واتى اليه يحيله على الصدقه والموجه ما جنى واما الارسال
اليهم فكان لا يرسل لمن عرف ولا لمن لم يعرف فمن ذاك يعرفه منهم اذا
جاذكر له ما اطلع عليه من ضرورات المسلمين فازالها وهذا الذي درج عليه
حال اكثر السلف اعني فعل الطريق الوسطى المتقدم ذكرها والله الموفق
هذا حاله مع زيارة من ينسب الى الدنيا وبالجملة فمن ياتي الى زيارته ينقسمون
على ثلاثة اقسام القسم الاول ابناء ابنا الدنيا والثاني زياره المريدين
والصالحين والثالث زيارة من شاركه في الخرقه من جهة شيخه او من
العالم الذي اهتدي بهديه فالقسم الاول قد تقدم ذكره واما القسم
الثاني فيتعين عليه ان يلقى من اتاه برحب وسعة صدر وان يكثر التواضع
لهم ويرى الفضل لهم عليه فيما فعلوه ويرى نفسه انها مقصرة في
حقهم اذ انه قعد عن زيارتهم حتى احتاجوا الى زيارته فيعوض لهم عن
ذلك كثرة الانس واظهار الود بشرط ان يكون ذلك منه باطنا كما هو ظاهرا
والمقصود ان يبالغ في الادب معهم بتوقير كبيرهم واحترامه واللطف
بصغيرهم في ارشاده وتهذيب اخلاقه وتهيء امره للسلوك والترقي
وان استطاع ان لا يخرج عنه احد من هذه الطايفه الا عن اكل فليفعل
لانه قد ورد عن السلف رضي الله عنهم انهم كانوا لا ينصرفون الا عن
ذواق فان لم يمكنه ذلك الا بتكلف مثل اخذ دين او ما يقاربه فالترك
اولى به وقد حكي عن بعضهم انه جاءه اضياف فقدم لهم خبزا وملحا
وقال لولا انا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم لكن نعوض عن ذلك
امدادهم في بواطنهم ان كان من اهل ذلك وان لم يكن من اهل
الامداد يدعوا لهم بظهر الغيب ولعل ان يكون فيهم وهو الغالب
من هو ارفع منه قدرا او اعظم شانا فيكون دعاوه اذ ذلك يعود عليه
بركة لما ورد ان المراد دعا لاخيه في ظهر الغيب ان الملك يقول له
ولك بمثل او كما ورد وقد قال بعض السلف كل حاجة احتاجها وارجو

ان

ان ادعوا بها لنفسي ادعوا بها لاخي في ظهر الغيب لاني اذا دعوت لنفسي كان
الامر محتملا للقبول او ضده واذا دعوت لاخي في ظهر الغيب فالملك يقول
ولك بمثل او كما ورد وقد قال ودعا الملك مستجاب وقد حكي عن بعضهم انه جا
الى زيارة اخيه فقال له المزور يا اخي اما كان لك شغل في الله عن زيارتي
فقال له الزاير شغلي بالله اخرجني الى زيارتك وحكي عن بعضهم انه
كان اذا ساله احد من اخوانه في حاجة يبكي ثم بعد ذلك يقضي حاجته
فسيل عن موجب بكايه فقال ابكي لغفلتي عن حاجة اخي حتى احتاج ان
يبديها لي وهذا الذي ذكر هو جار على عادة غالب حال الناس وبعض الاكابر
يعوض عن ذلك ما هو في الايثار اكثر واعم وله في ذلك اقتدا حسن صحيح كما حكي
لي بعض من اثق به ان الفقيه الامام المعروف بابن الجميزي جا الى زيارة
الفقيه الامام المحدث المعروف بالظهير الترمنتي وكان اذ ذاك منبسطا مع
من حضره فلما ان اخبر بمجي الفقيه ابن الجميزي الى زيارته انقبض عند
ذلك وزال بسطه فدخل عليه وهو منقبض فسلم عليه فرد عليه السلام
ولم يزد عليه شيا ولم يكن كلامه له الا جوابا فلما ان خرج رجع الى ما كان عليه
من البسط مع من حضره فسيل عن موجب ذلك فقال استصغرت
نفسي ان يكون هذا السيد يزورني مثلي فاردت ان اكافيه ببعض ما
يستحقه فوجدت نفسي عاجزة عن مكافاته فاثرته بالاجر له حتى يكون
في صحيفته هذا معناه وهذا له اصل في الاتباع للسنة المطهرة وهو ما
روي ان ابا بكر رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله كنت اذا التقيت عليا ابتداني بالسلام فلقيته اليوم
فلم يسلم علي حتى ابتداته بالسلام فقال له اجلس فجلس فاذا بعلي ابن
ابي طالب قد جا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم لم تبتدي ابا بكر اليوم
بالسلام فقال يا رسول الله رايت فيما يرى النايم قصرا في الجنة لم ار مثله
فقلت لمن هذا القصر فقيل لي لمن يبتدي اخاه بالسلام فاردت ان اوثر
اليوم ابا بكر به على نفسي او كما قال وهذا اعظم في الاكرام وابر في الاحترام
فمن كانت له استطاعه على مثل هذا الايثار فهو اولى به لكن يخاف على
فاعل ذلك في هذا الزمان ان ينفر الناس غالبا عن بابه ويوقعهم

[illegible]

فيما لا ينبغي فارتكاب الطرق المتقدمة والحالة هذه اولى بل اوجب اللهم الا
ان يقع ذلك مع من له رسوخ في السلوك كما تقدم وصف من وقع له ذلك والله
الموفق **فصل اعلم رحمنا الله واياك لقبول الدعا مواضع
عديدة** فينبغي الاعتنا بها فيعرف المكلف اماكنها فيتعرض لها لقوله
عليه الصلاة والسلام ان لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله فمن جملة النفحات
ما تقدم ذكره من دعا المومن لاخيه في ظهر الغيب والثاني وهو الاصل
لعمومه وهو المضطر قال الله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه وهذا
لفظ عام دون الاتصاف بصفة دون اخرى وكثير من يقع له الغلط او
الوهم في هذا القسم فيرى انه مضطر فيدعوا فلا يستجاب له فيقول اني
هذا فيقع له الجواب بلسان الحال قل هو من عند انفسكم اذ انه لو حصلت
له حالة الاضطرار ما رد وما خيب لان الله سبحانه وتعالى لا يخلف الميعاد
ومثال ذلك في الحسن ما كان سيدي ابو محمد رحمه الله يقول مثله
مثل من ركب في السفينة فهو مضطر الى ريح يمشي بها والى بحر هادي
قليل الافات لكنهم مطمينون بسفينتهم راكنون اليها وفي هذا السكون
من عدم الاضطرار ما فيه فلو جا الريح العاصف وتحرك عليهم هول
البحر لكان اضطرارهم اكثر من الاول لكنهم عندهم قوة في انفسهم
بالسفينة التي هي سبب السلامة غالبا فلو انكسرت السفينة
مثلا وبقي كل واحد منهم او جماعة على لوح لاشتد اضطرارهم اكثر من
الثاني لكنهم يرجون السلامة بما بايديهم من الالواح وذلك قدح في
حقيقة اضطرارهم فلو ذهبت الالواح وبقوا بعد ذلك في لجج البحار
لا بر يرى ولا جهة تقصد ولا لوح يرام ان يصعد عليه فهذه الصفة
هي حقيقة الاضطرار او كما قال فمن اتصف بهذه الصفة وهو
في حالة الاتساع من امره كان مضطرا حقيقة فلا يشك ولا يرتاب
في اجابته وما وقع الغلط الا في صفة التحصيل لهذه الصفة الجميلة
التي اخبرنا الله تعالى بها في كتابه العزيز الثالث من مواطن الاجابة
عند نزول الغيث الرابع عند الاذان الخامس عند اصطفاف
الناس الى الصلاة السادس عند اصطفافهم الى الجهاد السابع

الثلث

الثلث الاخير من الليل في كل ليلة الى طلوع الفجر الثامن الدعا عند المحتضر
فان الملايكة حضور يومنون على دعا الداعي التاسع الدعا من الصايم عند
افطاره العاشر الدعا من المسافر عند سفره الحادي عشر وهو اكدها
الساعة التي وردت في يوم الجمعة وقد تقدم بيانها الثاني عشر يوم الاثنين
وليلته وقد تقدم بيانه الثالث عشر ليلة القدر وهي ام الباب وخلاف
للعلما فيها مشهور معروف الرابع عشر الدعا من الوالدين لولدها الخامس
عشر الدعا عند حدوث الخشوع واقشعرار الجلد والخوف والقلق وغلبة
الرجا فان هذه المواطن كلها محل الاجابة السادس عشر وهو اعظمها الا وهو
الدعا باسم الله الاعظم وقد اختلف الناس في تعيينه اختلافا كثيرا حتى قال
بعضهم ان ذلك راجع الى الاتصاف بحالة الاضطرار كما تقدم ومنهم من قال
انه قوله تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ومنهم من قال
الله لا اله الا هو الحي القيوم والم الله لا اله الا هو الحي القيوم وعنت الوجوه
للحي القيوم ومنهم من قال لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
ومنهم من قال اخر سورة الحشر الى غير ذلك وهو كثير السابع عشر يوم عرفة
الثامن عشر جميع شهر رمضان التاسع عشر في السجود وبالجملة فالدعا
له اركان واجنحة واسباب واوقات فان صادف اركانه قوي وان صادف
اجنحته طار في السما وان صادف اسبابه نجح وان صادف اوقاته فاز
فمن اركانه الاضطرار وقد تقدم واجنحته قوة الصدق مع المولى
سبحانه وتعالى فيما يرجوه ويومله منه ويخافه واسبابه الصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم واوقاته الاسحار وما تقدم ذكره انما هو على
جادة التكليف واما من هو في مقام الرضى او ما يقاربه فقد يكون
السوال في حقه ذنبا يتعين عليه التوبة والاستغفار منه كما قد
حكي عن بعض السلف انه قال تجاسرت البارحة وسالت ربي المعافاة
من النار وكما حكى الشيخ الامام ابو طالب مكي رحمه الله عن بعضهم انه قال
كل المقامات ثلاث منها شيا الا هذا الرضى فاني ما نلت منه الا مقدار
سم الخياط ومع ذلك لو اخرج اهل جهنم اجمعين وادخله جهنم وملاها
بجسده وعده فعد ابهم اجمعين لكان راضيا بذلك وقد تقدم ما جرى

للكليم عليه السلام مع العابد وبالجملة فالامر راجع الى حال من وقع له ذلك
وفى اى وقت يقع له وقد يكون فى بعض الاحيان الرضا فى حقه
اولى وافضل بالنسبة الى حاله وما اختص به فى وقته ذلك وقد يكون
فى وقت اخر الدعا والتملق واظهار الفاقه والاضطرار والحاجه اولى وافضل
وكل ذلك ماخوذ من السنه المطهره وعن السلف الماضين رضى الله عنهم
اجمعين ثم نرجع لما كنا بسبيله من اقسام الزاير والمزار القسم الثالث
الاشتغال فى الرضاعة فى مجالس العلم ومجالس الشيوخ فمن جاء من
هذا القسم فهو من الخاصة به فان استطاع ان يكون لهم ارضا فليفعل
اذ ان احترامهم احترام لشيخه الذى اخذ عنه وادب المريد مع شيخه
لا ينحصر ولا يرجع الى قانون ولا يقدر المريد ان يقوم بحقه فى الغالب
اذ ان حقيقه امر الشيخ انه وجده فى بحار الذنوب او الغفلات
فاخرجه من كل ذلك وادخله الجنه وهذا امر لا يقدر احد يجازى عليه الا
الله **فصل وينبغى له ان يكون اهم الامور عنده واكدها**
الخلوة عن الناس والانفراد بنفسه دونهم كما تقدم لان الخلوة سبب
للفتح غالبا ولئلا يحذر ان يقبل ما تلقيه نفسه اليه او الشيطان من
محبه الاجتماع بالاخوان او الميل اليهم او الميل الى رؤيتهم فان النفس
مجبوله غالبا على حب الراحة والبطالة وهى لا تجد لذلك سبيلا مع
دوب الخلق ولا تجد السبيل الى بشريتها وتميل به عما هو بسبيله الا
بسبب الاجتماع بالاخوان غالبا اذ بالاجتماع بهم تجد السبيل الى الزيادة
والنقصان فيما يريده ويختاره وفيه ما فيه من الخطر او عكسه وهو
الداء الذى ليس له دواء فى الغالب الا التوبة والاقلاع والتحلل وكان
فى غنية عن ذلك كله وهذه دسيسه قل من يشعر بها الا من نور
الله بصيرته وقد قال الشيخ الامام ابو عبد الرحمن الصقلى رحمه الله
فى كتاب الدلالات له عن بعض شيوخه انه قال كنت اخلو لا اسلم
فصرت اخلو لاغنم انتهى فانظر رحمنا الله واياك الى هذه المقامات
الجليله التى انتقل منها واليها واحدة بعد واحدة فاولها طلب
سلامة الناس منه كما تقدم اذ ان طلب السلامة من الناس فيه

تزكيه

تزكية النفس ووقوع فى حق اخوانه المومنين فاذا خلا بنفسه لكى يسلم
الناس من لسانه وبصره وسمعه وبطشه وسعيه وحسده الى غير ذلك
مما يعتورونه فى خلطته لهم فيحصل بسبب ذلك فى القسم الذى شهد له صاحب
الشرع صلوات الله عليه وسلامه بالاسلام حيث يقول المسلم من سلم
المسلمون من لسانه ويده وقد تقدمت الاشارة الى ذلك كله فلما ان حصل
هذا المقام السنى ترقى بعده الى ما هو اسنى منه وهو حصول الغنيمة
فهو فى اعمال الاخره يغتنمها اذ ان الخلوة التى هو فيها اعانته على افتراس
ذلك والنهوض اليه لعدم العوائق ثم بعد حصول هذا المقام السنى
ترقى الى ما هو اسنى منه وهو الفهم عن الله تعالى فى اياته وفى احكامه
وفى تدبيره لخلقه واحسانه لاوليايه وقربه منهم وعلمه بحالهم اذ هو
سبحانه وتعالى الكريم الذى من بذلك وسهل الامر عليه فيه والفهم عن
الله اعم من هذا كله وانما هو اشارة ما لما عداها ذكر ثم انتقل بعد ذلك
المقام السنى الى ما هو اسنى منه وهو العلم لانه ينتجه الفهم اذ انه اذا
فهم علم وهذا العلم عام فى العلم بالله والعلم باحكامه اذ انه لا يوجد
جاهل باحكام الله عليه عالم بالله والعلم بالله ليس له حد ينتهى اليه
بخلاف العلوم الشرعيه فان لها نهايه على ما قد علم فلما ان حصل هذه
الدرجة السنيه انتقل الى ما هو اسنى منها وهو التنعم فى خلوته
والتلذذ بالطاعات التى يحاولها اذ انه عبد قد خلعت عليه خلع
القرب فاتصف بالمقامات السنيه التى لا يستحقها ولا بعضها الا بفضل
المولى سبحانه وتعالى وكرمه وامتنانه اذ لا فرق بينه وبين اخوانه
من المسلمين فكونه خلع عليه دونهم هذا فضل عميم لا يقدر ان يقوم
بشكر بعضه اللهم لا تحرمنا ذلك فانه وليه والقادر عليه بمحمد واله صلى الله
عليه وسلم فاذا حصل فى هذه الدرجة انتفع بنفسه وانتفع به من
عرفه ومن لم يعرفه فاذا حصل فى هذا المقام السنى جاءته الالطاف
ترى اذ انه تشبه فيه بالملايكه الكرام الذين لا ياكلون ولا يشربون
وبذكر ربهم يتنعمون اذ ان الذكر لهم كالنفس لنا ومن هذا حاله

تكون العبادة له كالغذا الا ان الغذا اجمع اشيا منها شهوة النفس الاكل والشرب وقوام البدن والاعانة على فعل الطاعات ومن حصل في هذا المقام الذي تقدم ذكره فقد تم له النعيم الا ترى ان بعضهم ياكل اكله في الشهر وبعضهم في ثلاثة اشهر وبعضهم في ستة اشهر وبعضهم في سنة وبعضهم لا هذا ولا هذا اكل ذلك راجع الى الحال الشريف في الخلوة كما تقدم ومن هذا الباب انقطع كثير من المريدين لانهم لم يحكموا الاداب في الوصول الى هذا المقام فيريدون ان يتشبهوا بمن هو فيه فينقطعون وما ذلك الا ان هذا اعداوة معه بالشريف الذي هو فيه وقد مضت حكمة الحكيم سبحانه وتعالى ان هذا البدن لا قوام له الا بقوت فالقوت المعنوي الذي حصله هو الذي تقدم ذكره اغناه عن القوت الحسي وهم لم يحكموه وتركوا القوت الحسي وقد قال الشيخ الامام ابو حامد الغزالي رحمه الله اعلم ان الله عز وجل قد تكفل لهذا الهيكل برزق لا قوام له الا به قال وهذا الرزق الذي تكفل الله به ليس من شرطه ان يكون محسوسا فتارة يكون محسوسا وتارة يكون معنويا او كما قال ولاجل الجهل بتحصيل هذا القوت المعنوي حصل لبعض من يعاطي كثرة المجاهدة اشيا رذلة مثل العربدة او الجنون او النشاف الى غير ذلك فمن تادب بهذه الاداب المذكورة في الخلوة يغلب الرجا انه من الناجين والحمد لله رب العالمين وقد سمعت سيدي ابا محمد رحمه الله يقول انه كان قد دخل في مجاهدة بنية امد معلوم وقد نقد نفسه على اتمام المدة وضاق ذرعها بذلك قال فاردت ان افطر ثم حصلت لي عزيمة على ترك ذلك فلما ان شعرت نفسي بقوة العزيمة غشي عليها فرايت في تلك الغشوة كان انسانا يطعمني فاكلت حتى شبعت ثم سقاني فشربت حتى رويت ثم استفقت وانا شبعان ريان فقمت اغتنم الطاعة منتدرا بقوة ونشاط ففرغت المدة وانا على ذلك الحال ثم بقيت بعد ذلك مدة اخرى كذلك ولو بقيت على ذلك بقية العمر لرايت اني لا احتاج الى غذا بعدها لكن رجعت الى الغذا خوفا مني على ترك السنة اذا ان السنة وردت بالغذا هذا الوجه الذي ذكره

رحمه الله

وقف بمرواق الرايغة بالازهر تحت يد الشنواني لعن الله من غيره

رحمه الله وفيه وجه اخر وهو انه لو تمادى على ذلك الحال لاشتهر حاله وعرفه الناس بذلك وهذا فيه ما فيه وبالجملة فبركة الخلوة لا تنحصر ولا تقف على حد ينتهي اليه كل على قدر حاله ومرتبته واقل فوايدها بل اعظمها وزبدتها ما يحدث الله عز وجل عند ذلك من الخشوع وتصاغر النفس والاحتقار لها وذلتها والاطلاع على مسكنتها وقلة حيلتها وفقرها واضطرارها الى سيدها ومدبرها وقد سال سفيان الثوري الاعمش رحمهما الله عن الخشوع فقال يا ثوري انت تريد ان تكون اماما للناس ولا تعرف الخشوع سالت ابرهيم النخعي عن الخشوع فقال اعيمش تريد ان تكون اماما للناس ولا تعرف الخشوع ليس الخشوع باكل الخشن ولا بلبس الخشن وتطاطي الراس لكن الخشوع ان ترى الشريف والدني سوا وتخشع لله في كل فرض افترض عليك انتهى والغالب ان هذا اقل ان يحصل الا مع كثرة الخلوات والخلوة تورث ذلك كله وبهاذه وعليها تتقرر الاحوال السنية والمراتب العلية فليشتد عليها المريد يده ليحصل ما يترتب عليها من البركات والله الموفق للصواب **فصل والاكد ما عليه في خلوته النظر في الجهة التي** يقتات منها فيتحفظ على نفسه من الشبهات التي نظر اعليه فيها اذا ان ذلك لا يخلو من وجوه اما ان يكون يعرف اصلها مثل ان تكون من كسب يده او من ميراث او غيرهما من وجوه الحل فهذا قد لطف به اذ يسر له ذلك من وجه حل والقطع بسببه الى الخلوات وبركاتها واما ان يكون ذلك من جهة ما يفتح الله تعالى له به من الغيب فذلك على وجهين احدهما ان يكون بغير واسطة والاخر بواسطة فان كان الاول فهو مثل القسم الذي قبله ملطوف به الا انه قد يخشى على بعض من يقع له ذلك من الدسايس الواردة على النفوس وهي كثيرة لا تنحصر واما القسم الثاني وهو ان يكون يتيسر ذلك على يد مخلوق فها هنا يحتاج الى تفصيل سمعت سيدي ابا محمد رحمه الله يقول ان ذلك منقسم على اربعة اقسام القسم الاول يسر ونصر القسم الثاني عكسه لا يسر ولا نصر القسم الثالث يسر ولا نصر القسم الرابع عكسه نصر ولا يسر فالقسم الاول وهو الذي

يسر وينصر هو الفتوح الذي ياتي من جهة فقير محتاج معتقد فان انت قبلته منه سر
بذلك وينصرف لنفسه لاجل فقره فهذا ينبغي للمريد ان لا يرزاه في شي ويرده عليه
بسياسة حتى لا ينكسر خاطره او يقبل منه ويكافيه بما تيسر وليحذر ان يتشوش عليه
بدفع العوض له بل يعوضه دون اشعار له بذلك واما القسم الثاني وهو عكس
الاول وهو الذي لا يسر ولا ينصر فهو الفتوح الذي ياتي من عند من له جدة
واتساع وهو مستور بلسان العلم وصاحبه ليس بمعتقد فان هو الذي اخذ
منه لم يسر بذلك ولم ينصر باخذه منه فالمريد في هذا القسم مخير ان شا ان ياخذ
وان شا ان يترك وذلك راجع الى حسب حاله في الوقت ولو قدر على ان لا ياخذ
منه شيا لكان اولى به وارفع لمقامه لان هذه الطايفة ينبغي ان يكون يدهم
هي العليا كما جا في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اليد العليا خير
من اليد السفلى وقد فسره في هذا الحديث فقال اليد العليا هي المنفقة
واليد السفلى هي السايلة وقد اختلف الناس في هذا وقد كان سيدي
ابو محمد رحمه الله يقول ان المراد بالعليا والسفلى السايلة والمسولة فان
كنت سايلا في قبول معروف فيدك سفلى وان كنت مسولا فيدك هي
العليا وكان رحمه الله يستدل على ذلك بما ورد ان المتلف لا يخرج صدقة
حتى يفك فيها لحيي سبعين شيطانا فاذا هم المتلف باعطا صدقة
واعتوره هذه الشياطين وغلبهم واتاك بمعروفه فان انت رددته
عليه فقد اعنت الشياطين عليه وقد لا تسمح نفسه بعد ذلك ان يعطيها
لغيرك فيحرم من هذا الخير العظيم ويجد الشيطان السبيل الى قبض
يده عن الصدقة وان انت قبلت منه ذلك فقد اعنته عليهم ويتنول
منه يحصل لك بذلك الثواب الجزيل واذا كان كذلك فيد الاخذ هي
العليا والحالة هذه ثم مع ما تقدم يحصل لاخيك المومن من الثواب
في الدار الاخرة ما يعجز عن وصفه يشهد لذلك ما حكي ان شابا جا الى
شيخ هذه الطايفة وامامها الجنيد رحمه الله فقال له انا جايع فهل من
يطعمني فقام انسان ممن له اتساع فقال عندي فاخذ الشاب
ومضى معه الى بيته وقدم له طعاما كان الشاب يشتهيه فمد يده فرفع
لقمة وبقي بها في يده لحظة فقال له صاحب المنزل كل فاللقمة اذا اكلتها

عندي خير من الدنيا وما فيها فوضع الفقير اللقمة من يده وخرج ولم ياكل
عنده شيا فاتى الى الجنيد فقال مثل مقالته الاولى فقام نفر فقال عندي
فذهب معه وقدم له خبزا وبصلا فاكل حتى شبع ثم رجع لجا الاول الى الجنيد
فاخبره بما جرى فقال له اجلس فلما ان جا الشاب ساله الجنيد هل اكلت
قال نعم قال له وما اكلت قال خبزا وبصلا فقال له وما قدم لك هذا فقال
قدم لي طعاما مفتخرا فقال له ما منعك من اكله فقال له كنت جايعا ورفعت
اللقمة وانا اتخير اي قصر اخذ له بها في الجنة فبينا انا كذلك واذا به قد قال
لقمة اذا اكلتها عندي خير من الدنيا وما فيها فاستحييت من الله تعالى
ان اكل طعام رجل خسيس الهمة ليس له همة الا في الدنيا فتركته ومضيت
واما هذا فنيته ان لو كانت الدنيا بحذافيرها فهو يستقلها تقديما او كما قال
فهذه الحكاية تشعر لك بان الاخذ من هذه الطايفة يده هي العليا اذ انه
في حقيقة الامر يعطي ما يبقى وياخذ ما يفنى فتامل ذلك تجده صوابا وذلك
محمول على انه مستور بلسان العلم واما لسان الورع فهو امر اخر وهو
متعذر في هذا الزمان غالبا فان وقع له العمل على ذلك فالغالب انه يكون
ممن لا يخالط الناس وهو مقيم في البراري والقفار او يكون قد خرق
الله تعالى له العادة وخرق العادة لا يتكلم عليها واما القسم الثالث
وهو الذي يسر ولا ينصر وهو الفتوح الذي ياتي على يد بعض الاخوان
المعتقدين الذين يعرف سببهم وهم من اهل اليسار فان اخذت
منهم دخل عليهم السرور بذلك ولا ينضرون به فهذا احسن الاقسام كلها
واسلمها من الافات المتوقعة واما القسم الرابع فهو ما كان من بعض
الناس وهو متصف بوصفين احدهما ان يكون محتاجا لما يعطيه والثاني
عدم اعتقاد الدافع للمدفوع له فان انت قبلت منه ما اتاك به انضر
بذلك لحاجته اليه ولا يدخل عليه سرورا لعدم اعتقاده كذلك
وقد كان سيدي ابو محمد رحمه الله التزم في نفسه طريقة غريبة
قل من يقدر عليها من اصحابه وغيرهم الا من وفق الله تعالى وقليل ما هم
وذلك انه كان لا يقبل صدقة واجبة كانت او تطوعا ولا يقبل شيا من
ارباب المخزن وان كان معتقدا وان كان يحتاج منه وان تحرز ما عسى

ومن اهدى له من الاخوان المعتقدين فيختلف حاله في ذلك فبعضهم يرد
عليه ما اتى به وبعضهم يقبل منه ثم يعوضه عن ذلك بلطف وسياسة
وما اتاه من جهة الاخوان المنتسبين المعتقدين نظر الى اكتسابهم فان
كان مستورا بلسان العلم نظر في حال صاحبه هل يدخل عليه سرور
بالاخذ منه ام لا فان ظهر له منه انه سوا عنده اخذ منه او رد عليه لم ياخذ
منه شيا وان ظهر له انه ينكسر خاطره عند الرد عليه وينجبر ويدخل
عليه السرور حين الاخذ منه اخذ منه فمن اتصف بهذه الصفة
فهو الذي كان يقبل منه وهذه طريقة غريبة عزيزة لا يقدر عليها الا
من كان مثله او يقاربه لا جرم انه كان هو واهله ومن يلوذ به في شظف
العيش بحيث كان فلقد كان ياخذ بفلس ليمونا فياتدم به غدوة وعشية
هو واهله ولقد بقي اهله في بعض الايام لا شي عندهم يتقوتون به فاخذ
ثوبا ودخل به الى البلد ليبيعه فلم يدفع احد فيه شيا لانه كان من
زي المغاربة فرده وجا الى المسجد ولم يدخل البيت خشية من الاولاد
ان ينقطع رجاهم من القوت اذ ذاك فيزيد قلقهم فجلس في المسجد حتى
صلى العشا الاخرة رجاء ان يكون الاولاد قد ناموا فلما ان دخل عليهم وجدهم
وهم مسرورون ويكثرون من شرب الما فسالهم عن ذلك فقالوا ان كل
واحد منا اكل خروفا وهم في الشبع بحيث لا يحتاجون الى زيادة على ما هم
فيه وبقي امره كذلك مدة حتى فرج الله عنهم وهذا وانواعه كثير وهذا باب
لا يقدر عليه الا الافراد من الاوليا لانه وان صبر في نفسه فالاهل
والاولاد لا يصبرون في الغالب فان وجد ذلك فهو من باب الكرامات
ولاجل هذا المعنى قال سيدي ابو مدين رحمه الله العارف من اخذ
نفسه بالورع واطلق غيره من ميدان العلم وما تقدم وصفه فهو من
هذا القسم نفعنا الله بهم ورزقنا التصديق باحوالهم ان لم نكن اهلا
للاقتدا بهم اللهم لا تحرمنا من بركاتهم بمنك ويمنك محمد واله صلى الله عليه وسلم

فصل في ذكر ما ابتلي به بعض من ينتسب الى طريق القوم

وغيرهم من تعلقت خواطرهم بفعل الكيميا واستخراج ما في الارض من
الاموال المدفونة فيها وهي التي اصطلحوا على تسميتها بالمطالب وليحذر

مما يفعله

مما يفعله بعض الناس في هذا الزمان من تعانيهم استخراج ما في الارض
مما تقدم ذكره وهذا قبيح لو تعاطاه بعض العوام فهو في حق المريد اقبح
واشنع اذ انه خلف الدنيا وراء ظهره واقبل على الاخرة بكليته لا مطلب
له سواها وتعلق خاطره بما تقدم ذكره يشهد بكذبه في طريقه من دعواه
الانقطاع الى الله تعالى والتوجه اليه مع ان من تعلق هذا بخاطره الغالب
عليه فيما يظهر الفقر المدقع والديون الكثيرة من لا يرضى حاله في دينه ودنياه
وذلك سبب كبير الى وقوع الناس في عرض من اتصف بذلك بسبب
تعاطيه لما توقع الناس فيه فيكون شريكهم في اثم وقيعتهم فيه وقد
يؤول امر فاعل ذلك الى الحبس والاهانة وغير ذلك مما هو معلوم من
العوايد الجارية في ذلك كله ولو لم يكن فيه من الذم الا ان من تعلق ذلك
بخاطره فهو متصف بحب الدنيا ومن احب الدنيا فهو قال الاخرة اذ انهما
ضرتان متنافرتان فمهما اقبل الانسان على احدهما اضر بالاخرى ولو لم يكن
فيه من الذم الا ما ورد ان من احب الدنيا ينادى عليه يوم القيمة
هذا احب ما ابغض الله وقد تقدم فعل السلف رضي الله عنهم في
هربهم من الدنيا خيفة منهم على انفسهم منها ومن طلب شيا مما تقدم
ذكره فهو مستشرف لطلبها وذلك يذهب بجميع خاطره واشتغاله عن
امر دينه ودنياه بل كانوا يبعدون الدنيا اذا اقبلت عليهم عفو به نزلت
بهم وقد مضت حكاية ابي الدردا رضي الله عنه فيما جرى له في العطا
الذي اتاه وعلى هذا درج فعل السلف والخلف رضي الله عنهم وقد حكي
في الاسرائيليات ان عيسى عليه الصلاة والسلام مر في سياحته ومعه الحواريون
بموضع فيه ذهب كثير فنظر عيسى عليه الصلاة والسلام اليه وقال
لمن معه من الحواريين انظروا الى هذا اهذا القاتول ومر في سياحته
فتخلف ثلاثة منهم وقالوا الى اين هذا المقصود او كما قالوا فقسموا ذلك
اثلاثا فجلس اثنان يحرسان ذلك وارسلا ثالثهما الى البلد لياتي بالدواب
والاعال وما ياكلونه فلما ان مضى لذلك تحدث الاثنان بينهما فقالا لو
كان هذا المال بيننا الاثنين لكان اولى ثم قالا وكيف الحيلة فاتفقا على
انه اذا جا يقومان اليه ويقتلانه ويبقى المال بينهما نصفين وقال الثالث

الذي ذهب الى قضا الحاجة مثل قولهما فقال لو كان المال كله لي لكان اولى
ثم قال كيف الحيلة فخطر له ان يجعل سما في الغدا الذي ياتي به لياكلانه فيموتا
فياخذ المال كله لنفسه ففعل فلما ان اقبل على صاحبيه وثبا اليه فقتلاه
ثم اكلا ما اتى به من الغدا فماتا فبقي الثلاثة هنالك مطروحين فلما ان رجع
عيسى عليه الصلاة والسلام من سياحته ومر بهم فوجدهم هنالك طرحى قال
للحواريين الم اقل لكم هذا القاتول او كما قال وقد تقدم قوله عليه الصلاة
والسلام ان هذا المال خضرة حلوة فمن اخذه بسخاوة نفس بورك له فيه
ومن اخذه باسراف نفس لم يبارك له فيه انتهى ولا شك ان من اتصف
بما تقدم ذكره يربي على المستشرف فترتفع البركة عنه فطلب المريد وغيره
لهذه الاشيا على تقدير حصولها تذهب البركة منها والمقصود حصول البركة
اذ انها اذا عدمت من الشي لو كان ملء الارض ما اغنى صاحبها لعدمها
منه وقد حكي عن الامام الجليل الحافظ ابو نعيم الاصبهاني رحمه الله في كتاب
الحلية له في ترجمة طاوس ابن كيسان رحمه الله باسناده الى ابن
طاووس عن ابيه قال كان رجل له اربعة بنين فمرض فقال احدهم
اما ان تمرضوه وليس لكم من ميراثه شي واما ان امرضه وليس لي من
ميراثه شي قالوا امرضه وليس لك من ميراثه شي قال فمرضه حتى مات
ولم ياخذ من ميراثه شيا قال فاتي في النوم فقيل له ايت مكان كذا وكذا
فخذ مائة دينار فقال في نومه افيها بركة قالوا لا قال فاصبح فذكر ذلك
لامراته فقالت امراته خذها فان من بركتها ان نكتسي منها ونعيش منها
فابى فلما امسى اتي في النوم فقيل له ايت مكان كذا وكذا فخذ عشرة
دنانير فقال افيها بركة قالوا لا فلما اصبح ذكر ذلك لامراته فقالت له مثل مقالتها
الاولى فابى ان ياخذها فاتي في الليلة الثالثة فقيل له ايت مكان كذا
وكذا فخذ منه دينارا قال فيه بركة قالوا نعم فذهب فاخذ الدينار ثم
خرج به الى السوق فاذا هو برجل يحمل حوتين فقال بكم هما قال بدينار
قال فاخذهما منه بدينار ثم انطلق بهما فلما دخل بيته شق بطنهما
فوجد في بطن كل واحدة منهما درة لم ير الناس مثلها قال فبعث
الملك يطلب الدرة ليشتريها فلم توجد الا عنده فباعها بوقر ثلاثين بغلا

ذهبا

ذهبا فلما راها الملك قال ما تصلح هذه الا باخت اطلبوا اختها وان اضعفتم قال
فجاوه فقالوا اعندك اختها ونعطيك ضعف ما اعطيناك قال وتفعلون قالوا نعم
قال فاعطاهم اياها بضعف ما اخذ والاولى والله سبحانه وتعالى اعلم فانظر
رحمنا الله تعالى واياك الى هذه البركة ما اعظمها ابن هذا من
المائة دينار التي عرضت عليه اولا فالحاصل من هذا ان البركة كامنة في امتثال
السنة حيث كانت لان من فعل مثل هذا فالاستشراف منه بعيد واذا عدم
الاستشراف حلت البركة فلاجل هذا المعنى تجد كثيرا من اهل هذا الشان
الغالب عليهم شظف العيش وقلة ذات اليد ثم انهم مع ذلك لا يسابقون في
امر الاخرة وما ذاك الا لوجود البركة الحاصلة معهم فيما بيننا ولونه من امر
الدنيا لعدم استشرافهم لدنياهم واهتبالهم بامر دينهم والوقوف بباب
ربهم والتضرع اليه ولزوم الامتثال لاوامره والاجتناب لنواهيه والنزول
بساحة كرمه وقد سمعت سيدي ابا عبد الله الفاسي رحمه الله يقول
انه كان بمدينة فاس وكان يصحب بعض الفقرا فراه مرة وهو يبكي
ويتضرع ويسال الله تعالى ان يرفع عنه ما نزل به قال فسالته عن
موجب ذلك فابى عن اجابتي فبقي كذلك ايام ثم سري عنه فرجع الى
حاله الاول قال فسالته عن موجب قبضته وسروره فقال لي كنت
اجمع بين الما والحجار في الاستنجا فابتليت باني اذا اخذت حجرا استجمر به
اجده ذهبا فارميه واخذ غيره فاجده كذلك ثم كذلك ثم كذلك فضاق
ذرعي من ذلك لما نزل بي فبقيت اتضرع الى الله سبحانه وتعالى في دفعه
حتى ازاله عني فصرت اخذ الحجر فاجده حجرا كما هو وقد حكى لي رحمه الله
ايضا عن نفسه انه كان بمدينة فاس قال فكنت اخرج من البلد فارى
عند السور صندوقا مفتوحا مملوا ذهبا قال فكنت اولي وجهي عنه
فلما ان كان في بعض الايام التفت اليه واذا بيد من الهوى لطمت
وجهي فردته الى الناحية الاخرى فتبت الى الله تعالى ان التفت
اليه بعد وقد حكي لي عن بعضهم انه كان لا يبيت على معلوم حتى يخرجه
عنه وهو مع ذلك يرى في المنام كل ليلة قايلا يقول له انك لبخيل ويكرر
ذلك عليه مرارا فلما ان كان ليلة وقيل له ما قيل الى على نفسه انه

اذا فتح له من الغد بشيء يعطيه اول من يلقاه كان ما كان وكائنا من كان فلما ان
كان من الغد فتح له بخمس مائة دينار فاول من لقيه من الغد شاب وهو
عند مزين يحلق له راسه فاعطاه الصرة فقال له الشاب لا حاجة لي
بها عندي قوت يومي فقال اعطيها في اجرة المزين فقد دخلت على هذا
العمل لله فلا اخذ عنه عوضا فقال له خذها اليك دون اجارة فقال له
لا حاجة لي بها فقال له هي خمس مائة دينار فقال له المزين اما قد قيل
لك انك بخيل فوجد في نفسه وجدا شديدا واخذ الصرة فرمى بها في
الفرات فاذا قيل لمثل هذا بخيل فما بالك بمن ينتسب الى الطريق ويطلب
المطالب ثم يزعم انه على الطريق المستقيم وهيهات هيهات ليس الامر لارائنا
ولا لما اصطلحنا عليه من عوايدنا ولا لما يخطر من الهواجس في انفسنا
بل المشي على الطريق المستقيم الذي وقع من السلف الماضين وقد مضى ذكر
بعض احوالهم وليس لقايل ان يقول انما ذكرتموه لا يليق بهذا الزمان
لغلبة البخل فيه وقلة البركات بخلاف زمان السلف الماضين وقد مضى
ذكر بعض ~~احوالهم~~ فليس اذا ان الزمانين سوا بالنسبة الى الانقطاع الى
الله تعالى والنزول بساحة كرمه مع ان ما تقدم ذكره عن الشيخ ابي عبد
الله القاسي في هذا الزمان وقع ومثل ذلك كثير عن غيره وقد تقدم قوله
عليه الصلاة والسلام ان هذا المال خضرة حلوة فمن اخذه بسخاوة نفس
بورك له فيه ومن اخذه باسراف نفس لم يبارك له فيه انتهى ولا شك
ان من اتصف بما تقدم ذكره اعظم من المستشرف فترتفع البركة عنه
من باب اولى ثم انظر رحمنا الله تعالى واياك الى مخالفة السنة ما اكثر
قبحها وشناعتها الا ترى الى ما وقع بسبب ما تقدم ذكره وقد جر ذلك الى
تسليط بعض الناس على هدم كثير من بيوت المسلمين ومساجدهم بسبب
حفرهم على ذلك فمن كانت له شوكة فعله جهارا كان مسجدا او غيره من املاك
المسلمين ومن لم تكن له شوكة عمل الحيل الكثيرة على ذلك حتى يخرب
ويهدم وهذا امر عظيم حتى صار بعض اهل الاديان الباطلة من اراد ان
يخرب مسجدا او دار المسلم بينه وبينه عداوة كتب في ورقة ان موضع كذا
فيه كذا وكذا ويكتب تاريخها ويقدمها ويبخرها حتى تبقى كانها عتيقة ثم يلقيها

في موضع

في موضع من يعلم انه يفعل ذلك بسبب قدرته عليه اما بيده الباسطة او كثرة
التخيل فكان ذلك سببا لتخريب مساجد المسلمين ودورهم يدلك على ذلك ان اكثر
اليهود والنصارى قل ان تحفر لهم دار ولا كنيسة ولا بيعة والكل في بلد واحد
ثم ان بعض اهل الاديان اذا عجزوا عن تخريب المساجد والدور تسلطوا
على تعب المسلمين في ابدانهم وخسارتهم لاموالهم فيكتبون اوراقا في ورقة
الجبل الفلاني في الناحية الفلانية منه كذا وكذا اذا حفرت فيه كذا وكذا
دفنت كذا وكذا تجد فيه كذا وكذا او في ورقة اخرى الغار الفلاني
في جهة كذا وكذا منه تحفر قدر كذا وكذا فتجد كذا وكذا الى غير ذلك
وهو كثير وكل هذا باطل وعلى تقدير ان يكون شيء من ذلك صحيحا فعليه
المهالك الكثيرة لان من فعل ذلك انما هو من الامم الماضية فلم يضعوا
شيا الا وقد احاط به مهالك عظيمة فقل ان يصل احد الى ذلك الا بعطبه
وعطب غيره ثم انما يوجد من ذلك في الارض ولا يخلوا اما ان يكون في
فيا في الارض من ارض العرب فذلك فيه الخمس يصرف في وجوهه
والباقي لواجده وسوا كان ذلك ذهبا او فضة او لولوا او نحاسا او حديدا
او رصاصا كل ذلك سوا فيه الخمس والذي يوخذ منه الخمس ثلاثة هذا
واحد منها والثاني الندرة توجد في المعدن بغير مونة او بمونة يسيرة
والثالث الغنيمة واما ما يوجد في غير ارض العرب فلا يخلوا ذلك من
وجهين احدهما ان يكون ذلك الموضع اخذ عنوة والثاني ان يكون اخذ
صلحا فان كان عنوة فهو لذلك الجيش الذي افتتحوا ذلك الموضع ثم لاولادهم
ثم لاولاد اولادهم وذلك موجود في الغالب اذ ان اولاد الصحابة موجودون
بين اظهرنا في هذا الزمان وان كانت صلحا فما يوجد في ذلك الموضع فهو لاهل
الصلح فان عدموا فلاولادهم ثم لاولاد اولادهم وهم ايضا موجودون الى هلم
وللمسالة فروع موجودة في كتب الفقه الحاصل من هذا ان واجده ليس
له فيه شيء الا التعب واشتغال ذمته بشيء كانت عنه في غنا وقد
يكون ذلك سبب هلاكه واذا كان ذلك كذلك فالعاقل اللبيب يتعين
عليه الفرار من هذا وما شاكله اذ ان غنيمة المسلم انما هي براءة ذمته
ومن اشتغلت ذمته قل ان يتخلص والسعيد من لجا الى الله تعالى

في اعانته على ذلك فانه الكريم المنان اللطيف الرحمن **فصل واما الاشتغال**
بتحصيل علم الكيميا وهو من الباطل البين والغش المتعدي ضرره
لاهل زمانه ومن بعدهم وذلك ان من فعلها فقد خلط على الناس اموالهم وحسبها
عليهم اذ انهم مختلفون في فعلها فمنهم من يعملها ولا علم عنده انها تتغير ثم تتغير
بعد زمان وذلك الزمان يختلف بحسب القلة والكثرة وكثير منهم يعلم انها
تتغير ويغش الناس بها فيشغلون ذمتهم باموالهم وكل ذلك حرام سحت ومنهم
من يزعم انها لا تتغير وهو بعيد ولو قدرنا عدم تغيرها فذلك لا يجوز ايضا لان
الذهب المعدني والفضة المعدنية ينفعان للامراض ولهما خاصية في الادوية
وغيرها فيعود بالضرر على المريض فيزيده مرضا او يموت بسببه لانه
لابد ان يكون في غير المعدني عقاقير قد يسقم بعضها وقد يقتل بعضها
فعلى هذا فكل من تعاطى شيئا من ذلك فقد شغل ذمته باموال الناس
ودمائهم وقد سمعت سيدي ابا محمد رحمه الله يقول ان صرفها لا يجوز حتى
يبين انها من عمل يده وليست بمعدنية وهذا الذي قاله رحمه الله من
اجازة ذلك بعد البيان لا يسوغ في هذا الزمان بسبب انه يبين هو ومن
صارت اليه الغالب انه لا يبين والاحتراز من هذا متعذر هذا وجه
ووجه ثان وهو انه ان بين انها من صنعة يده تنزل عرضه والغالب
ان يؤول الى سفك دمه واذا كان كذلك فلا اعدل بالسلامة شيئا فاذا
سلم من الاتصاف بطلب المطالب والكيميا فليحذر من خلطة من يتعانا
ذلك او يشار اليه بشي ما منه فان ذلك سبب لاستشراف نفسه بسبب
سماعه منهم ما يخوضون فيه وذلك يذهب عزة الفقر وعزة الاياس
اذ لا بد لمن خالطهم ان يشغف بشي من حالهم ولو قل وذلك شغل
القلب عما هو فيه من التوجه والاقبال على المولى الكريم فيتعين
على من تعلق بالارادة الهرب الكلي ممن يشار اليه بشي
من ذلك لان حال المريد لطيف جدا والنظيف اقل شي يقابله
من الوسخ يؤثر فيه الا ترى ان الثوب المصبوغ في الغالب لا يؤثر فيه
ما يقع فيه بخلاف الثوب الرفيع الابيض النظيف فان اقل شي
من ذلك يدنسه ولهذا المعنى يقال في صفتهم قلت ذنوبهم فعرفوا

من ابن

من اين اتو وكثرت ذنوب غيرهم فلم يعرفوا من اين اتوا والكيميا على الحقيقة
انما هي الرجوع الى المولى سبحانه وتعالى والنزول بساحة كرمه فطلب
العبد منه ما يحتاج اليه من ضروراته لانه عز وجل كما ورد في الحديث
يستحي ان يرد يدي سائله صفرا وقد قال عروة ابن الزبير رضي الله
عنه اني لادعو الله في صلاتي في حوائجي كلها حتى الملح لعجيني وقد اوحى
الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام يا موسى سلني حتى الملح
لعجينك فوعزتي وجلالي لئن منعتك فلا احد يعطيك اياه او كما قال
وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليسال احدكم ربه حاجته
حتى يساله الملح وحتى يساله شسعه اذا انقطع فسبيل العبد طلب
حوائجه من ربه عز وجل فان جاع يقول يا رب انا جائع وكذلك
ان عطش او تعرى الى غير ذلك من حوائجه كلها في جلب النفع
ودفع الضرر قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز امن يجيب المضطر
اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض وقال تعالى ومن اصدق
من الله حديثا ومن اصدق من الله قيلا فالعاقل اللبيب من شمر عن
ساعديه وتوكل في الحقيقة على ربه واناب اليه فاذا حصل للمريد
هذا الحال فلو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ما قبلها ولا اقبل عليها لما حصل
عنده من الاستغناء بربه عز وجل وحسن نظره له اذ ان مفاتيح هداياه
لا تنحصر ولا ترجع الى قانون معلوم لانه عز وجل لا ياخذه حصر ولا يقال
في حقه اين ولا كيف فكذلك ما يسره على عبده سبحانه وتعالى
من عطاياه الجمة وهداياه لا حصر لها وقد حكي عن بعضهم انه اصابته
ضرورة وجوع شديد فتضرع الى الله سبحانه وتعالى في خلوته وطلب
منه العطا فسمع هاتفا وهو يقول اتريد طعاما او فضة فقال بل فضة قال
واذا بصرة بين يدي فيها اربع مائة درهم وقد حكي عن بعضهم انه كان اذا
طلب منه شي ادخل يده في جيبه واخرج ما طلب منه وكان اصحابه ينظرون
الجيب ويقطعون انه لا شي فيه ثم انه مع ذلك اذا طلب منه شي في الحال
ادخل يده الى جيبه فاخرج منه ما طلب منه فسيل عن ذلك فاخبر ان
الخضر ياتيه بكل ما طلب منه وقد سمعت سيدي ابا محمد رحمه

الله يحكى انه كان يصحبه رجل من اهل الخير والصلاح يعرف بابي عبد الله
ابن الطفيل وكان صاحب عايلة وفقر وكان الناس في سنة شدة ومحل
فجا ليلة بعد ان صلى العشا الاخرة في جماعة الى بيته فوجد اولاده
يبكون فقال لامهم مم يبكون فقالت من الجوع قال فتركتهم على ذلك
الحال وطلعت الى سطح البيت فرغت خدي على الارض وقلت يارب هولاء
يبكون علي وانا ابكي عليك اعطنا شيا ناكله قال واذا بسحابة قد طلعت
فجاءت فوق الدار فامطرت قمحا على الدار وحدها قال فنزلت الى
الاولاد فطلعوا فاكلوا حتى شبعوا ثم بقي عندهم ياكلون منه الى ان
دخل القمح الجديد وقد تقدمت حكاية سيدي ابي محمد رحمه الله
في انه بقي في وقت لا يحتاج الى اكل ولا شرب قال ولو بقيت كذلك لم احتج
الى شي طول حياتي لكن رجعت الى الاكل من طريق الامتثال للسنة لا
غير فمن رجع الى الله تعالى فطريق الفتح له متعددة في كل زمان واوان
ولا حجة لقول من يقول هذا زمان وذلك زمان لان المعطى فيهما واحد
لا يتغير ولا يزول والعجب من يتوكل على الله تعالى في نجاته من النار وجوازه
على الصراط وشربه من الحوض ودخوله الجنة الى غير ذلك ولا يتوكل عليه
في كسيرات يقيم بها صلبه وفي ثوب يستر به عورته ولاجل هذا المعني كان
سيدي ابو محمد رحمه الله يقول لو كان للايمان سوق يباع فيه لما سوي
ايمان احدكم كسيرة فيسل عن ذلك فيقول كل واحد منا يتوكل على الله
تعالى ان ينجيه من اهوال يوم القيمة بسبب ايمانه ويقول فضل الله
اعظم ورحمته اوسع ثم ان الايمان الذي اعده لنجاته من تلك الاهوال
ما خلصه التوكل على الله تعالى في كسيرات يقيم بها صلبه ويقول
لا بد من السبب فلو انقطع عنه السبب ايس وضجر وشكى وبكى
فاذا لم يخلصه ايمانه في هذا النزر اليسير فكيف يخلصه مما بين يديه
من الاهوال ففضل الله اعظم ورحمته اوسع في هذا النزر اليسير
من باب اولى واوجب لقوله عليه الصلاة والسلام لن تموت نفس
حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب لان المولى سبحانه
وتعالى يبتلي خلقه لينظر كيف يعملون ليقع الجزا وفاقا كما قال

سبحانه

سبحانه وتعالى فالسعيد من كان فرحا مسرورا بربه وبحكمه وبارادته ما تاتا
لاحوال نفسه ورايه وتدبيره اللهم لا تحرمنا ذلك بمنك ويمنك انك على ما
تشا قدير وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم **فصل في دخول
المريد الخلوة وينبغي للمريد ان لا يدخل الخلوة** بنفسه لان الخطر في
ذلك عظيم لما يخشى عليه من القواطع الرديه مثل ما تقدم ذكره من حصول
عربدة او نشاف او جنون او غير ذلك من المهالك لان الخطر فيها كثير متعدد
وقد قال لقمان عليه السلام في وصيته لولده يا بني عليك بذوي التجارب
انتهى لان من جرب قد دخل في المحاسه وعرفها وعرف موضع السلامة فيها
وموضع العطب فعلم ما يتجنب منها وما يحذر وما ينبغي ان يفعل وما يستعان
به وآكد ما عليه في خلوته التعلق بربه والسكون اليه والانقطاع عما
ممن هو مخلوق مثله ومن كتاب سير السلف للامام الحافظ اسماعيل ابن
محمد ابن الفضل الاصبهاني رحمه الله وقد قال شقيق البلخي رحمه الله من اراد ان
يعرف معرفته بالله فلينظر الى ما وعده الله ووعده الناس بايهما قلبه
اوثق وقال اتق الاغنيا فانك متى عقدت قلبك معهم وطمعت فيهم فقد
اتخذتهم ربا من دون الله وقال اذا اردت ان تكون في راحة فكل ما اصبت
والبس ما وجدت وارض بما قضى الله عليك وقال من دار حول الشهوات
فانه يدور ربد رجاته في الجنة ليأكلها في الدنيا وقال يحيي ابن معاذ الرازي
العبادة حرفة وحوانيتها الخلوة وراس مالها الاجتهاد بالسنة وربحها الجنة
وقال الصبر على الخلوة من علامة الاخلاص وقال اجتنب صحبة ثلاثة
اصناف من الناس العلما الغافلين والقرا المداهنين والمتصوفة الجاهلين
وقال الزهد ثلاثة اشيا القلة والخلوة والجوع وقال على قدر حبك لله يحبك
الخلق وعلى قدر خوفك من الله يهابك الخلق وعلى قدر شغلك بالله
يشتغل في امرك الخلق وقال ابو حفص عمر النيسابوري لو ان رجلا
ارتكب كل خطيئة ما خلا الشرك بالله وخرج عن الدنيا سليم القلب لاصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر له قيل لابي حفص هل لهذا في القران
من دليل قال بلى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فاتباعه
محبة اصحابه لاجله وقال ابو القاسم الحكيم السمرقندي كم من مستدرج

بالاحسان اليه وكم من مغتر بالثنا عليه وكم من مفتون بالستر عليه وقال
ابو تراب النخشبي ولباسه ماستر ومسكنه حيث نزل وقال حقيقة الغنى
ان تستغنى عمن هو مثلك وقال الذي منع الصادقين الشكوى الى غير
الله الخوف من الله وكتب ابو الابيض كتابا الى بعض اخوانه سلام عليك
ورحمة الله فانى احمد اليك الله الذى لا اله الا هو اما بعد فانك لم تكلف
من الدنيا الا نفسا واحدة فان انت اصلحتها لم يضرك فساد غيرها وان انت
افسدتها لم ينفعك صلاح غيرها واعلم انك لن تسلم من الدنيا حتى لا تبالى
من اكلها من احمر واسود وقال شقيق ابن ابرهيم البلخي رحمه الله تعرف
تقوى الرجل فى ثلاثة اشيا فى اخذه ومنعه وكلامه وقال دخل الفساد
فى الخلق من ستة اشيا اولها ضعف النية فى عمل الاخرة والثاني
صارت ابدانهم رهينة بشهواتهم والثالث غلب طول الامل على قرب
اجلهم والرابع اتبعوا اهواهم ونبذوا سنة رسولهم صلى الله عليه وسلم
وراظهورهم والخامس اثروا رضى المخلوقين فيما يشتهون على رضى
خالقهم فيما يكرهون والسادس جعلوا زلات السلف دينا ومناقب
لانفسهم وقال حاتم الاصم الزم خدمة مولاك تاتيك الدنيا راغمة
والجنة عاشقة انتهى وينبغي ان يكون دخول المريد للخلوة على
يد شيخ متمكن من العلمين علم الحال وعلم السنة ان امكنه ذلك
ولا يدخل بنفسه كما تقدم واذا كان كذلك فالشيخ لا يخلو حاله من
احد امرين اما ان يكون عنده من المكاشفات وخرق العادات
ما يمد به المريد فى خلوته فاذا كان كذلك فهو الكبريت الاحمر الذي
لا يفوته غيره والسلامة بل الغنيمة موجودة على يده متيسرة
لانه يعرف مزاج المريد وقدر ما يحمل من المجاهدات وقدر ما
يشق عليه منها وقدر ما يخاف عليه فما اسعاده المريد ان وجد
من هذه صفته واما ان يكون الشيخ ليس من اهل المكاشفات
ولا ظهور خرق العادات فلابد ان يكون عنده العلم حاصلا بالتجربة
لانه قد جرب ذلك واطلع على المفاسد والمصالح وما يليق بالمريد
فى خلوته وما يقع له من جهة العادات والحذر الحذر ان يدخل بنفسه

خيفة

خيفة من مواضع العطب واعنى بدخول الخلوة هنا ما يستعمله المريدون
من المجاهدات واما الوخلا بنفسه دون مجاهدة فلا يحتاج هذا الى شيخ يسلكه
بل بلسان العلم قايم عليه مطلوب به فى الخلا والملا ولا فرق اذ ذاك فى
حقه مع انه اذا اتبع لسان العلم فى هذا الزمان فى خلوته وجلوته فهو
ولى وقته لاجل حال الزمان فما اسعده ان قدر على ذلك وهذه الطريقة (هي طريقة)
السلف الماضين رضى الله عنهم اجمعين اعنى ترك دخول الخلوة على نظام
معلوم الا ترى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يربى اصحابه تحت ظلال
السيوف وفى الاسواق يحترفون وفى الحوايط يعملون وانما حدثت الخلوات
على يد المربين بعد انقراضهم رضى الله عنهم وكان سيدي ابو محمد وسيدي
ابو محمد المرجاني رحمهما الله يقولان انما جعلت الخلوات للبنات الابكار
انتهى وانما اتخذت للمريدين لما ان كثرت الفتن والمخالفات فاحتاج المريدون
اذ ذاك الى الفرار لاجل صلاح ذمتهم وقلوبهم وخواطرهم وليس لهم السبيل
الى ذلك الا بدخول الخلوات او الفلوات والمقصود ان لا يدخل الخلوة المعهودة
عند عند السالكين الا بعد المعرفة بمصالحها ومفاسدها والدسايس
التى تطرا عليه فيها فان كان على يد شيخ فيشترط فى الشيخ ان يكون عارفا
بحال المريد وما ينقلب فيه من الاطوار وما يليق بحاله كما تقدم لان
الشيخ له مراتب عديدة وكذلك المريد مثله واخص ذلك ما سمعت
سيدي ابو محمد رحمه الله يقول نظر الادنى بعين الادنى يوجب
الهلاك ونظر الاعلى بعين الادنى يوجب الحيرة ونظر الاعلى بعين الاعلى
هو السمو والرفعة ونظر الاعلى للادنى بعين الاعلى يوجب
التعب له ولاتباعه ونظر الاعلى للادنى من جنسه يوجب الراحة له
ولاتباعه انتهى اما قوله نظر الادنى بعين الادنى يوجب
الهلاك فمثاله النظر الى الدنيا وزينتها بعين التمنى والاشتهاء فذلك
يوجب الحرص والحسد والتقاطع والتدابر وهو عين الهلاك قال
الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة
الدنيا لنفتنهم فيه وكذلك ايضا النظر الى اهل المعاصى لانك اذا
نظرت اليهم فان كنت على معصية فتنظر لمن يفعل ما هو اكبر منها

يهون عليك ما انت فيه من المخالفة ويصغر في عينك ذنبك فيكون ذلك سببا
الى الزيادة في المعصية وهذا هو عين الهلاك نعوذ بالله من ذلك واما
قوله ونظر الاعلى بعين الادني يوجب الحيرة فمثاله المبتدي ينظر الى
اهل النهايات ثم يريد ان يتشبه بهم في تعبدهم وتصرفهم مرة واحدة
فانه لا يستطيع ذلك ومن تناهى في ذلك الشان لم يكن اخذه له مرة واحدة
وانما هم ياخذون الشي اليسير ويقتصرون عليه ثم يزيدون على ذلك
قليلا قليلا حتى يحصل لهم من العلم والتعبد اوفر نصيب ويستغرق
اوقاتهم في ذلك وهم لم يشعروا به ولم يتعبوا فيه لرفقهم وسياستهم وقد
قال عليه الصلاة والسلام ما كان الرفق في شي الا زانه وما كان الخرق في
شي الا شانه وقال عليه الصلاة والسلام علموا وارفقوا اللهم الا من ندر
من الفضلا فدخل في ذلك مرة واحدة فذلك محمود ومن ندر لا حكم به
نعم لو اوقع للمرء هذا الحال ولا ينبغي له التشبث بما قد ذكر وانما الكلام
فيمن بقي مع نفسه فشانه ما تقدم عن احوال من تقدم ذكرهم كيف
كان كسبهم لما اكتسبوه وان لم يفعل ذلك تحير في طريقه وحير من لاذ به
هذا هو عين الحيرة نعوذ بالله من ذلك واما قوله ونظر الاعلى بعين
الاعلى هو السمو والرفعة فمثاله الرجل ينظر لمن هو اعلم منه فيعمل
على ان يصل الى ما وصل اليه فيجتهد في طلب العلم والرجل الصالح ينظر
لمن هو اصلح فيجتهد في التعبد ويزيد في عمله على ما تقدم بالرفق
والسياسة حتى يلحق بمن نظر اليه ولهذا المعنى الذي اشار
الشيخ اليه قال عليه الصلاة والسلام خصلتان من كانتا فيه كتب عند
الله شاكرا صابرا ان ينظر في الدين لمن هو اعلى منه فيقتدي به
وان ينظر في الدنيا لمن هو اقل فيحمد الله الذي فضله عليه هذا
هو السمو والرفعة من الله علينا بذلك ولا يجعل حظنا منه الكلام
بمحمد واله واما قوله ونظر الاعلى للادنى بعين الاعلى يوجب التعب
له ولاتباعه فمثاله من كان من اهل الفضل والخير واقامه الله في
مقام من مقامات اهل النهايات اذا جاءه احد ممن يريد ان يرجع
الى الله تعالى ويتوب يريد من حينه ان يحمله على المقام الذي هو فيه

من غير

من غير سياسة تقع له قبل ذلك ولا تدريج هذا هو التعب مع نفسه لا شك
فيه لانه يريد ان يحمل الناس على طريقه وهم لا يساعدونه على ذلك وكل
تبعه في التعب اكثر لانهم يدعون الى مقام لا طاقة لهم به ولا يقدرون
عليه ولاجل هذا المعنى كان كثير من اهل السبق والخير اقتصر خيرهم على
انفسهم ولم ينتفع بهم من لاذ بهم وخدمتهم اعني في الاقتدا واما البركة فلا بد
من حصولها غالبا للحديث الوارد هم القوم الذي لا يشقى بهم جليسهم نسال
الله ان لا يحرمنا من بركاتهم بمنه واما قوله ونظر الاعلى للادنى من جنسه
يوجب الراحة له ولاتباعه فمثاله الرجل الصالح المتمكن في طريقه اذا جاءه
احد ممن يريد التوبة والرجوع اخذه باللطف والرحمة واقبل عليه وسايس
حاله برايه السديد وتدبيره الرشيد فينظر له من جنسه على لسان العلم
ما يصلحه وما هو العون له على ما اراد ثم يرقيه بعد ذلك شيا فشيا حتى
قد يبلغ في اقل زمان الى المرتبة العليا بحسن تدبير هذا السيد وسياسته
اياه وصاحب هذا الحال هو اعظم من تقدم وافضلهم وهو الجاري على
السنة لان الله عز وجل لم ينزل الفروض اولا مرة واحدة ولا امر بالقتال
اولا وانما امر اولا بالتوحيد لا غير وامر تعالى نبيه عليه السلام بمسايسة
الناس واللطف بهم فقال تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين
ثم لما ان ظهر المشركون على المسلمين امر الله عز وجل نبيه عليه الصلاة
والسلام بالخروج من مكة الى المدينة ولم يامره بالقتال ثم لما ان كثر المومنون
وظهرت الكلمة نزلت الفروض شيا فشيا فلما ان تقرر لهم الدين
وتقوى اهل الاسلام فعند ذلك امر الله عز وجل بالجهاد باللسان بل
امرنا بالجهاد باللسان قبل هذا الامر فقال عز وجل ادع الى سبيل
ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن فلما ان تقوى
الامر اكثر من ذلك امر الله عز وجل بقتال الاقربين من الكفار فقال
تعالى يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار فلما ان تقوى
الامر وظهر امر الله عز وجل بالقتال مطلقا فقال عز وجل وقاتلوا المشركين
كافة ثم ان الفروض لم تتم الا في حجة الوداع فقال تعالى فيها اليوم
اكملت لكم دينكم هو سبحانه وتعالى القايم بعباده وبما يصلحهم فلو كان

امرهم ومخالطتهم اولا بالقتال وبحمله الفروض فيه مصلحة ومنفعة لهم
لامريد لك اولا الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وصاحب الحال الدي
اشار الشيخ رحمه الله اليه اخيرا مضى على هدا الاسلوب وانتفع بنفسه
واستراح وانتفع الناس به ووجد والراحة على يديه وهدا هو الاصل
وعليه العمل وقد قال عليه السلام خاطبوا الناس على قدر عقولهم
فليس من دخل في التعبد وتمرن فيه وكثرت المجاهده لديه كمن ابتدا
الدخول ولاجل هدا المعنى قال عليه السلام في السودا حين سالها اين
الله فقالت في السما فقال لصاحبها اعتقها فانها مومنه فقنع عليه
السلام منها بالاقرار بان الله واحد موجود ودلك ينفي ما كانوا
يعتقدون من ان الاصنام هي الالهة في الارض فاله السما واله الارض
هو الله الواحد الموجود لا انه سبحانه وتعالى حل في السما تعالى عن
دلك علوا كبيرا اد ان السما مخلوقة له ولاجل الصانع في صنعته ومعاد
الدي كانت هجرته قديمة وتمكن من العلم وافعال الخير حين ساله
عليه السلام كيف اصبحت فقال معاد اصبحت مومنا حقا فقال عليه
السلام لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك فلم يكتف من معاد باللفظ
الاول حتى ساله عن حقيقة ايمانه وقنع من السودا بما قد دكرت
لاجل ما بينهما من العلم وانواع التعبد والله الموفق للصواب

فصل وينبغي للمريد اذا اجتمع له في زمانه او بلده مشايخ
يرجوا بركتهم وهو بعد لم يسكن الى احد منهم فينبغي له ان ينظر الى
حاله بعد انفصاله عن كل واحد منهم ممن حصل له بالاجتماع به منهم
علم او انابة ورجوع فليشد يده عليه وان كان غير دلك فلا حاجة
تدعو الى العودة اد ان خطاه تنفي لغير فايده سمعت سيدي ابا محمد
رحمه الله يعيب هدا ويقول ما ينبغي للمريد ان يتردد الا لموضع يحصل
له فيه فايدة او فوايد ولا يكون مثل بهيمة السانية لا تزال تمشي طول
يومها وهي لم تبرح في موضعها دلك ولا ينبغي ان يسي الظن بمن لم
يحصل له منه شي اد ان دلك محتمل لوجهين الاول ان يكون
المزار من الاكابر والفضلا لكن اصحابه معلومون معروفون

لخيره

لخيرة مقصور عليهم لا يتعداهم فاد لم يجد المريد زيادة عند زيارته فيعلم
انه ليس له عنده قسمة فترك دلك به اولى وقد يكون احرخيره مقصورا
على نفسه لا يتعدى لغيره ووجه ثالث نفصل فيه بين ان يكون المريد من
اهل التمييز لما تقدم دكره فان كان كدلك فالحكم ما سبق وان لم يكن في تلك
الدرجة فالمواظبة على زيارتهم واغتنام بركتهم به اولى ما لم يعارضه امر شرعي
من ارتكاب بدعة او زيها او شي من المكروهات او يحصل له بسبب دلك
بطالة او فاته عما هو بصدده ويكفيه من دلك زيارتهم في وقت دون وقت
كما تقدم في زيارة طالب العلم لهم وبالجملة فاحوالهم في هدا المعنى لا تنضبط
والقليل النادر منهم من يكون خيره عاما لساير الناس فالحاصل من هدا ان
للمريد اتساعا في حسن الظن بهم وفي ارتباطهم على شخص واحد يعول عليه
في اموره ويحدر من نقص او فاته لغير فايدة قال سيدي ابو محمد رحمه
الله عمرك نفس واحد فاحرص ان يكون لك لا عليك انتهى لان الفكره فيما
مضى هو من باب ندب الاطلال كما تقدم والفكرة فيما ياتي ادعام النفوس
لتحصيل الاعمال وهو لا يعرف ما يبرز من العلم المكنون والتقديرات
المغيبات عنا وهي كثيرة **فصل وينبغي للمريد ان يكون اشد
الناس نظرا الى** نعم الله تعالى عليه والى لطفه به واحسانه اليه
قال الله عز وجل في كتابه العزيز لين شكرتم لازيدنكم ولين كفرتم ان
عدابي لشديد بيان دلك ان المريد يصبح عليه الصباح فينهض الى
صلاة الصبح في وقتها في جماعة ويدكر ما قدر له ثم يجلس بعد دلك
في مجلس علم فيفهم بعضه او كله ثم ياتي الى من يعتقده ويتكلم معه في
مسايل من الخير ثم يصلي الصلوات الخمس في جماعة وان فتح له شي من
اوراد الليل او اوراد الصوم فتح عليه فانه قيد هده الاشيا بالشكر زادت
او نمادت وان راى وهو الغالب انه في نفسه لا شي وانه لم يفتح عليه
بشي فهدا الخاف عليه لقوله تعالى ولين كفرتم ان عدابي لشديد
والكفر عام الا ترى الى قوله عليه الصلاة والسلام في امر النسا لهن اكثر اهل
النار قيل بم يا رسول الله قال بكفرهن قالوا يكفرن بالله قال يكفرن
العشير ويكفرن الاحسان وقد بوب البخاري لهدا المعنى فقال

باب كفرد ون كفر وكثير من الناس من يغفل عن هذا النعم فلا يقيدها
بالشكر حا تقدم لاجل انه يستقلها فتذهب عنه فيحذر من هذا جهده ولا
يظن ظان ان قول من قال ان الصديقين لا يكونون في يومهم علي
ماكان حالهم عليه بالامس بل يزدادون في اليوم الثاني ترقيا ومن
ذلك قول عايشة رضي الله عنها كل يوم لا ازداد فيه بدا او قالت لا ازداد
فيه علما لا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم انتهى لان المومن اذا
جاء اليوم الثاني فلابد له فيه من ادا الفرايض وتوابعها وما يتلقاها
من الامر والنهي والترغيب والتحذير فيتبع ذلك ويعمل على خلاص
مهجته في يومه وذلك برق لا شك فيه الا تري الى قوله عليه الصلاة والسلام
في الحديث الذى اخرجه مالك رحمه الله في موطايه ان اخوين مات
احدهما قبل صاحبه باربعين يوما فاثنى الصحابة على الاول فسال
عليه الصلاة والسلام عن الثاني فقالوا لا باس به فقال عليه الصلاة والسلام
وما يدريكم ما بلغت به صلاته انما مثل الصلاة كمثل نهر عذب غمر بباب
احدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فهل ترون ذلك يبقي من درنه قالوا
لا فقال عليه الصلاة والسلام وما يدريكم ما بلغت به صلاته انتهى وقد
قال بعض المشيوخ ان الدوام على الحال زيادة فيه فاذا اصبح المريد
وامتثل ما كلفه فهو زيادة في حقه ثم كذلك ثم كذلك الى حين اجله
فحينيذ تطوي صحيفة عمله فلا زيادة بعدها فان حصل للمريد زيادة
على ما تقدم ذكره فنور على نور والا فالترقي حاصل له والحمد لله فليحذر
ان يكفر هذه النعم بترك النظر الى من من عليه بها واحسن اليه فيها

فصل وينبغي للمريد ان يكون عارفا بالخواطر حسنها وسيبها

واما ان يميز ذلك بنفسه او يكون على يد شيخ عارف بها اذ ان الخواطر والهواجس
والهواتف لا ينحصر تعدادها ولا يمكن حصرها لكثرتها وتشعبها واشكال
اكثر ما يقع منها وتلبس الامر عليه فان وقف مع ما يقع له من ذلك
قل ان يتخلص ويذهب عليه اكثر زمانه دون عمل لان اللعين اذا لم يقدر
على المريد من جهة الترك اتاه من وجوه اخر لا تنحصر فاذا كان
مميزا للخواطر وغيرها انسدت هذه الثلمة الكبرى والخواطر

وقف برواق الريافة بالازهر تحت يد الشنواني لعن الله من غيّره

اربعة رباني وملكي ونفساني وشيطاني سمعت سيدي ابا محمد رحمه الله
يقول الرباني اولها وهو مثل لمحة البرق لا يثبت والنفساني يعقبه مثل
المصلي مع السابق فما يرد ذلك الا وقد استقر هذا الى محله وحدث
وسؤل وشهي ولاجل هذا المعنى وقع الخلف عند بعض من ينسب الي
شي من هذا المعنى وما ذاك الا لسرعة ما تقدم ذكره فيخبرون باشيا قل
ان تقع في الغالب وان وقعت فبالمصادفة لا ان ذلك من جهة اخبارهم
واما المحققون المميزون للخاطر الاول فقل ان يخبروا بشي الا وقع كما
اخبروا به لان ما كان من عند الله هو واحد لا يختلف قال الله تعالى
ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وهذه الخواطر ليست
خاصة بالشيوخ والمريدين بل هي موجودة فيهم وفي غيرهم لكن التمييز يختص
به من يختص ومع ذلك فمن تحقق بهذه الخواطر فلابد له ان يزنها على لسان
العلم فما وافق امضاه والا تركه لان التكليف لم يقع الا من جهة الشرع
المنقول وغير ذلك فلا يعول عليه الا على سبيل التبع والتانيس واما
الخاطر الملكي فهو كل خاطر يامر بطاعة او خير ما اذا كان سالما من الوصول
الى ما لا ينبغي او يتوقع معه ترك طاعة او بطالة وقت فان كان كذلك
فليس من الملك واما الخاطر الرابع وهو اردلها وهو الخاطر الشيطاني فهو لا
يامر بخير اصلا الا ان يكون ذلك الخير يودي الى الشر ويقع الفرق بين الخاطر
النفساني والشيطاني ان الشيطان لا يريد الا وقوع المخالفة كيف كانت من
حيث كانت فان عجز عن هذه المعصية تركها واتى الى معصية اخري
وهو ينتقل من حال الى حال اذ مقصوده انما هي المخالفة من حيث هي
كاينة ما كانت والخاطر النفساني هو الذى يلزم امرا واحدا لا يفارقه
فان انت رددته عنه الح به عليك وقال لابد من وقوعه ويمنيك
بالتوبة والاستغفار بعده ويعدك بالغرور وانك اذا انلت ما القته
اليك تفعل انت ما تحب ان توقعه من الطاعات فيحتاج المريد الي
التمييز الى معرفة هذه الخواطر حين نزولها به وما يترتب عليه من
الاحكام فيها فان لم يكن عارفا بها ولم يكن تحت نظر شيخ يرجع اليه عند
اشتباه الامور عليه فياخذ معه فيها والا فلسان العلم عليه قايم وهو

المرجوع اليه عند الاختلاف وهو طريق السلامة التي لا شك فيها والعطب في
غيرها موجود غالبا الا لمن عرف الحكم عليه في ذلك والله الموفق

فصل جامع لبعض اداب السلوك وبعض الاثار عن السلف الماضين

رضي الله عنهم اجمعين ومع ما تقدم ذكره فلا بد من الخلوات اذ انه بسببها
يدرك المكلف ما هو فيه من الخطر ومن النعم ومن تحف المولى سبحانه
ويبين له بها اشيا كثيرة مما مضى عليه سلفه الا ترى الى بركة هذه الحكم
التي ينطقهم الله بها اذ ان ذلك ليس في قوتهم ولا من قدرتهم الا ببركة
توجههم واقبال المولى سبحانه وتعالى عليهم واعظم ما يتوصلون به الى هذا
المعنى التزام الخلوات كما تقدم فانظر رحمنا الله تعالى واياك الى ما نقله الامام
الحافظ اسماعيل ابن محمد ابن الفضل الاصبهاني رحمه الله في كتاب سير السلف
له عن ابي حازم رحمه الله ونفع به واعاد من بركاته انه قال قد رضيت
من احدكم ان يتقي على دينه كما يتقي على نعله وقال شيان هما خير
الدنيا والاخرة اذا عملت بهما اتكفل لك بالجنة ولا اطول عليك قيل وما
هما قال تحمل ما تكره اذا احبه الله وتترك ما تحب اذا كرهه الله وقال ايضا
قاتل هواك اشد مما تقاتل عدوك وقال رجل له انك متشدد فقال ما لي
لا اتشدد وقد رصدني اربعة عشر عدوا اما اربعة فشيطان يفتنني ومومن
يحسدني وكافر يقاتلني ومنافق يبغضني واما العشر فالجوع والعطش
والعري والحر والبرد والهرم والمرض والفقر والموت والنار ولا اطيقهن
الا بسلاح ولا اجد لهن سلاحا افضل من التقوى وقيل له ما مالك
فقال ثقتي بالله واياسي مما في ايدي الناس وقال ما رايت يقينا لا
شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه من شي نحن عليه وقال ينبغي للمومن
ان يكون اشد حفظا للسانه منه لموضع قدميه وقال افضل خصلة ترجى
للمومن ان يكون اشد الناس خوفا على نفسه وارجاه لكل مسلم انتهى
وقال بعضهم ان لم يكن في المبتدي خمس خصال والا فلا ترجه عقل
حسن واتباع السنة وصحبة الاكابر ومن اين ياكل ولسانه وصيانته
او كما قال ومن كتاب سير السلف ايضا وقد قال ابو سفيان اذا رايت
العالم لا يتورع في علمه فليس لك ان تاخذ عنه وكان يقول وضعوا مفاتيح

الدنيا على الدنيا فلم تنفتح ووضعوا عليها مفاتيح الاخرة فانفتحت وقال
رجل للجنيد من اصحب قال من يقدر ان يطلعه على ما يعلمه الله منك
وسئل مرة اخرى من اصحب قال من يقدر ان ينسى ما له ويقضي ما عليه
وقال قد مشى رجال باليقين على الما ومات على العطش افضل منهم يقينا
وقال من عرف الله لا يسر الا به وقال لو اقبل صادق على الله الف الف سنة ثم
اعرض عنه لحظة كان ما فاته اكثر مما ناله وقال من نظر الى ولي من اوليا
الله فقبله واكرمه اكرمه الله على روس الاشهاد وقال ذو النون المصري
رحمه الله من علامة المحب لله متابعة حبيب الله في اخلاقه وافعاله واوامره
وسننه وقال من نظر الى سلطان الله ذهب سلطان نفسه لان النفوس
كلها نقيرة عند هيبته وقال رويم رحمه الله لا تزال الصوفية بخير ما
تنافروا فاذا اصطلحوا هلكوا وقال ابن خفيف رحمه الله قلت لرويم اوصني
فقال اقل ما في هذا الامر بذل الروح فان امكنك الدخول فيه مع هذا
والا فلا تشتغل بترهات الصوفية انتهى وقد قيل ان لقمان عليه السلام
كان عبدا اسود نوبيا وكان لبني فلان فقيل له ما بلغ بك ما نرى
قال تقوى الله وطول الصمت وترك ما لا يعنيني ومن كتاب سنن
الصالحين وسنن العابدين القاضي ابي الوليد الباجي رحمه الله
قال وروي عن ابي الدردا انه قال لولا ثلاث ما احببت ان اعيش
لله الظما لله بالهواجر والسجود في جوف الليل ومجالسة اقوام ينتقون
خيار الكلام كما ينتقى اطايب التمر وروي عن بلال ابن سعد انه
قال زاهدكم راغب ومجتهدكم مقصر وعالمكم جاهل وجاهلكم مغتر وقال
بعض الحكما جاهد نفسك باصناف الرياضة والرياضة على اربعة
اوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام
وحمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات
ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الافات
ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات وليس على العبد شي اشد
من الحلم عند الجفا والصبر عند الاذى وقال عيسى عليه السلام
طوبى لمن خزن لسانه ووسعه بيته وبكى على خطيئته وقال العنبري

اجتمع اصحاب الحديث على باب الفضيل ابن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو
يبكي ولحيته ترجف فقال عليكم بالقران عليكم بالصلاة ويحكم ليس هذا
زمان حديث انما هو زمان بكا وتضرع واستكانة ودعا كدعا الغريق انما
هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما
تنكر وقال كعب الاحبار رحمه الله والذي نفسي بيده لان ابكي من خشية
الله حتى تسيل دموعي على وجهي احب الي من ان اتصدق بجبل من ذهب
وقال وهب ابن منبه فقد زكريا ابنه يحيى عليهما السلام فوجده بعد ثلاث
مضطجعا على قبر وهو يبكي فقال ما هذا يا بني فقال اخبرتني ان جبريل اخبرك
ان بين الجنة والنار مفازة لا يطفي جرها الا الدموع فقال ابك يا بني وقال
عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما لان ادمع دمعة من خشية الله احب الي
من ان اتصدق بالف دينار وقال ابرهيم ابن ادهم ان الذنوب ضعفا في
القوة وظلمة في القلب وان للحسنات قوة في البدن ونورا في القلب
وقيل لسفيان الثوري رحمه الله لو دعوت الله عز وجل فقال ترك الذنوب
هو الدعا وانشدوا خلقت من التراب فصرت سيا وعلت الفصيح من
الخطاب وعدت الى التراب فظلت فيه كاني ما برحت من التراب
خلقت من التراب بغير ذنب وارجع بالذنوب الى التراب ولقي حكيم حكيما
فقال له اني لاحبك في الله فقال لو علمت مني ما اعلم من نفسي لابغضتني
في الله فقال له الاول لو اعلم منك ما تعلمه من نفسك لكان لي فيما اعلمه
من نفسي شغل عن بغضك وكان الربيع ابن خثيم اذا قيل له كيف
اصبحت قال اصبحنا ضعفا مذنبين ناكل ارزاقنا وننتظر اجالنا وقيل
للمغيرة كيف اصبحت يا ابا محمد فقال اصبحنا مغرقين بالنعم موقرين بالذنوب
يتحبب الينا ربنا وهو غني عنا ونتباغض اليه ونحن الفقرا اليه وقد قيل
لابرهيم ابن ادهم رحمه الله من اين عيشك فقال نرقع دنيانا بتمزيق
ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع وقيل لمحمد ابن واسع رحمه الله كيف
اصبحت قال اصبحت طويلا املي قصيرا اجلي سيا عملي انتهى كلام الباجي
ومن كتاب سير السلف ايضا وقال بشر ابن الحارث رحمه الله سمعت
منصورا يقول لما خلق الله ادم قال اني جاعل لبصرك طبقا فاذا

عرض

عرض لك امر لا يحل لك ان تنظر فيه فاطبقه واني جاعل لفيك طبقا فاذا
عرض لك امر لا يحل لك ان تنطق فيه فاطبقه واني جاعل لفرجك سترا
فلا تكشفه على ما لا يحل لك انتهى وقد قال بعضهم الاصحاب ثلاثة صاحبك
وصاحب صاحبك وعدو عدوك والاعدا ثلاثة عدوك وعدو صاحبك
وصاحب عدوك ومن كتاب الباجي ايضا رحمه الله وروي عن بعض العلما
انه قال انما يدخل الجنة من يرجوها وانما يجنب النار من يخشاها وانما يرحم
من يرحم وقال لقمان لابنه يا بني خف الله خوفا لا تياس فيه من رحمته
وارجه رجا لا تامن فيه من عقابه فقال يا ابتاه وكيف وانما لي قلب
واحد فقال يا بني ان المومن لو شق قلبه وجد فيه نور رجا ونور خوف
لو وزنا لم يمل احدهما بصاحبه وقال عبد الله ابن دينار قال لقمان لابنه
يا بني كيف يامن النار من هو واردها وكيف يطمين الى الدنيا من هو مفارقها
وكيف يغفل من لا يغفل عنه يا بني لا شك في الموت فانك كما تنام كذلك
تموت ولا شك في البعث فانك كما تستيقظ كذلك تبعث يا بني ان الانسان
ثلاثة ثلثه لله وثلثه لنفسه وثلثه للدود والتراب فاما ما كان لله فروحه
واما ما كان لنفسه فعمله خيرا او شرا واما ما كان للدود والتراب فجسده
وقال سفيان الثوري ما امن احد على دينه الا سلبه وقال ابو حنيفة
اكثر ما يسلب الناس الايمان عند الموت وقال ابليس اذا ظفرت
من ابن ادم بثلاث لم اطلبه بغيرها اذا اعجب بنفسه واستكثر عمله
ونسي ذنوبه وقال ابن القاسم قال مالك بلغني ان عيسى ابن مريم قال
له رجل من اصحابه انك تمشي على الما فقال له عيسى وانت ان كنت
لم تخطي خطيئة مشيت على الما فقال له الرجل ما اخطات خطيئة قط
فقال له عيسى فامش على الما فمشى ذاهبا وراجعا حتى اذا كان في
بعض البحار هو قد غرق فدعي عيسى ابن مريم فاخرج فقال
له ما لك ذهبت ورجعت ثم غرقت اليس زعمت انك لم تخطي خطيئة
قط قال ما اخطات شيا قط الا انه وقع لي نفسي اني مثلك وروى عن عاصم
قال امنا ابو عبيدة ابن الجراح قوما مرة فلما انصرف قال ما زال بي
الشيطان انفا حتى رايت ان لي فضلا على من خلفي لا اوم ابدا وروي

عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه قال ما كانت الدنيا هم رجل قط الا لزم قلبه
اربع خصال فقر لا يدرك غناه وهم لا ينقضي مداه وشغل لا ينفد اولاه وامل
لا ينقطع منتهاه وقال الاصمعي قيل لبعض الصالحين كيف حالك قال حال
من يبقى بفنايه ويسقم بسلامته ويوتى من مامنه وقال بعض الحكما ان كان
شي فوت الحياة فالصحة وان كان شي فوت الموت فالمرض وان كان شي
بعدل الحياة فالغنى وان كان شي يعدل الموت فالفقر انتهى كلام الباجي
رحمه الله ويروى عن علي ابن عبد الله ابن عباس انه كان يسجد في كل
يوم الف سجدة وكان يسمى السجاد وقد انشد بعضهم وغير تقي يامر الناس
بالتقى طبيب يداوي والطبيب عليل وقال الشيخ الامام ابو عبد الرحمن
الصقلي رحمه الله من اراد ان يحبه الله عز وجل وان تدعو له الملايكة
ويحشر في زمرة النبيين ويعظم قدره عند الاوليا فليطع الله فيما امره
به ونهاه عنه ويلزم المنهاج الاول وروي ان الله عز وجل اوحى الى نبي
من الانبيا هب لي من قلبك الخشوع ومن عينك الدموع ثم ادعني استجب
لك فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعاني ومن كتاب سير السلف ايضا
وقال محمد ابن اسلم الطوسي لخادمه يا ابا عبد الله ان معي في قميصي
من يشهد علي فكيف اكتسب الذنوب انما يعمل الذنب جاهل ينظر
ولا يرى احد القول ليس يرى احد اذهب باذنب اما انا فكيف يمكنني
ذلك وقد علمت ان داخل قميصي من يشهد علي ثم قال يا ابا عبد الله
ما لي وللدنيا وللخلق كنت في صلب ابي وحدي ثم صرت في بطن امي
وحدي ثم دخلت الدنيا وحدي ثم تقبض روحي وحدي وادخل
في قبري وحدي وياتيني منكر ونكير فيسالاني وحدي فان صرت الى
خير كنت وحدي وان صرت الى شر كنت وحدي ثم اقف بين يدي
الله وحدي فان بعثت الى الجنة بعثت وحدي وان بعثت الى النار
بعثت وحدي فما لي وللناس ثم تفكر ساعة ووقعت عليه الرعدة
حتى خشيت ان يسقط ثم رجعت اليه نفسه ثم قال يا ابا عبد الله اصل
الاسلام في هذه الفرايض وهذه الفرايض في حرفين ما قال الله ورسوله
افعل تفعله فريضة ينبغي ان يفعل وما قال الله ورسوله لا تفعل

فتركه

فتركه فريضة وينبغي ان ينتهي عنه انتهى فصل وينبغي للمريد ان
يتفقد حاله في الاجتماع باخوانه ولا يواظب على الخلوات ويترك
التبرك بهم وسماع فوايدهم مع التحفظ عليهم وعلى نفسه جهده قال الشيخ الامام
ابو عبد الرحمن السلمي رحمه الله في كتاب اداب الصحبة له الصحبة على
وجوه لكل وجه منها اداب ولوازم فالصحبة مع الله تعالى باتباع اوامره واجتناب
نواهيه ودوام ذكره وتلاوة كتابه ومراقبة الاسرار ان يختلج فيها ما لا يرضاه
والرضا بقضايه والصبر على بلايه والرحمة والشفقة على خلقه وما يجوا
نحوه من هذه الاخلاق الشريفة والصحبة مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم باتباع سننه واجتناب البدع وتعظيم اصحابه واهل بيته وازواجه
وذريته ومجانبة مخالفته فيما دق وجل وما يجري مجراه والصحبة مع
الصحابة واهل بيته بالترحم عليهم وتقديم من قدموه وحسن القول
فيهم وقبول قولهم في الاحكام والسنن فان النبي صلى الله عليه وسلم
يقول اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقال عليه السلام اني تارك
فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي والصحبة مع اوليا الله
تعالى بالخدمة والاحترام لهم وتصديقهم فيما يخبرون عن انفسهم
وعن مشايخهم لانه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول
الله تعالى من اهان لي وليا فقد اذنني بالمحاربة والصحبة مع السلطان
بالطاعة له الا ان يامر بمعصية او مخالفة سنة فاذا امر بمثل هذا فلا
سمع له ولا طاعة والدعا له بظهر الغيب ليصلحه الله ويصلح على يده والنصيحة
له في جميع اموره والصلاة والجهاد معه فقد روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله
ولايمة المسلمين وعامتهم والصحبة مع الوالدين برهما بالنفس والمال
وخدمتهما في حياتهما والجاز وعدهما والدعا لهما في كل الاوقات ما دا اما
في الحياة وحفظ عهدهما بعد الممات والجاز عداتهما واكرام اصدقايهما
فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان من ابر البر
ان يصل الرجل اهل ود ابيه وعن ابي اسيد مالك ابن ربيعة قال
بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة

فقال يا رسول الله هل بقي علي من بر ابوي شي ابرهما به بعد وفاتهما
قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهودهما واكرام صديقهما
وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما والصحبة من الاهل والولد بالمداراة
وحسن الخلق وسعة النفس وتمام الشفقة وتعليم الكتاب والسنة
والادب وحملهم على الطاعات قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم
واهليكم نارا الاية وقال عليه السلام رحم الله والدا اعان ولده على بره
بالافضال اليه والصفح عن عثراتهم والغض عن مساويهم ما لم يكن اثما
او معصية والصحبة مع الاخوان بدوام البشر وبذل المعروف ونشر
المحاسن وستر القبائح واستكثار قليل برهم اليك واستصغار ما منك
اليهم وتعهدهم بالنفس والمال ومجانبة الحقد والحسد والبغي والاذي
وما يكرهون من جميع الوجوه وترك ما يعتذر منه والصحبة مع العلما
بملازمة اكرامهم وقبول قولهم والرجوع اليهم في المهمات والنوازل وتعظيم
ما عظم الله من محلهم حيث جعلهم خلفا نبيه عليه الصلاة والسلام وورثته
فانه روي عنه عليه السلام انه قال العلما ورثة الانبيا والصحبة مع
الضيف بحسن البشر وطلاقة الوجه وطيب الحديث واظهار السرور
والكون عند امره ونهيه ورويه فضله واعتقاد المنة له حيث اكرمك
بدخول منزلك وتناول طعامك وقال بعضهم من دعانا فاتينا فله الفضل
علينا فاذا نحن اتينا رجع الفضل الينا **فصل في اداب صحبة
الاعضا اعلم ان لكل جارحة من** الجوارح ادابا يختص بها فادب
البصر ان ينظر الى اخوانه نظر مودة ومحبة يعرفها هو ومن حضر المجلس
ويكون نظره الى محاسنه والى احسن شي يبدو منه وان لا يصرف
عنه بصره في وقت اقباله عليه وكلامه معه وادب السمع ان يستمع
الى حديثه سماع مشتهٍ لما يسمعه متلذذ به وكذلك اذا كلمك
لا تصرف بصرك عنه ولا تقطع حديثه بسبب من الاسباب فان
اضطرك الوقت الى شي من ذلك استعذرت به نية واظهرت له عذرك
وادب اللسان ان تكلم اخوانك بما يحبون فتختار وقت نشاطهم
لسماع ما تكلمهم به وتبذل لهم نصيحتك وتدلهم على ما فيه من صلاحهم

وتسقط

وتسقط من كلامك ما تعلم ان اخاك يكرهه من حديث او لفظ او غيرهما ولا
ترفع عليه صوتك ولا تخاطبه بما لا يفهم عنك وتكلمه بمقدار فهمك وادب
اليدين ان يكونا لاخوانه بالبر والمعونة لا يقبضهما عنهم وعن الافضال
عليهم وادب الرجلين ان يماشي اخوانه ولا يتقدمهم بل يكون تبعا لهم فان
قربوه تقرب اليهم بقدر ما يعلم من رغباتهم ثم يرجع الى موضعه ولا يقعد
عن حقوق اخوانه معولا على الثقة باخوتهم لان فضيل ابن عياض
قال ترك حقوق الاخوان مذلة انتهى **فصل اعلم وفقنا الله
واياك ان هذه الاداب المذكورة انما** هي اداب الظواهر وهي عنوان
على اداب السراير الا ترى الى ما روي في الاثر عنه عليه الصلاة والسلام
انه راي رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال عليه الصلاة والسلام لو
خشع قلب هذا لخشعت جوارحه واذا كان كذلك فمراعاة الباطن
اوجب من مراعاة الظاهر لان الظاهر للخلق والباطن للخالق
فما كان للخالق فهو اوجب فلو جمع بينهما فهو الكمال والسعادة لمن اتصف
بهما وصفة اخلاص الباطن التحقق بالتوكل على المولى سبحانه وتعالى
والخوف منه والرجا فيه والاتصاف بالصبر وسلامة الصدر وحسن
ظنه بربه وحسن ظنه باخوانه المومنين والاهتمام بامورهم فاذا فعل
ما تقدم ذكره فحري بالرجا ان يكون من الموفقين **فصل قال
الشيخ الامام ابو عبد الرحمن السلمي رحمه الله** الاخوان اربعة
اخ كالدوا واخ كالغذا واخ كالدا واخ كالداء فالاول معدوم والثاني
مفقود والثالث موجود والرابع مشهود انتهى اما الاول الذي
هو كالدوا فهو مثل المشايخ الذين اهلهم الله تعالى لتربية المريدين وكالصلحا
وكالعلما فهم قدوة المقتدين ومجالسهم تشفي الاسقام ظاهرا وباطنا
وقد كان المريدون قبل هذا الزمان يدخلون الخلوات فان حصل
لهم عجز او كسل خرجوا الى مجلس واحد من هولا الشيوخ فينتعش قواهم
بسماع كلامه ورويته ويعمهم بهمته فيتعاهدون بذلك ثم يرجعون الى
خلواتهم انشط ما كانوا والا فهم دوا الخلق اجمعين وانت ترى شغور هذا
الزمان غالبا من هذه صفته واما الثاني الذي هو كالغذا فهو مثل الاخ في

الله تعالى المشفق الودود الحنون الذي يولمه ما يولمك ويسره ما يسرك ويجوع
نفسه لجوعك ويتعرى لعريك ويكابد ما نزل بك اكثر من مكابدة ما نزل به وانت
ترى فقده في هذا الزمان لكن بين الفقد والعدم فرق وهو ان المعدوم لا يوجد
البته والمفقود قد يوجد في موضع ما سمعت سيدي ابا محمد رحمه الله يقول
مراتب الاخوان ثلاثة لا رابع لها فالاول ان يكون اخوك عندك مثل ابيك وهو
اعلاه والثاني ان يكون مثل اخيك الشقيق وهو اوسطهم والثالث ان يكون عندك
مثل عبدك وهو اقل الاخوة مرتبة فان عجزت عن ذلك فلا اخوة اذ ذاك
انتهى اعني الاخوة الخاصة بالفقرا واما اخوة الاسلام فهي حاصلة فاما الاخ
الذي يكون عندك مثل ابيك فهو حال المريد مع شيخه اذ انه ليس للولد
مع ابيه حديث في شي لقوله عليه الصلاة والسلام انت ومالك لابيك فحال
المريد مع شيخه من باب اولى اذ ان المريد ليس له تصرف ولا اختيار في
كلما يحاوله الا برضى شيخه واذنه واما الذي عنده كاخيه فهو حال المريد
مع اخوانه وهو اقل رتبة من الاول لان الاخ الشفيق يقاسم اخاه في
جميع الاشيا فان اخذ الاخ دينارا او درهما او ثوبا او غير ذلك اخذ الاخ
مثله فكذلك حال المريد مع اخوانه بهذه الصفة ان لبس ثوبا كسا اخاه
مثله وان اكل طعاما اطعم اخاه منه او مثله الى غير ذلك المرتبة الثالثة
وهي اقل الدرجات في الاخوة وهو ان يكون عندك مثل عبدك اعني ان
العبد يجب عليك ان تقوم بضروراته من غدايه وكسوته وما يحتاج
اليه من ضروراته في صلاح دينه ودنياه كذلك المريد مع اخيه اذ انه لا
يشبع المكلف وعبده جايع ولا يلبس وعبده عريان الى غير ذلك وقد
خرج البخاري من حديث المعرور ابن سويد قال رايت ابا ذر الغفاري
وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسالناه عن ذلك فقال اني ساببت
رجلا فشكاني الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي النبي صلى الله عليه
اعيرته بامه ثم قال ان اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان اخوه
تحت يده فليطعمه مما ياكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم
فان كلفتموهم ما يغلبهم فاعينوهم انتهى فان تعذرت عليه هذه المرتبة
فينبغي له او يتعين عليه ان لا يدعي الاخوة لعجزه عن القيام بحقها

اذانه

اذ انه قد يشبع واخوه جايع وقد يلبس واخوه عريان فيوجب على نفسه
حقا لم يكن عليه فيعمر الذمة بالحقوق لغير ضرورة شرعية وهذا المعنى قد كثر
في هذا الزمان فاذا احسنوا الظن باحد من الفقرا طلبوا منه الاخوة فان
اجابهم لما طلبوه وجبت عليهم حقوق كثيرة ثم انهم ينصرفون بعد الاخوة معه
ولا يرجعون اليه غالبا بعد ذلك ولا يعرفون كيف حاله ابات جايعا ام لا او
هو بردان ام لا وقد يكون منهم من يتفقده لكن بالروية والسوال ليس الا
دون اعانة ومشاركة فيشغلوا ذمتهم بشي لا يوافي عن ترتبه فيها الاترى
ان العبد اذا لم يقدر المكلف على نفقته وكسوته امره الشرع ببيعه فالبيع في
حق العبد مقابله في حق الاخ انك اذا عجزت عن المرتبة الثالثة تترك اخاه
بمنزلة بيع العبد عند العجز كما تقدم ليشهد لذلك ما روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما اخى بين المهاجرين والانصار كان الانصاري
يقول لاخيه من المهاجرين عندي من المال كذا وكذا فلك نصفه ولي
نصفه ولي من الزوجات كذا وكذا فاختر منهن ما تريد انزل لك عنه
وكان المهاجري يسال عن السوق وعن الحيطان يعمل فيها فهذا
اصل مقرر في الشريعة المطهرة وقد حكي ان بعضهم جا لزيارة اخيه فقيل
له انه في الموضع الفلاني وكان ذلك الموضع لا يدخله احد الا للمخالفة
فناداه فقال اخي يقع وانا بالحيوة فرجع الى بيته ودخل الى خلوته وعزم
ان لا يخرج منها الا تايبا فجا اخوه الى بيته فاخبر بمجيه اليه وسواله عن
حاله فجا مستغفرا تايبا الى بيته فسال عنه فقيل له انه دخل الى
الخلوة فقال اخبروه باني قد تبت الى الله تعالى ورجعت اليه فما خرج
اليه الا بعد ان تحقق قضا حاجته فيه فينبغي ان تكون المواخاة
على هذا الاسلوب فان رايت اخاك قد غرق فتاخذ بيده وتنجيه
من المهالك فان لم تكن لك قدرة فلا تدعيها اذ ان من ادعى ما ليس
فيه فضحته شواهد الامتحان واما القسم الثالث من التقسيم الاول
للشيخ الامام الصقلي رحمه الله وهو قوله والثالث موجود فلا شك انك
خالطت كثيرا من الناس في هذا الزمان او عاشرتهم بملابسة ما تجد
من كثير منهم الاذية البالغة اما في دينك او دنياك او عرضك وهذا هو

الذي لا يشك فيه فان انت خالطته وجدت ما ذكره رحمه الله واما القسم
الرابع الذي قال عنه وهو مشهود ولا شك في مباشرة ذلك في هذا الزمان
الا ترى انك اذا تكلمت مع احد منهم في صلاح دينه في شي ما قابلك بانزعاج
وخلق سي فاقل جوابه ان يقول لك ما حقرت في الناس الا انا حتى تامرني
وتنهاني او تتسلط عليك بحدادة لسانه وسطر للعورات يظهرها او حسنات
يخفيها او يردها سيات وهذا انبه من المرارة بحيث المنتهى حاجى الدفلا
اذا تناولت منها شيا وقد يفضي ذلك الى العدم اذ قيل انها سم فيتعين
عليك ان تفر من هذا صفته واللبيب اللبيب من يشمر عن ساعده
ويبالغ في الفحص عن القسمين الاولين فوا سعداناه ان ظفر باحدهما كما قيل
واذا صفا لك من زمانك واحد فهو المراد وابن ذاك الواحد فان
عدمهما فيتعين عليه الخلوة والاعتزال ان اراد السلامة اذ ان
الاجتماع بالناس انما يحتاجه المريد للزيادة لا للنقص واذا علم انه لا
يحصل له فيه الا النقص فليحذر منه جهده ويستعين بربه مع سلامة
صدره لهم وحسن ظنه بهم عموما والله المستعان ومن كلام بعضهم بعضه
باللفظ وبعضه بالمعنى **فصل وينبغي للمريد ان يكون نظره
للخلق بعين الرحمة** والشفقة والتودد وذلك يقع منه على وجوه
فاذا نظر اليهم بالرحمة فسبيله العلم بفقرهم واذا حسن الظن بهم
فسبيله طلب السلامة بالميل الى حزب الفايزين واذا احتمل الاذى
منهم فسبيله الرحمة لهم واذا جازى على السية بالحسنة فسبيله
التخلق بالاخلاق المحمودة واذا راعى حق كل ذي حق وان صغر فسبيله
التخلق باخلاق الشاكرين واذا تناسى الشر جملة فسبيله تطهير القلب
من دنس هواجس التقوي في حق اخوانه من المومنين واذا عاملهم
بالسخا فسبيله البعد من صفة البخل والتشبه باهل الفضل والمسعى
بالخلف وليحذر من ان يطلب الخلف العاجل اذ ان كلما جاه من
الدنيا فهو ذاهب فان واذا عاملهم برفع الاذى عنهم جملة فسبيله
عدم الفراغ والاشتغال بوظايف التكليف واذا عاملهم برؤية الحسن
منهم في كل شي والتعامي عن القبيح في كل شي فسبيله العبرة في

مشاهدة

مشاهدة المحاسن والاشتغال عن القبايح بعيوب النفس مع حسن الظن
بهم في بعض المواطن واذا تواضع لله فسبيله اجلال الربوبية واظهار العبودية
واذا تواضع للخلق فيكون ذلك منه دون تماوت وانما يفعله لاعتقاد الاثرة
لهم عليه واذا اظهر ذلك لهم في بعض المواضع فسبيله احتقار النفس ورويه
عيوبها وحسن الظن بالمومنين واذا ترك العجب وهو بان لا يرى لنفسه شيا
حسنا فسبيله العلم بانه لا فاعل الاشيا الا الله سبحانه وتعالى فليلزم نفسه
الافتقار اليه جل وعلا واذا اخلص العمل لله بانه لا يريد بصالح عمله سوى الله
تعالى فسبيله الخوف الشديد من حبط الاعمال مخافة توقع الريا فيفقد
الخلق في حزب العدم فانهم لا يملكون له شيا واذا استشعر اطلاع الخلق
عليه فسبيله ترك الفراغ وهو انه لا يمر عليه وقت الا وهو مشغول
بالله تعالى فيحصل له بسبب ذلك الربح او جبر راس المال واذا ترك المباح
فسبيله عمارة الوقت بالواجبات والمندوبات واذا احب المساكين
وخدمهم واماط الاذى عنهم وادخل السرور عليهم بارفادهم والعون
لهم واظهار البشر واحتمال الجفا والاختلاط بهم والتلطف في نصح من زل
منهم فسبيله طلب حط الاوزار والظفر بمحبة العقاد واذا ترك المزاح جملة
فسبيله الاهتمام بسالف الذنوب واذا راعى الفرض بطلب ادايه
كما وجب فسبيله طلب التقرب الى الله عز وجل واذا احسن لكل مخلوق
يجوز الاحسان اليه فسبيله طلب الاتصاف بالمحامد واذا ترك الشهوات
فسبيله العلم بعاقبتها ومالها وطلب الرقي عن الارضيات واذا قلل الطعام
بحيث لا يدخل عليه به ضرر فسبيله التخفيف للعبادة والتهي الفهم
عن الله تعالى والاقبال على المعرفة به سبحانه واذا لبس الدون
من الثياب مع مجانبة الشهرة والاقتصار على الضرورة فسبيله خوف
الحساب واذا ترك التنعم بملاذ الدنيا فسبيله التشبه باوليا الله واذا ترك
الهم والاحتفال بالخلق فسبيله طلب التبري من صفة الجاهلين
واذا ترك الفرح بامور الدنيا والاخرة فسبيله الجهل بالعاقبة وعدم
المبالاة بالدنيا واذا ترك الحزن على ما فات فسبيله شغل الوقت بالخدمة
والايمان بالقدر واذا واصل الاحزان خوفا من السابقة والخاتمة فسبيله

طلب التقرب من الله بانكسار القلب وجمع الهم واذا جمع همومه عليه فسبيله
الفرار من تفرقة القلب في شعاب الغفلة واذا فوض اموره لله تعالى يطرح نفسه
بين يديه دون اقتراح عليه فسبيله استعمال الادب مع جلال الربوبية واذا
توكل على الله لثقته بالمضمون فسبيله شغل الوقت بالتكليف واذا ترك رؤية
الاسباب حتى يستوي عنده وجودها وعدمها فسبيله افراد الحق بالخلق
والتبري من الشرك الخفي والجلي كالخبز لا يشبع والما لا يروي والثوب
لا يدفي وكذلك الامور العاديات كلها واذا ترك الملق لغير العلما فسبيله
العلم بانه لا يملك الضر والنفع الا الله سبحانه وتعالى وذلك بخلاف التملق
للعلما وهو التواضع والتذلل لهم واذا افتقر الى الله في حركاته وسكناته
فسبيله اظهار صفة العبودية واذا غاب عن الخلق بباطنه ولم يبني اليهم
بظاهره فسبيله سد باب الانس بالمخلوق واذا ترك الاقبال على احاديث
العاطلة وترك التشوف لها يصون قلبه عنها وعمارته بذكر الحق فسبيله
سد باب المحبة واطفا نار الفتنة وخوف خسران الاخرة واذا كانت نفس
المريد متطلعة لاحاديث الناس لم تفلح واعلم ان استفتاح باب الخير كله وسد
باب الشر كله في نفس ادا المفروضات اذ هي معيار القلب وبها تتبين الزيادة
والنقص ولا يتوصل الى ذلك الا بدوام الجهد وجمع النفس ومحض الصدق
وشدة الخوف ومواصلة الحزن حتى ان استطعت ان تموت حين تفسخ الصلاة
فمت فسبيل ذلك كله قربك من الله واذا اردت ان تعرف منزلة قربك
عنده فبملازمة الجد بحيث لا يكون لغير الحق فيك موضع فسبيله مراقبة
الحق واجلال الربوبية واذا اردت عزة النفس وصيانتها عن
سوال المخلوقين دقت الحاجة او جلت فسبيله طلب كل حاجة من
الله تعالى ادبا مع الربوبية ومن اكثر ما يحتاج اليه المريد في ذلك
ان لا يترك نفسه في صورة مرشد ولا موص ولا متكلم بالحكمة ولا في المسايل
الفقهية ولكن ليشغله من نفسه شاغل بسبب طلبه لعلم حاله انتهى
ومن كتاب سير السلف وقال ابرهيم الخواص دوا القلوب خمسة
اشيا قراة القران بالتدبر وخلا البطن وقيام الليل التضرع عند السحر
ومجالسة الصالحين وقال ايضا التاجر براس ماله غير مفلس انتهى

ومن

ومن كلام من ابن زرف رحمه الله يا هذا اهلا تحرك عقلك عن ان تبوح بسرك
الى احد من الخلق او تشكو احالك في دين او دنيا اليهم او تتكلم بما لا يعنيك
او تحيب الى امر لا تحقق رشده ولا تامن ضرره يا هذا اجعل ربك موضع سلوكك
وقلبك خزانة سرك والزم مراقبة مولاك في كل حال يرد عليك فان رايت
خيرا فاحمد الله وان رايت شرا فتقرب اليه وانظر الى الخلق هياكل مصرفة
واسبابا مسخرة ولا تشكر احدا منهم على فضل الله الا على قدر ما اباحته
الشريعة وحسبك من ذلك ان تقول جزاك الله خيرا او ترى الفضل كله من
مولاك واشكره بكليتك وهو اهل ذلك حقيقة وشكر سواه مجاز كما ان
فعله مجاز لان الافعال كلها صادرة عن المولى الكريم وحده لا شريك له

فصل فان كان المريد له تعلق فينبغي له ان لا يهمه شانهم
ولينظر الى ما سبق فيهم من القدر ويعلم ان الملك لا يضيق عن رزقهم وان
ما كتب لهم لن يفوتهم وما كتب عليهم لن يفوتوه وان وجوده وعدمه في
حقهم سيان اذ انه لا يملك لهم شيا ثم انهم ان كانوا لله اوليا فلن يفعل الله معهم
الا خيرا وان كانوا غير ذلك فلا حيلة له في دفع المضار عنهم وليقل في استودعتهم
لمن لا تخيب لديه الودايع فليطرح الهم فيهم جملة واحدة ان عقل لطف مولاه خيرا
والسلام

فصل فان ابتلى المريد عند الاجتماع بالناس وخلطتهم بالاذية والجفا منهم فينبغي عليه ان ينظر في امرهم ويرجع الى حاله ويفتش
حال نفسه فيما قيل فيه فقد يكون حقا فان وجده في نفسه علم اذ ذاك ان
من قال فيه ما قال انما هو نذير جاه من عند ربه ليتوب او موقع به النكال
فيحتاج الى المبادرة الى التوبة والرجوع ويرى الاحسان والفضل لمن قال فيه
ما قال وان لم يجد ما قيل عنه فيه فيحتاج الى ثلاثة اشيا احدها ان يتمثل
السنة بالدعا الوارد في ذلك حيث يقول عليه الصلاة والسلام من راى
منكم مبتلا فليقل الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاه به وفضلني على كثير ممن
خلق تفضيلا ولا شك ان الابتلا في الدين اعظم من الابتلا في البدن سيما
اذا انضاف الى ذلك تعلق حق الغير به فهو اعظم في الابتلا هذا وجه الوجه
الثاني انه يتعين عليه الشكر من وجهين احدهما ان يشكر الله تعالى
على سلامته مما قيل فيه الثاني وهو الوجه الثالث انه يتعين عليه

الشكر في ان الله تعالى سلمه مما وقع اخوه فيه اذ لو كان الامر بالعكس لكان
بلا بينا اذ الغالب فيه عدم السلامة اسال الله العافيه بمنه وقد تقدم ذلك
ومن كلام يمن ابن رزق رحمه الله من ساه الذم واعجبه المدح فذلك
ذكر الصورة خنوثي العزيمة وقال لو قال لي قايل ان من لم ياخذ بحظه
من العقل لم يجد طعم الايمان لما خالفته ولو اخبرني مخبر ان تسعة اعشار
العافيه في الخمول والغنا عن الناس لصدقته وقال حمل النفس على الصبر
في مواطن الامتحان حيله حسنة في التخلص وان ابطا وقال من وطن
نفسه على ان الدنيا دار نصب وتعب لم ينكر ما نزل به منها ما دام فيها
واخذ من الراحه بحظ ومن توهمها منزل راحة لم تقدر الراحه قدرها
اذا اتته وكان تعبه فيها مضاعفا وقال تقديم صدق الحيا اللجا الى الله
عز وجل في مبادي الحاجات عنوان على نجح غاياتها وقال فكر في
الموت تهن عليك المصايب وقال ما رايت افقه من النفس يعني في
شهواتها وملذوذاتها ولا اجري من الانسان ولا اشد تقلبا من
القلب ولا اعدم من الاخوان ولا اقل من الاخلاص ولا اكثر من
الامل وقال الصمت وغض البصر مفتاحان لابواب القلوب وقال
من احب ان تكون له منزلة عند الناس ربح في تحوجه العافية وقال
للبس الا دنيا واخرة فان اردت الجمع بينهما رمت محالا وذهبا عنك معا
فاختر لنفسك وقال الضرورات تدعوا الى شر كثير وفي الصبر على المكروه
خير كثير وقال يحسن بالمومن ان تكون ثوبه مرقعا ونعله باليا ومسكنه
خلقا ففي ذلك اعظم تذكرة واكرم شاهدا على الفنا واحث باعث على ترك
الطمانينة الى الدنيا ومن كان يستعمل الجديد من كل شي قلت عبرته
وكان حب العاجله اغلب على عقله وقال الطمع في رحمه الله عز وجل
على اي حال كنت من الاجتهاد واياك والياس من مولاك فانه قطع
السبب بينك وبينه واحذر الاماني فانها اغترار به واعلم ان الكافر
لو علم سعة رحمه الله ما ييس وان المومن لو علم كنه عقاب
الله لو مات خوفا والسلام وقال اذ الماضي لا يرجع والمقدور لا يتبدل
فاطراح الهم سعادة معجله وقال حسن بو ملك عنها في الدنيا وهي

في

في الاخرة اشد ابتلاما الا ان يتالك عفو الله عز وجل فاستقل منها او استكثر
المزاح وكثرة الكلام والتعرف بالناس وانبساطك اليهم والشكوى بحالك
الى الخلق وقال لقد ابكي ما اراه من كد الخلق للدنيا وقصرهم عليها
في ايمانهم ولقد راعني ما اراه من تهالكهم عليها وفرط جنوحهم اليها في عقولهم
والعجب منهم وهم على هذه الحال انك ان نطقت لهم بالحقيقه سخروا منك
وان سكت عنهم اتهموك وان مازحتهم في دين او دنيا اهلكوك وان تركتهم
لم يتركوك فلا راحه معهم ولا سلامة دعهم حسبي الله ثم حسبي الله منهم
وقال رجلان اكره رؤيتهما واحب الفرار منهما لبائس من فلاحهما عالما طالب
لهما وطالب ملك وقال رحمه الله من تسامى الى رتب لا يقتضيها حاله
ولا حيله واتزهواه وامنيته عاش دهره في تعب ونصب ولم يبلغ
الغاية التي يسمع اليها ومن تقاعد عن الرتب التي يمكنه بلوغها عاش
مهينا ملوما ومن توسط بين الحالين فتناول منها ما كان له صالحا
استحق اسم النبل وكان عيشه هنيا وقلبه لله تعالى خاشعا وقال
ما اصدق قول من قال مكالمة الجاهل سجن العقل وقال الراحة
في الدنيا لاجل ثلاثة فقير صالح او غني عاقل او احمق محروث وقال يا هذا
ان كان العجب من الناس مرة فالعجب منك الف مرة فقد بان لك بالتجربة
المستبينة والدلايل البينة ان مكالمة الناس غنمها ندامة والصمت
عنهم سلامه ثم لا يصرفك ذلك عن الهذر معهم والخوض في احاديثهم
وكلهم مقهورون لطباع انفسهم سامعون من حالهم مبصرون بعيون
روسهم الا من رحم ربك وقليل ما هم فما يصغي اليك منهم غالبا الا متهم
او مكذب او غير محصل فاصحبهم بصمت ولا تبذل كلامك لهم الا جوابا بما
لا تدرك فيه عليه في دين او دنيا فان انت صبرت على اذاهم كفيتهم
واياك ان تنتصر لنفسك فتتوكل عليها وسلم الامر الى مولاك وافتقر
اليه تجده والسلام وقال الالتفات الى اللباس تعب في العاجل وندامه
في الاجل لان عامتهم ما بين جاف متعسف او بطر متكلف فلبس الثانية
بالاول باسوا من الاغترار بالثاني فالراي ان تعدوا جميعا في حرب
العدم حتى لا تاثير للاطرا منهم ولا للجماح امتثال الامر والنهي فيهم

واعتقاد الرحمة والصلة لكل مسلم والذي يعين على ذلك بتوفيق
الله تعالى الاقبال على ما يعنيك والتفكر في طريق الحق وانك اذا وافقت
الشريعة ولاحظت الحقيقة فلا تبالي بمن خالف رايك من الخليقة وقال
من تفكر فيمن سلف ونظر في المعاد هان عليه جفا الخلق ولم يغتر بلطفهم
وقال رحمه الله الزم الصمت عند محاضرة من تكرهه وتكلم مع من لك
في كلامه فايده وقال من علم ان له ربا يفعل ما يريد خاف وحزن ولم يغتر
ومن علم ان له ربا ضمن لعباده ارزاقهم لم يشغله طلب المضمون عما
كلف ومن علم ان له ربا من انقطع اليه كفاه توكل بالحقيقة عليه ومن
علم ان له ربا لا فاعل المفعولات الا هو افتقر في كل ما رام اليه ومن علم
ان له ربا رقيبا على كل شي استحى منه كل الحيا وقال من نظر الى الدنيا
بعين البصيرة فراي تقلبها باهلها وازعاجهم عنها لم يطمين اليها ومن
نظر الى الاخرة بعين البصيرة فتوهم نعيمها وعذابها وايقن انه وافد
عليها عمل لها وقال الزم الفضل واترك الفضول واغتنم وقتك تفز بخير
الدنيا والاخرة فبملازمة الفضل تنال الشرف وبترك الفضول تنال
السلامة وباغتنام الوقت تنال الربح وفي هذه الثلاثة مجموع خير الدنيا
والاخرة وقال ليس الا عيش دنيا او عيش اخره ولن يجتمعا فالاول مادة
الارضيات وهو عيش النفس والثاني مادة العلويات وهو عيش
الروح وقد علمت المبدي والغايه فاختر ايهما شيت والسلام وقال
يا هذا الاخذ بالاحتياط نجاه ولا خير في صحبة غير الله وقال ما احقك
بالنوح على نفسك ما اولاك بالقا التراب على راسك ما اغفلك عما
حل بك انسيت عظايمك ام امنت عقاب ربك بادر يا مسكين واحسم
سد الباب وقطع الاسباب واستنزل بكف الضراعة رحمة مولاك
العزيز الوهاب وقال اذا سافرت فالتزم في الطريق مع اهل الرفقه
الصمت ولا تتكلم معهم الا جوابا بيسير من القول لفظه او نحوها فان
سيلت من اين فقل من ارض الله فان قيل لك ما شغلك فقل
مبتغ فضل الله فان قيل لك ما اسمك فقد عبد الله وان تصامت
لهم فحسن واذا دخلت بلدا ولا تصحب فيه احدا صحبه توجب عليك

توجب عليك حقا واحسم التعارف البته وافتقر الى الله في حوايجك
فانه لا يضيعك ان شا الله فانه ليس زمان صحبه ولا مصادقه وانما هو
زمان الوحشة والغربه والفرار من الناس مبلغ الوسع وقال خلقان
لا ارضاهما للفتى بطر الغنى ومذلة الفقر فاذا غنيت فلا تكن بطرا واذا
افتقرت فته على الدهر وقال رحمه الله الدنيا دار بلا والبلا لفظ
مشتمل تحته انواع من التعب والمشقات كفرقة الاحباب وذهاب
المال واذى الناس والاسقام والجوع والعطش والقمل والذباب
والعقارب والحيات والسباع وفقد الوطن والبرد والحر والعري
والشهوات كشهوة الفرج والبطن الى غير هذا مما لا يكاد يحصر فما
وقع منه فلا ينكر وقوعه في محله ولا يستغرب وانما المستغرب
فيها المسرات لانها ليست بدارها ولا يقابل شي من البلايا الا بالصبر
وتوطين النفس عليها متى وقع منها شي والاستغاثة بالله في زيادة
البصيرة والامداد بالمعونه وقال من تفكر في امسه وغده غنم ما بين يديه
من يومه وقال بالله المستعان والالتجا الى الله عنوان النجح والقران حبل
العصمة والسنه طريق السلامة والفكرة مفتاح الرشد والهمم
منيرات العزم والتصبر ثمرة الصدق والظفر نتيجة الصبر والاستغاثه
درج الوصول والتضرع امارة التخلص والسحر مطيه الاجابة والالحاح
مقدمة المحبه والتواضع سلم الشرف والسخا خلق الايمان والزهد
شعار التقوي والتوكل حرفة المعرفه والتفويض علم السعاده والخوف
اثر الجد والرجا افادة الجهد ورحمة الخلق دليل الطهاره واحتمال
الاذي عين الفتوة والجزا على الاساه بالاحسان خلق النبوة وتلاوة
القران بالحضور عيش الروح ومخالفه الهوى قتل النفس وذكر
الله راس مال العابدين ترك الشهوة قرع الباب ترك الحظوظ
رفع الحجاب قيام الليل استنارة العارفين الاحوال مبلغ العلوم من
راى لنفسه فضلا على شي من خلق الله تعالى حتى الكلاب فهو احد
الفراعنه السلو عن المتروك على قدر المعرفه بالمطلوب من
هانت عليه نفسه فهو على غيره اهون ومن صحب التسويف اداه

الي الفوت ومن فاته مولاه غرق في بحر الباس الدنيا سلامتها غرور
ولداتها نذير شعر بخير لباسها نفثات دود وخير شرابها في الدباب
واشهي ما ينال المرء فيها مبال في مبال مستطاب وعن قرب يعود الكل
ترابا وقال كنت قد رايت في كتب بعض الحكما بان اربعة لا ينبغي للعاقل
ان يامنها فطلبتها في حفظي فلم اجد منها سوي واحدة وهي المراة
وان ابدت الود واظهرت النصح ولا يبعد عندي ان يكون الثاني
السلطان وان ابدي التقريب والمصافاه وان يكون الثالث المال
وان كان جما وافرا وان يكون الرابع الزمان وان كان مطاوعا مسالما
فرب مخدوع بهذه الاربعة خانته او نفي ما كان بها واسلمته امل ما
كان اليها وقال الراحة كلها في الرضا باختيار الحق لك والتعب كله في
اختيارك لنفسك ومن افعة الايام سيمه الكرام واغتنام الوقت بالمبادرة
الى العمل واطراح الامال سعادة وانتظار الفرج بالصبر عبادة وقال
يا هذا اذا رايت انسانا لم يلزم الضرورة اليه ففر منه فرارك من الاسد
او اشد وان قدر اجتماعك معه مفاجيا فاقصر الكلام معه واعتذر
له بشغل واتركه بسلام اما تذكر ان نعمك في الدنيا قد يما وحديثا انما جا
به معرفة الناس فصل وينبغي للمريد ان يكون اوقاته
مضبوطة لكل وقت منها عمل يخصه من الاوراد ولا يقتصر في الورد
على ما سبق من الصلاة والصوم بل كل افعال المريد ورد وقد كان
السلف رضوان الله عليهم يقولون جوابا لمن طلب الاجتماع باحد من
اخوانه ويكون نايما هو في ورد النوم فالنوم وما شاكله هو من جملة
الاوراد التي يتقرب بها الى ربه عز وجل واذا كان كذلك فيكون
وقت النوم معدوما كما ان وقت ورده بالليل معلوما وكذلك
اجتماعه باخوانه يكون معلوما وكذلك الحديث مع اهل وخاصية
كل ذلك ورد من الاوراد اذ ان اوقاته معروفة في طاعة ربه
عز وجل فلا ياتي الى شي مما ابيح له فعله او ندب اليه الا بنيه
التقرب الي الله تعالى به وهذا على جادة الاجتهاد والفراغ مع
الصحة والسلامه من العوايق والعوارض او من حال يريد بكون

بجب

وقف
بورواق الريافة بالازهر تحت يد الشنواني لعن الله من غيره

سببا لترك شي من ذلك الاتري ان المندوب في حق المريد بل
الذي يتعين عليه انه اذا حصل له بكا او تضرع او خشيه يستمر في ذلك
ولا يقطعه اذ ان المقصود انما هو حصول مثل هذه الاشيا فاذا حصلت
للمريد فقد حصل علي قربيته فليشد يده عليها ويغتنمها ليلا تنفلت
منه فقل ان يجدها ولاجل هذا المعنى قال الاستاذ ابو سليمان الداراني
اذا الدنت لك القراة فلا تركع ولا تسجد واذا الدلك الركوع فلا تقرا ولا تسجد
واذا الدلك السجود فلا تقرا ولا تركع الامر الذي يفتح لك فيه فالزمه
ارايت انسانا يطلب شيا فاذا وجده تركه وقد تقدم هذا المعنى قبل
ولا يقتصر بهذا علي الصلاة ليس الا بل هو عام في كل امر اراده فلو
حصل له شي من هذا في الاجتماع باخوانه فلا ينتقل منه ايضا بل هذا
اكد لان الاجتماع بركة الاخوان وهي متعديه بخلاف ما لو كان وحده وان
كانت الخلوة فيها الفضيلة العظمي كما تقدم لكن في الاجتماع بالاخوان
الخير المتعدي حسا لامتداد بعضهم من بعض والمقصود ان تكون
اوقاته وحركاته وسكناته وانفاسه في الخلا والملا مضبوطة بالاتباع في
كل ذلك وينبغي ان يقتصر في اوراده على القليل مثل ما تقدم في اوراد
المتعلم سوا فان حصل له شغل او شي من العوايق فلا بد من اقامتها
ليسارتها لان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا عمل عملا اثبته وقد تقدم
ذلك في المتعلم وينبغي له ان يكون اشد الناس حرصا على عمل السر
لما تقدم ان عمل السر يفضل الجلي بسبعين درجة وما هو بهذه
المثابه فيتاكد تحصيله علي ما ينبغي واذا كان كذلك فلا يخلوا حاله
من احد امرين اما ان يكون في بيته وحده او مع غيره فان كان
وحده فقد حصل له عمل السر من غير كلفة وان كان مع غيره اعني
من الاهل ومن شابههم فلا يخلوا اما ان يكون فيهم من يرجو ان
يقتدى به ام لا فان كان كذلك فاظهاره اولي وقد تقدم انه لا يخرجه
ذلك عن عمل السر معهم ثم ان الامر في ذلك بحسب حال الوقت
اذ ان من الاهل والاخوان من اذا راي شيا من اعمال البر يواظب
عليها من يعتقده بادرت نفسه الى فعل ذلك او شي منه

وهذا فيه خير كبير لما ورد لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من
حمر النعم فان علم انه لبس فيهم من يقع ذلك منه فالسر اولى به وقد تقدم
في المتعلم انه ان وجد الخلوة عن اهله كان به اولى فالمريد بهذا المعنى اولى
بل اوجب لان المريد لا يزال في عمل السر في غالب اوقاته فيعود عليه
انار ذلك وبركته حتى يصل الى عمل سر فيما بينه وبين ربه عز وجل لا
يطلع عليه الحفظة وقد ذكر الامام ابو طالب مكي رحمه الله في كتابه
عن بعضهم انه ظهرت له الحفظة وناشدوه الله تعالى ان يدخل عليهم
سرورا بحسنة من حسناته يظهرها لهم ليسروا بها لان الحفظة يفرحون
بحسنة العبد حين يعملها اكثر من فرح العبد بها يوم القيمة حين يرى
ثوابها وما ذاك الا لان رسل الملك لا يريدون ان يرجعون اليه الا بما
يعلمون انه يحبه بخلاف العكس فانهم يكرهونه لكراهة الملك له وهذا
الذي حكاه رحمه الله ظاهر مشكل لان الفرايض لا بد من اقامتها
وهي اكثر الاعمال وازكاها لما ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام
لن يتقرب الى المتقربون باحب من اداء ما افترضت عليهم الحديث
بكماله والحفظة يشاهدون ذلك ويكتبونه فينبغي ان يحمل ما ذكره على
الاوراد التي هي من اعمال القلوب وهي الفكر والنظر والاعتبار اذ
ان الله عز وجل تجلى لخلقه وظهر باياته وبطن بذاته فهو الظاهر بما دل
عليه من مصنوعاته الباطن بذاته وصفاته ولا يقال اين ولا كيف ولا متى
لانه خالق الزمان والمكان الى غير ذلك من صفاته الجليلة واذا كان
ذلك كذلك فمن كان في حال التجلي فهو مستغرق الاوقات حتى لا
يرى غير ما هو فيه لكثرة ما هو فيه من النعيم اذ التجلي ليس شيء
من النعم اعلى منه في الدنيا والاخرة ولا تعترض على ما تقدم ذكره من
قول الحفظة ما ورد ان المكلف اذا نوى الحسنة خرجت على
فمه رايحة عطرة واذا نوى السيئة خرجت على فمه رايحة منتنة
لان هذا اذا نوى بقلبه ما نواه فهو عمل من اعمال القلب دلت عليه
الرايحة الصادرة عنه بخلاف ما نحن بسبيله اذ التجلي ليس من
عمل العبد ولا من حيلته بل هو فيض من المولى سبحانه وتعالى

وتفضل

وتفضل منه وامتنان على من خصه واختاره من خلقه في كل زمان
واوان فينبغي للمريد ان كانت له همة سنية ان يعمل على تحصيل هذا المقام
السني لان المولى سبحانه تعالى كريم منان وهذه الامة والحمد لله فيها البركة
الشاملة لخيرهم ومقامهم الخاص بهم لا يزول ولا يحول الى ان ياتي
امر الله تعالى واذا كان الامر كذلك فلا يقطع المريد اياسه من الوصول
الى حالهم السني ولا ينظر في ذلك لنفسه ولا لحيلته وقوته واجتهاده
لانه مهما نظر الى ذلك قطع به بل ينظر الى فضل المولى سبحانه وتعالى
ونعمه المترادفة عليه وليحذر ان يكون بهيمي الطبع لا يرى النعم
الا في الماكول والمشروب والسعة في الرزق لان هذا ليس من حال
المريد في شيء بل هو من حال ابناء الدنيا والله عز وجل من كرمه واحسانه
وفضله وامتنانه يعطي لكل قاصد ما قصده وقد تقدم ان المريد غنيمة
ما فاته من الدنيا وقد كان سيدي ابو محمد رحمه الله يقول المريد لا
يحتاج لشيء من الاشيا فقلت له اليس يحتاج الى الاكل والشرب
واللباس فقال نعم لكن طعام المريد الجوع وكسوته العري فهو يجد
ذلك في كل موضع يحل فيه واذا كان ذلك كذلك فلا يحتاج الى احد
والمقصود والحاصل انهم قد اطرحوا امور الدنيا خلف ظهورهم
واقبلوا بكليتهم على ربهم واسندوا امورهم اليه وتوكلوا بالحقيقة
عليه فانعم عليهم وقربهم واجتباهم وحماهم وتجلى لهم بصفاته الجليلة
الجميلة اسال الله تعالى ان لا يحرمنا ذلك بمنه بمحمد واله صلى الله عليه
وسلم فانه ولي ذلك والقادر عليه وما تقدم ذكره من ان المريد يقتصر
على الاعمال المتقدم ذكرها انما ذلك في حال بدايته ثم ياخذ نفسه
بالتدريج والترقي والزيادة قليلا قليلا حتى يستغرق اوقاته في انواع
العبادات وهو لم يجد لذلك مشقة ولا تعبا في الغالب وقد تقدم
ذلك لكن المريد في بدايته امره يبنى على ما سبق من اوراد المتعلم
واما نهايته فلا حد لها لانهم قالوا اكلهم اكل المرضى ونومهم نوم الغرقى
وكلامهم ضرورة فلا يسام المريد الا على هذه وقد تقدمت حكاية بعضهم
في السنة الذي اخذته وهو جالس في مصلاه حين على ركبته الاشراق

فعزل عينيه وقال اعوذ بالله من عين لا تشبع من النوم ومن كان نومه على
هذه الصفة فلا يمكنه ان يتهيا لحالة النوم ولا للاذكار المذكوره عنده اذ
حال المريد لا ينضبط لقانون معلوم لكثرة اجتهاده وتحصيله واحوالهم في
اعمالهم قل ان تنحصر لكن يحافظ على السنة ويشد يده عليها كان سيدي
ابو محمد رحمه الله يعجبه ما حكي عن بعضهم انه كان اذا جا الى فراشه دخل
على جنبه الايمن ثم يرجع على الايسر ثم يرجع على الايمن ثم يقوم فيتوضا
ويصلي ركعتين ثم يقول اللهم انك تعلم اني اخوف نارك منعني الكرى
فيقوم حتى يصبح فكان يعجبه منه محافظته على السنة حتى في الفراش
وان كان يعلم انه لا يتاتى منه النوم فاذا كان المريد على هذا الحال
اعني في محافظته على السنه في كل احواله فهو المقصود الاعظم ولا
يفوته غيره نسال الله تعالى ان لا يحرمنا ذلك بمنه انه الكريم الوهاب
محمد واله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا   تم الجزء الثاني بحمد الله وعونه
وحسن توفيقه من كتاب المدخل الى تنمية الاعمال بتحسين
النيات والتنبيه على بعض البدع والعوايد التي انتحلت وبيان
شناعتها وقبحها

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صلى على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

فصل في قدوم المريد من السفر ودخوله الرباط اعلم وفقنا
الله واياك ان اكد ما على المريد اتباع السلف الماضين رضي الله عنهم
اجمعين ويشد على ذلك يده ويحذر ان يميل او يعين بما قد احدثه
بعض الناس من افعال لم تكن لمن مضى وقد تقدم ان الخير كله في
الاتباع وعكسه في الابتداع وان هذه الطايفه اكثر الناس اتباعا
للسنة المطهرة وما فاقوا على غيرهم الا بذلك لانهم اختصوا بثلاثة اسما
فقرا ومريدين وصوفيه فالفقير من افتقر في كل احواله الى ربه
عز وجل وسكن بقلبه اليه وان كانت الخواطر تدعه وهو لا يعد اليها
ويفتقر الى ربه ويعول عليه والمريد من اراد ربه دون شي سواه

كان

كان غايه طلبه ومناه وسلم من لدغات الخواطر ومجاهدتها لارادته له وايثاره
على من سواه والصوفي من صفا باطنه وجمع سره على ربه وشاهد عيانا
جميع صنعه فاسند الامور كلها اليه فهم الذين قربهم واجتباهم وخلع عليهم
عليهم خلع احسانه ولحضرته السنيه ارتضاهم واذا كان الامر كذلك فهذا
معنا خاص به والثوب النظيف اقل شي يدنسه فهم احق بالاتباع وقال
حكايه سيدي الشيخ الجليل ابي علي ابن السماك رحمه الله في دخوله المسجد
حين قدم رجله اليسرى فغشي عليه لان هذه الطايفه دابها الاتباع
وترك الابتداع فان وقع لها شي ما من مخالفة السنة راوه امرا عظيما
وانقلعوا عنه في وقتهم وجددوا التوبة مع الله تعالى وراوا ان ذلك
بسبب ذنب تقدم فحجبت لهم عقوبتهم فتضرعوا الى الله وابتهلوا اليه
مع وجود التوبه النصوح منهم واذا كان الامر كذلك فيتعين على المريد
ان لا يسامح نفسه في شي مما يخالف الاتباع لو قاله من قاله فيحذر من
البدع التي ذكرت وقد اختلفوا فيها على ثلاثة انحا فمنهم من استحبها وينكر
على من تركها وهذه طريقه اكثر اهل المشرق وذهب بعضهم الى ان
فعلها ومن لم يفعلها سيان لا عيب على تاركها ولا حرج على فاعلها وذهبت
الطايفه الثالثه وهم المحققون المتبعون للسنة والسلف الصالح من
الامة رضي الله عنهم اجمعين الى التصريح بان ذلك بدعه ممن فعله او
استحسنه او قال لا حرج على فاعله لمخالفته السنة المطهرة وقد كان
سيدي ابو الحسن الزيات رحمه الله يقول من اعجب الاشيا وفي
شي يعني بذلك ما نحن بسبيله من العوايد المتخذه التي ليس لها
اصل في الشرع يرجع اليه فمن ذلك ما ذهب اليه بعضهم من ان
المريد اذا ورد الى البلد وقصد دخول الرباط وهو المسمى في عرف
العجم الخانقاه فالرباط ماخوذ من الربط لان ساكنه مرابط فيه وهذا
الاسم اولى به الا ترى انهم يحبون رويه الفقيه في النوم ويكرهون
الغسل فهذا منه ولهم فيما احدثوه اصطلاح لا ينبغي ان يعرج عليه
لكن لما ان كثر وقوعه والقول به والاتخاذ اشتد على من ترك
شيا منه واتبع السنه المطهرة تعين الكلام فيه على من يتعين عليه

وهو انه اذا قصد دخول الرباط كما تقدم يشمر كمه ويبتدي في ذلك باليمين
وهذا اذا اراد دخول الرباط او يتناول شيا طاهرا واما ان اراد ان يدخل
الخلا فانه يبتدي بتشمير كمه الايسر ويبالغون في هذه الاشيا ويسمونها
ادابا حتى انه قد حكي عن بعض من توغل في هذا الشان انه خدم مشيخه
سنين متطاوله فلما كان في بعض الايام اراد ان يدخل الي الخلا فنسي فشمر
كمه الايمن قبل الايسر فقال له شيخه الى اين تذهب فاستفاق لخطايه
على زعمهم فقال يا سيدي الى بغداد فسافر اليها فانظر رحمنا الله واياك
الى تبديد الخاطر المحل بمخالفه سنه واحده كيف وقع بها هذا في امرين
عظيمين احدها تعب السفر الطويل وترك جمع الخاطر في الحضر وبركته
والثاني اخباره لشيخه بالليس في باطنه وهذه الطايفه برآ من ذلك كله
ثم اذا اشمر اخذ ما مه بيشد وسطه بشي وياخذ العكاز بيده اليمنى والابريق
بيده اليسرى ويجعل السجاده على كتفه الايسر مطويه وهذا فيه ما
فيه لان اتخاذ السجاد من البدع التي احدثت فكيف يتخذها الفقير
وكان كثير من السلف رضوان الله عليهم لا يجعل بين وجوههم وبين
الارض حايلا لا حصير ولا غيره وما ذاك الا لاتباع سنه نبيهم صلى الله
عليه وسلم الا ترى ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما شكوا
اليه ما يجدون من الم السجود على الارض فلم يشكهم ومعنى ذلك انه
لم يزل شكواهم الا ترى الى ما ورد مسح الحصبا مسحة واحده وتركها
خير من حمر النعم ولا يرد على هذا حديث الخمرة لان ذلك محمول على شدة
الالم الذى يوجد في ذلك الوقت بخلاف الالم الذي يحمله البشريه
فلا يرخص فيه والخمرة هي شي مظفور من الخوص قدر ما يقع المصلي
عليه الوجه واليدين اذا سجد وكان عمر ابن عبد العزيز رحمه الله يسجد ولا يجعل
بين وجهه وبين الارض شي لاتباعه السنة وتواضعه وهذه الطايفه اولي
الناس بالاتباع والتواضع وهو الان داخل الى الرباط وهو موضع طاهر اذ لا
يدخله في الغالب الا من هو يتحفظ على دينه اذ لا حاجة تدعو الى السجاده
وانما هي عوايد احدثت ووقع الاستيناس بها والعوايد كلها مطروحة
لان السنة هي الحاكمة على الناس كلهم فضلا عن المريد ثم يامرونه اذا دخل

الرباط

الرباط ان لا يسلم على احد ولا يسلم عليه احد واعتلوا لذلك ان المريد لا يذكر
الله تعالى الا وهو على وضو والسلام اسم من اسما الله تعالى فاذا سلم على
احد او سلم عليه احد فقد يكون على غير وضو فيحتاج الى ذكر اسم الله وهو
على تلك الحال او يترك رد السلام وهو واجب فامروه بترك السلام لاجل
هذا وهذا ايضا مخالف للسنة اذ ان السنة مضت على ان المكلف يسلم
على من عرف ومن لم يعرف فكيف باخوانه وما تقدم من ذكر تعليلهم لذلك
فليس بالبين لان الشارع صلوات الله عليه وسلامه لم يمنع من ذكر الله
في حال من الاحوال الا في موضع الخلا فانه يكره ولا باس بذكر الله هنالك
عند الارتياع وما يشبهه وليس بمكروه والسنه عند لقا المومن لاخيه
السلام لا بعد جلوسه واستيناسه ثم يامرونه عند ارادة دخوله الرباط
ان يقعد عند الباب ثم يخرج اليه من في الرباط من الشباب او بعضهم
فيوذونه بالشتم ويقلبون الادب عليه ويخرقون حرمته ويكسرون
الابريق الذي معه ويفعلون ذلك به مره بعد اخرى حتى ييسوا من
غضبه ويعللون فعلهم ذلك بان يقفوا على حسن خلقه وحمله الاذي
اذ ان هذه الطايفه لا تنتصر لنفسها وهم اشد الناس كظما للغيظ
وعفوا عن الناس وهذا التعليل ليس بالبين لان الوارد اذا علم
انه اذا انزعج لذلك وغضب لا يدخلونه الرباط فانه يصبر اذ ذاك على
اذيتهم لاجل ما يرجوا من حاجته وان كان سي الخلق فما عسى ان يكون
فانه يستعمل ضده في هذا الموطن والحالة هذه ثم يخرج اليه الخادم
فياخذ السجاد عن كتفه وهو ساكت لا يسلم احدهما على الاخر ويدخل
الخادم والوارد يتبعه حتى اذا حصل في وسط الرباط وقف الوارد ينظر
اين يفرش الخادم السجاد فيعرف موضعها وهذا فيه ما فيه الا ترى
ان المعنى في السلام عند اللقا انما هو للتانيس بالبشاشة وما شابهها
من الاكرام للضيف والتودد نقيض ما عاملوه به واما كسر الابريق
فلا خفا في انه اضاعه مال وهو محرم وكذلك شتمه فوضعوا الشتم وخرق
الحرمة واضاعة المال موضع الاكرام والاحترام والضيافه ثم سرى
هذا الامر الى عامة المسلمين اذ ان هذه الطايفه قلوب الناس بهم

متعلقة بحسن ظنهم بهم وكونهم منسوبات الى اتباع السنة والزهد في الدنيا
وتركها والاقبال على العبادة والدار الاخرة ويرون انهم يحفون لا يخالفون
ولا يبتدعون فاذا صدر منهم شي من هذا اقتدى بهم غيرهم في فعلهم فتجد
كثيرا من الناس في هذا الزمان سعد الرجل واولاده كل واحد منهم يشتم
صاحبه ويشتمون الاباء والاجداد ويلعنون انفسهم والوالدان ينظران
اليهم وقد ورد في الحديث المومن لا يكون لعانا ومن كتاب السنن لابي
داود عن جابر ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدعوا
على انفسكم ولا تدعوا على اولادكم ولا تدعوا على خدمكم ولا تدعوا على اموالكم
لا توافقوا من الله ساعة ينل فيها عطا فيستجاب لكم ومنه عن ابي الدردا
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا لعن شيا صعدت
اللعنة الى السما فتغلق ابواب السما دونها ثم تهبط الى الارض فتغلق
ابوابها دونها ثم تاخذ يمينا وشمالا فاذا لم تجد مساغا رجعت الى الذي
لعن فان كان لذلك اهلا والا رجعت الى قايلها ومنه عن سمرة ابن
جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضب
الله ولا بالنار ومنه عن ابي الدردا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول لا يكون اللعانون شفعا ولا شهدا ومن البخاري عن عبد الله
ابن عمرو قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان من اكبر الكباير ان يلعن
الرجل والديه قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه قال
يسب الرجل ابا الرجل فيسب اباه ويسب امه فيسب امه وهم اليوم قد
تجاوزوا في ذلك الحد يشتم بعضهم لبعض دون اجنبي بينهم بل بعضهم قد
كفوا الاجنبي امرهم ولا يهتمون لذلك ولا يرجعون عنه ولو قدرنا
ان احدا نبههم على ما فيه من شدة القبح المجمع على منعه فمنهم
من يسخر منهم ومنهم من يقول انما هذا انبسط لا حقيقة وكل ذلك سببه
السريان من الخاصة الى العامة فانا لله وانا اليه راجعون على مخالفة
السنن وارتكاب البدع الاترى ان من السنة اكرام الضيف بتيسير
ما حضر والاقبال عليه وما تقدم من فعلهم عكس الامر سوا ثم ان
الخادم اذا فرش السجادة جعل سترها الى الجانب الايسر ويعللون ذلك

بانه

بانه اذا جاه احد يريد ان يجلس معه فيجلس لناحية اليمين فيكون
ذلك اسهل عليه في فرشها له اذا دال ويعللونه بوجه اخر وهو ان القلب
في جهة اليسار فينبغي ان يكون فتحها لتلك الجهة تفاولا بالفتح وهذا ليس
من التفاول في شي لان التفاول الشرعي انما هو ما كان من غير قصد
وما ذكروه وكله يحتاج الى توقيف من صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم
والسجادة مكروهة في الشرع ابتدا الا عن ضرورة كما تقدم فكيف
تفاصيلها فمن باب اولى واحرى ثم ان مع ذلك يطوي طرفها من جهة
القبلة من ناحية الشق فاذا علم الوارد موضع سجادة ذهب الى موضع
قضا الحاجة كانت له حاجة او لم تكن كان على وضو او لم يكن فياخذ الابريق
بيده فيضعه في موضعه الذي اخذه منه ويجعل بزبوزه الى جهة
القبلة وبلاه وكذلك في كل موضع يضعون الابريق فيه انما هو يكون
مستقبل القبلة وهذا ايضا يحتاج الى توقيف وهذه الاداب الشرعية
مثل استقبال القبلة وغيرها انما المخاطب بها المكلفون والابريق لا
يتوجه عليه خطاب ولا امر الشرع فيه بشي والتزام هذه الاشيا فيه
ضيق وحرج وقد قال عليه الصلاة والسلام ما تركته لكم فهو عفو واذا
كان الامر كذلك فلا حرج في وضع الابريق على اي صفة كانت وكذلك
في بسط السجادة وغيرها فما وافق السنة امتثلناه على الراس والعين
وما لم يرد فيه شي فقد وسعه الله علينا فلا يضيق على انفسنا باصطلاح
من ليس بمعصوم ثم يتوضا فاذا فرغ منه مشى سود الى موضع سجادة
وهو مع ذلك لا يكلم احدا ولا يكلمه احد لا بسلام ولا غيره فاذا جا الى
السجادة قدم رجله اليمنى فوضعها على طيه السجادة ثم قدم رجله
اليسرى فوضعها الى جانبها على الطرف المطوي كما هو ثم يقدم رجله
اليمنى في وسط السجادة ثم الرجل اليسرى ثم يزيل تلك الطية بيده
او بقدمه ويسمون هذه الطية قفل السجادة حتى لا يفتح ذلك
غيره وهذا كله من محدثات الامور التي ليس لها اصل في الشرع الشريف
فينبغي اطراحها وترك المبالاة بها ثم يصلي ركعتين والصلاة بهذا
الوضو فيها ما فيها لان هذا الوضو ان كان لاجل دخول الرباط ليس الا

فلا شك انه لا يستبيح به الصلاة كما قال علماؤنا رحمة الله عليهم فيمن توضا
للاكل او الشرب او دخول السوق فلا يؤدي به عبادة شرط الوضوء فيها وان
توضا لدخول الرباط والحدث يجري منه الخلاف بين العلماء اذا اشرك
في النية هل يجزيه ام لا واقل ما فيه مما لا ينبغي ان هذا الفعل كله
انما هو لاجل روية الناس له وانهم لا يتركونه يدخل الى الرباط الا على هذه
الصفة فقد خرج الوضوء بهذا عن ان يكون لله وحده بل التشابيه فيه ظاهرة
بينة والله اعلم والمريد لا يسامح نفسه في شي من هذا كله فينبغي له ان
يتوضا بعد ذلك لاستباحة الصلاة وينوب من عمله عمله لاجل روية الناس
ثم انه اذا سلم من صلاة الركعتين المتقدمتي الذكر اتى اليه بعض اهل
الرباط فسلموا عليه ويسطوا له الانس ويقوم هو اليهم ويعانقهم وهذا
الذي فعلوه من سلامهم عليه وبسطهم له هو السنة عند اللقا فاخروه
عن موضعه المشروع الى موضع غير مشروع فيه واما قيامهم له فليس
من السنة في شي لان القيام المشروع انما هو قيام الحاضر للغايب حين
قدومه عليه واما المعانقة ففيها اختلاف بين العلماء ومذهب
مالك رحمه الله كراهتها ثم انهم يتكلمون عند ذلك بالكلام المعتاد بينهم
الذي لا يخلو في الغالب من التشوف والتزكية وترفيع بعضهم لبعض
باشيا الغالب عدم بعضها الا من وفق الله وقليل ما هم واحتجوا على
استحباب هذه الاصطلاحات واستحسانها وامر الفقرا بها ان مشايخهم قد
قرروا لهم ذلك ليكون تحفظهم عليها علامة ودلالة على تحفظهم على بواطنهم
مما يقع فيها فتكون اداب الظاهر دلالة على حصول اداب الباطن
وهذه الطايفة يحسنوا الظن بمشايخهم وقد امروهم بذلك فلا عتب
عليهم في فعله بل هم في عبادة وخير وهذا الذي قالوه ليس بالبين لانه
لو اجاز العلماء مثل هذا لكان ذريعة الى نسخ الشريعة بالاراء وغيرها
فكل من ظهر له شي او استحسن شيا جعله اصلا معمولا به ويرجع اليه
ولا قايل به من المسلمين وهذا الدين والحمد لله قد حفظه الله تعالى
من الزيادة فيه والنقص منه ولا حجة في كون الفقرا يحسنون
ظنهم بمشايخهم لان تحسينهم للظن بهم له مجال متسع ما داموا على

الاتباع

الاتباع للسنة والسلف الماضين رضي الله عنهم اجمعين فحينيذ يرجع اليهم
ويسكن الى قولهم واما غير ذلك فاتباع السنة ارجى وانجح بل اوجب مع
سلامة الصدر لمن قال ما قال اذ انه لم يقصد الا خيرا ولكن المريد يتعين
عليه ان تكون ميزان الشرع في يده فاي من ولي او اعتدل فهو غنيمة
ومن نقص فلا ضرورة تدعو الى الاقتدا به فيما خالف فيه السنة اذ انه لا
يتبع احد في الغلط وانظر الى قوله عليه الصلاة والسلام في حديث الورود
على الحوض فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول سحقا سحقا اي
فبعدا فبعدا واذا كان كذلك فقد وقع البعد بسبب التبديل
ولفظ التبديل يقع على القليل والكثير واذا كان الامر كذلك فلا ضرورة
تدعوا الى الوقوع في مثل هذا الاحتمال والمقصود ان تكون السنة
واتباع السلف رضي الله عنهم هما الاصل عنده فلا يعرج على غيرهما ولو قال
من قال ولاجل هذا المعنى قال بعضهم ان المريد يعرف حين دخوله
وباذلك الا ان المريد محافظ على السنة فاذا استاذن ووقف بالباب
حتى يوذن له ثم دخل وقدم رجله اليمنى واخر اليسرى ثم سلم السلام
الشرعي علم انه مريد لامتثاله هذه السنن الثلاث الاترى الى ما حكي عن
بعضهم انه جاء مريد لزيارته فقدم اليه شيا للاكل فتناول المريد لقمة
فقال له المزور من شيخك يا بني فقال له يا سيدي الناحية اليمنى توجعني
فقال له كل رضي الله عنك وعن من رباك وقد تقدمت هذه الحكاية
لان السنة في ابتدا الاكل ان يكون بناحية اليمنى فلما ان راه خالف هذه
السنة عرض له بقوله من شيخك لينبهه بذلك على ما وقع فيه من
خلاف السنة فكان في المريد من اليقظة والحضور ما فهم به مراده فاجابه
فهكذا تكون المحافظة على السنة والاتباع وفقنا الله لذلك بمنه وقد
تقدم في لباس العالم وتصرفه ما فيه غنية عن اعادته في حق المريد
لكن لما ان كان المريد اشد حرصا على الاتباع لانقطاعه ووصله اليه
وقد تقدم ما في تلك الثياب المذكورة من السرف فكذلك ما يشبهها
اعني من الوسع في الثوب لا لضرورة تدعو اليه وان كان ثوب
المريد قصيرا في الغالب لكنه احتوى على شيين يتبين مخالفة

السنة ووجود السرف فيه اعني في الوسع الخارق الذي يفعله بعضهم

فصل واعلم ان طريق الصوفيه لطيف لطفه واقل شي يدنس
النظيف لاجرم انه قد كثر التدليس والتخليط وظهر وسبب ذلك ان كل
طريقة ادعاها الانسان فصحه فيها شواهد الامتحان الا هذه الطريقه
فانه لا ينفضح فيها غالبا وذلك لوجهين احدهما ان طريقهم مبني على الفتوه
والستر والعفو والصفح والتجاوز والاغضاء عن العيوب وكل من ادعى
شيا يخالف طريقهم ستروا عليه وجروا عليه اذيال الفتوة والثاني ان
كثيرا ممن يعبر عليه في هذا الزمان اقل ما يقع فيه ان يقول لك حدثني
ويقوم في حمايته كثير من الناس فيداعي الفتن ويكثر الى غير ذلك من
الخطوط التي تعتورهم وهي كثيرة ولاجل ذلك سكت من سكت من اهل
الصدق والاتباع فظن من لا علم عنده بحالهم السني ان سكوتهم رضى
منهم بشي مما راوه او سمعوه الا ترى انهم اذا وجدوا من يقبل الحق منهم
القوا اليه ما يخلصون به مهجته من هذه الغمرات وسروا به واقبلوا عليه
لا لحظ دنيوي بل ذلك ترحما منهم بهدايته شارد عن باب ربه عز وجل
مضطر الى من يوصله اليه وقد ورد في الحديث عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لعلي رضي الله عنه لان يهدي الله بك رجلا
واحدا خير لك من حمر النعم واذا وجد احدهم السبيل الى شي من هذا
بادر اليه وان كان ضده تغفل وتناسى لاجل ما تقدم وقد تقدم ان
اللعين بكيدته وشيطنته يتبع السنن واحدة واحدة يريد بذلك
ان يبدل مكان كل سنة ضدها الا ترى انه لما ان وجد المريد اكثر
لباسه على ما ينبغي من القصر وغيره ادخل عليه دسيسه قل من يشعر
بها وهي وسع الثوب الخارج عن العادة وفيه شيان مما لا ينبغي
وهما اضاعة المال وهو محرم ومخالفة السنة وكفى بهما وقنع بذلك
من بعضهم ودس زيادة عليه وبدل ما هو اكثر من هذا واكثر
لكثير من العرب في طول ثيابهم حتى صارت اذا مشوا تجر على الارض
وهذا محرم في حق الرجال متاكد فعله في حق النسا وبدل للنسا
ضد ذلك وقد تقدم بيانه وزاد في ثياب بعض من ينسب الى العلم

قريبا مما سبق في ثياب العرب فالحاصل انه حرم كل طايفة من الاتباع واوقعهم
في ضده ومع ذلك قل من يستيقظ لما القاه اليه من هذه الدسايس
بل تلقوها بالاقبال عليها لما القى اليهم من التعليل لكل واحدة واحده
لان من عادته الذميمه تعليل ما يلقيه اليهم وتحسينه لهم ليكون ذلك
ادعى الى القبول منه والحرص على فعله فانا لله وانا اليه راجعون
على ما حصل من هذه الغفلات عمن لا يغفل عنا ولا ينسانا وفي التلويح
ما يغني عن التصريح والله المستعان **فصل في ذكر بعض المتشبهين**
بالمشايخ واهل الارادة وهذا باب متشعب قل ان تنحصر مفاسده او
تعيين ما يقع منه لكثرته لكن يشير الى شي منه ليستدل به على ما عداه
والله المستعان فمن ذلك ان كثيرا من الناس يدعي الدين والصلاح
وانه من اهل الوصول ويأتي بحكايات من تقدم من الاكابر ويطرزها كلامه
وهو مع ذلك يشير الى نفسه بلسان حاله وان عنده من ذلك طرف
او بعضهم يزعم انه قد حصل له من ذلك الامر حاصل ومنهم من له القدرة
على تصنيف الحكايات والمراى التي يختلقها من تلقا نفسه سيما والعياذ
بالله تعالى ما ابتلي به بعضهم من جرته ودعواه روية النبي صلى الله عليه
وسلم في المنام وانه اقبل عليه وخاطبه وامره ونهاه بل بعضهم يدعي
رويته عليه الصلاة والسلام في اليقظه وهذا باب ضيق وقل من يقع
له ذلك الا من كان على صفة عزيز وجودها في هذا الزمان بل عدمت
غالبا مع انا لا ننكر من يقع له هذا من الاكابر الذين حفظهم الله تعالى
في ظواهرهم وبواطنهم وقد انكر بعض علما الظاهر روية النبي صلى
الله عليه وسلم في اليقظه وعلل ذلك بان قال العين الفانيه لا
ترى العين الباقيه والنبي صلى الله عليه وسلم في دار البقا والرائي
في دار الفنا وقد كان سيدي ابو محمد رحمه الله يحل هذا الاشكال
ويقول ما قاله هذا القايل صحيح ولكن يرده ما ورد من ان الله تعالى
يقف يوم القيمه هذه الطايفة بين يديه فيقول عز وجل اوليائي
لم ازو عنكم الدنيا لهوانكم علي ولكن زويتها عنكم لتستوفوا اليوم
نصيبكم عندي اذهبوا فاخترقوا الصفوف فمن سلم عليكم من اجلي

اوراكم من اجلي اوعرفكم من اجلي اواطعمكم لقمة من اجلي فخذوا بيده وادخلوه
الجنة فياتون الى المحشر وهم يجرون اديال الفخر فيقول اهل المحشر يا ربنا
ما بال هولا دوننا فيقول عز وجل انتم متم في الدنيا مرة واحدة وهولا كان
الواحد منهم يموت في اليوم سبعين مرة اوكما قال فقد قال سيدي
ابو مدين رحمه الله من مات راي الحق من لم يمت لم ير الحق واذا كان
المراد امات موتة واحدة راي الحق فما بالك بسبعين مرة في كل يوم فلا
تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين فذهب الاشكال والحمد لله وظهر الصواب
والله المومل في الثواب ومنهم من يشير الى نفسه بالكرامات
وخرق العادات وهو عري عنها لاتصافه بضدها ومنهم من يدعي
روية المشايخ ولقيتهم وهو مع ذلك لم يجتمع بهم ولا راهم ومنهم من
يدعي صحبة بعض الشيوخ والاهتدا بهديهم وهو لم يجتمع بهم ولا هو
على طريقهم بل راي بعض من صحب الشيوخ وحكي عنهم فحكي ذلك
عن نفسه ومنهم من يدعي روية الخضر ثم ان بعضهم يوكد ذلك
باليمين ليكون ادعي القبول منه حتى لقد قال بعض من ينسب
اليه شي من هذا ان الخضر ياتيه في كل يوم ويقف على دكانه ويتحدث
معه وهو يبيع ويشتري وذلك كله تقول وافتعال لا اصل له ولا فرع
مع ان هذا لا ينكر اذا وقع من اهله في محله ومنهم من اذا اراد ان
يلقي شيا مما يخطر له قدم قبله الاستشهاد بجناب الله تعالى فيقول
قال الله تعالى ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم
مسودة ثم يحلف عند ذلك انه راي وراي وانه خطب في سره والغالب
انك تجد كثيرا من العوام لغلبة الجهل عليهم باهل الحق والخير
والصلاح والاتباع اذا موه عليهم احد من اهل التمويه انفعلوا له
وقالوا به واتبعوه ونزلوه المنزلة التي يدعيها اسل الله السلامة
من ذلك بمنه وبالجملة فاحوالهم الردية لا تنحصر وفيما وقع التنبيه
به كفاية ومقنع هذا حال المستترين منهم واما غيرهم فقد خرقوا
السياج وليس العجب منهم بل العجب ممن يعتقدهم او يميل اليهم مع
ماهم فيه من مخالفة الشرع الشريف مثل ما يفعل بعضهم من انه

يري

يري الناس الزهد في الدنيا وترك المبالات بها حتى انه يجلس مكشوف
العورة وقد تقدم ذلك ومنهم من يدخل النار على زعمهم ولا يحترق بمراي
من الناس وذلك انه لو كان صحيحا لكان بدعة ومنكرا اذ ان من شرط
المعجزة اظهارها والتحدي بها ومن شرط الكرامة عكس ذلك فاذا اظهرها للناس
فقد خرجت عن باب الكرامة اللهم الا ان تقع ضرورة شرعية محوجة الى
اظهارها مثل ما حكي عن بعضهم انه كان في مركب موسوقة قمحا فهال
البحر عليهم وكان القمح لبعض الظلمة المسلط على الخلق في وقته فسمع النواتيه
وهم يقولون ان هذا القمح مكيل علينا فان نقص منه شي اخذنا الظالم
به فالراي ان نرمي الركاب في البحر ونبقي القمح فلما ان سمعهم قال لهم ارموا
القمح في البحر وانا الضامن له فاشهدوا عليه ورموا القمح حتى لم يبق الا
القليل فسكن البحر فلما ان وصلوا البلد طلبوه بما التزمه فامرهم ان ياتوا
بالكيالين فجاوا بهم فقال لهم اكيلوا ما بقي من القمح فاكالوه فوفى ما على
النواتيه مسطورا ثم رد راسه الى اصحابه وقال لهم والله ما عملتها الا حقنا
لدما هولاء المسلمين فما كان مثل هذا فهو الذي يظهرونه للضرورة
الشرعيه مع ان لدخول النار ادويه تستعمل حتى لا تعدوا على من
دخلها ممن استعمل تلك الادويه لكن لو حضر احد من اهل السنة ودخلا
معا لاحترق صاحب الزعبله وخرج المحق سالما وقد وقع ذلك في حكايات
يطول تتبعها منها الحكايه المسندة في مصباح الظلام للشيخ الامام الجليل
ابي عبد الله ابن النعمان رحمه الله تعالى وما جري للسني والبدعي
في دخولهما النار فخرج السني ولم يحترق وبقي البدعي حممة انتهى وقد
كان بعض من ينسب الى المشيخة يدخل اصحابه النار ولا يحترقون
فقال لي سيدي ابو عبد الله الفاسي رحمه الله والله لولا اني
اخاف من سيدي الشيخ ان يطردني لاخذت الشيخ لنفسه ودخلت
انا واياه النار حتى ينظر من يحترق فينا وقد كان ببلاد المغرب من
زمن قريب رجل يدعي الولايه وخرق العادة وكان اذا ورد عليهم
الفقرا والاضياف يعمل لهم فطيرا او يفت في قصعة ويوتى بها اليه فينصب
يده عليها فيخرج من بين اصابعه عسل نحل يلت به ما هنالك حتى يكفيهم

ثم يرسل يده فينقطع فسمع به بعض الاكابر فى وقته فجا اليه فلما ان جلس
عنده قال له تريد ان تطعمنا من هذه البسيسة التى تطعم الناس فقال
نعم فامر بالفطير على العادة واحضر من يده ليسيل العسل على العادة فلم
يخرج شى فقال له واين ما تدعيه فقال انقطع الان فقال له لو كان حقا
ما انقطع الان الباطل اذا جا الحق زهق ثم عزره بالكلام وقال له كنت تطع
المسلمين ابوال الشياطين واخرجه عن ذلك الحال وتوبه عنه ومنهم
من يظهر الكرامة بامساك الثعابين والانس بها وهذا فيه ما فيه من
مخالفة الشرع الشريف والتمويه على الامة بما لا حقيقة له اذ ان مثل
ذلك يفعله كثير من الناس لمعيشتهم فكيف يعد كرامة ومن ذلك ايضا ما
يفعلونه من اكلهم الثعابين بالحيوه بمراى من الناس وذلك محرم ان لو كان
صحيحا لان اكلها لا يجوز الا بعد تذكيتها عند من يرى اكلها وهم ياكلونها
بغير تذكيه ويودبون على كل اكله من اكلا انهم تاديبا بليغا اذ عا ثم ان
كان ذلك غير حقيقه وهو من صنعة النارنجيات والسيميا وما شاكلها
وليس من باب الكرامة فى شى وكنت اعهد مثل هذه الاشيا ببلاد
المغرب يعمل على بابها ويضاحك الناس عليها فى لهوهم ولعبهم ويستعطون
بسببها وهم فى هذه البلاد فى بعض الاماكن يعدونها من الكرامات
ويعتقدون بسببها ومنهم طايفه استسنت سنة سية وهم الذين
يحلقون لحاهم وذلك خلاف للسنة وارتكاب البدعه لغير ضرورة شرعيه
واما اذا كان لضرورة مثل التداوي وغيره فجايز ومنهم من يفعل عكس
هولا فلا ياخذون شيا من شعور ابدانهم ويعللون ذلك انه من حسن
الصحبة وذلك قبيح شنيع لانه يشبه فعل الرهبان وفيه المثله
والاستقذار وقد نهينا عن ذلك كله ومنهم من يلبس الليف والاشيا
التى لا تستر عند الركوع والسجود مثل الشعر وغيره وهذا ايضا من
المثله والبدعة والشهرة وكشف العورة وترك الصلاة اذ انه لا يجوز
كشف العورة فى الصلاة ولا غيرها واشنع من هذا كله واقبح ما اتخذه
بعضهم من لبس الحديد فيتخذ سوارين فى يديه كما تتخذهما المراة من
الفضة والذهب وبعضهم يجعل فى عنقه طوقا من حديد كالغل بل هو

نفسه

نفسه ويعلقون فى اذانهم حلقا من حديد وبعضهم يجعل على ذكره طوقا من حديد
كالقفل ويزعمون ان شيوخهم حين ياخذون عليهم العهد يفعلونه بهم ويامرونهم
ان يلبسوه لمن اقتدى بهم ويقولون ان ذلك قفل على محل المعاصي حتى لا
ترتكب ولا خفا بتحريم هذا وشناعته وقبحه وانه لا مدخل له فى الشرع الشريف
ثم مع ادعايهم ان ذلك قفل على المعاصى يانون بنقيض ما زعموا وهو ان
فيهم شبابا لهم صور وهم مقيمون معهم مسا وصباحا ويخلو بعضهم مع بعض
دون نكير وقد قال بعض السلف رضى الله عنه لان اوتمن على سبعين
عذرا احب الى من ان اوتمن على شاب وبعضهم يتخذ حديدا كالعمود
ويمشى به فى يده وقد ورد ان الحديد حليه اهل النار وقد ورد من تشبه
بقوم فهو منهم فيقعون فى هذا الخطر العظيم بسبب الجهل والجهل بالجهل
كل ذلك سببه مخالفه السنة المطهرة واشد ذلك ان اكثرهم يدعي انه على
الحق والصواب وان طريقه هى المثلا ومنهم قوم تنزهوا عن هذه الردايل
ويعيبون على فاعلها ثم انهم يقعون فى اشيا دلة نهي صاحب الشرع
صلوات الله عليه وسلامه عنها وهى عندهم كانها من شعاير الولايه فمن
ذلك اتخاذ بعضهم الاعلام على راسه وهولا يخلو اما ان يكون وليا لله تعالى
على ما يزعم ام لا فان كان وليا فالولي لله لو قدر ان يدفن نفسه او يكون
ارضا يمشى عليه لفعل حتى لا يكون مع الناس بالسوا فكيف ينشر الاعلام
على راسه وهذا من باب الشهرة والدعوى واهل الايمان برآ من
ذلك كله الا ترى الى قول عمر ابن الخطاب رضى الله عنه لتميم الداري
رضى الله عنه لما ان ساله ان يعظ الناس ويذكرهم فقال له انت تريد
ان تقول انا تميم الداري فاعرفوني فكل من اراد الظهور فليس من
اهل الطريق فى شى بل هو عكس حالهم ولو لم يكن فيه الا انه بدعة
ممن فعله فكيف بانجرار هذه المفاسد التى وقعت بسبب الاعلام اذ
انهم يجتمعون رجالا وشبانا فاذا اشرفوا على بلد ذكروا الله جهرا يرفعون
بذلك اصواتهم ولا يقصدون به الذكر ليس الا بل اعلام اهل تلك البلدة
ومن فاربها بورود الشيخ والفقرا الذين معهم حتى يخرجوا الى تلقيهم
فاذا سمعوا ذكرهم خرجوا اليهم نسا ورجالا واختلطوا بهم فصاروا مجتمعين

من هذا مع

رجالا ونسا وشبانا وهدا فيه ما فيه من مخالفة الشرع الشريف وقد تقدم
غير مرة ان المراة لاتخرج من بيتها الا لضرورة شرعية ومع ذلك فتكون اذا
خرجت علي الصفة المتقدم ذكرها من الستر والمشي مع الجدران ولا تخرج
الا لضرورة شرعية وهن اذا خرجن للقايه خرجن منكشفات
في الغالب وان يستتر بعضهن فبعض تستتر ويرفعن اصواتهن بالزغاريت
ويسمع لهن اذ ذاك ضجيج وذلك كله بمراي من الشيخ وعلمه بهم فما اقبح هذا
وابعده ممن ينتمي الي طريق اهل الدين والصلاح فكيف بمن يزعم انه
يدعوا الناس الى الله تعالى فانا لله وانا اليه راجعون على انعكاس
الامور وبعضهم يزيد علي ذلك فعلا قبيحا فيه اضاعة المال وهو وقود
الشمع نهارا حين يتلقونه ويقصدون بذلك القربة الى الله تعالي
وهيهات هيهات التقرب الى الله تعالى لايكون الا بامتثال اوامره لا
بالوقوع في نواهيه بل هو نفس البعد والقلى اسال الله العافيه
من ذلك كله بمنه ثم مع ذلك ينزل على اهل تلك البلده بالجمع الذي معه
ومفاسده قل ان تحصر فمن ذلك انه يتضرر خلق كثير منهم بسبب تكليفهم
لهم اشيا من الاطعمة تليق بهم ويتفاخرون بذلك وبعضهم يعيب علي
من اتى بطعام لايختارونه وليت هذه الضيافه لو كانت عن طيب نفس
لكنهم يقسطون ما ينفقونه في تلك الضيافة علي الروس من غني وفقير
ومضطر ومحتاج واكثرهم يتداعون بسببها وبعضهم يعجز عن شي يعطيه ومن
يد ابيه فيهرب قبل وصول الشيخ الى البلد ويتسلطون على بيته وهو غايب
فياخذون ما وجدوا من دجاج او داجن وبعض من يعجز عن الهروب
يبخس مع كبر اهل البلد بما يوجبون عليه مما لاقدرة له به وتفاصيل احوالهم
في هذا المعنى تطول وقد قال عليه الصلاة والسلام انا وامتي برأ من التكلف
فلو لم يكن من التكلف بهم الا علف دوابهم لكان فيه من المحرم ما فيه ثم مع
ذلك لم يقتصروا على هذا التكليف العظيم حتى اضافوا اليه ما ياخذونه
من الهدايا ويسمون ذلك للفتوح للشيخ ولاصحابه كل على قدر حاله سيما صاحب
المنزل الذي نزلوا عنده فهذه الوظايف اعنى الضيافة والعلف والفتوح
للشيخ وجماعته لابد له منها حتما ثم انهم لم يقتصروا علي الاخذ للشيخ وحده

حتى

حتى ياخذوا الخادم السجادة وقد تقدم ان السجادة في نفسها بدعة فكيف يتخذ لها
خادم ثم ياخذون لخادم الابريق ثم لخادم السماط ثم لخادم العكاز ثم لخادم الدابة او
او الفرس ثم للمزمزين الذين معه ثم مع هذه الاحوال الرديه يرقص بعضهم
نسا ورجالا وشبابا ثم انهم لم يقتصروا على هذه المفاسد حتى واخى بعضهم بين
النسا والرجال من غير نكير ولا استخفا بذلك ثم انهم لم يقتصروا على هذا الفعل
القبيح حتى يقعد بعض النسا يكبس بعض الرجال ويزعمون انها اخته من
الشيخ فلا تحتجب عنه اذ انها صارت من ذوي المحارم على زعمهم وكتب العلما والحمد
لله بين ايدينا وليس فيها شي مما ذكروه بل افتعال منهم وتقول باطل فمن استحله
منهم فقد خرج عن الدين ومن لم يستحله منهم فقد ارتكب امرا عظيما يجب عليه
ان يتوب ويقلع عما هو بسبيله من المخالفة والضلال فاذا علم هذا من احوال
بعضهم فاي فرق والحالة هذه بينهم وبين الظلمة المسلطين على الخلق باخذ
المال والاذية بل قد يوجد بعض الولاة يتحامى عن مثل هذه الرذايل
وينزه منصبه عنها ولا ياكل الا من اقطاعه مع ان الوالي مامور بالاقتدا
بالفقرا المتبعين فصار الامر بالعكس اذ انه يتعين على من اتصف
بشي مما تقدم ذكره في امر من انتسب الي الفقرا ان يقتدي بالوالي
في هذا الفعل الحسن وزاد بعضهم على هذا اشيا قبيحا وهو استهتار في
الدين وزندقة فيقولون المال مال الله ونحن عبيد الله فلا فرق بيننا
وبين صاحب المال لانا شركاوه فيه وهذا منهم حل ونقض للشريعة المطهرة
وقد ابى الله ذلك ورسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قال الله تعالي في
كتابه العزيز ويابى الله الا ان يتم نوره فالشريعه والحمد لله مصونة عن
الزيادة فيها والنقص منها فلا تزال على صفة الكمال حتى ياتي امر الله ثم
العجب ممن يدعي المشيخه منهم والهدايه لطريق القوم كيف يعطي الاجازات
للفقرا ان تخت بده بالمشيخه ولو سالته عن فرايض الوضو او سننه او
فضايله وكذلك في الغسل او في التيمم او في الصلاة لجهل ذلك غالبا وقد قال
بعض العلما اذا صلى المكلف وهو لايعرف المفروض من المسنون واتى
بالصلاة فلا تصح صلاته وان اتى بذلك وكذلك لو سالته عن مفسدات
الصلاة لما علمها وكذلك لو سالته عن السهو اذا طرا عليه في صلاته ما

فحمه ما علمه فاذا كان هذا حاله في امر وضوه وصلاته الذين بهما قوام دينه وصلاحه
فما بالك به في غيرها وقد تقدم ان من لم يامنه الله عز وجل على ادب من
اداب الشريعة فبعيد ان يوتمن على سر من اسرار الله تعالى فاذا كان
هذا حال الشيخ في جهله بمبادى امر دينه فكيف من يصحبه فكيف من يجيزه
اذ الغالب فمن ينتمي الى مثل هذا انه لا يباشر العلما اذ لو باشرهم لانكروا عليهم
ما هم فيه فكيف يصحبهم او يتبعهم على ان هذه الاجايز والحالة هذه لا اصل
لها في الدين ومع كونها لا اصل لها فالاجازة التي يعطونها شبيهة بالظلم
الا ترى انهم لا يعطونها في الغالب لمن سالها الا حتى يعطي على ذلك عطا
جزيلا بحسب حالها ويسمون ذلك شكران الدخول في طريق القوم
فيعطي الشيخ ما يليق به ولخدام الشيخ المتقدم ذكرهم ما يليق بدرجاتهم
وكذلك الاكابر اصحاب الشيخ المذكور ولابد من ليلة يطلبونها منه بالسماع
كل على قدر حاله ويختلطون على ما تقدم ثم مع هذا الحال لا يقتصرون
بكتب الاجازات لمن طعن في السن ولمن له عقل في العقل من الكهول
بل يعطونها للشباب المردان ولهم صور فيتسلطون بسبب ذلك على الكشف
على حريم المسلمين في بعض الاحيان والاماكن بسبب الاختلاط بهم
من اجل الاجازات التي بايديهم هذا حالهم مع من سال الاجازة
منهم واما من لم يسلها فهو على قسمين اما ان يكون له وجاهة وجده
او احدهما ويعلمون من حاله انه يميل الى شي من احوالهم واما ان يكون
عريا عن الوجاهة والجده وهو مع ذلك متشوف للاجازة كالاول
فاما الاول فيعملون عليه الحيل في ربطه عليهم وسكونه الى قولهم
والرجوع اليهم فاذا ظفروا بذلك منه كلفوه التكاليف التي تضر بحاله وحال
عياله غالبا واذا كان كذلك فلا فرق اذا بين من هذا حاله وبين الظلمة
الا ان الظلمة يفعلون ذلك بالعسف والقهر وهولاء يفعلون مثله بالحيل
والخدع واما ان كان فقيرا لا مال له ولا وجاهة فانهم يستخدمونه المدة
الطويلة ليحصل لهم من تكليف الناس والتسلط عليهم والالحاح بالمسالة
على الغني منهم والفقير حتى يحصل لهم ما يرضيهم كالاول وهذا امر لا يمس
اخلاق المسلمين في شي اذ ان من اخلاقهم المناصحة بينهم والشفقة

والرحمة

والرحمة بعضهم مع بعض نسال الله السلامة من بلايه بمنه **فصل**
ثم العجب من ادعايهم المشيخة وهم لا يعرفون مبادى امر
دينهم كما تقدم فكيف بالانتما الى المشيخة وقد قال اهل التحقيق من
اهل الطريق ان الفقير لا يكون فقيرا حتى يكون قلبه كانه في كفه يعني
من قوة معاينته له ونظره اليه فيعرف الزيادة فيه من النقص بذهنه
هذا حال الفقير المنفرد بنفسه دون ان يصل الى حال اقتدا الغير
به فاما الشيخ فلابد له من زيادة على ذلك وهو ان تكون قلوب اصحابه كانها
في كفه وكذلك احوالهم في تصرفاتهم وخواطرهم فيعلم ما يزيد فيها وما ينقص
منها فيربيهم على ما يتحقق من حال كل واحد واحد وينبههم على ذلك
بحيث لا يشعر احد من جلسايه بل الشخص وحده قد لا يشعر بذلك في بعض
الاحيان ولهم في معرفة هذا امور وتصرف لا يعرفه غيرهم فان كان
الشيخ عاجزا عن هذه الرتبة اعني انه لا يعرف ما زاد في حال اصحابه وما
نقص في غيبته فلا يدعي المشيخة ولا الهداية بل اخوان مجتمعون
يتذاكرون في مسايل الدين ومناقب اهل الاحوال السنية ولعل بركة
ذلك وبركة اجتماعهم تعود عليهم دون ان يدعي احد منهم حالا
او مقالا هذا حال القوم مع وجود الاخلاص منهم والصدق والتصديق
والركون الى مولاهم في دق الامور وجليها والتزام الوقوف ببابه سبحانه
وتعالى ومع هذه المقامات العلية والاحوال السنية لا يدعون لانفسهم
حالا ولا مقاما بل يقول اكثرهم الى الان ما احسن ان اتوب حتى قال
قايلهم يظنون بي خيرا وما بي من خير ولكنني عبد ظلوم كما تدري
سترت عيوبي كلها عن عيونهم والبستني ثوبا جميلا من الستر فصاروا
يحبوني ولست انا الذي احبوا ولكن شبهوني بالغير فلا تفضحني في
القيمة بينهم ولا تخزني يارب في موقف الحشر وقد قال بعض السلف
الصالح رضي الله عنه لولده لما ان راى منه شيا لا يعجبه يا بني اما تعرف
قدرك فقال وما قدري فقال له امك اشتريتها باربع مايه درهم
وابوك لا كثر الله مثله في الاسلام هذا مقالهم مع وجود الاحوال
السنية منهم فما بالك بمن هو على العكس ثم مع ذلك يعطي الاجازات

وينصب بين يديه الاعلام والرايات فانا لله وانا اليه راجعون وبعضهم يدعي
الوله ويرتكب بسبب ذلك محرمات ويركب على جريدة قد صور لها وجها وعينين
وانفا وفما وياخذ شيا بيده كانه سوط ويركب تلك الجريدة ويمسكها بسير او
خيط كانه لجام لها ويضربها ويجري وبعضهم يعلق فيها جرسا فاذا مشي سمع له
صوت قوي فيجتمع عليه النسا والرجال والشباب غالبا وقد يدخلون بيوتهم
ولا يتخبا منه احد ذا ذا امراة من جملة نسايهم ويعيبون على من استتر منه
ويقولون هذا موله وهذا اشد قبحا من الاول لانه قد ينفرد وحده فيجد
السبيل الى ما تسوله له نفسه من الرذايل بخلاف من تقدم ذكرهم وكيف
يدعي الولاية مع ارتكاب نهي صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه حيث
يقول من صور صورة عذب حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها ابدا ولا فرق
بين من صورها او استعملها او رضي بها وما العجب منه بل العجب ممن
تلبس بشي من العلم وهو مع ذلك يعتقد من هذا حاله ويصوب فعله
بان يقول هذا ولي لله وانما هو تخريب على نفسه وتخريب هذه الطايفة
انما لم يكونوا بالم يعادضهم فيه امر ولا نهي وهذا قد عارض النهي الصريح
كما تقدم ولو لم يكن للجريدة صورة لاحتمل التخريب وغيره هذا ان كانت
اوقات الصلوات عليه محفوظة وكذلك في ساير التكليفات الشرعية
وهو يظهر الوله فيما عدا ذلك فهذا يحتمل مع انه لا ضرورة دعت الى الدخول
في هذه الاعمال اذ ان الله عز وجل لم يضيق على المكلف اذ العلما والاوليا
المحفوظون في خواطرهم وبواطنهم والحمد لله موجودون لا تخلو منهم الارض
الى ان تقوم الساعة باخبار صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه **فصل**
ثم ان مع هذا كله لم يكتفوا بهذه المفاسد حتى ضموا اليها مفسدة
اخرى وهو اخذ بعضهم العهد على من يريد الدخول في الطريق
من رجل او امراة او شاب ليكونوا من خواصه واتباعه وبعضهم يحلقون
شعر راس من يتوب على ايديهم حين ياخذون عليهم العهد وهذا
جهل منهم بالعهد ما هو وكيفيته وحلق شعر الراس لغير ضرورة شرعية
من البدع وقد كان في عهد السلف رضي الله عنهم من شعار اهل البدع
وعلامة عليهم هذا اذا كان الحلق لاجل الدخول في الطريق واما حلقه

لكثرة

لكثرة الدواب او غيره فهو جايز غير مكروه **فصل ومن**
هذا الباب ايضا ما يفعله بعضهم من تعليق السبحة في عنقه
وقد تقدم قول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لتميم الداري رضي الله
عنه انت تريد ان تقول انا تميم الداري فاعرفوني وما كان مراده الا ان
يذكر الناس بالاحكام الشرعية المامور باظهارها واشاعتها واظهار السبحة
والتزين بها لا مدخل لها في ذلك بل الشهرة والبدعة لغير ضرورة شرعية
وقريب من هذا ما يفعله بعض من ينسب الى العلم فيتخذ السبحة في
يده كاتخاذ المراة السوار في يدها وتلازمها وهو مع ذلك يتحدث مع الناس
في مسايل العلم وغيرها ويرفع يده ويحركها في ذراعه وبعضهم يمسكها
في يده ظاهرة للناس ينقلها واحدة واحدة كانه يعد ما يذكر عليها وهو
يتكلم مع الناس في القيل والقال وما جرى لفلان وما جرى على فلان
ومعلوم انه ليس له الا لسان واحد فعده على السبحة على هذا باطل
اذ انه ليس له لسان اخر حتى يكون هذا اللسان يذكر واللسان الاخر يتكلم
فيما يختار فلم يبق الا ان يكون اتخاذها على هذه الصفة من الشهرة والريا
والبدعة ثم العجب ممن يعد على السبح حقيقته ويحصر ما يحصله من
الحسنات ولا يعد ما اجترمه من السيات وقد قال عليه السلام حاسبوا
انفسكم قبل ان تحاسبوا فارشد عليه الصلاة والسلام الى محاسبة المرء لنفسه
فيما يتصرف فيه باعتقاده وجوارحه ويعرض ذلك كله على السنة المطهرة
فما وافق من ذلك حمد الله عز وجل واثنى عليه وبقي خايفا وجلا خفية
من دسايس وقعت له لم يشعر بها وما لم يوافق احتسب المصيبة في ذلك
ورجع الى الله بالتوبة والاقلاع فلعل بركة التوبة تمحو الحوبة وتجبر بذلك
ما وقع له من الخلل وهذه الطايفة اصل عملها التحفظ من السيات
والهواجس والخطرات ثم بعد ذلك ياخذ في كسب الحسنات وقد
قالوا ان ترك السيات اوجب من كسب الحسنات لما جا في الحديث عنه
عليه الصلاة والسلام اتق محارم الله تكن اعبد الناس وقد حكي عن
بعضهم انه بكى اربعين سنة فسيل عن سبب بكايه فقال استضافني
اخ لي فقدمت له سمكا فاكل ثم اخذت ترابا من حايط جار لي وغسل يده

به فانا ابكي على ذلك التراب الذي اخذته منذ اربعين سنة وحكي عن اخر
مثله نسيل عن ذلك فقال طلع لي طلوع في رقبته فاستراح فانا ابكي عليه لعدم
رضاي بما فعله اسلي او كما قال واحوالهم في هذا المعنى قل ان تحصر فاذا كان
هذا حالهم في مثل ما وصفنا عنهم فما بالك بمن تحمل الانتقال واي انتقال ثم تحصر
الحسنات ولا يفكر في ضدها فانا لله وانا اليه راجعون ثم ان بعضهم يحتجون
بانها محركة ومذكرة فواسواتاه ان لم يكن التحريك والتذكير من القلب وفيما
بين العبد والرب سبحانه وتعالى وقد تقدم ما ورد في الحديث ان عمل
السر يفضل عمل الجهر بسبعين هذا وهو عمل فما بالك باظهار شي ليس بعمل
وان كانت صورته صورة العمل وما زال الناس يخفون اعمالهم مع وجود الاخلاص
العظيم منهم وهم مع ذلك خايفون وجلون من دخول الدسايس عليهم فاين
الحال من الحال فانا لله وانا اليه راجعون وبالجملة ففعل ذلك فيه من
الشهرة ما فيه وقد تقدم ان التاجر ينبغي له ان يكون عارفا بالمحاولة ما يتجر
فيه ولا يترك ما له فيه سبعين ضعفا وياخذ ما له فيه شي واحد هذا مع
السلامة من الاوصاف المتقدم ذكرها فكيف به مع وجودها ثم انه مع
ذلك يحرم نفسه فضل الذكر ان تعود بركته على اعضايه وجوارحه فلو كان
يسبح ويعد على انامله لكان نور ذلك الذكر وبركته في انامله وقد ورد
ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على بعض ازواجه فراى نورا في طاق
فقال ما هذا النور الذي في الطاق فقال يا رسول الله سبحتي التي كنت
اسبح عليها جعلتها هناك او كما قال فقال عليه الصلاة والسلام هلا كان ذلك
النور في انامله فهذا ارشاد منه عليه الصلاة والسلام الى الافضل والاولى
والارجح وقاعدة المريد انه لا يرجع الى عمل مفضول وهو قادر على ما هو
افضل منه وقد كان سيدي ابو محمد رحمه الله اذا قرا في الختمة يجعلها
على ركبتيه معا ويمسكها بيده اليسرى وجميع اصابعه اليمنى تمر على
الحروف التي يتلوها ويتعهد ذلك ويعلله بان يقول حتى يجعل لكل عضو
حظه من العبادة ولكي يكثر الثواب بذلك فاين الحال من الحال فانا لله وانا
اليه راجعون **فصل ومنهم من بالغ في اخذ العهد الى حد
لا شك في تحريمه** وابطاله فيقول انه اذا اخذ العهد على من ياخذه

عليه ان الماخوذ عليه لم يبق له تصرف في ماله ولا زوجته ولا نفسه بل
التصرف في ذلك كله للشيخ فان اراد ان تطلق عليه لزمه وان اخذ ما له
لزمه الى غير ذلك ثم انهم مع هذه الشروط التي يشترطونها لو تصرف الشيخ
في شي من ذلك لكان سببا للقطيعة والترك وليس هذا من صفة القوم
ولا ما تورعنهم ومنهم من ياخذ العهد على ان ينتمي لفلان من المشايخ
دون غيرهم حتى كان الطريق الى الله تعالى على عدد المشايخ وينتسبون
اليه كما ينتسب اهل المذاهب الى مذاهبهم فاذا انتسبوا الى ذلك فالطريق
المحمدي اين هو وحصل بسبب ما تقدم بينهم بغضيات وشنان كثير حتى
صاروا احزابا ووقع بعضهم في حق غير شيخه الذي ينتمي اليه اعاذنا
الله من بلايه بمنه والطريق المحمدي غير هذا كله وكذلك كان سيدي
ابو محمد المرجاني رحمه الله يقول سنة الاحباب واحدة يعني ان مشربهم
واحد وهو الاتباع وترك الابتداع ولا يظن ظان ان ما تقدم ذكره فيه
انكار لاخذ العهد من اهله لاهله بشرطه المعتبر عندهم اذ انه عليه
درج السلف الصالح نفعنا الله بهم ولا ينكر ايضا الانتما الى المشايخ بشرطه
وهو ان يكون عند المريد شيخه وغير شيخه بالسوا بالنسبة الى الاتباع
وترك الابتداع ويكون ايثاره لشيخه بسبب انه كان وصوله الى الله تعالى
على يديه فيري له ذلك وبهذا الاعتبار يقع التفضيل لشيخه والاختصاص
به دون غيره وقد ورد في الحديث عنه عليه السلام من صنع اليكم
معروفا فكافوه فان لم تجدوا ما تكافيونه فادعوا له حتى تروا ان قد كافيتموه
وقد كان سيدي ابو محمد يابى ان ياخذ العهد على احد فسالته ما الموجب
لذلك اهو بدعة قال لا ولكن عبد الله يعني نفسه ليس كغيره فاخاف ان
احدث العهد على احد فقد لا يوفي بما اخذ عليه من العهد فيقع
له التشويش واكون السبب في ذلك فاتركه رحمة بهم وشفقة عليهم
واعوض عنه الدعا لهم بظهر الغيب بالاستقامة او كما قال والحاصل
من اخذ العهد هو ان ياخذ الشيخ العهد على المريد بانه لا يراه الله حيث
نهاه ولا يفقده حيث امره هذا هو زبدته واصله ويفيت بما دفعه على
هذا الاصل قل ان يتناهي وهي الامانة التي عرضها الله تعالى على السموات

والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان
ظلوما جهولا قال علماونا رحمة الله عليهم ظلوما لنفسه جهولا بامر ربه وذلك
راجع الى الغالب منهم والا نكثير من ذي والحمد لله وكثير من دخل في جاه
من ذي ولاجل هذا المعنى بقي كثير من المحققين ينتمون الى المشايخ
ليكونوا في حرمتهم واليه الاشارة بقوله في الحديث اخبارا عن رب
العزة عز وجل حيث يقول هم القوم لا يشقى بهم جليسهم فكما لا يشقى بهم جليسهم
كذلك لا يشقى بهم معتقدهم ولا محبهم وقد خرج الترمذي عن انس
قال جا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى قيام
الساعة فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم الى الصلاة فلما انقضى صلاته قال
اين السايل عن قيام الساعة قال الرجل انا يا رسول الله فقال ما اعددت
لها قال يا رسول الله ما اعددت لها كبير صلاة ولا صوم الا اني احب الله
ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب
وانت مع من احببت فما رايت فرح المسلمون بعد الاسلام فرحهم بهذا الحديث
ولا يظن ظان ان هذا معارض لقوله عليه السلام للسايل حين ساله مرافقته
في الجنة وقال عليه السلام او غير ذلك فقال هو ذلك يا رسول الله فقال
عليه السلام اعني على نفسك بكثرة السجود لان هذا اطلب منصبا عظيما فارشده
عليه الصلاة والسلام الى الاسباب الموصلة اليه لقوله عليه الصلاة والسلام
اقرب ما يكون العبد في الصلاة واقرب ما يكون في الصلاة اذا كان ساجدا
فارشده عليه الصلاة والسلام لذلك وطالب المعية تشمله الدار
وهي واحدة وان كانت المنازل تتفاوت فيها ولكن قد حصلت السعادة
لمن نالها لقوله عليه السلام لموضع سوط في الجنة خير من الدنيا
وما فيها فاذا حصل له ذلك سلم من اهوال الدار الاخرة ومن الفنا والتنغيص
ومنهم من يفعل فعلا قبيحا حين ياخذ العهد على من يريد ان يدخل
في طريقه فيحلفه ان يعترف بين يديه بكل ما فعله من الذنوب
وفي هذا من مخالفة الشرع ما فيه وقد ورد ان الله عز وجل يقول
يوم القيمة لبعض من فعل الذنوب انا سترتها عليك في الدنيا
وانا اغفرها لك اليوم وقد ورد كل الناس معافا الا المجاهرين فاذا

جاحد

جا احد لمن تقدم ذكره ليتوب على يديه اوقعه الشيخ باعترافه في هذه
المهالك فكان عدم التوبة به اولي والحالة هذه وفي هذا التشبه بالقسيسين
لان من عادتهم الذميمة اذا جاهم احد يتوب على ايديهم يطالبونه بان يسمى
لهم ذنوبه ذنبا ذنبا ثم بعد ذلك يقبلون عليه وقد قيل ان التشبه بالكرام
فلاح وعكسه عكسه فانا لله وانا اليه راجعون على تخليط امور الدين
بما ليس منه ولا فيه ومنهم من ارتكب بدعة شنيعة انتهى الى ترك
الصلاة وتركها فيه اختلاف بين العلماء هل هو ارتداد او ارتكاب كبيرة ممن
فعله وذلك ان بعضهم يلبدون شعور روسهم والغالب ان الجنابة تصيبهم
فاذا اغتسلوا لم يمكنهم ان يوصلوا الما الى البشرة ولبس ثم عذر شرعي
يجيز المسح على حايل عند من يقول به فصلاتهم على هذا باطلة ثم
ضموا الى هذه المفسدة مفسدة اخرى اعظم منها وهو انهم يعتقدون
انهم على الخير والصواب وعلى طريق السلوك والهداية نسال الله السلامة
من بلايه بمنه ومنهم من تعاطى اتخاذ الخرز الكبيرة ويجعلها في عنقه
كالقلادة للمراة ومنهم من يجعلها على صفة اخرى يتوشح بها وهذا شهرة ممن
فعله وسوه ظاهر وان كان يدعي انه فعل ذلك للتبرك والتحفظ من
العين ومن مارد الجن فله طريق غير هذا بان يعلق ذلك من تحت
ثوبه بحيث لا يشعر به ولا يظهر واما على هذه الصفة المذكورة فيمنع لمخالفته
للسنة والسلف الماضين رضي الله عنهم اجمعين ومنهم من ياخذ سبحة
كبيرة ويعلقها في عنقه او يتوشح بها ومع ذلك هو مشتغل بالقيل والقال
والتحدث في امور العبث اظهارا منه انه يكاشفها ويخبر بوقوعها
ومنهم من يعوض عنها خيطا من صوف على صفات وصبغ فيتقلدونه
به وذلك كله من الشهرة والسوه والبدعه والخروج عن الاتباع للسلف
الماضين رضي الله عنهم اجمعين ومنهم من يفعل فعلا قبيحا شنيعا
ردلا ياباه الله ورسوله والمومنون وهو انه يكون مع الناس في الجامع
ينتظرون الصلاة فاذا اقامت الصلاة وقام الناس قام هو في جملتهم فاذا ركعوا
وسجدوا بقي واقفا ينظر اليهم لا يحرم ولا يركع ولا يسجد ثم يتمادى على ذلك
حتى يفرغ الناس من صلاتهم واقبح من هذا واردل شي يعتقد في هذا

حاله ويرى انه ممن يتبرك به وانه من الواصلين ويتأول بانه يصلي في مواضع
اخر وانما هذا منه تجريب على نفسه حتى لا يشتهر وتأويلهم هذا من السخافة
والحمق ومخالفة الشريعة المطهرة وعدم الخبرة في الدين واصطلاحهم
على الرضا بترك هذه الشريعة العظمى التي هي عماد الدين وراسه واول
اركانه بعد كلمة التوحيد اذ ان من راى ذلك ولم ينكره كمن فعل ولا ضرورة تدعوا
الى التجريب لان من مشى على لسان العلم واتبع الحق والسنة المحمدية واقتفى
اثار السلف الماضين رضي الله عنهم سيما ان انكر عليهم ما هم فيه من عوايدهم
المخالفة للسنة فالغالب من حال اهل هذا الزمان النفور منه لانهم
يزعمون انه قد ضيق عليهم وهو انما ترك العوايد والابتداع واتبع السنة المحمدية
وتمسك بها وعادة النفوس في الغالب النفور من الحكم عليها وقد قال عمر ابن
الخطاب رضي الله عنه يا حق ما ابقيت لي حبيبا وقد كان السلف رضي الله
عنهم على عكس هذا الحال من اتبع السنة احبوه واعتقدوه وعظموه
ووقروه واحترموه ومن كان على غير ذلك تركوه واهملوه ومقتوه وابغضوه
حتى كان من يريد الرفعة عندهم والتعظيم ممن لا خير فيه يظهر الاتباع
حتى يعتقدوه على ذلك واما اليوم فيعتقدون ويحترمون من يفعل العوايد
المحدثة ويثني عليها ولا ينكر على احد ما هو فيه فمن اراد التجريب في هذا
الزمان فليتبع السنة المطهرة فانهم ينفرون عنه ولا يعتقدونه غالبا
لانكاره ما هم فيه حتى ينفر عنه ابواه واهله واقاربه لمخالفته ما هم عليه
ثم ان المجرب بالمحرمات لا يخلوا حاله من احد امرين اما ان يعتقد حل ذلك
ام لا فان اعتقد حله فهو كافر واما ان فعله مع اعتقاد تحريمه فهو فاسق
وقد قال علماؤنا رحمة الله عليهم ان المداومة على المكروه يفسق فاعله
ثم انهم يتغالون في اعتقادهم فيقولون هذا ابدال هذا قطب الى غير ذلك
وهذا اللفظ لا يحسن ان يطلق في حق من اتبع السنة وبذل جهده
في الاتباع فكيف يطلق على من تلبس بشي من المحرمات او المكروهات
اوهما معا ثم ان المتبع الناس في اعتقاده على قسمين فمنهم من يحمل جميع
افعاله واقواله كلها على سبيل الورع فاي شي فعله او قاله او اشار اليه
من اتباع الامر واجتناب النهي مثل ان يقول هذا موضع لا ادخله لاجل

انه

انه مغصوب او استعمل المسلمون فيه بالغصب او غير ذلك فيقولون هذا من
باب الورع هذا ليس بمتسع وقد دخله فلان وفلان يحتجون بمن لا يحتج به
وان كان في بعضهم اهلية الاحتجاج به فقد تكون له اعذار في ارتكاب
ذلك في خاصة نفسه ولا يلزمه ان يبين عذره فيما وقع منه وقد قال
مالك رحمه الله ما كل الاعذار تبدى واذا كان كذلك فلا يجوز ان يقتدى
به في هذا وما شاكله اذ ان اتباع لسان العلم هو المتعين على الناس عموما
وخصوصا وقد كان سيدي ابو محمد رحمه الله يقول اني لا اتكلم بالورع في هذا
الزمان والناس يحملون ما اتكلم به على سبيل الورع وليس كذلك
فصار لسان العلم عندهم ورعا وترتب على هذا مفسدة عظيمة وهي
انهم ينسبون كثيرا من الشريعة الى الورع فيتركون بسبب ذلك الاتباع وباب
الورع ضيق لا يدخله الا الافراد اذ ليس هذا زمان الورع غالبا وما يتعللون
به من ذكر الورع انما هو من تسويل النفس والهوى والشيطان ليقطع عن
تركه الاتباع والقسم الثاني وهو غير المعتقد يقولون هذا يابس مشدد
مربوط يشير بكلامه وحاله الى ان غيره على الباطل وهو على الحق والطريق
المستقيم وكلامهم هذا يرده ما ورد في الحديث من قوله عليه الصلاة والسلام
بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء من امتي قيل
يا رسول الله ومن الغرباء من امتك قال الذين يصلحون اذا فسد الناس
وفي رواية الذين يصلحون ما افسد الناس من بعدي من سنتي
وروى ابو داود في سننه عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كيف بكم اذا فسق فتيانكم وطغى نسوانكم
قالوا يا رسول الله وان ذلك لكاين قال نعم واشد كيف بكم اذا لم تامروا
بمعروف ولم تنهوا عن منكر قالوا يا رسول الله وان ذلك لكاين قال
نعم واشد كيف بكم اذا رايتم المعروف منكرا والمنكر معروفا انتهى والاحاديث
في هذا المعنى كثيرة **فصل ثم ان غالب حالهم ان اعتقادهم يدور
بين امرين فمنهم** من يكون اعتقاده شهوة فيعتقد مدة ثم يتخلى عن
اعتقاده ومنهم من يدوم اعتقاده لكن يزيد في اعتقاده ويتغالى فيه
فيقول هذا ابدال هذا قطب كما تقدم وكذلك يقول في حق غيره فيتنافس

قولهم اذا ان القطب انما هو واحد وهو اعز من ان يجتمع به الا الواحد من
الافراد ومع ذلك قل من يعرفه لان صفته كما قال الشيخ الامام ابو عبد
الرحمن الصقلي رحمه الله في كتاب الانوار له والله سبحانه يدير القطب
في الافاق الاربعة من اركان الدنيا كدوران الفلك في افق السما وقد سترت
احوال الغوث وهو القطب عن العامة والخاصة غيرة من الحق عليه
غير انه يرى عالما كجاهل ابله فطنا تاركا اخذا قريبا بعيدا سهلا عسرا امنا
حذرا انتهى ومنهم من اذا حصل له اعتقاده في شخص بعينه نقص غيره
او فضله على غيره ويقع بسبب ذلك شنان بين اصحابهما ومن ينتمي اليهما
حتى انهم ليرجعون احزابا ويهجر بعضهم بعضا لعدم تسليم كل واحد منهما
لصاحبه كما تقدم وقد حدثني بعض الفقرا ممن كان يحضر مجلس سيدي
ابي محمد المرجاني رحمه الله وانه كان سمعه وهو يعظم سيدي ابا محمد رحمه الله
فكان هذا الفقير يقول في نفسه ما هذا الا رجل كبير القدر مثل هذا السيد
يعظمه قال فمضيت يوما اليه حتى اراه فدخلت الى المسجد وهو يتكلم في الدرس
والقاري يقرا عليه فرايت عبارته دون عبارة سيدي ابي محمد المرجاني
فتعجبت وقلت في نفسي امثال هذا يكون افضل من سيدي ابي محمد
المرجاني فاستبعدت ذلك فرد الشيخ رحمه الله راسه الي ونظر الي ثم رجع
يتكلم فيما كان بسبيله فقال في اثنا كلامه ينبغي للفقير اذا دخل على الشيوخ
ان لا يفضل من تلقا نفسه شخصا على غيره يا مسكين هذا الذي تفضله
لو سالته عمن فضلته عليه كان جوابه ان يقول هو بركتي وهو كذا وهو
كذا نرجوا من الله تعالى ان ينفعني به الى غير ذلك فرب ساكت
افضل من بالحق فيجي احدكم يفضل من يخطر له بما يخطر له احسب من
عند الله تعالى واخبرك ان فلانا عنده افضل من فلان فهذا من
قلة الادب والاحترام فتب الى الله تعالى وارجع اليه ما كفى ان
احدكم يجرم العمل حتى يجرم الاعتقاد ما هذا الحال قال فبقيت اتوب
واتوب واستغفر الله لعله يسكت فما سكت الا بعد حين او كما قال واذا
كان ذلك كذلك فلا ينبغي ان يفضل بين شخصين الا باحد امرين بان
يكون احدهما اكثر اتباعا للسنة المطهرة من الاخر او يكون احدهما اكثر

اتباعا

اتباعا للسنة المطهرة من الاخر او يكون الذي يفضل اعلا مقاما منهما الاخر
فيكشف عليهما لان من هو في مقام يكشف على من دونه ولا يكشف على من
فوقه لان النبي صلى الله عليه وسلم كشف على مقامات الانبيا عليهم الصلاة
والسلام ولم يكشف على مقامه الخاص احد منهم ولا يرد على هذا كون المريد يعظم
شيخه ويوثره على غيره ممن هو فوقه لان تعظيمه له انما هو من جهة ان
الله تعالى قد قسم له على يديه رزقا حسنا كما تقدم والنبي صلى الله عليه وسلم
يقول من رزق من باب فليلزمه وقال في حديث اخر جبلت النفوس
على حب من احسن اليها ولا شك ان الاحسان بما يبقى هو افضل واعلى من
الاحسان بما يفنى وحقيقة المريد مع شيخه ان الشيخ وجده غريقا في بحر
التلف فانقذه وخلصه منه واوقفه بباب ربه عز وجل سبحانه وتعالى
ولا احسان اعظم من هذا الاحسان ووجه اخر وهو محبة المريد لطاعة ربه
عز وجل فلما ان راى عند شيخه ما يحبه التزمه لمحبوبه الذي وجده
عنده وقد كان بعض الناس يخدم بعض ابنا الدنيا ويخدمه ويوثره
بالخدمة له فعذله بعض الناس على التزام خدمته له وهو لا يعطيه
شيا فكان جوابه انه قال محبوبي عنده وقيل لاخر ايضا وقد راوه واقفا
بباب عدوه فعذلوه في ذلك فاخبر بما تقدم وهو ان محبوبه عنده والمريد
بنيته وخاطره وهمته راغب في طاعة ربه عز وجل متسبب في الوصول
اليه فاذا راى من هو مثله او ارفع منه قد احكم الطريق وعرفها احبه
والتزمه وتانس به لما يحصل عنده من المحاسن الجميلة فالحاصل من
هذا انه يعظمه لما خلع الله عز وجل عليه من الخلع السنية الساهرة
له بالقرب من المولى سبحانه وتعالى ومنهم من يظهر له شي من
الكرامات فيغتر بها فيتلف حاله بسببها ومنهم من يسلم بوساطة
احد من الاوليا كما جرى لبعض المريدين بمدينة فاس انه بات
ليلة بزاوية خارج البلد فطلع على سطح الزاوية في ليلة مقمرة فاعجبه
ضو القمر فخطر له انه يجرب نفسه في الطيران هل يقدر عليه ام
لا فجرب نفسه فطار في الهوى فدخل البلد من على سورها وهو طاير
فقال اي موضع اقصد فوقع له انه ياتي الى زيارة بعض الاكابر من

المشايخ في وقته فاتى الى باب داره ونزل فدق الباب فخرج اليه الشيخ فقال له
من انت فقال له فلان فقال له ما وجدت باي شي تاتيني به الا هذه الكرامة
والله لا كلمتك بعدها ابدا اناديه بذلك وكان سبب اجتماعه على ربه عز
وجل وسلامته او كما جرى ومثل هذا ما حكي عن بعض المريدين انه كان
يحضر مجلس شيخه ثم انقطع فسال الشيخ عنه فقالوا له هو في عافية فارسل
خلفه فحضر فساله ما الموجب لانقطاعه فقال له يا سيدي كنت اجي لكي اصل
والان قد وصلت فلا حاجة تدعو الى الحضور فساله كيفية وصوله فاخبره
انه في كل ليله يصلي ورده في الجنة فقال له الشيخ يا بني والله ما دخلتها بعد فلعلك
تتفضل فتاخذني معك لعلي ان ادخلها كما دخلتها انت فقال نعم فبات
الشيخ عند المريد فلما ان كان بعد العشا جا طاير فنزل عند الباب فقال
المريد للشيخ هذا الطاير الذي يحملني من كل ليلة على ظهره الى الجنة فركب
الشيخ والمريد على ظهر الطاير فطار بهما ساعة ثم نزل بهما في موضع كثير الشجر
فقام المريد ليصلي وقعد الشيخ فقال له المريد يا سيدي اما تقوم الليل فقال
الشيخ الجنة هذه وليس في الجنة صلاة فبقي المريد يصلي والشيخ قاعد فلما ان
طلع الفجر جا الطاير ونزل فقال المريد للشيخ قم بنا نرجع الى موضعنا فقال
له الشيخ اجلس احد يدخل الجنة ويخرج منها فجعل الطاير يضرب باجنحته
ويصيح حتى اراهم ان الارض تتحرك بهم فبقي المريد يقول للشيخ قم بنا لئلا
يجري علينا منه شي فقال له الشيخ هذا يتحيل عليك يريد ان يخرجك
من الجنه فاستفتح الشيخ يقرا القران فذهب الطاير وبقيا كذلك الى ان
تبين الضو فاذا هما على مزبلة والعذرة والنجاسات حولها فصفع الشيخ
المريد وقال له هذه هي الجنة التي اوصلك الشيطان اليها قم فاحضر مع اخوانك
او كما جرى وحكاياتهم في هذا المعنى قل ان تنحصر والحاصل منه ان
الشيطان لا يترك احدا ولا يياس منه الا بعد خروج روحه واما قبل
ذلك يصرف عليه خيله ورجله ويستعمل حيله كلها وقد تقدم بعض
هذا واذا كان كذلك فينبغي على المريد ان لا يدعي حالا ولا مقاما مخافة
ان يفسد على نفسه ما من به عليه ان كان حقيقة او يكون من الشيطان
ابتدا اولته من الناس في هذا الزمان ممن ليس له رسوخ في الطريق

بل بعضهم

بل بعضهم منغمس في الجهل ويدعي انه من الشيوخ الموصلين الى الله تعالى
وليس لهم ذوق في طريق القوم بالكلية بل عكسه اسال الله السلامة بمنه ومنهم
من يفعل فعلا قبيحا شنيعا في مطالبة بعضهم لبعض وقيام المستغفر مكشوف
الراس زمنا طويلا وربما كان معتل الدماغ فتاخذه نزلة سيما ان كان في وقت
البرد وقد يؤول امره من ذلك الى الموت او الى امراض خطرة قد تطول عليه
المدة بالعلل ثم ان بعضهم زاد على ذلك ان يفعله بمشهد من الناس
عامة وذلك مخالف لطريق القوم لانهم اذا كانت مطالبة بعضهم لبعض انما
يكون ذلك فيما بينهم مستترين لا يخالطهم غيرهم لانهم كما قيل لا يطلع عليهم
الا ذو محرم ومحرمهم من كان منهم اعني من اصحاب الخرقة دون غيرهم
ويزيد بعضهم حمل الاقدام ويقف طويلا بها ينتظر اقبالهم عليه وبعضهم
يبالغ في هذا المعنى فيامر بكشف راس الجاني على زعمه وضربه بالجماجم والجريد
وغيرهما وهذا قبيح وشناعة ان ينسب هذا لمن يدعي الطريق وطريق
القوم غير هذا اذ انها مبنية على الصفح والتجاوز والاغضا ما لم يكن في امر
الدين فان كان في امر يكفي فيه الهجران لا غير وفيه مقنع للجاني والمجني
عليه وغير هذا ليس من السنة في شي واما طريق القوم انهم اذا وقع احد
منهم في مخالفة يطالبونه بالتوبة والاقلاع عما وقع فيه ثم زاد بعضهم على
ذلك اعتقادهم انه من طريق القوم الصادقين وقد تقدم كيفية ما يفعله
الصادق منهم مع اخوانه اذا اطلع على شي من المكروه وقع فيه وانه
يتوجه الى الله تعالى في انقاذ من وقع منه ذلك وينبغي ان تكون
المطالبة للشيخ اكد من المطالبة للمريد لان يفعله الشيخ عنه جرى
عليه ما جرى فلو كان الشيخ بالخطة لما قدر على ذلك في الغالب الا ترى
الى ما جرى لسيدي ابي علي ابن السماط شيخ سيدي ابي محمد المرجاني
رحمه الله ان بعض اصحابه جا اليه وطلب منه اذنا ان يتزوج فابى عليه
ثم جاه ثانيا فابى عليه ثم ثالثا كذلك فقال ارى قال اذهب فذهب المريد
فاخذ امراة وجا بها الى بيته وغلق الباب واذا بالحائط قد انشق ودخل
الشيخ عليه فخرج هاربا يسيح في البرية حال اخذه لا يعرف اين يذهب
ثم رجع الى عقله بعد ذلك فقال من اين اصابني المرض من هنالك

اندا وي فرجع الى موضع الشيخ ودخل فسلم عليه فقال له الشيخ رحمه الله افدرت
على شي تفعله اتظن انك لنفسك بل كثير منهم لا يحملون ان يروا من ينتمي
اليهم في دره مما لا ينبغي الا ترى الى ما حكي عن بعضهم انه راي بعض
اصحابه في الصف الاول يوم الجمعة فقال له مالي اراك هاهنا فقال لاجل
فضيلة الصف الاول والقرب من الخطيب فقال له اما تعلم ان البعد
من هولاء اليوم اقرب الى الله تعالى من القرب منهم انتهى وما ذاك الا
لمشاهدة ما الشرع يامر بتغييره عليهم واقل ما يمكن في التغيير ان لا يري
شيا يخالف السنة حتى يتعين عليه التغيير اذ ان اصعب ما في التغيير التغيير
بالقلب لان الغالب علي القلب تانيسه بما شاهده ويرى ويسمع فقل ان يتاتى
مع مداومة هذا الحال عليه فالتغير بالقلب وان كان دون المرتبتين
التين قبله فهو اصعب منهما بهذا الاعتبار فتامله وما ذاك الا لتانيس
القلوب غالبا بالعوايد المستمرة الا ترى الى ما حكي عن بعضهم انه قال
اول بدعة رايت بلت الدم وقد تقدم ذلك وقد ورد ولو البدع ظهر بكم
وكذلك ورد من لم يزل المنكر فليزل عنه فكيف يقبل المكلف علي شي
من ذلك او يصغي اليه واما ان فاجاه ذلك وعجز عن التغيير فالتخلص
منه اقرب وايسر لما ورد فيمن لم يقدر على تغييره ان يقول اللهم
ان هذا منكر لا ا انتهى ثم ليمض لسبيله او يعرض عنه **فصل**
في مكاتبة الفقير لاخيه وينبغي له ان يجتنب ما اعتاده
بعض الناس من مكاتبة بعضهم لبعض بالالفاظ التي احتوت
على التزكية والتعظيم والكذب والسمو والقوافي والتسجيع والعبارات
الغلقه والتكلف اذ ان ذلك لا يعرف الاثري ان كتب السلف رضي الله
عنهم بعضهم الى بعض على منهاج غير هذا فمن ذلك كتب امير المومنين
عمر ابن الخطاب رضي الله عنه الى من يكاتبه من ولاته من عمر ابن
الخطاب الي ابي عبيدة ابن الجراح الى خالد ابن الوليد الى عمرو ابن
العاص وكتبهم له من ابي عبيدة الى امير المومنين عمر ابن الخطاب
فوصفوه بالصفة الملازمة له فان قيل فكتاب النبي صلى الله عليه وسلم
الى هرقل من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل عظيم الروم

فالجواب

فالجواب ما قاله القاضي ابو بكر ابن العربي رحمه الله في سراج المريدين له
ان معنى كتب النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل عظيم الروم اي الذي
يعظمه الروم وتعظيم الروم له باطل ولكنه موجود حقيقة فلذلك وصفه
النبي عليه الصلاة والسلام به انتهى وعلى هذا درج السلف والخلف رضي
الله عنهم وتعظيم هذه الطايفة انما هو بالقلوب لا بالقلقلة على الالسن
كما هو الحال في هذا الزمان فهذا البعض منه يستدل بها علي ما عداها
واما طريق كثير من الفقرا المسافرين اعني غير المحققين منهم فلهم اصطلاحات
وعوايد قل ان تجد الاتباع فيها سبيلا فمن ذلك ما يوجبونه على من يريدون
اخذ ثيابه وغيرها بمطالبات كثيرة يسمونها شغل الفقيري وليس هذا
الحال خاصا بهم وذلك كله ممنوع في الشرع الشريف لقوله عليه الصلاة والسلام
لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس منه وهم ياخذون ذلك بغير
طيب نفس من صاحبه حتى انهم ليكلفون من كان فقيرا الى المسئلة بالالحاح
وتكليف الناس كما تقدم من فعلهم في الضيافات والاجازات واحوالهم
في هذا المعنى قل ان تحصر وفيما ذكر تنبيه على ما عداه والله الموفق
فصل في صرف همم المريد كلها الى امور الاخرة وينبغي له ان
يكون اهم الامور عليه واكدها عنده امور الاخرة اذ ان مصيره اليها فيتعين
عليه ايثارها ولا يعبا بغير ذلك الا من طريق الامتثال لان غير امر الاخرة
منقطع زايل وما هو كذلك فامره اقرب وايسر من الدايم الذي لا ينقطع
الا ترى الى حال النبي صلى الله عليه وسلم كيف كان على ما وصفه الواصف
متواصل الاحزان وقد كان الحسن البصري رضي الله عنه قد غلب عليه
هذا المعنى حتى كانه تقدم العمل على ما نقل عنه وكان يقول العجب
ممن يملا فاه بالضحك وهو لا يعلم في اي ديوان اسمه هل في الجنة او في
النار وقد سال رجل احمد ابن حنبل رحمه الله ان يعظه فقال له الامام
احمد ان كان الله تكفل بالرزق فاهتمامك لماذا وان كان الرزق
مقسوما فالحرص لماذا وان كان الخلف على الله حقا فالبخل لماذا وان
كانت الجنة حقا فالراحة لماذا وان كانت النار حقا فالمعصية لماذا وان
كان سوال منكر ونكير حقا فالانس لماذا وان كانت الدنيا فانية فالطمانينة لماذا

وان كان الحساب حقا فالجمع لماذا وان كان كل شي بقضايه وقدره فالحزن لماذا وقد قالت رابعة العدوية لرجل راته مهموما ان كان همك من امر الاخرة فزادك الله هما وان كان من امر الدنيا نفرج الله همك . وقد انشد بعضهم في هذا المعنى لا تجزعن اذا ما الامر ضقت به وتم اذا ونوسد خالي البالي ما بين غمضة عين وانتباهتها تقلب الدهر من حال الى حال

فصل هذا ما تيسر من الكلام على اداب المريد وينبغي ان نختمه بذكر شي من احوال النبي صلى الله عليه وسلم تبركا بذكر اثاره واحواله ولكي يكون سلما للمريد في اتباعه عليه الصلاة والسلام في تصرفاته وحركاته وسكناته واشاراته فمن ذلك ما ذكره الباجي رحمه الله في رحمه الله في كتابه المسمى بسنن الصالحين وسنن العابدين قال مالك ان رجلين كانا جالسين يتحدثان وكعب الاحبار قريب منهما فقال احدهما لصاحبه اني رايت في المنام كان الناس جمعوا ليوم القيمة فرايت النبيين لهم نوران نوران ولاتباعهم نور نور قال ورايت النبي صلى الله عليه وسلم ما من شعرة في جسده ولا راسه الا وفيها نور ورايت اتباعه لهم نوران نوران فقال كعب اتق الله وانظر ما ذا تحدث به فقال انما هي رويا رايتها فقال كعب والذي نفسي بيده انه في كتاب الله المنزل لكما ذكرت ومنه ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه سمع بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو يبكي بابي انت وامي يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك اولى بالحنين عليك حين فارقتهم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ربك ان جعل طاعتك طاعته فقال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك اخر الانبيا وذكرك في اولهم فقال تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى ابن مريم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون

ياليتنا

ياليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول بابي انت وامي يا رسول الله لين كان موسى ابن عمران اعطاه الله حجرا تتفجر منه الانهار فماذا باعجب من اصابعك حين نبع منها الما صلى الله عليك بابي انت وامي يا رسول الله لين كان سليمان ابن داود اعطاه الله ريحا غدوها شهر ورواحها شهر فماذا باعجب من البراق حين سرت عليه الى السما السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالابطح صلى الله عليك بابي انت وامي يا رسول الله لين كان عيسى ابن مريم اعطاه الله احيا الموتى فماذا باعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي مسمومة فقالت لا تاكلني فاني مسمومة بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت مثلها علينا لهلكنا من عند اخرنا فلقد وطي ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون بابي انت وامي يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره فلقد امن بك الكثير وما امن معه الا القليل بابي انت وامي يا رسول الله لو لم تجالس الا كفوا لك ما جالستنا ولو لم تنكح الا كفوا ما نكحت الينا ولو لم تواكل الا كفوا ما واكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار ووضعت طعامك بالارض ولعقت اصابعك تواضعا منك صلى الله عليك ومن كتاب التفسير للطبري رحمه الله كان صلى الله عليه وسلم يلبس الصوف وينتعل المخصوف ولا يتانق في ملبس يلبس ما وجد مرة شملة ومرة بردة حبرة ومرة جبة صوف وكان يلبس النعال السبتية ويتوضا فيها وكان لنعليه قبالان واول من عقد عقدا واحدا عثمان وكان احب اللباس اليه الحبرة وهي من برود اليمن فيها حمرة وبياض وكان احب اللباس اليه القميص وكان اذا اتخذ ثوبا سماه باسمه عمامة او قميصا او ردا ويقول اللهم لك الحمد كما البستنيه اسالك خيره وخير ما صنع له واعوذ بك من شره وشر ما صنع له وكان تعجبه الثياب الخضر وكان يلبس الكسا الصوف وحده فيصلي فيه وربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره يعقد طرفيه بين كتفيه يصلي فيه وكان يلبس القلانس ذات الاذان في الحرب

وربما نزع قلنسوته وجعلها سترة بين يديه وصلى اليها وربما مشى بلا قلنسوة ولا
عمامة ولا رداء راجلا زاد الباجي حافيا يعود المرضى كذلك في اقصى المدينة
وكان يعتم ويسدل طرف عمامته بين كتفيه وعن علي انه قال عممني
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمامة وسدل طرفها على منكبي وقال
ان العمامة حاجز بين المسلمين والمشركين وكان يلبس يوم الجمعة بردة الاحمر
ويعتم وكان يلبس خاتما من فضة فصه منه نقشه محمد رسول الله في
خنصره الايمن وربما لبسه في الايسر ويجعل فصه مما يلي بطن كفه كان
صلى صلى الله عليه وسلم يحب الطيب ويكره الريح الكريهة وكان يقول
ان الله جعل لذتي في الدنيا النسا والطيب وقرة عيني في الصلاة وكان
يتطيب بالغالية وبالمسك حتى يرى وبيصه في مفارقه ويتبخر بالعود
ويطرح فيه الكافور وكان يعرف في الليلة المظلمة بطيب ريحه
وكان صلى الله عليه وسلم يكتحل بالاثمد في كل ليلة ثلاثا في كل عين وربما
اكتحل ثلاثا في اليمنى واثنين في اليسرى وربما اكتحل وهو صايم وكان
يقول عليكم بالاثمد فانه يجلوا البصر وينبت الشعر وكان يكثر دهن راسه
ولحيته وكان يترجل غبا وكان ينظر في المراة وربما نظر في الما في ركوة في
حجرة عايشة وسوى جمته وكان لا تفارقه قارورة الدهن في سفره
والمكحلة والمراة والمشط والمقراض والسواك والخيوط والابرة فيخيط
ثيابه ويخصف نعله وكان يستاك بالاراك وكان اذا قام من النوم
يشوص فاه بالسواك ويستاك في الليلة ثلاث مرات قبل
النوم وبعده وعند القيام لورده وعند الخروج لصلاة الصبح وكان
صلى الله عليه وسلم يحتجم في الاخدعين وبين الكتفين واحتجم وهو
محرم بملل على ظهر القدم وكان يحتجم لسبعة عشر وتسعة عشر
واحدى وعشرين وكان صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا
فدخل يوما على ام سليم وقد مات نغر ابنها من بني ابي طلحة
فقال يا ابا عمير ما فعل النغير وجاته امراة فقالت يا رسول الله
احملني على جمل فقال احملك على ولد الناقة وجاته امراة فقالت
يا رسول الله ان زوجي مريض فقال لعل زوجك الذي في عينيه

بياض

بياض فرجعت المراة وفتحت عين زوجها لتنظر اليه فقال ما لك قالت اخبرني
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في عين زوجك بياضا فقال ويحك وهل
احد الا وفي عينيه بياض وجاته اخرى فقالت يا رسول الله ادع الله ان
يدخلني الجنة فقال يا ام فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت المراة وهي
تبكي فقال صلى الله عليه وسلم اخبروها انها لا تدخلها وهي عجوز ان الله تعالى
يقول انا انشاناهن انشا فجعلناهن ابكارا عربا اترابا وقالت عايشة سابقته
صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما كثر لحمي سابقته فسبقني ثم ضرب
كتفي وقال هذه بتلك وجا صلى الله عليه وسلم الى السوق من وراء ظهر
رجل اسمه زاهد وكان صلى الله عليه وسلم يحبه فوضع يده على عينيه وما
كان يعرف انه رسول الله صلى الله عليه حتى قال من يشتري العبد
فجعل يمسح ظهره برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول اذا تجدني كاسدا يا
رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لكنك عند ربك لست كاسدا وراى صلى
الله عليه وسلم حسين مع صبية في السكة فتقدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم امام القوم وطفق الحسين يفر هاهنا وهاهنا ورسول الله صلى الله عليه
وسلم يضاحكه حتى اخذه فجعل احدى يديه تحت ذقنه والاخرى فوق
راسه وكان صلى الله عليه وسلم يدخل على عايشة والجواري يلعبن
عندها فاذا راينه يفرقن فيسربهن اليها وقال لها يوما وهي
تلعب بلعبتها ما هذه يا عايشة فقالت خيل سليمان ابن داود فضحك
وطلب الباب فابتدرته واعتنقته فقال ما لك يا حميرا فقالت بابي وامي
انت يا رسول الله ادع الله ان يغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تاخر فرفع
يديه حتى رايت بياض ابطيه وقال اللهم اغفر لعايشة بنت ابي بكر
مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا ولا تكسب بعدها خطية ولا اثما وقال
صلى الله عليه وسلم افرحت يا عايشة فقالت اي والذي بعثك بالحق
فقال اما والذي بعثني بالحق ما خصصتك بها من بين امتي وانها
لصلاتي لامتي بالليل والنهار في من مضى منهم ومن بقي ومن
هو ات الى يوم القيمة وانا ادعوا لهم والملايكة يومنون على دعاي
وكان عليه السلام يكرم ضيفه ويبسط رداه له كرامة وجاته ظئره التي

ارضعته يوما فبسط رداءه لها وقال مرحبا بامي واجلسها عليه وكان اكثر الناس
تبسما واحسنهم بشرا مع انه كان متواصل الاحزان دايم الفكرة لا يمضي له
وقت في غير عمل لله او فيما لا بد له او لاهله منه وما خير في شيين قط الا
اختار ايسرهما الا ان يكون فيه قطيعة رحم فيكون ابعد الناس منه وكان
يخصف نعله ويرقع ثوبه ويخدم في مهنة اهله ويقطع اللحم معهن ويركب
الفرس والبغل والحمار ويردف خلفه عبده او غيره ويمسح وجه فرسه
بطرف كمه او بطرف ردايه وكان يتوكا على العصا وقال التوكا على العصا
من اخلاق الانبيا ورعي الغنم وقال ما من نبي الا وقد رعاها وعق
صلى الله عليه وسلم عن نفسه بعد ما جاته النبوه وكان لا يدع العقيقه
عن المولود من اهله ويامر بحلق راسه يوم السابع وان يتصدق
عنه بزنة شعره فضة وكان يحب الفال ويكره الطيرة ويقول ما منا
الا من يجد في نفسه ولكن الله يذهبه بالتوكل وكان اذا جاءه ما يحب
قال الحمد لله رب العالمين واذا جاءه ما يكره قال الحمد لله على كل حال
واذا رفع الطعام من بين يديه قال الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا واوانا
وجعلنا مسلمين وروي فيه الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مودع
ولا مستغن عنه ربنا واذا عطس خفض صوته واستتر بيده او بثوبه
وحمد وكان صلى الله عليه وسلم اكثر جلوسه مستقبل القبله واذا
جلس في المجلس احتبى بيديه وكان يكثر الذكر ويطيل الصلاه ويقصر
الخطبة ويستغفر في المجلس الواحد مايه مرة وكان ينام اول الليل
ثم يقوم من السحر ثم يوتر ثم يوتي فراشه فاذا سمع الاذان وثب
فان كان جنبا افاض عليه الما والا توضا وخرج الى الصلاة وكان يصلي
في سبحته قايما وربما صلى قاعدا قالت عايشة رضي الله عنها لم يمت صلى
الله عليه وسلم حتى كانت اكثر صلاته جالسا وكان يسمع لجوفه ازيز كازيز
المرجل من البكا وهو في الصلاة وكان يصوم الاثنين والخميس وثلاثة
ايام من كل شهر وعاشورا وقل ما يفطر يوم الجمعة واكثر صيامه في
شعبان وكان صلى الله عليه وسلم تنام عينيه ولا ينام قلبه انتظارا
للوحي واذا نام نفخ ولا يغط غطيطا واذا راي في منامه ما يروعه قال

هو

هو الله لا شريك له واذا اخذ مضجعه وضع كفه اليمنى تحت خده وقال
رب قني عذابك يوم تبعث عبادك وكان يقول اللهم باسمك اموت
واحيى واذا استيقظ قال الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور
وكان صلى الله عليه وسلم اذا تكلم بين كلامه حتى يحفظه من جلس اليه
ويعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه ويخزن لسانه لا يتكلم في غير حاجة ويتكلم
بجوامع الكلم فصلا لا فضول ولا تقصير وكان يتمثل بشي من الشعر ويتمثل
بقوله ويانيك بالاخبار من لم تزود وبغير ذلك صلى الله عليه وسلم وكان
صلى الله عليه وسلم جل ضحكه التبسم وربما ضحك من شي معجب حتى تبدو
نواجذه من غير قهقهه وما عاب صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهاه
اكله وان لم يشتهه تركه وكان لا ياكل متكيا ولا على خوان ياكل الهديه
ويكافي عليها ولا ياكل الصدقة ولا يتانق في ماكل ياكل ما وجد ان وجد
تمرا اكله وان وجد خبزا اكله وان وجد لبنا اكتفى به ولم ياكل خبزا مرققا
حتى مات صلى الله عليه وسلم قال ابو هريرة خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الدنيا لم يشبع من خبز الشعير وكان ياتي على ال محمد الشهر
والشهران لا يوقد في بيت من بيوته نار وكان قوتهم التمر والما وكان
يعصب على بطنه الحجر من الجوع وقد اتاه الله مفاتيح خزاين الارض
فابى ان يقبلها واختار الاخرة واكل صلى الله عليه وسلم الخبز بالخل
وقال نعم الادام الخل واكل لحم الدجاج وكان يحب الدبا وياكله ويحبه
الذراع من الشاه وقال ان اطيب اللحم لحم الظهر وقال كلوا الزيت وادهنوا
به فانه من شجرة مباركه وكان يعجبه الثفل يعني ما بقي من الطعام وكان
ياكل باصابعه الثلاث ويلعقهن واكل صلى الله عليه وسلم خبز
الشعير بالتمر فقال هذا ادم هذا واكل صلى الله عليه وسلم البطيخ بالرطب
والقثا بالرطب والتمر بالزبد وكان يحب الحلوا والعسل وكان صلى الله
عليه وسلم يشرب قاعدا وربما شرب قايما ويتنفس ثلاثا واذا فضلت
منه فضلة واراد ان يسقيها بدا بمن عن يمينه وشرب صلى الله عليه وسلم
لبنا وقال من اطعمه الله طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه
وقال صلى الله عليه وسلم ليس شي يجزي مكان الطعام والشراب

عبر اللبن انتهى وزاد الباجي رحمه الله وكان عليه الصلاة والسلام على خلق
عظيم كما وصفه الله تعالى احلم الناس واعدل الناس واعف الناس لم يمس
يده قط امراة الا يملك رقبتها او عصمة نكاحها او تكون ذات محرم منه اسخى
الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم فان فضل ولم يجد من يعطيه وفجاه
الليل لم ياوي الى منزله حتى يتبرا منه الى من يحتاج اليه لا ياخذ مما اتاه
الله تعالى الا قوت عامه فقط من ايسر ما يجد من الشعير والتمر
ويضع سائر ذلك في سبيل الله لا يسال شيا الا اعطاه ثم يعود على قوت
عامه فيوثر منه حتى يحتاج قبل انقضا العام اشد الناس حيا لا يثبت
بصره في وجه احد يجيب دعوة العبد والحر ويقبل الهدية ولو انها جرعة
لبن وتستتبعه الامه والمسكين فيتبعهما حيث دعواه لا يغضب لنفسه
ويغضب لربه سبحانه باطن قدمه يشهد الجنائز اشد الناس تواضعا
واسكتهم من غير كبر وابلغهم من غير عي لا يهوله شي من امر الدنيا يجالس
الفقرا ويواكل المساكين ويكرم اهل الفضل في اخلاقهم ويستالف اهل
الشرف بالبر لهم يصل ذوي رحمه من غير ان يوثرهم على من هو
افضل منهم لا يحفوا على احد يقبل معذرة المعتذر يخرج الى بساتين
اصحابه لا يحقر مسكينا لفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه يدعوا
هذا وهذا الى الله تعالى دعا مستويا بانه جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة
والسياسة التامه وهو امي لا يقرا ولا يكتب نشا في بلاد الجهل والصحاري
تعلمه الله جميع محاسن الاخلاق والطرق الحميده واخبار الاولين
والاخرين وما فيه النجاة والفوز في الاخره والغبطه والخلاص في الدنيا قال
الباجي ايضا رحمه الله وذكر العتبي قال كنت عند حجرة النبي صلى الله عليه
وسلم فجا اعرابي فقال السلام عليك يا نبي الله سمعت الله يقول ولو انهم اذ ظلموا
انفسهم جاوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا
رحيما وقد جيتك مستغفرا من ذنبي ومستشفعا بك الى ربي ثم انشا
الاعرابي يقول   يا خير من دفنت في الترب اعظمه فطاب
من طيبهن القاع والاكم   نفسي الفدا لقبر انت ساكنه فيه العفاف
وفيه الجود والكرم   ثم انصرف قال العتبي فغلبتني عيناي فرايت

رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقال يا عتبي الحق الاعرابي فبشره
ان الله قد غفر له ومن كتاب الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من ياخذ عني هولا الكلمات فيعمل بهن ويعلم
من يعمل بهن قال ابو هريرة انا يا رسول الله فاخذ بيدي فعد خمسا
فقال اتق المحارم تكن اعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن اغنى
الناس واحسن الى جارك تكن مومنا واحب للناس ما تحب لنفسك
تكن مسلما ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب ومنه عن
عقبه ابن عامر قال قلت يا رسول الله ما النجاه قال املك عليك لسانك
وليسعك بيتك وابك على خطيئتك ومنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الدين بدا غريبا ويرجع غريبا فطوبى للغربا الذين يصلحون ما افسد
الناس من بعدي من سنتي فصل قد تقدم الكلام على السبعة
التي يدور عليهم امر الدين ونرجع الان الى القسم الثاني وهو تصرف
الناس في اسبابهم وصنايعهم ومعايشهم وما يحتاج اليه بعضهم من البنيه فيما
هو يحاوله وما يتحفظ منه وهذا النوع كثير فنبدا اولا بما هو الاولى فالاولى
والاكد فالاكد فاولى ما يبدا به من الكلام على الصنايع والحرف غسل الميت
وحفر القبر وغيرهما وما يفعل في ذلك من الاحكام والتنبيه على بعض ما
احدثوه فيه اذ انه من اهم امور الدين واكدها الذي تقدم اولا ذكر حال
المحتضر وما يحتاج اليه من الاداب والله المستعان فقد ورد في الحديث
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لقنوا موتاكم لا اله الا الله وورد ايضا ان
من كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وينبغي ان لا تقربه حايض ولا
جنب بعيث لا يرجع لما يومر به او ينهى عنه وينبغي انه مهما امكن ان لا يكون
عليه نجاسه فعل فيكون ثوبه طاهرا وبدنه طاهرا وكذلك من حضره
يكون كذلك وينبغي ان يكون على المحتضر اذ ذاك ما تيسر من الطيب
اكراما للقا الملايكه وينبغي ان يحضره اذ ذاك احسن اهله واصحابه هديا
وخلقا ودينا وسمتا ووقارا فيلقنه كلمة التوحيد برفق وذلك بان
يقول لا اله الا الله محمد رسول الله جهرا ثم يسكت ساعة ثم تعيدها
ثم كذلك الى ان يقضي ولا ينبغي ان يقول له قل لا اله الا الله او يلح

عليه بذلك وما ذاك الا لانه اذا قال له قل لا اله الا الله قد يتوهم المحتضر اذ
ذاك وقد تكون اخذته غشوة فيسمعه فيتوهم فيكون سببا لموته واذا
اكثر عليه بلا اله الا الله اختلط عليه فاذا كان على ما وصف قبل سلم من
هذا وينبغي ان يكثر من الدعا له وللحاضرين لكن يخفض صوته وحسن
سمت ووقار لان الملايكة يحضرون ويومنون على دعا الداعي وهذا
الموطن من المواطن التي يرجى فيها قبول الدعا وقد انكر مالك رحمه
الله القراة عنده سورة يس وسورة الانعام وعلل ذلك بانه لم يكن
من عمل الناس واجازه ابن حبيب على ما تقدم وصفه من الوقار
والتؤدة وكذلك اختلفا في توجيهه الى القبلة فقال مالك رحمه الله
لم يكن من عمل الناس وكره ان يعمل ذلك استنانا وقال ابن حبيب
يستحب ذلك لانها الجهة التي يعظمها في حياته فاذا فعل المكلف ما قاله
ابن حبيب فلا يفعل ذلك به الا حتى يعاين وهو ان يشخص بصره
لانه ان فعل ذلك به قبل المعاينة قد يوهمه فيكون سببا لموته او
للغشيان عليه وينبغي لمن يلقنه ان لا يضجر ولا يتقلق ان طال الامر
عليه فان شق ذلك عليه ووجد من يقوم عنه بذلك حتى ياخذ راحة
لنفسه فعل وان كانوا جماعة فيفعلون ذلك واحد بعد واحد ولا
يلقنونه بجماعتهم فان ذلك يحرجه ويقلقه وينبغي ان لا يضجر ايضا من
عدم قبول المحتضر لما تلقنه اليه وقد ترى من بعضهم عدم القبول
لذلك لان الموضع موضع فتنة وامر عظيم شديد الا ترى الى ما ورد
ان المحتضر اذا احتضر ياتيه شيطانان احدهما على صفة ابيه والاخر على
صفة امه فيقول له الذي عن يمينه يا بني انا قد سبقتك الى هذا الموضع
وقد عرفت الحق فيه والدين الاقوم الذي به النجاة وهو دين
النصرانية فمت عليه فهو الحق اعاذنا الله من ذلك بمنه ويقول له امه
يا بني قد كان بطني لك وعاء وثديي لك سقاء وحجري لك وطاء وانا
احب لك ما احب لنفسي وقد سبقتك الى هذا الموطن وعرفت الحق غيره
من الباطل فمت على دين اليهودية فهو الحق او كما قال الى غير ذلك وقد
ورد ان الاديان تعرض عليه اذ ذاك والامر امر خطر عظيم في الخطر

ينبغي

فينبغي ان يكثروا له من الدعا ويجتنبوا اللغط والقيل والقال وقد سمعت
سيدي ابا محمد رحمه الله يحكي ان بعض المغاربة جاوا الى البلاد نبيه
الحجاز فمرض بعضهم واحتضر فجلس اليه رفقاوه يلقنونه على ما تقدم
وصفه فكان اذا قال من على يمينه لا اله الا الله محمد رسول الله صعر وجهه
ورده الى ناحية اليسار واذا قال من على يساره ذلك صعر وجهه
ورده الى الناحية الاخرى ثم كذلك ثم كذلك الى ان غلب عليهم النوم فناموا
وبقي واحد منهم يلقنه فاذا حول وجهه الى ناحية اليمين دار اليه واذا
حوله الى جهة اليسار دار اليه ثم كذلك الى ان غلب عليه النوم ايضا
كاصحابه فهو في النوم ويرى الناس يتجارون قال فقلت ما بال الناس فقالوا
هم ماشون الى فلان اسم المحتضر يهنونه بالموت على الاسلام فقلت هذا
صاحبي فاسرعت معهم لاهنيه في جملة من يهنيه فجيا الى باب كبير
فدخل الناس من ذلك الباب فدخلت معهم فاذا بصاحبي واقف والناس
يهنوه بالموت على الاسلام فزاحمت حتى اجتمعت به فهنيته كما فعل
غيري فامسك بيدي وقال اه يا فلان ما هذا الحال الذي فعلتم معي
تركتموني وحيدا والشيطان يتسلمني فقلت له كنا نلقنك وانت تصعر
وجهك وتعرض عنا يمينا وشمالا فقال لي وما علمكم كنت اعرض وانما
كنت اعرض عن الشيطان وانه اتاني على صفة ابي من جهة اليمين
وعلى صفة امي من جهة اليسار فهذا يدعوني الى دين النصرانية
وهذه تدعوني الى دين اليهودية وكان ذلك منكم يولمني واستوثق به فلما
ان عتم تسلماني لكن الحمد لله الذي اعانني الله فلما ان بقيت وحيدا
نزل ملك من السما وبيده حربة فهزها عليهما وقال لهما اليكما عن
ولي الله فوليا هاربين ثم لقنني الشهادة فقلتها فمت عني ذلك وهولاء
يهنوني بما انعم الله به علي او كما قال فاستفاق من نومه فقام الى صاحبه
فوجده قد مات رحمه الله وقد حكي ان الامام احمد ابن حنبل لما ان جا
الى الموت ولقن لا اله الا الله فقال لا فرؤي بعد موته في المنام فقيل له
كنا نقول لا اله الا الله وانت تقول لا فقال كان ابليس يعرض الي
وقال لي سلمت مني يا احمد فقلت له لا ما دامت الروح في الحلقوم

لاسلم منك فكان ذلك جوابا له لا لكم او كما قال وقد روى مالك في موطايه
عن عطا ابن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا مرض
العبد بعث الله اليه ملكين فقال انظرا ماذا يقول لعواده فان هو اذا جاوه
حمد الله واثنى عليه رفعا ذلك الى الله وهو اعلم فيقول لعبدي علي
ان توفيته ان ادخله الجنة وان انا شفيته ان ابدله لحما خيرا من لحمه
ودما خيرا من دمه وان اكفر عنه سياته وروى الترمذي عن ابي
موسي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يصيب عبدا نكبة فما فوقها
او دونها الا بذنب وما يعفوا الله عنه اكثر قاله وقرا وما اصابكم من
مصيبة فبما كسبت ايديكم الاية وينبغي ان لا يترك احدا يبكي حوله
ويرفع صوته بذلك ومن كان باكيا من جماعته فليعتزل عنه بموضع لا
يسمعه المحتضر ولا باس بالبكا بالدموع حينيذ وحسن التعزي والتصبر
اولي واجمل لمن استطاع وليحذر من التسخط والتضجر ويكون موقنا بالعوض
من الله اذ ان من مات لم يكن بيده حل ولا ربط ولا قدرة ولا ارادة
الا بامر المولي سبحانه وتعالي فالذي اقامه في ذلك يفتح بغيره ولا
يحوج اليه وينبغي ان يمتثل السنة ويتعلق بها حين وقوع الامر به
فيقول ما ورد في الحديث من صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه
حيث يقول ما من امرئ تصيبه مصيبة فيقول ما امره الله عز وجل
انا لله وانا اليه راجعون ثم يقول اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني
خيرا منها الا ابدله خيرا منها قالت ام سلمة فلما ان مات ابو سلمة جيت
اقولها فقلت ومن خير من ابي سلمة ثم قلت امتثل السنة فاقولها فقلتها
فابدلني الله به رسول الله صلى الله عليه وسلم او كما قالت وينبغي ان
تكون النسا بمعزل عنه اذ ذاك لان فيهن من الرقة وعدم الصبر وعدم
العلم او قلتهما ونقصان العقل ما هو معلوم وذلك يودي الى وقوع
ما لا ينبغي بحضرة المحتضر فيتحفظ من ذلك ومما يترتب عليه من
الوقوع في النهي الصريح لقوله عليه الصلاة والسلام ليس منا من
حلق ولا خرق ولا ذلق ولا صلق ومعنى حلق اي حلق الشعور
وخرق تخريق الثياب وذلق هو تخميش الوجه والضرب على الخدود

وسلق

وسلق هو الكلام الردي القبيح ومنه سلقوكم بالسنة حداد وقد روي
البخاري ومسلم والترمذي والنساي عن عبد الله ابن مسعود رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من ضرب الخدود
وشق الجيوب ودعا بدعوي الجاهلية وروى الترمذي عن ابي موسي
الاشعري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول
ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول واجبلاه واسيداه ونحو ذلك الا
وكل به ملكان يلهزمانه ويقولان اهكذا كنت وروى البخاري عن النعمان
ابن بشير قال اغمي على عبد الله ابن رواحة فجعلت اخته عمرة تبكي
وتقول واجبلاه واكذا واكذا تعدد عليه فقال حين افاق ما قلت
شيا الا قيل لي انت كذالك انت كذالك فلما مات لم تبك عليه انتهى وينبغي
لمن حضر من الرجال ان لا يظهر الجزع اذ ذاك فانه اذا ظهر ذلك منه للنسا
كان سببا لوقوع ما تقدم ذكره منهن فليحذر من هذا جهده مع وجود
الرفق والشفقة والرحمة والمسايسة مع اهل الميت ان امكن
ذلك فان لم يمكنه اقام سطوة الشرع عليهم ولا يتركها لاجل ما نزل بهم لان
الشرع قد قرر فيه ما قرر بقوله عليه الصلاة والسلام فاذا وجبت اي
مات فلا تبكين باكية فلا يتعدى ما حده عليه السلام والله المستعان
ومن حضر من اهله او غيرهم فامرهم ونهاهم فلم يسمعوا منه يتعين عليه
ان لا يحضر ما دام ذلك موجودا لانه منكر بين وتغييره واجب متعين
فاذا لم يسمع منه ذلك فاقل ما يلزمه في خاصة نفسه عدم حضوره لانه
اقل مراتب الانكار لما ورد عنه عليه السلام من لم يزل المنكر فليزل
عنه لكنه ان كان قدوة فيتعين عليه ان يخبرهم بان المانع من حضوره
ما وقعوا فيه من المخالفة وليحذر ان يقع بحضرته ما يفعله بعض الناس
في هذا الزمان من اختلاط النسا بالرجال وكشف وجوههن وتسويدها
وتسويد بعض اجسادهن ونشر الشعور والدعا بالويل والثبور
وهو دعوى الجاهلية ولباس الازرق والسواد وما يفعله بعضهم
من خرق قعور القدور السود وجعلها في حلوقهم وسكب التراب
على الروس وتلطيخ البيوت بالسواد وما يجعلونه في الاعناق من

السلاسل ولو لم يكن فيه من القبح الا التفاول بالسلاسل والاغلال التي
توعد بها اهل النار اسال الله السلامة من ذلك بمنه وتحفيتهم للاقدام
من اجل ذلك وبعضهم يترك لبس السواد ويعوض عنه البياض ان
كان لبس البياض مباحا او مامورا به في بعض المواطن لكن اتخاذه
في هذا يكون على سبيل الاستنان له بدعة وبعضهم يتركون الصلاة عند
موت ميتهم ولا يرجعون لها الا بعد مدة تختلف احوالهم فيها فمنهم من يتركها
اليوم واليومين ومنهم من يتركها الشهر والشهرين الى غير ذلك جهلا منهم
ما يجب عليهم وما يومرون به تحرمهم اللعين ثواب مصابهم وثواب
الصلاة واوقعهم في الاثم لعادته الذميمة اسال الله السلامة من ذلك
بمنه وقد ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام لا يحل لامراة تومن
بالله واليوم الاخر ان تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر
وعشرا والاحداد على ما قاله علماونا رحمة الله عليهم يتضمن الامتناع من
خمس لباس المصبغات كلها الا السواد والحلي والكحل والطيب والقالنت
فاذا كان هذا في حق النسا فما بالك به في حق الرجال ومما احدثوه ايضا من
المحرمات حضور الطارات والضرب بها سيما في الناحيات وقد قال
عليه الصلاة والسلام كل نائحة في النار الا نائحة كفرة وروى ابو داود
في سننه عن اسيد ابن ابي اسيد عن امراة من المبايعات قالت كان
فيما اخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المعروف الذي اخذ
علينا ان لا نعصيه فيه ان لا نخمش وجها ولا ندعو ويلا ولا نشق جيبا ولا
ننشر شعرا وروى البخاري ومسلم وابو داود والنساي عن ام عطية
قالت اخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع البيعة ان لا ننوح وروى
النساي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ على النسا
حين بايعهن ان لا ينحن فقلن يا رسول الله ان نسا اسعدتنا في
الجاهلية افنسعدهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
اسعاد في الاسلام وروى الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن النعي وقال اياكم والنعي
فانه من عمل الجاهلية قال عبد الله والنعي الاذان على الميت انتهى

ثم بعضهن يفعلن ذلك ليلا ونهارا ولو اخذن لانفسهن راحة او خفض من
اصواتهن حين تعبهن اعتدن مع ذلك عادة جاهلية وهي ان من جاءت
لتعزيتهن تدخل وهي تدعو بالويل والثبور واللطم على الخدود وتخميش
الوجه وتلقاهن النوائح على ما يعهد من فعلهن الذميم ويتكلفن اذ ذاك
رفع اصواتهن فاذا وصلن الى اهل البيت قمن الى لقايهن وفعلن معهن
كفعلهن ويفعلن كذلك ساعة ثم كذلك ثم كذلك مع كل من اتى اليهن
من النسا للتعزية وينعين على ذلك مدة على قدر ما ينقطع معادهن
ويفعلن مع ذلك افعالا قبيحة شنيعة تنزه الاقلام عن كتبها والالسن
عن النطق بها فلا حاجة تدعو الى ذكرها وكلها مصادمة للشريعة
المطهرة وهي اكثر من ان تحصر او ترجع الى قانون معلوم لان ذلك يختلف
باختلاف عوايد البلاد والاقاليم فليحذر من هذا جهده فان وقع شي منه
فلا يحضر موضعه كما تقدم فلو قدرنا انه حضر لكان واحدا منهم اعني في حصول
الاثم له وان كان اعتقاده ليس كاعتقادهم اسال الله السلامة بمنه فاذا
قضى فليشتغل بحق الميت فياخذ في اصلاح شانه فمن ذلك ان يغمض
عينيه لئلا تبقى مفتوحة وذلك شوه وينبغي له ان ياخذ عصابة او طرف
عمامته او غيرهما ويجعلها تحت ذقنه ويشدها على راسه لئلا ترتخي
ذقنه فيبقى فوه مفتوحا وذلك شوه وقد ينزل الماء في جوفه حين
يغسله ثم يخرج بعد تكفينه فيلوثه وقد يدخل الهوام منه لجوفه اذا كان
مفتوحا ثم يلين مفاصله ويمد يديه مدا وكذلك ركبتيه حين خروج
الروح منه سواء وليحذر ان يوخر ذلك لئلا يتعذر مدها ثم يجعل على
بطنه حديدة او سكينا فان لم يجد فطينا مبلولا طاهرا لئلا يعلو فواده
فيخشى ان ينفجر قبل حلوله في قبره ثم يزيل ما عليه من الثياب ما عدا
القميص ثم يجعل على شي مرتفع كدكة ونحوها لئلا تسارع اليه الهوام
والتغير ويسجى بثوب ثم ياخذ في تجهيزه على الفور لان من اكرام الميت
الاستعجال بدفنه ومواراته اللهم الا ان يكون موته فجاة او بصعق
او غرق او سبته او ما اشبه ذلك فلا يستعجل عليه ويمهل حتى تتحقق
موته ولو اتى عليه اليومان والثلاث او يظهر تغيره فيحصل اليقين

موته لئلا يبدو منه ما يحتاط له وقد وقع ذلك كثيرا فيتحفظ من هذا وإذا فعل
به ما تقدم ذكره من تليين مفاصله وغيرها فليكن ذلك بتؤدة ووقار لأن
حرمة الميت كحرمة الحي ويتقي الله تعالى عند الأخذ في ذلك فيقول
بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليحذر من هذه
البدعة التي أحدثها بعضهم وهي أن الميت إذا مات أوقد واعنده تلك
الليلة شمعة حتى يصبح وذلك بدعة وسرف ومن لم يكن له منهم قدرة
على الشمع أوقد سراجا عليه حتى يصبح وينشر قبل غسله ما يحتاج إليه من
الكافور والحنوط ويبخر الكفن ثلاثا أو خمسا أو سبعا ثم بعد ذلك يأخذ في
غسله فيشد على وسط الميت مئزرا غليظا ثم يعريه من القميص وبعد
ذلك يغسله وهذا مذهب مالك رحمه الله ومذهب الشافعي رحمه الله
أنه يغسل في قميص ولا يعرى واستدل على ذلك بأن النبي صلى الله
عليه وسلم غسل في قميصه بعد أن كانوا أرادوا أن يعروه كما يفعلون
بموتاهم فسمعوا الهاتف يقول غسلوه في القميص وبه استدل مالك
رحمه الله ومن وافقه على تعري الميت من القميص لأنهم أرادوا أن
يغسلوه عليه السلام متجردا من القميص كما يفعلون بموتاهم حتى سمعوا
الهاتف فتركوه فدل ذلك على أنه خاص به عليه الصلاة والسلام دون غيره ولأن
تعرية الميت أبلغ في تنظيفه وينبغي أن يجعل على عورته خرقة غليظة
فوق المئزر حتى لا تصف العورة وينبغي أن لا يحضره أحد إذ ذاك إلا الغاسل
وحده اللهم إلا أن يكون الغاسل يحتاج إلى من يعينه فيجوز ذلك على سبيل
الضرورة والضرورة لها أحكام وينبغي أن يكون الغاسل ومن يعينه من
أهل الديانة والأمانة لأن المحل مضطر إلى ذلك لأن الميت قد يتغير حاله
وهو الغالب فإذا رآه أحد قد يخيل إليه أن ذلك من شقاوته وينبغي له أن
رأى خيرا إن شاء ذكره وإن شاء تركه وإن رأى غير ذلك سكت ولا يبوح
به لأحد وغسل الميت من أحد الأركان الأربعة التي تجب على الحي في حق
الميت المسلم وذلك أن من حق المسلم على أخيه المسلم أربعا غسله وتكفينه
والصلاة عليه ودفنه والغسل أولها وكيفيته كيفية غسل الجنابة سواء
إلا أن غسل الجنابة يتولاه الحي بنفسه غالبا وهذا يغسله غيره وقد

تقدم

تقدم في غسل الجنابة في فرائضها وسننها وفضائلها فكذلك هاهنا سواء أول ما
يبدأ بغسل النجاسة عنه فيباشر محل النجو بخرقة غليظة وإن كانت من الصوف
فهو أبلغ في التنظيف يتعرك بها الموضع ومن يعينه يسكب عليه الماء ثم يغسل
الخرقة غسلا جيدا حتى تطهر ثم يعيد غسل المحل وهو يتعرك بها حتى يرى أنه
قد طهر وتنظف تنظيفا جيدا يفيض عليه الماء القراح من قرنه إلى قدمه ثم
ينظر في بدنه فمهما شعر بنجاسة في أي موضع كانت منه غسلها عنه والبخور
إذ ذاك حاضر يبخره لئلا تشم منه رائحة كريهة والميت يكره أن يشم ذلك
منه كما يكره ذلك الحي ثم يقعده ويعصر بطنه عصرا رفيقا ومن يعينه يصب
عليه الماء حين فعله لذلك ويزاد في البخور في هذا الوقت أكثر مما قبله حتى
إذا رأى أنه قد أنقى جسده أفاض عليه الماء وأعاد غسل المحل من النجاسة
بخرقة أخرى أو بها بعد غسلها وتطهيرها وتنظيفها وقد اختلف علماؤنا رحمة
الله عليهم فيما إذا كان على المحل نجاسة لا يمكن زوالها إلا بمباشرتها باليد
هل يباشرها بيده للضرورة أو يتركها كما لو كان حيا ولا يمكنه أن يزيلها
بنفسه فإنه يصلي بها فكذلك الحكم في الميت وهذا على مذهب مالك رحمه
الله وليحذر مما يفعله كثير منهم من حلق عانة الميت لأنهم يكشفون العورة
لحلقها فيشاهدها من يزيلها ومن يعينه في غسله وبعض الحاضرين
لأنه قد جرت عادة بعضهم في هذا الزمان أن الميت إذا غسل يحضر غسله
أقاربه وأصحابه وذلك خلاف للسنة لو سلم من اطلاعهم على عورته
وإن كان قد أجاز بعض العلماء حلق عانته لكن ذلك بشرط أن لا يطلع
عليها إلا من يفعل ذلك به واطلاع غيره محرم وقد تقدم الخلاف في
النجاسة إذا كانت على المحل ولا يمكن إزالتها إلا باليد فما بالك بإزالة شيء
مستغنى عنه ألا ترى أنه لو كان حيا لم يجب عليه إزالتها ولا يجوز له
كشف عورته لمن يزيل ذلك عنه فبعد الموت من باب أولى أن يمنع
قال علماؤنا رحمة الله عليهم ولا حجة لمن أجاز ذلك مستدلا بقوله عليه
الصلاة والسلام افعلوا بموتاكم ما تفعلوا بعروسكم أو كما قال عليه السلام
لأن هذا الفعل إنما يتولاه العروس بنفسه لنفسه ولا يجوز له أن يأذن
لغيره في ذلك وكذلك لا يجوز للمأذون له أن يفعله به وهذا النوع قد

عمت به البلوى فى هذا الزمان فى الاحيا فضلا عن الموتى فنجد بعض الناس
يدخلون الى الحمام فيامرون الدلاك ان يحلق لهم عاناتهم فيكتشف عليه من
لا يجوز له الاطلاع على ذلك وليت لو كان وحده وان كان محرما لكن يطلع
على ذلك جماعة ممن فى الحمام فانا لله وانا اليه راجعون فاذا راى انه قد طهر
من النجاسة فلياخذ راس الميت فيحوله الى ناحيه اليمين ويخرجه عن
الدكه قليلا ويجعل فمه وانفه الى جهه الارض ويعصر انفه برفق فان كانت
هناك فضلة خرجت فاذا فرغ من ذلك رد راسه كما كان ثم يفيض الما عليه
وعلى الدكه حتى يرى انه قد نشف ذلك كله وطهر ثم يزيل ما على الميت من
الميزر ثم يستره بغيره او به بعد غسله ويتحفظ على عورته لئلا تنكشف عند
محاولة ذلك فاذا فرغ حينيذ ياخذ فى الغسلة الاولى وهي الواجبة فيبدا
باعضا الوضو فيغسلها فيمضمضه برفق بعد ان يحول راسه كما تقدم
حتى يفرغ من مضمضته واستنشاقه لئلا ينزل الما الى جوفه ثم يخرج
بعد الفراغ من غسله ويسوكه بخرقه من صوف او بما يقاربها فاذا
فرغ من ذلك رده الى الدكه كما تقدم فاذا فرغ من غسل اعضا وضوه
افاض الما على راسه بعد تخليل شعره فيغسل راسه بيده ثم الايمن
فالايمن والاعلى فالاعلي من جسده ويقلبه فى اثنا الغسل يمينا ويسارا
وظهرا وبطنا حتى اذا راي انه قد عمه بالغسل فهذه غسلة واحدة وهي
الفرض التى لا يجوز دفن الميت مع القدرة عليها الا بها ثم بعد ذلك
ياخذ فى تنظيفه من الاوساخ بالما والسدر كما ينظف الحي سوا فاذا فرغ من
هذه الغسلة الثانيه اخذ شيا من الكافور فجعله فى انا فيه ما ويذيبه فيه
ثم يغسل الميت به كما تقدم وصفه بعد تنظيف الميت والميزر والدكه من
اثر السدر وليحذر من هذه البدعة التى يفعلها اكثرهم وهو انه اذا
جا الى غسله بالما والكافور ازال ما كان عليه من السترة الكثيفة والقى
عليه خرقه لطيفه من سمختانيه ونحوها ثم يفيض عليه الما فتبقى
العورة كانها مكشوفة اذا ابتلت الخرقه بالما وذلك محرم بل يستره بمثل
الخرقه الكثيفه التى كانت عليه اولا بعد تنظيفها وهو مع ذلك يتحفظ من
كشف العورة عند المحاولة ويغض طرفه مهما استطاع جهده مع التوفيه

لغسله

لغسله وليحذر من هذه البدعة الاخرى التى يفعلها اكثرهم وهو انه اذا غسل
الميت يجعله بين رجليه وهو واقف على الدكه وذلك مكروه بل يكون
الغاسل واقفا بالارض ويقلبه حين غسله له وليحذر من هذه البدعة
الاخري التى يفعلها اكثرهم وهو ان الغاسل اذا ابدا في غسله اخذ يذكر لكل عضو
يغسله ذكرا من الاذكار وقد تقدم ان ذكر الله حسن سرا وعلانيه لكن في
المواضع الماموربه فيها وهذا المحل محل تفكر واعتبار وخشيه فيشتغل به
عن غيره من العبادات ذكرا كان وغيره وهو عمل السلف الماضين رضى الله عنهم
اجمعين وغيره بدعة فاذا فرغ من هذه الغسلة الثالثه فقد تم غسله علي
الكمال ثم يتفقد فمه وانفه من الما لاحتمال ان يكون دخل فى جوفه شي منه
فيميل راسه خارجا عن الدكه فان كان دخل منهما شي خرج ثم يعيده الي
الدكه ثم ينظف ما تحت اظفاره بعود او غيره ولا يقلمها وتقليمها على مذهب
مالك رحمه الله بدعة ممن فعلها اذ انه لم يكن من فعل السلف ثم يسرح
لحيته بمشط واسع الاسنان وكذلك يفعل براسه ويترفق فى ذلك
فان خرج فى المشط شعر جمعه والقاه فى الكفن ليدفن معه ثم ياخذ قطنة
او غيرها فينشف بها جميع بدن الميت فاذا فرغ منه نشف بها الدكه حتى لا يبتل
بها ما يجعل على الميت من قميص وغيره ثم ياخذ فى تجهيزه فاول شي يفعله ان
ياخذ قطنة ويجعل عليها شيا من الكافور او غيره من الطيب والكافور احسن
لانه يردع المواد فيجعلها على فمه ثم ياخذ قطنه اخري فيفعل فيها ما تقدم
ويسد بها انفه ثم اخري من الناحيه الاخري ويرسلهما فى انفه قليلا ثم
ياخذ خرقه فيسدها على الفم والانف ثم يعقدها من خلف عنقه عقدا
وثيقا فتبقى كانها اللثام ثم يجعل على عينيه واذنيه خرقة ثانيه بعد وضع
القطنة مع الكافور على عينيه واذنيه ويعقدها عقدا جيدا فتصير
كالعصابه ثم ياخذ خرقة ثالثة فيشد بها وسطه ثم ياخذ خرقه رابعة
فيعقدها فى هذه الخرقه المشدودة بها وسطه او يخيطها فيها ثم يلجمه بها بعد
ان ياخذ قطنه ويجعل عليها شيا من الطيب او الكافور وهو احسن
لانه يشد العضو ويشده فيجعلها على باب الدبر ويرسل ذلك قليلا برفق
ويزيد للمراة سد القبل بقطنه اخرى ويفعل فيه كما تقدم في الدبر سوا

ثم يلجمه عليه بالخرقة المذكورة ثم يربطها ربطا وثيقا وليحذر من هذه البدعة
بل المحرم الذي يفعله بعضهم في هذا الزمان وهو انهم يخرقون حرمة الميت
ويرسلون في دبره قطنا وكذلك في حلقه وانفه وقد تقدم ما في ذلك من
مخالفة السنة واخراق حرمة الميت ثم ياخذ في تكفينه فيشد على وسطه
مئزرا او يلبسه سراويلا وهو استر له ثم يلبسه القميص قال مالك رحمه الله وعليه
العمل ان الميت يقمص ويعمم ثم يعممه يجعل له من العمامة ذوابة وتحنيكا
كما هي العمامة الشرعية في حق الحي لكن الفرق بينهما ان الحي يرخي
التحنيك بخلاف الميت فانه يشد ذلك عليه ويستوثق في عقده لئلا تسترخي
ذقنه وينفتح فوه وقد يخرج منه شي يلوث الكفن ثم يعممه بباقي العمامة
ويشدها شدا وثيقا بخلاف عمامة الحي ثم يبسط الذوابة على وجهه فيستر
وجهه بها وكذلك يفعل بما يفضل من المقنعة في حق المراة يستر بها وجهها
ثم ينقله الى موضع الكفن فيجعله عليه ويحفظ ومواضع الحنوط خمس احدها
ان يجعل على ظاهر جسد الميت الثاني ان يجعل فيما بين اكفانه ولا يجعل
على ظهر الكفن الثالث ان يجعل على المساجد السبعة وهي الجبهة والانف
والكفان مع الاصابع والركبتان واطراف اصابع الرجلين الرابع ان يجعل
على منافذ الوجه السبعة المتقدم ذكرها الخامس ان يجعل على الارفاغ
وهي مغابن الجسد خلف اذنيه وتحت حلقه وتحت ابطيه وفي سرته وفيما
بين فخذيه واسافل ركبتيه وتعرقيب قدميه وذلك بحسب ما يكون معه من
الطيب فان قل عن استيعاب ذلك فليقتصر على الارفاغ والمساجد السبعة
المتقدم ذكرها والمستحب ان يكفن في وتر ياخذ طرف احد كميه فيربطه
بطرف الكم الاخر ربطا وثيقا ثم ياخذ خرقة طويلة فيربطها في موضع رباط
الكمين ثم يمدها الى ابهامي رجليه فيربطها فيهما رباطا جيدا وثيقا لئلا
تتحرك اطرافه وتتفرق فاذا فعل به ذلك امن من حركتها وهذه الصفة
المذكورة انما هي اذا لبس الميت القميص واما ان ادرج فلا حاجة تدعوا
الى فعل ذلك لعدم حركة اطرافه فاذا اتى لحده ازال الرباط عنه
وليحذر من هذه البدعة التي اعتادها اكثرهم في هذا الزمان وهو انهم
ياخذون القطن الكثير فيجعلونه على وجه الميت حتى يعلوا ثم يجعلون

القطن على ركبتيه وتحت حنكه وتحت ركبتيه حتى يصير راسه وكتفاه بالسوا
ثم يجعلون القطن كذلك عند ساقيه من هاهنا ومن هاهنا حتى يصير بطنه
وراسه ورجلاه بالسوا وهذا الفعل قد جمع بين محرمين وبدعة فالمحرم
الاول اضاعة المال في كثرة القطن لغير ضرورة شرعية والمحرم الثاني اخذ
ثمن القطن من مال الورثة لان الميت ليس له من تركته الا قدر ضرورته
الشرعية والزيادة على ذلك غصب لحق الوارث سيما اذا كان صغيرا ولو
فرض رضى الورثة لمنع من ذلك لانه من باب اضاعة المال والاعانة على
البدعة واما البدعة فكونهم اعتادوا ان يخرجوه في كفنه بالسوا عند
الناظر له كما تقدم وهذا من محدثات الامور والميت يتاذى مما يتاذى
منه الحي فلو جعل شي من القطن على وجه الحي لكان فيه تشويه وخرق
لحرمته ولا يرضى بذلك فكذلك يمنع في حق الميت لما تقدم ان حرمة الميت المسلم
كحرمته في حال حياته وقد جا في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال كسر عظم الميت المسلم ككسره وهو حي او كما قال عليه السلام
وذلك عام في العظم وغيره قل او كثر فكل ما لا يليق به في حال حياته لا يفعل
به بعد مماته الا ما اذن الشرع فيه وما لم ياذن الشرع فيه فيمنع على كل حال
والسنة في ادراج الميت في كفنه ان يكون فيه بحيث يعرف راسه وكتفاه
ورجلاه كما يعلم ذلك به في حال الحياة وهو في ثيابه وهذا عندهم في هذا
الزمان عيب عظيم حتى يقول بعضهم ان من غسل الميت وكفنه على هذه
الصفة لا يعرف شيا وما ذاك الا لما انس به كثير من المغسلين للموتى
من ارتكاب ما لا ينبغي من البدع وغيرها في ذلك بسبب العوايد الردية
وقلة العلم وهذا وما شاكله من محدثات الامور وهذا هو عين ما جا
في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال كيف بك يا حذيفة
اذا تركت بدعة قالوا ترك سنة وها هو ذا فانا لله وانا اليه راجعون واذا
كان ذلك كذلك فينبغي ان يجتنب المرء من اتصف بفعل شي مما تقدم
ذكره من عوايدهم الردية ولم يزل السلف الصالح رضوان الله عليهم يوصون
بمن يحضرهم عند الموت ومن يغسلهم ومن يصلي عليهم ومن يلحدهم من
اهل الخير والصلاح هذا وهم كما قيل عيون في العيون فاذا كان هذا حالهم

في زمانهم على هذا الاسلوب فما بالك بهذا الزمان فلينظر الانسان لنفسه لعل
ان ينفع له الخلاص من هذه العوايد الرديه ثم ان المخالفه هاهنا صعبة لانه لو
قدرنا ان الغاسل تاب الى الله تعالى ورجع عن عوايده الرديه لتعذر ذلك
عليه في الدنيا لعدم من يتحلل منه واذا كان ذلك كذلك فينبغي للمرء ان
ينظر لنفسه قبل موته لان احدا لا ينظر له في هذا الزمان في الغالب الا
بما تقدم ذكره من تلك العوايد المخالفة للسنة المطهره فيتعين على الانسان
ان يكون من اكد وصيته ان يوصي بما تقدم ذكره من يحضر موته ومن
يغسله ومن يصلي عليه ومن يلحده لانه متعذر في هذا الزمان غالبا اذ
ان الغالب من بعض الفقها انهم يعرفون الاحكام ولا يعرفون كيفية المباشره
لذلك وبعضهم يهاب الميت فلا يتولى غسله ولا تجهيزه وكذلك من ينسب
الى الصلاح غالبا قل ان يعرف مباشرة ذلك فبقي الامر في ذلك عزيز القلة
وجود من يعرف ذلك فقها وعملا واذا كان ذلك كذلك فيتعين على الانسان
ان يعين من يختاره من اهل الدين ويلقي اليه ما يحتاج اليه من الاحكام
المحتاج اليها في ذلك كله في حال حياته ان امكنه ذلك والا فيوصي به الى
شخص يقوم بذلك عارف بالاحكام يحضر حين غسله وبامر بالسنة
في ذلك وينهى عن ضدها من العوايد الرديه ويمشي على الاسلوب
الموصوف من احوال السلف الماضين رضي الله عنهم اجمعين واذا كان
كذلك فينبغي ان لا يغسله ولا يكفنه الا من يرجى بركته وخيره لان الميت
اخر عهده من الدنيا هذا الموطن فينبغي ان يختم بالوسايل الشرعيه
التي يحصل للميت بسببها النفع حالا ومالا وما زال السلف رضوان
الله عليهم يوصون بما تقدم ذكره لاعتنايهم به وقد حكي في ذلك حكايات
كثيرة تدل على ان الميت غفر له ببركة من تولى ما تقدم ذكره فمن
ذلك ما حكى الشيخ الامام السهروردي رحمه الله في كتاب العوارف
له ان رجلا ممن لا يرضى حاله مات فسيل بعض الاكابر سماه هو ان
يصلي عليه فامتنع من ذلك فروي الميت في المنام وهو في حاله حسنه
فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي قيل له بماذا فقال كرامة لسيدي
فلان لكونه لم يصل علي قال الامام السهروردي رحمه الله فهو لا اقبالهم

رحمة

رحمة واعراضهم رحمة الاثرى انه لما ان ترك الصلاه عليه رحم لاجل انه ميت
امتثلت السنه في حقه فرحم لامتثال السنة فيه واذا كان كذلك فينبغي
التحفظ على امتثال السنة في هذا الموطن وان كان صاحبه معرضا في طول
عمره لان الختام اذا كان حسنا لعله يحسن الجميع وقد سمعت سيدي ابا محمد
رحمه الله يقول انه كان عندهم ببلاد الاندلس امراه مسرفة على نفسها فماتت
على شر حال فراها بعض الصالحين في النوم وهي في حالة حسنة فقال
لها انت فلانه قالت نعم فقال كيف حالك فقالت غفر لي فقال لها بم ذا وقد
كنت وكنت فقالت لما ان اخرج بجنازتي مر على رجل خياط وفي كمه ثوب لسيدي
فلان فصلى علي فغفر لي كرامة لذلك الثوب وقد حدثني بعض اولاد
سيدي ابي محمد المرجاني رحمه الله ان والدته اتت الى ابيه فاخبرته بان
امها قد توفيت وطلبت منه قميصا يكفنها فيه فاعطاها فلما ان كان من الغد
اخبرها بان الملكين عليهما السلام جاءاها فقال احدهما للاخر اذهب
بنا فان ثوب المرجاني عليها فلم يتعرضا لها وكنت اعهد بمدينة فاس ان
الغاسلين للموتى على قسمين قسم من اهل الخير والصلاح فاذا مات احد
ممن يرتضى دينه غسله هذا القسم بغير اجرة ولا عوض الا ابتغا للثواب
والقسم الثاني يغسلون بالاجارة وهم عامة الناس وينبغي لمن يغسل الميت
ان يغتسل بعد ان يفرغ من غسله لانه اذا وطن نفسه على الغسل بالغ
في غسل الميت وتنظيفه واكثر الناس في هذا الزمان لا يغتسلون فيدعوهم
ذلك الى التحفظ على انفسهم فاذا تحفظوا فقد يول ذلك الى الاخلال بشي
من تنظيف الميت او ترك شي من المامور به فيه والله الموفق وليحذر
من هذه البدعة التي تجر الى محرم ايضا وهو ما اعتاده اكثرهم في هذا الزمان
وهو ان ما كان على الميت ياخذه الغاسل الذي يغسله فهذه بدعة جرت
الى محرم وذلك ان اهل الميت اذا علموا بان الغاسل ياخذ ما على ميتهم لم
يتركوا عليه شيا الا ما لا بد منه وقد يتركه بعضهم متصف العورة وقد مات
بعض المباركين من المعارف فدخلت عليه وهو يغسل وعلى عورته
خرقه من عمامة سخنتانيه ملبوسة وقد ابتلت بالما فبقيت العوره موصوفه
فانكرت عليهم وامرتهم بسترته فقال الغاسل هذا الذي وجدنا ليس عندنا

غيره فاحدث فوطة جديدة كانت على اد داك وقد نعتها لهم ليستروه بها فلما
راي اخو الميت ذلك اسرع لجا بفوطتين غليظتين جياد فستروه باحدهما
وعملوا الاخرى من فوقها كما تقدم ذكره قبل فانظر الى هذه البدع كيف تجر
الى المحرمات فعلى هذا ينبغي بل يتعين تعيين اجرة الغاسل وان
يشترط عليه ان لا ياخذ شيا مما يجده على الميت كاين ما كان فتنفسد هذه
اللمه التي وقع بسببها كشف العورة لغير ضرورة شرعيه وقد تقدم المنع
من كشف العورة لحلق العانة وللنجاسة اذا كانت على المحل ولا يمكن زوالها
الا بمباشرتها باليد فمن باب اولى واحرى ان يمنع هذا وليحذر من هذه
البدعة التي اعتادها اكثرهم وهي انهم اذا مات لهم ميت نادوا عليه وقد
روي الترمذي عن حذيفة رضي الله عنه انه قال لما احتضر اذا انا مت
فلا تؤذنوا بي احدا اني اخاف ان يكون نعيا واني سمعت رسول الله صلي
الله عليه وسلم ينهى عن النعي فصلوا علي وسلوني الى ربي سلا انتهى
لكن قد سامح علماونا رحمة الله عليهم في الاعلام بذلك بان يقف رجل
على باب المسجد عند انصراف الناس من الصلاة فيقول اخوكم فلان
قد مات بصوت يجهر به على سنة الجهر لا على ما يعهد من زعقات
الموذنين وعوايدهم فان ذلك من النعي المنهي عنه وما تقدم من
النداء على الغايب فهو محمول على ما ذكرهنا انه يقف على باب المسجد ويجهر
بصوته كما ذكرهنا واما على ما اعتاده الموذنون من زعقاتهم فيمنع
والله اعلم وهو الموفق ثم يربط الكفن من عند راسه وعند رجليه
ربطا وثيقا ثم ياخذ في نقله واخراجه من البيت الى النعش وذلك
كله برفق وحسن سمت ووقار وليحذر عند ذلك مما يفعله اكثر الناس
وهو انهم عند اخراج الميت يقيمون الضجه العظيمة نسا ورجالا وقد
يختلطون وهو الغالب ويسمون ذلك وداعا للميت وقياما بحقه وذلك
كذب منهم وافتر المخالفتهم في ذلك للسنة المطهرة والغالب ان يكون
مع ذلك لطم الخدود وما شاكله مما تقدم منعه في الشرع فليحذر من
هذه جهده ولا يمنع احد من البكا الجايز في الشرع ما لم يكن معه
رفع صوت او لطم او شي من العوايد الردية المعهوده عندهم الممنوعة

شرعا

شرعا والصبر عن البكا اجمل لمن استطاع وليحذر من هذه البدعة التي
يفعلها اكثرهم وهو ان الغاسل اذا دخل لتغسيل الميت يقيمون اذ ذاك الضجه
العظيمه ويفعلون نحو ما تقدم من افعالهم المذكورة قبل بل يزيد النسا على
ذلك فعلا قبيحا وهو ان الغاسله اذا دخلت لتغسيل الميته قام النسا اليها بالشتم
والضرب وهي على علم من ذلك بالعادة فتاخذ حذرها وتختبا منهن ويقلن
لها يا وجه الشوم فتقول هي لهن جوابا انما انت الشوم عند كن الى غير ذلك
من الالفاظ الرديه ثم بعد حين يمكنها من تغسيل الميته بعد ان تعظهن
وتذكرهن بان هذا بقضا الله تعالى وقدره وهذا كله مخالف للشريعة
المطهرة فليحذر منه وبالله التوفيق وكذلك يحذر مما يفعله بعضهم وهو
انهم اذا اخذوا في غسل الميت وقد تقدم ان الموضع موضع اعتبار ورجوع وسكون
وهم يفعلون اذ ذاك ضد المراد ويكثرون اللغط مع الغاسل والحاملين لان في
ذلك الوقت يقع الاتفاق على اجره الغسل والمشاححة فيها وتقع صيحة عظيمه
اذ ذاك وهو ضد ما امروا به من التذكر والاعتبار كما تقدم فيحتاج ولي
الميت ان يحتاط له بما يقطع مادة هذه الاشيا الممنوعة في الشرع الشريف
بان يتفق مع الغاسل والحاملين قبل الاتيان بهم على شي معلوم لا نزاع
بينهم فيه بعد ذلك حتى يسلم من الوقوع فيما تقدم ذكره وقد كان
السلف رضوان الله عليهم ليس لهم غاسل ولا حمال باجارة بل كانوا يغسل
بعضهم بعضا ويتزاحمون على النعش ابتغا الثواب فيحملونه بالنوبة والعمل
عليه الى اليوم ببلاد الحجاز غالبا فمن قدر على هذا فيها ونعمت ومن عجز
عنه فيتربل ما يتوقع مما تقدم ذكره بالاتفاق على شي معلوم وكذلك يحذر
مما يفعله اكثرهم في هذا الزمان وهو ان الغاسل او الغاسلة اذا فرغا من غسل
الميت وتكفينه ياتون به الى حضرة الرجال ان كان رجلا او الى النسا ان كانت
امراة حتى ياخذون شيا من حطام الدنيا من الحاضرين وذلك بدعة
ومخالفة للسنة المطهرة لان من السنه اكرام الميت بتعجيل دفنه وقد
روي الجماعة السته عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اسرعوا بجنايزكم فان تك صالحة فخير تقدمونها
اليه وان تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم انتهى وهولا يتركونه

بعد تجهيزه لغير ضرورة شرعية بل للبدعة والرغبة في حطام الدنيا وذلك
منهم فعل قبيح شنيع فليحذر من هذا بما تقدم ذكره من الاتفاق على
شي معلوم ليرد به ما احدثوه من البدعة والله المسول في المنح والتجاوز
وليحذر من هذه البدعة التي يفعلها بعضهم وهو ان الما الذي يغسل به
الميت يجتمع تحت دكة الغسل ويعملون ترابا حولها ليرد الما ان يسيل من
نواحيها الاربعة فاذا فرغوا من الغسل رفعوا الدكة ونزحوا من الما ما امكنهم
ثم يخلطون ما بقي منه بذلك التراب ثم يحملونه ويرمونه خارج البيت
فتتنجس ايديهم واجسادهم وثيابهم ثم بعد ذلك ياخذون الميت ويحملونه
حتى يخرجوه من البيت ويضعوه على النعش من غير ان يغسلوا ما بهم
من ذلك فينجسون الكفن ونحن قد امرنا بطهارته وهذا عكس الحال
فليحذر من هذا جهده فاذا اخذ في اخراجه الي النعش فليحذر من
هذه البدعة الاخري التي يفعلها اكثرهم وهي حضور شخص يسمونه
بالمدبر فيزكي الميت على الله تعالى بمثل قوله العبد الشهيد القاضي الصدر
الرئيس الصالح العابد الخاشع الورع كهف الفقرا والمساكين والمراة السعيدة
الشهيدة الي غير ذلك من الفاظهم المعهودة عندهم المنهي عنها في الشرع
الشريف التي جمعت بين التزكية والكذب الصراح والمحل محل صدق
واخلاص ورجوع الي المولي سبحانه وتعالى فقابلوه بضد المراد منهم
والميت في هذا الوقت مضطر الى الدعا له واظهار فقره ومسكنته واضطراره
واحتياجه الى رحمة ربه سبحانه وتعالى وهم ياخذون في نقيض ذلك كله
فانا لله وانا اليه راجعون ثم ان المدبر لم يكتف بالتزكية للميت والكذب في حقه
حتى يفعل ذلك في حق غيره من الاحيا نحو قوله ليتقدم سيدنا القاضي
الصدر الرئيس وما اشبه ذلك من التزكية المنهي عنها في الشرع ثم
بعد ذلك يقول فلان الدين ينعته بغير اسمه الشرعي وقد
تقدم ما في النعوت من المنع وتعظيمه لكل واحد منهم على قدر ما
يرجوه منه في الحال او في المال وقد تقدم ان الموضع موضع تواضع
ورجوع وتوبة وما يفعلونه من حضور المدبر وما يرضون به من اقواله
وافعاله نقيض ذلك كله وعكس حال السلف رضي الله عنهم في هذا

المحل

المحل وليحذر من هذه البدعة التي يفعلها اكثرهم وذلك ان من مات له ميت
بموضع وكان بقربه مسجد ياتون اليه ويجلسون فيه ينتظرون خروج الجنازة
والمسجد انما بني للصلاة وما اشبهها لا للجلوس فيه لانتظار الموتي فينزه المسجد
عن الجلوس فيه لغير ما بني له وبعضهم يدخل ولا يصلي التحية وقد قال
تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه قال علماونا رحمة الله عليهم
في معناه انها تغلق ولا تفتح الا وقت الصلوات ويدخل في ذلك كل من اراد
الصلاة فيه او انتظارها في اي وقت كان وليحذر مما يفعله اكثرهم من حضور
القرا اذ ذاك ويبسط لهم حصير على الطريق او بسط او هما معا فيجلسون
عليها ويقرون القران وفي ذلك من مخالفة الشرع الشريف اشيا فمنها ان
القران ينزه عن ان يقرا في الطرق وفي الاسواق وفي مواضع النجاسات
اذ الغالب على الطرق ما هو معلوم من كثرة بول الدواب وغيرها ومن
لا يتحفظ من بني ادم والقران ينزه عن ذلك ومنها ان الطرقات محل المرور
فيها لا للجلوس وقد نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الجلوس على الطرقات
فمن جلس فيها لغير ضرورة شرعية فهو غاصب لذلك الموضع في وقته
ذلك ومن غصب شبرا من ارض طوقه يوم القيمة الي سبع ارضين وهم
غاصبون للمواضع التي جلسوا فيها للقراة في وقتهم ذلك حتى ينصرفوا ومنها
ما يفعله القرا في قراتهم من شبه الهنوك والترجيعات كترجيع الغنا
حتى انك اذا لم تكن حاضرا معهم في موضعهم وتسمعهم لا تفرق بينهم وبين
المغاني غالبا وهذا اشاهد منهم مريي من فعلهم وهو من اكبر القبايح
لو سلم من المحرم المجمع عليه وهو الزيادة في كتاب الله تعالى والنقصان
منه عمدا وقد تقدم ما في ذلك في اول الكتاب فاغني عن اعادته ومنها
انهم ياتون بالقرا فكان ينبغي ان لو كان ذلك من السنة ان يكون قراتهم
بحضرة الميت لان القران اذا قري تتنزل الرحمة لعل ان يعم الميت ويعمهم
لكن يفعلون ضد ذلك ويتركونهم يقرون في الطرق فيا لله يا للعجب
اين ذهبت العقول لو لم يكن للشرع الشريف في ذلك امر ولا نهي لكان
فعله قبيحا شنيعا فكيف والشرع ينهي عنه فالحاصل من ذلك انهم تركوا
امر الشرع ودلالة العقل وفعلوا ما زين لهم اللعين وقد نقل الباجي

رحمه الله في كتاب سنن الصالحين وسنن العابدين ان ابليس اللعين
يقول العجب لبني ادم يحبون الله ويعصونه ويبغضوني ويطيعوني
وليحذر من هذه البدعة الاخرى التي يفعلها اكثرهم وهو انهم ياتون لجماعة
من الناس يسمونهم بالفقرا الذاكرين يذكرون امام الجنايز جماعة على صوت
واحد ويتصنعون في ذكرهم وينطقون به على طرق مختلفه كل طايفه
لها طريق في الذكر وعادة تختص بها فيقولون هذه طريق المسلمية
مثلا وهذه طريقه كذا وهذه طريقة كذا كما جرت عادتهم في اختلافهم
في الاحزاب التي يقرونها فيقولون هذا حزب الزاويه الفلانيه وهذا
حزب الزاويه الفلانيه وهذا حزب الرباط الفلاني وهذا حزب الرباط
الفلاني وهذا حزب الرباط الفلاني كل واحد لا يشبه الاخر فالباتم العجب
منهم كيف ياتون بالفقرا للذكر على الجنازة للتبرك به وهم عنه بمعزل لانهم
يبدلون لفظ الذكر بكونهم يجعلون موضع الهمزة يا وبعضهم ينقطع نفسه
عند اخر قوله لا اله ثم يجد اصحابه قد سبقوه بالايجاب فيعيد النفي في
المرة الثانيه معهم وذلك ليس بذكر ويودب فاعله ويزجر لقبح ما اتى به
من التغيير للذكر الشرعي واذا كان ذلك كذلك فاين البركه التي حصلت بحضورهم
على انهم لو اتوا بالذكر على وجهه لمنع فاعله لانه محدث في الدين وقد تقدم وليحذر
من هذه البدعة الاخرى التي يفعلها اكثرهم وهي قريبه العهد بالحدوث
واول من احدثها والٍ كان بمصر وهي تكبير الموذنين مع الجنازة وقد تقدم
فيجتمع بسببهم مع القرا والفقرا الذاكرين والمديرين ومن يتابعهم في
فعلهم فيبقى في الجنازة غوغا وتخليطا وتخبيط فاين هذا من امتثال
الاية الكريمه واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون وقد
تقدم ما في زعقات الجميع مما لا ينبغي ويزيد بعضهم زعقات النسا من
خلفهم وكشف الوجوه واللطم وما اشبه ذلك على ما هو مشاهد معلوم
منهم وهذا وما شاكله ضد ما كانت عليه جنايز السلف الماضين رضي
الله عنهم اجمعين لان جنايزهم كانت على التزام الادب والسكون والخشوع
والتضرع حتى ان صاحب المصيبة كان لا يعرف من بينهم لكثرة حزن
الجميع وما اخذهم من القلق والانزعاج بسبب الفكرة فيما هم اليه صايرون

وعليه

وعليه قادمون حتى لقد كان بعضهم يريد ان يلقى صاحبه لضرورات
تقع له عنده فيلقاه في الجنازة فلا يزيد على السلام الشرعي شيا لشغل
كل منهما بما تقدم ذكره حتى ان بعضهم لا يقدر ان ياخذ الغدا تلك الليلة
لشدة ما اصابه من الجزع كما قال الحسن البصري رضي الله عنه ميت غد يشيع
ميت اليوم وانظر رحمنا الله واياك الى قول عبد الله ابن مسعود رضي الله
عنه لمن قال في الجنازة استغفروا لاخيكم فقال له لا غفر الله لك فاذا كان
هذا حالهم في تحفظهم من رفع الصوت بمثل هذا اللفظ فما بالك فيما يفعلونه
مما تقدم ذكره فاين الحال من الحال فانا لله وانا اليه راجعون فعلى
هذا فينبغي بل يتعين على من له عقل ان لا ينظر الى افعال اكثر اهل
الوقت ولا لعوايدهم لانه ان فعل ذلك تعذر عليه الاقتدا بافعال السلف
واحوالهم فالسعيد السعيد من شد يده على اتباعهم فهم القوم الذين
لا يشقى بهم من احبهم اذ ان المحب لمن احب مطيع وقد تقدم ما في الدخول
بالميت الى المسجد والحالة هذه لكن بقي شي لم يتقدم ذكره فيتعين التنبيه
عليه وذلك ان بعض من يعتنون به من الموتى يتركونه بعد ان
يصلى عليه في المسجد ويقفون عنده يدعون ويطيلون في الدعا
وبعضهم يفعل ما هو اكثر من ذلك وهو تكبير الموذنين اذ ذاك على ما
تقدم من زعقاتهم ويطولون في ذلك والسنة التعجيل بالميت الى دفنه
ومواراته وفعلهم بضد ذلك فليحذر من هذا والله المستعان وقد تقدم
ان الصلاة على الميت في المسجد مكروه على مذهب مالك رحمه الله
جايزة على مذهب الشافعي رحمه الله فالزيادة على ذلك هي البدعه
وقد تقدم الكلام على شروط وجوب الصلاة وفرايضها وسننها وفضايلها
لكن بقيت شروط الصلاة على الجنازة واركانها وسننها وشروطها
سبعة وهي طهارة الحدث وطهارة الخبث وستر العوره واستقبالها
القبله وترك الكلام وترك الافعال الكثيرة والنية واركانها اربعة
اربع تكبيرات والدعا والتسليم والقيام مع القدرة وسننها ستة
الاولى رفع اليدين في التكبيرة الاولى الثانيه الحمد والثنا على الله
تعالى والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الثالث الدعا للمومنين

والمومنات الرابعه التيامن في السلام واخفاوه الخامسة ان يكون في جماعة
السادسة ان يوضع الميت بين يدي المصلي وراسه الي جهة المغرب
وموضع قيام المصلي في وسط الرجل وفي المراة عند منكبها على مذهب مالك
رحمه الله لانه يخاف عليه ان قام وسطها ان يتذكر بذلك ما يفسد الصلاة
او ما ينزه الصلاة عنه وهذا اذا كان الميت ممن يغسل ويصلى عليه فيخرج
بذلك ثلث من الموتى لا يغسلون ولا يصلى عليهم وهم الشهيد بين الصفين
في نصرة التوحيد والثاني السقط اذا لم يستهل صارخا ولا حكم لحركته
والثالث الكافر اذا مات على كفره وقد ورد في الدعا في الصلاة على الميت
احاديث واثار جملة وقد جمع الشيخ ابو محمد ابن ابي زيد رحمه الله غالب
ذلك في الدعا الذي ذكره في رسالته وهو قوله الحمد لله الذي امات واحيى
والحمد لله الذي يحيي الموتى له العظمة والكبريا والملك والقدرة والسنا
وهو على كل شي قدير اللهم صلي على محمد وعلى ال محمد كما صليت ورحمت وباركت
على ابرهيم وال ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد اللهم انه عبدك وابن
عبدك وابن امتك انت خلقته وانت رزقته وانت امته وانت تحييه
وانت اعلم بسره وعلانيته جينا شفعا له نشفعنا فيه اللهم انا نستجير بحبل
جوارك له انك ذو وفا وذمه اللهم قه من فتنة القبر ومن عذاب جهنم
اللهم اغفر له وارحمه واعف عنه وعافه واكرم نزله ووسع مدخله واغسله
بما وثلج وبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس وابدله
دارا خيرا من داره واهلا خيرا من اهله وزوجا خيرا من زوجه اللهم ان
كان محسنا فزد في احسانه وان كان مسيا فتجاوز عنه سياته اللهم
انه قد نزل بك وانت خير منزول به فقير الى رحمتك وانت غني عن
عذابه اللهم ثبت عند المسلة منطقه ولا تبتله في قبره بما لا طاقة له
به اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده تقول هذا باثر كل تكبيره وتقول
بعد الرابعه اللهم اغفر لحينا وميتنا وحاضرنا وغايبنا وصغيرنا وكبيرنا
وذكرنا وانثانا انك تعلم متقلبنا ومثوانا اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولايمتنا
ولمن سبقنا بالايمان مغفره عزما والمومنين والمومنات والمسلمين
والمسلمات الاحيا منهم والاموات اللهم من احييته منا فاحيه على

الايمان

الايمان ومن توفيته منا فتوفه على الاسلام واسعدنا بلقايك وطيبنا للموت
واجعل فيه راحتنا انك على كل شي قدير ثم تسلم فان كانت امراة قلت اللهم
انها امتك ثم تتمادي بذكرها على التانيث غير انك لا تقول وابدلها زوجا
خيرا من زوجها لانها قد تكون زوجا في الجنة لزوجها في الدنيا ونسا الجنة
مقصورات على ازواجهن لا يبغين بهم بدلا والرجل يكون له زوجات
كثيره في الجنه ولا يكون للمراة ازواج فان كان طفلا فيثني على الله تبارك
وتعالى ويصلي على نبيه ثم يقول اللهم انه عبدك وابن عبدك
وابن امتك انت خلقته وانت رزقته وانت امته وانت تحييه اللهم
فاجعله لوالديه سلفا وذخرا وفرطا واجرا وثقل به موازينهما وعظم به
اجورهما ولا تحرمنا واياهما اجره ولا تفتنا واياهما بعده اللهم الحقه بصالح
سلف المومنين في كفالة ابرهيم عليه السلام وابدله دارا خيرا من داره
واهلا خيرا من اهله وعافه من فتنة القبر ومن عذاب جهنم تقول
ذلك باثر كل تكبيره وتقول بعد الرابعة اللهم اغفر لاسلافنا وافراطنا
ومن سبقنا بالايمان اللهم من احييته منا فاحيه على الايمان ومن
توفيته منا فتوفه على الاسلام واغفر للمومنين والمومنات والمسلمين
والمسلمات الاحيا منهم والاموات ثم يسلم ولا باس ان تجمع الجنايز في
صلاة واحدة ويلي الامام الرجال ان كان فيهم نسا وان كانوا رجالا
جعل افضلهم مما يلي الامام وجعل دونه الصبيان والنسا من ورا ذلك
الى القبلة انتهى فان كان ماموما ولا يعرف ما هو الميت اواحد او اكثر
او ذكرا او انثى او صغيرا او كبيرا فانه ينوي ان يصلي على من صلى عليه
الامام ثم يدعوا بالدعا المتقدم ذكره على ما تقدم فاذا اخرج الميت من
موضع الصلاة عليه فقد تقدم كيفيه خروجه على السنه وما
يتعاطونه من غيرها وهم يستمرون على ذلك الى ان يصلوا بها
الى موضع خارج عن الاسواق يسمونه بدرب الوداع نادا وصلوا
اليه فعلوا كلما تقدم ذكره من عوايدهم من القرا والفقرا الذاكرين
والمودنين ثم يفعلون عند ذلك ايضا افعالا مخالفه للسنه المطهرة
منها انهم يضعون النعش هناك ويقف ولي الميت والمدير ينادي

امامه في الناس ان ياتوا الى التعزيه ويتكلم بالفاظ معلومه محتويه على الكذب
والتزكيه كما تقدم فياتون التعزيه واحد بعد واحد والمدير يزكي ويثني على
كل واحد منهم كما تقدم والتعزيه جايزه قبل الدفن ان لم تحصل للميت بسببها
تاخير عن مواراته فان حصل ذلك فيمنع والادب في التعزيه على ما قاله علماونا
رحمة الله عليهم ان يكون عند رجوع ولي الميت بعد الدفن الى بيته وسياتي
بيان صفتها في موضعه ان شا الله تعالى ثم ان من عزى منهم اكثرهم يرجعون
من ذلك الموضع والمشيعون للجنايز انما يشيعها من يشيعها منهم لامرين او
لاحدهما وهما الصلاة عليها ودفنها او للصلاة عليها ليس الا فمن خرج للصلاة عليها
فانصرافه من حيث صلى عليها ومن خرج لهما معا فانصرافه بعد مواراتها وكذلك
من يخرج للدفن فقط لعذر به عن الصلاة وهم يرجعون من الموضع الذي يسمونه
بدرب الوداع وهو ليس بواحد من الموضعين المتقدمي الذكر ومن تكون
فيه محذورا على مذهب مالك رحمه الله لان من مذهبه ان من دخل
في عمل قربة يلزمه اتمامه وهم قد شرعوا في التشييع من الموضع الذي
صلى على الجنازة فيه الى الموضع الذي يسمونه بدرب الوداع كما تقدم وهذا
عمل قربة قد شرعوا فيه فيتعين عليهم اتمامه وهو ان يتبعوه الى ان يواري
بالتراب الا ترى الى قول مالك رحمه الله لما ان سيل عن النسا يصلين صلاة
العيد قيل له اينصرفن قبل الخطبة فقال لا من دخل في عمل وجب
عليه اتمامه فلا ينصرفن حتى يفرغ الامام من خطبته وان كن لا يسمعنها
او كما قال لان صلاة العيد ليست بواجبه عليهن فلما ان شرعن فيها لزمهن
اتمامها على سنتها وذلك بسماع الخطبة بعد الصلاة فكذلك ما نحن
بسبيله اذ ان اتباع الجنايز ليس بواجب فمن تبعها بعد الصلاة عليها
فقد شرع في قربة فيلزمه اتمامها والاتمام لا يكون الا بمواراتها والله
الموفق وبعضهم اذا كان له ميت يعتنون به يتركونه عند درب
الوداع ساعة يقرون ويذكرون ويكبرون كما تقدم من فعلهم بعد
الصلاة على بعض الموتى ويسمونه وداعا وهو مخالف للسنة لان
السنة اكرام الميت بالتعجيل بدفنه ثم ان القرا والذاكرين والمكبرين في
الغالب يرجعون من هذا الموضع ثم العجب من فعلهم ذلك لانهم يزعمون

انهم

انهم انما يفعلون ما يفعلون للتبرك فكان ينبغي على ما زعموا ان يصحبوا الميت
بذلك كله الى ان يواري في قبره فلما ان اقتصروا بما فعلوا في الاسواق
والطرق دون غيرها كان ذلك دليلا على ان ما يفعلونه انما هو لاجل الناس
ثم ان السنة في تشييع الجنازة ان من شيعها يمشي معها حتى تدفن وهم
يفعلون غير هذا لانهم يتبعونها حتى يصلوا عليها ويمشوا معها الى درب
الوداع فاذا اتوا اليه فمنهم من يمشي ومنهم من يركب وكل يسلك ما يختاره
من الطرق فيسبقون الجنازة الى القبر وتبقى الجنازة تجري بها الحمالون
ولا يتبعها الا القليل من الناس ومن شده جري الحمالين بها ترى الميت
يهتز على النعش وراسه يخفق وبدنه يضطرب ويتمخض فواده وربما
كان ذلك سببا الى خروج شي من الفضلات من جوفه الى فمه او دبره
فيذهب المعنى الذي لاجله امرنا بغسل الميت وهو الاكرام للقا الملايكه
وهذا فيه تشنيع من الفعل واصل ذلك كله انما نشا عن مخالفة السنة
والنظر اليها والتبرك بمراسمها لانها لا تفعل في شي الا حلت البركة فيه وذهب
كل ما يتخوف منه من المفاسد فليحذر من هذا جهده والله الموفق فان قال
قايل ان كثيرا من الناس لا يقدرون على المشي معها لاستعجال الحمالين
بها فالجواب ان الاستعجال هنا مكروه لمخالفة السنة المطهرة ولما يخشى
ان يخرج من الميت كما تقدم فيمنعون من العجلة التي تودي الى الضرر
بالميت وبمن يمشي معه وهذا عكس ما يمشون به حين الخروج به من
بيته الى موضع الصلاة عليه ومنه الى درب الوداع فانهم يمشون به الهوينا
وقد جا النهي عنه لما ورد لا تدبوا بها كدبيب اليهود وقد قال
علماونا رحمة الله عليهم ان السنه في المشي بالجنازة ان يكون
كالسائر المسروع في حاجته وهذا المامور به هو وسط بين ما يفعلونه
اولا من الدبيب بها واخرا من الاستعجال الذي يضر بها وكان سبب ذلك
قواما فكان السنه عند اكثرهم لا يعرفونها اذ انهم لو علموها لما تركوها لان
السنة لا يتركها احد مع عدم الضرورة وليس ها هنا ضروره داعية الى
تركها فانا لله وانا اليه راجعون ويكون الماشون امامها والركاب
خلفها الى قبرها لان الماشي افضل من الراكب فيقدم رجا قبول

شفاعته لان حاله حال تواضع وافتقار والمحل قابل لذلك ثم اذا مشى الرجال
امامها والركبان خلفها فالسنة ان لا يتكلم احد مع احد لان الكلام في هذا
المحل لغير ضرورة شرعية بدعة اذا انهم ذاهبون للشفاعة يرجون قبولها
فيشتغلون بما هم اليه صايرون فيكون كل واحد منهم مشتغلا في نفسه
بالاعتبار وبالدعا للميت او لنفسه او للمسلمين او لجميع ذلك كله وقد كان
السلف رضي الله عنهم في حضورهم جنايزهم يتناكر بعضهم من بعض كما تقدم
ذكره اذا دخل عليهم شهر رمضان حتى اذا رجعوا الى البلد تعارفوا على
عادتهم في ودهم الشرعي ثم العجب من بعضهم في كونهم يسبقون الجنازة
ويجلسون ينتظرونها ويتحدثون اذ ذاك في التجارات والصنايع وفي
محاوله امور الدنيا ومن كان على هذه الصفة كيف ترجى قبول شفاعته
بل بعضهم يفعل ذلك والميت يقبر في الغالب بل بعضهم يتضاحكون
حين يتكلمون واخرون يتبسمون واخرون يستمعون وكل ذلك مخالف
للسنة المطهرة فانا لله وانا اليه راجعون وينبغي ان يشرع اولا
في حفر القبر قبل الاخذ في غسله وقد كان الغالب على حال
السلف رضي الله عنهم ان يحفر بعضهم لبعض كما تقدم في الغسل
وعلى ذلك اكثر اهل الحجاز الى اليوم ولا باس باجارة من يحفره وينبغي
ان يكون الحفر في المقبرة لانه يومن عليه فيها بخلاف ان لو دفن في
غيرها فانه لا يومن النبش عليه او وصول النجاسات اليه او يدفن
في ارض مستعارة اعني لا اصل لها كالكيمان وما شابهها وذلك كله
ليس بحرز للميت لانه قد ينبش او يبنى عليه وانما حرزه مقبرة المسلمين
وينبغي لولي الميت ان يختار له الدفن عند العلما والاوليا والصالحين
للتبرك بهم لما ورد هم القوم لا يشقى بهم جليسهم ولما ورد عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ما زال جبريل يوصي بالجار حتى ظننت
انه سيورثه فلعل بركة الجوار وهو الغالب ان تعود على من جاورهم
ونزل بساحتهم وقد مضت عادة السلف رضي الله عنهم ان يختاروا
الدفن عند قبور الابا والاقارب عند عدم القدرة على الدفن عند
الاوليا والصالحين فان اجتمعا فحسن او ينبغي ان يكون الذي يحفر

القبر من اهل الدين والخير والامانة لانه اذا لم يكن على هذه الصفة فقد يجد في
الموضع اثر ميت فيزيله او يكسره وذلك لا يجوز لان الموضع حبس على من دفن
فيه حتى لا يبقى منه اثر البتة ثم بعد ذلك يتصرف فيه واما مع وجود شي
منه فلا يجوز ومن فعل ذلك فهو غاصب لموضع الميت الاول والتحلل منه متعذر
فيتحفظ من هذا جهده وبعض الناس في هذا الزمان يحفرون ويرمون
عظام الموتى بعد تكسيرها بموضع اخر وهو محرم فان لم يجد موضعا يحفر
فيه بسبب اثار الموتى التي هناك فليخرج عن المقبرة الى التربة قليلا بحيث
يكون متصلا بها فهو ابرا للذمة ويراعي مع ذلك ان يكون قريبا من
الطريق دون شي يستره عن المار من مثل جدار او غيره فلعل ان تناله
بركة من يمر على تلك الطريق من المسلمين فلعل من يترحم عليه منهم
لان الميت مضطر الى ذلك كان من كان وحكمه دفن الميت في الصحرا كما
تقدم ذكرها وذلك خلاف ما يفعلون في هذا الزمان وهو ان من
كان له رياسة ومال عمل له تربة في البلد ودفن فيها فتصيبه النجاسات
وتمر عليه السرايات فيتماع الميت فيها وكذلك يفعلون في المقبرة يبنون
فيها البيوت ويعملون فيها السرايات وبعضهم يبنون الابار والحمامات
وقد تقدم قبح ذلك وما فيه من المخالفة للشرع الشريف واذا كان ذلك
كذلك فيتعين ان يبعد بالحفر عن هذه المواضع حتى لا يصل الى الميت
شي من النجاسات او الرطوبات واذا حفر القبر فينبغي ان يكون
من يحفره ممن يعرف القبلة معرفة جيدة ولا يعمل على ما يجده
من المحاريب في القبور لان الغالب عليها التحريف عن القبلة لان
اكثر من يضعها لا يعرف شيا من علم ذلك فيقع بسببه الخطا والخلل
فان لم يكن عارفا بذلك فيتعين عليه ان ياتي بمن يعرف الحكم
في ذلك حتى يكون القبر الى القبلة بالسوا وينبغي له بل يتعين
عليه ان يحفر للميت على طوله او ازيد قليلا حتى اذا دخل في قبره
يكون دخوله فيه بالسوا وعلى ذلك مضى السلف والخلف وهذا
بخلاف ما يفعله بعض اهل الوقت في انهم يخالفون السنة في
صفة حفر القبر فيحفرونه من اعلاه ضيقا ومن اسفله طول الميت

او اقل منه وذلك لا يجوز لان الغالب في الموتى انهم لا يمكن ان يتناوله الرجل
الواحد اعني من التحفظ على دخول الميت الى القبر على السنة باحترامه
فيحتاج الي اكثر من الواحد ومذهب مالك رحمه الله انه ليس له حد
من شفع او وتر ولكن قدر ما يحتاج اليه الميت ويقوم به ويكون ذلك
برفق وتودة حتى كان الميت لا يتحرك لوجود التلطف به في ادخاله
الى قبره واذا كان كذلك يحتاج ولي الميت ان ياخذ قياسه ويحفر له علي
قدر ذلك او ازيد قليلا ويكون ذلك بالسوا من اعلي القبر الى اللحد حتى
يدخل الميت في قبره بالسوا كما تقدم ويكون من يدخله في قبره من اهل
العلم والخير والصلاح لانه اخر عهده بالدنيا واول منزل يحل فيه من
منازل الاخرة فينبغي ان يكون اخر عهده بمن اتصف بما تقدم ذكره
وينبغي ان لا يمكن الحفارين بالاجرة في هذا الزمان ان يدخلوه في
قبره لعدم اتصافهم بالعلم والصلاح غالبا واذا اراد وان يدخلوه الي
قبره فيكون المتناولون له من اهل الخير والصلاح كما تقدم فيسل الميت
من جهة راسه ويتناولونه قليلا قليلا برفق واكثر الناس في هذا الزمان
يفعلون ضد ذلك وهو ان الحفار يتناوله حتى اذا نزل اكثره
جعله على ركبتيه ثم يرمه بشدة فيقع في القبر وهو يضطرب
وفي ذلك اخراق لحرمة الميت وقد يكون ذلك سببا لخروج الفضلات
منه كما تقدم فليحذر من هذا او ما شاكله ثم انهم يدخلونه القبر منكوسا
على راسه وذلك يمنع لثلاثة معان احدها مخالفة السنة المطهرة
لان السنة قد مضت ان يدخل في قبره بالسوا كما تقدم والمعنى الثاني
انه اذا ادخل على راسه فقد تنزل المواد الى فمه وانفه فتخرج كما
تقدم الثالث ما فيه من التفاول اول منزل من منازل الاخرة
يدخلونه فيه منكوسا على راسه اسال الله السلامة منه وليحذر
من ان يكون اللحد ضيقا عليه لان الغالب على كثير منهم انهم
يدخلون الميت القبر فلا يسعه فيحتاجون الى معالجة ذلك
ولا تقع المعالجة بعد ادخال الميت في قبره الا باخراق حرمته فيحتاج
ان يكون اللحد اطول من الميت حتى يدخل فيه دون معالجة كما

تقدم

تقدم ثم ياخذ في لحده فيزيل ما كان عليه من الرباط من ناحية راسه ومن
ناحية رجليه ثم يزيل الرباط الذي قد كان جعله على عينيه واذنيه
وعلى فمه وانفه ولا يزيل شيا من القطن وان راى عليه ازرا وكذلك
الحروف الذي جعلها قبل اذا راي عليها ذلك ثم يحل الرباط الذي في
ابهامي رجليه وكذلك يحل الرباط الذي في كميه ويسرح ثم يضجعه على
جنبه الايمن ويكون في الكفن كانه في فراشه بعضه تحته وباقيه مغطي
به ثم يلصقه الى جهة القبلة ولا يجعل تحت راسه شيا ويكون بالسوا
على الارض بجسده لان الموضع موضع ذل وافتقار وليس بموضع رفع
راس ولا غيره وقد قال عمر ابن الخطاب لولده عبد الله رضي الله
عنهما لما ان غشي عليه في سكرات الموت فاخذ عبد الله راسه
فرفعها على فخذه فلما ان استفاق من غشوته قال ضع راسي على الارض
لا ام لك وقد روي عنه ايضا انه قال افضوا بالحي الى الارض فاذا كان هذا
حال امير المومنين عمر ابن الخطاب مع ما خصه الله به من الماثر العظيمة
مع نبيه صلى الله عليه وسلم فما بالك بغيره فهو احرى بمباشرة الارض
دون حايل وارتفاع عليها بشي ما وهذا بعكس ما يفعله بعض الناس
في هذا الزمان فانهم يجعلون تحت الميت شيا يقيه من التراب بل بعضهم
يزيد على ذلك بان يجعل تحته طراحة وتحت راسه وسادة وليحذر من
هذه البدعة التي يفعلها اكثرهم وهو انهم اذا جاوا الى لحده ازالوا تلك
الحروف المذكورة واخرجوا القطن الذي ارسلوه معه في فيه وانفه كما
تقدم وصفه عنهم يخرجونه من خلفه وتخرج المواد مع ذلك ويبقى فوه مفتوحا
وفي ذلك من السوء واخراق حرمة الميت ووجود النجاسة في القبر وذهاب
المعنى الذي امرنا بغسله وكذلك يحذر مما يفعله بعضهم من انهم
يجعلون التراب في عينيه ويقولون عند ذلك لا يملا عين ابن ادم
الا التراب ولا فرق في الشرع في اثم فاعل ذلك كما لو كان حيا او هذا
اشد لانه يتعذر التحلل من الميت اسال الله السلامة منه بل يحل الرباطات
كما تقدم للبس الاول ويكون في ذلك كله يغمض عينيه مهما قدر فاذا
اضجعه على جنبه الايمن فلتكن اليد اليمنى من الميت امامه واليسرى

على جنبه الايسر ثم ياخذ حجرا كبيرا فيركزه فى الارض ويسند الميت به من
خلف ظهره ولا يقتصر على اسناد الميت من خلف ظهره بالتراب وحده دون
هذا الحجر لانه اذا اسند بالتراب لبس الا خرجت الفضلات فينحل التراب
بها او نها فيستلقى الميت على ظهره فيميل عن جهة القبلة والمقصود دوامه
مستقبلها حتى يفنى او يفعل الله تعالى فيه ما يشا ويختار ثم اذا فرغ من
اسناده بالحجر جعل خلف الحجر ترابا يسنده من راس الميت الى قدمه
ويكون مع ذلك خاشعا منذللا فان كان القبر حجرا صلبا ليس فيه تراب
فلا باس ان يوتى بالرمل يفرش تحت الميت للضرورة الداعية الى ذلك
لانه ان بقى دونه ارماع فى قبره ويشترط فى الرمل ان يكون طاهرا وهذا
بخلاف ان لو كان القبر سبخا او ترابا فان الاتيان بالرمل بدعة لانه لم ينقل
عن السلف رضى الله عنهم بخلاف ما اعتاده بعض الناس فى هذا الزمان
وهو انهم ياتون به فيفرشونه تحته لغير الضرورة المتقدم ذكرها وهو خلاف
السنة كما تقدم فاذا فرغ من كل ما تقدم ذكره فى لحد الميت فيتربص
قليلا قبل ان ياخذ فى سد اللحد على الميت ليتذكر حينيذ هل نسى شيا
مما تقدم وصفه فان كان معه غيره ممن يعلم الحكم فى ذلك كان اولى
فمن نسى منها فعل الاخر بذكره ثم ياخذ فى سد اللحد ويمتثل السنة
فى ان يقول مع ذلك ما رواه ابو داود عن ابن عمر ان النبى صلى الله
عليه وسلم كان اذا وضع الميت فى قبره قال بسم الله وعلى سنة رسول
الله واستحب ذلك الشافعى وقال بعد التسمية اللهم اسلمه اليك
الاشحا من اهله وولده وقرابته واخوانه وفارق من كان يحب
قربه وخرج من سعة الدنيا والحياة الى ظلمة القبر وضيقه ونزل بك
وانت خير منزول به ان عاقبته فبذنب وان عفوت فاهل العفو
انت غنى عن عذابه وهو فقير الى رحمتك اللهم اشكر حسنته واغفر
سيئته واعذه من عذاب القبر واجمع له برحمتك الامن من
عذابك واكفه كل هول دون الجنة اللهم فاخلفه فى تركته فى
الغابرين وارفعه فى عليين وعد عليه بفضل رحمتك يا ارحم الراحمين
وذكر الشيخ ابو محمد ابن ابى زيد رحمه الله انه يقول اذا سوى اللبن
اللهم

اللهم انه قد نزل بك وخلف الدنيا وراء ظهره وافتقر الى ما عندك وانت غنى عن
عذابه اللهم ثبت عند المسلة منطقه ولا تبتله فى قبره بما لا طاقة له به
وينبغى له ان يتجنب ما احدثه بعضهم من انهم ياتون بما الورد ويجعلونه
على الميت فى قبره وذلك لم يرد عن السلف رضى الله عنهم واذا لم يرد فهو بدعة
ثم العجب منهم كيف ياتون بما الورد ويخرجون القطن من فمه وانفه ويخرج
المواد اذ ذاك ويشم الروايح الكريهة ويتنجس المحل فلا باحد انهم النجاسة
فى القبر ولا يرشهم ما الورد وقد تقدم هذا وليس من السنة ان يبخر القبر
ولا ان يفرش فيه ريحان لانه خروج عن فعل السلف ويكفيه من الطيب
ما قد عمل له وهو فى البيت فنحن متبعون لا مبتدعون فحيث وقف سلفنا
وقفنا ثم يسد عليه اللحد وقد ذكر بعضهم ان يسد بالالواح ولهم فى اللبن
اتساع ان كان طاهرا وطهارته اليوم معدومة فى الغالب واذا كان ذلك
كذلك فالحجر يقوم مقامه ثم يليس ما بين الحجرين بالتراب الطاهر المعجون
بالما الطاهر وان كان لا يغنى عن الميت شيا لكن وردت السنة به فيتبع
ويسد الخلل حيث كان فاذا فرغ منه فقد تم لحده فيصعد اذ ذاك ويهال
عليه التراب قال ابن حبيب يستحب لمن كان على شفير القبر ان يحثو فيه
ثلاث حثيات من تراب وفى كتاب ابن سحنون عن مالك انه قال سمعت
من امر به ولا اعرفه انتهى وينبغى ان لا يقرا احد اذ ذاك القران
لوجهين احدهما ان المحل محل فكرة واعتبار ونظر فى المال وذلك
يشغل عن استماع القران والله تعالى يقول فى كتابه العزيز واذا
قرى القران فاستمعوا له وانصتوا والانصات متعذر لشغل القلب
بالفكر فيما هو اليه صاير وعليه قادم الوجه الثانى انه لم يكن من فعل
من مضى وهم السابقون القدوة المتبعون ونحن التابعون فيسعنا ما
يسعهم فالخير والبركة والرحمة فى اتباعهم وفقنا الله لذلك بمنه فاذا
فرغوا من اهالة التراب عليه فليرفعوا القبر قليلا عن الارض
ويكره ان يوتى بتراب اخر حتى يكثر ويرتفع القبر به والسنة ان يكون
القبر لاطيا مع الارض لكن بعد ان يرتفع عن الارض قليلا كما تقدم
واختلف هل يسطح القبر او يسنم على قولين فايما فعل منهما كان حسنا ولا

تجصص القبر وكره مالك ان يرصص على القبر بالحجر والطين وان يبنى عليه بطوب
او احجار قال الامام ابو عبد الله القرطبي رحمه الله في تفسيره لما ان تكلم
في سورة الكهف على قوله قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم
مسجدا روي مسلم عن جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان تجصص القبور وان يقعد عليه وان يبنى عليه وخرجه ابو داوود
والترمذي ايضا عن جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
تجصص القبور وان يكتب عليها وان يبنى عليها وان توطا قال الترمذي
هذا حديث حسن صحيح انتهى وروى النساي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه نهى عن تجصيص القبور وهو سصصها وروى ابو داوود
وان يزاد عليه انتهى ومن القرطبي وروى ابو داوود وان يزاد عليه
انتهى مسلم عن ابي الهياج الاسدي قال قال لي علي ابن ابي طالب
الا ابعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
لا ادع تمثالا الا طمسته ولا قبرا مشرفا الا سويته في رواية ولا صورة
الا طمستها واخرجه ابو داوود والترمذي قال علماونا ظاهره
منع تسنيم القبور ورفعها وان تكون لاطيه وقد قال به بعض
اهل العلم وذهب الجمهور الى ان هذا الارتفاع المامور بازالته
هو ما زاد على التسنيم ويبقى القبر ما يعرف به ويحترم وذلك صفة
قبر نبينا صلى الله عليه وسلم على ما رواه الدارقطني من حديث
ابن عباس واما تعليه البنا الكثير على نحو ما كانت الجاهلية تفعل
تفخيما وتعظيما فذلك يهدم ويزال فانه فيه استعمال زينة الدنيا
في اول منازل الاخرة وتشبيها بمن كان يعظم القبور ويعبدها وباعتبار
هذه المعاني وظاهر النهي ينبغي ان يقال هو حرام والتسنيم في
القبر ارتفاعه قدر شبر ماخوذ من سنام البعير ويرش عليه
بالما لئلا ينتشر بالريح وقال الشافعي لا باس ان يطين القبر وقال
ابو حنيفة لا يجصص القبر ولا يطين ولا يرتفع عليه بنا والدفن
في التابوت جائز لاسيما في الارض الرخوة انتهى ولا يجعل القبر
مربعا ويستحب ان يعلم عند راسه بحجر والاصل في ذلك ما رواه

ابو داود باسناده ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ان دفن عثمان ابن مظعون
امر رجلا ان ياتيه بحجر فلم يستطع حمله فقام اليه النبي صلى الله عليه وسلم
فحسر عن ذراعيه ثم حمله فوضعه عند راسه وقال اعلم به قبر اخي وادفن
اليه من مات من اهلي فاذا فرغوا من ذلك فلينصرفوا عنه وينبغي ان لا
يقرا شي من التصديقات وما شابهها للوجهين المتقدمين الذكر في قراة
القران اذ ذلك ثم ياخذون في الانصراف وموضع التعزية على تمام الادب
اذا رجع ولي الميت الى بيته وتجوز قبله اعني قبل الدفن وبعده كما تقدم
وينبغي ان يتفقده بعد انصراف الناس عنه من كان من اهل الفضل
والدين ويقف عند قبره تلقا وجهه ويلقنه لان الملكين عليهما السلام
اذ ذاك يسالانه وهو يسمع قرع نعال المنصرفين عنه وقد روى ابو
داوود في سننه عن عثمان رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا لاخيكم
واسالوا له التثبيت فانه الان يسال وروى رزين في كتابه عن علي
رضي الله عنه انه كان يقول بعد ما يفرغ من دفن الميت اللهم هذا
عبدك نزل بك وانت خير منزول به فاغفر له ووسع مدخله انتهى
وقد كان سيدي ابو حامد ابن البقال وكان من كبار العلما والصالحين
اذا حضر جنازة عزى وليها بعد الدفن وانصرف مع من ينصرف فيتوارى
هنيهة حتى ينصرف الناس ثم ياتي الى القبر فيذكر الميت بما يجاوب به
الملكين عليهما السلام ويكون التلقين بصوت فوق السر ودون الجهر
فيقول يا فلان لا تنس ما كنت عليه في دار الدنيا من شهادة ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله فاذا اتاك الملكان عليهما السلام وسالاك
فقل لهما الله ربي ومحمد نبيي والقران امامي والكعبة قبلتي وما زاد
على ذلك او نقص فخفيف وما يفعله كثير من الناس في هذا الزمان
من التلقين برفع الاصوات والزعقات بحضور الناس قبل انصرافهم
فليس من السنة في شي بل هو بدعة وكذلك لو فعلوه بعد انصراف
الناس عنه على هذه الصفة فهو بدعة ايضا وقد سالت سيدي
ابا محمد رحمه الله فقلت له ينبغي للمكلف ان يكون يحفظ هذا التلقين في

التجاوب

حياته حتى يكون متيسرا على لسانه اذ ذلك فانزعج وقال انما التجاوب
عملك ان كان صالحا فصالحا وان كان سيا فسيا فحصل العمل فهو يكفيك
فانه العدة التي ينجي بها بفضل الله تعالى لا اللقلقة باللسان او كما قال
وقد امر الشرع بالتعزيه فقال عليه الصلاة والسلام ليعزي المسلمون
في مصايبهم المصيبة بي وهذا امر منه عليه الصلاة والسلام لامته وتسليته
لهم فاما الامر فقوله عليه الصلاة والسلام ليعزي المسلمون في مصايبهم
واما التسليه فقوله عليه الصلاة والسلام المصيبة بي فاذا تذكر المومن
ما اصيب به من فقد النبي صلى الله عليه وسلم هانت عليه جميع المصايب
واضمحلت ولم يبق لها خطر ولا بال وقد ورد في التعزيه الفاظ متعددة
قال بعضهم واحسن التعزية ما جا في الحديث اجركم الله في مصيبتكم
واعقبكم منها خيرا انا لله وانا اليه راجعون وينبغي ان يعزى الرجل
في صديقه لانه من المصايب وكذلك يعزي الرجل في زوجته الصالحة
لانها من المصايب وقد ذكر الفقها في كتبهم الفاظ التعزيه على
اختلافها ومن يعزي ومن يعزى فيه وليس هذا موضعها وقد
روي البخاري ومسلم عن انس ابن مالك ان النبي صلى الله عليه
وسلم اتى على امراة تبكي على صبي لها فقال اتق الله واصبري
فقالت وما تبالي بمصيبتي فلما ذهب قيل لها انه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخذها مثل الموت فاتت بابه فلم تجد على بابه بوابين
فقالت يا رسول الله لم اعرفك قال انما الصبر عند اول صدمة وروى
الترمذي عن ابي سنان قال دفنت ابني سنانا وابو طلحة الخولاني
جالس على شفير القبر فلما فرغت قال الا ابشرك قلت بلى قال
حدثني ابو موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملايكته قبضتم ولد عبدي
فيقولون نعم فيقول قبضتم ثمرة فواده فيقولون نعم فيقول ماذا
قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع ابنوا لعبدي بيتا في
الجنة وسموه بيت الحمد وقد روى البخاري عن ابي هريرة رضي
الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله ما

لعبدي

لعبدي المومن عندي جزا اذا قبضت صفيه من اهل الدنيا ثم احتسبه
الا الجنة انتهى وينبغي لاهل الفضل والدين ان يراعوا التعزية في الدين
اكثر كما نقل عن بعضهم انه قال فاتتني الصلاة في جماعة فعزاني فيها فلان
ولم يعزني غيره ولو مات لي ولد لعزاني فيه مايه الف او كما قال وما ذاك الا
لان مصيبة الدين عند اهل الدين اعظم من مصيبة الدنيا عكس ما الحال
عليه في هذا الزمان وليحذر من هذه البدعة التي يفعلها بعضهم
وهو انهم يحملون امام الجنازة مع الحمالين في الاقفاص الخرفان والخبز
ويسمون ذلك بعشا القبر فاذا اتوا الى القبر ذبحوا ما اتوا به بعد الدفن
وفرقوه مع الخبز ويقع بسبب ذلك مزاحمة وضراب وياخذ ذلك
من لا يستحقه ويحرمه المستحق في الغالب وذلك مخالف للسنة من وجوه
الاول ان ذلك من فعل الجاهلية لما رواه ابو داود عن انس عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال لا عقر في الاسلام والعقر هو الذبح عند القبر
كما تقدم الثاني ما فيه من الريا والسمعة والمباهاة والفخر لان السنة في
افعال القرب الاسرار بها دون الجهر فهو اسلم والمشي بذلك امام الجنازة
جمع بين اظهار الصدقة والريا والسمعة والمباهاة والفخر ولو تصدق
بذلك في البيت سرا لكان عملا صالحا لو سلم من البدعة اعني ان يتخذ
ذلك سنة او عادة لانه لم يكن من فعل من مضى والخير كله في اتباعهم
رضي الله عنهم كما تقدم غير مرة وليحذر من هذه البدعة التي احدثها
بعض من لا يعتني بحكمة الشرع في اوامره ونواهيه واشاراته وهي
ادخال الميت في الفسقيه التي احدثوها وهي بدعة في نفسها فكيف
بما يفعل منها فمن ذلك انهم يفرشون تحت الميت فيها طراحة او قطيفة
او غيرهما ويضعون تحت راسه وسادة ويغطونه كانه مضطجع في بيته
ويجعلون عنده من المشموم ما امكنهم من الياسمين والريحان وغيرهما
ويسمون ذلك عنده فيها وموضع الفسقيه فيه ظلمة لانه تحت الارض
وليس له موضع يدخل منه الضو الا من موضع بابها وهو ضيق
فيحتاجون في الغالب الى دخول الضو معهم وذلك فيه تفاول بدخول
النار في هذا المحل حتى ان بعضهم يقد الشمع ويتركه موقودا عنده

ليلا يبقى فى الظلام ويسد عليه باب الفسقيه وهدا فيه اضاعة المال مع
ماتقدم من التفاول ومخالفة السنة وقد تقع دلك على الميت قبل
ان ينطفى فيحرقه او يحرق ماعليه او يحرق غيره ان كان معه مع انه
لا فايدة فى الوقود لانه لا يدوم لو لم يكن فيه ماتقدم دكره من المحدور
لان الفسقيه اداسد بابها امتنع دخول الهوا اليها والنار لا تتقد الا مع
وجود الهوا فان لم يكن خمدت فى الغالب لكن قد لا تخمد حتى تجرى على
الميت او الموتى ماتقدم من الحريق ولان الموضع موضع خشاش وهوام
وقد امر النبى صلى الله عليه وسلم المكلف ان يطفى المصباح قبل نومه وعلل
دلك بان الفويسقه تضرم على اهل البيت بيتهم نارا والنوم هو الوفاة الصغرى
وذلك ممتنع معه فلا يفعل دلك فى الكبرى من باب اولى واحرى وجعل
الميت فى الفسقيه يمنع لوجوه الاول مخالفة السنة المطهرة فى ترك الدفن
وكفى بها لان من هو فى الفسقيه غير مدفون ادانه لا فرق بين
جعله فى الفسقيه او فى بيت فى دار ويغلق عليه فهذا او الحالة
هده لا يطلق عليه انه مدفون فقد تركوا الدفن وهو شعيره من شعاير
المسلمين وقد امتن الله عز وجل فى كتابه العزيز علينا بالدفن فقال
تعالى الم نجعل الارض كفاتا احيا وامواتا فالستر فى الحياه ما يصرف
فيه الانسان من ضرورات البشرية فى خلوته مما يكره ان يطلع عليه
غيره وستر عوراته فيه والستر فى الممات ستر جيف الابدان اد لولا
نعمة الاقبار لكان اسوعه بين الاشكال ويقال ان ما فى جميع الحيوان
اشد كراهة من رايحة جيفة الادمي فستره الله تعالى بالدفن اكراما
له وتعظيما ومن وضع فى الفسقيه فقد ترك ما امتن الله به عليه من
نعمة الدفن وقد روى ابو داود ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل
على ابى طلحة ابن البرا يعوده فقال عليه السلام انى لا ارى اباطلحة
حدث فيه الموت فادا توفى فعجلوا فانه لا ينبغى لجيفة المسلم ان تجلس
بين ظهرانى اهله انتهى ومن جعل فى الفسقيه فاهله يكشفون
عليه فى كل وقت مات لهم ميت فقد يعرفون ما يعترى من حال من
كشفوا عليه من موتاهم ويشمون الروايح الكريهه منه وهو يكره فى

حال

حال حياته ان يشم منه بعض دلك وادا كان كدلك فلا فرق بين ان يكون
فى الفسقيه او بين ظهرانى اهله فيمنع لما فيه من خرق حرمته لانهم
يدخلون عليه ميت اخر وان كان قريب العهد ممن قبله كشفوا حاله
وما هو فيه من النتن والدود وغيرهما حتى لقد حكى ان امراه نزلت
فى فسقيه لوضع ميت لها فيها فوجدت ابنة لها كانت قد دفنت من مدة
قريبة راسها ووجهها يغليان دودا فذهب عقلها وهدا هو الوجه الثانى
الوجه الثالث ان باب الفسقيه ضيق كما هو مشهود مرئي وتحبس فيه
الروايح الكريهه فادا فتح لجعل ميت اخر وكان قريب العهد ممن قبله خرجت
تلك الروايح الكريهه ان كان الميت طريا فادت كل من حضر الجنازة واما
من ينزل اليها فانه يجد من الكلفة والمشقة النهاية وقد يكون دلك
سببا لمرضه او موته او هما معا الوجه الرابع انهم يدخلونه منكوسا
على راسه وقد تقدم ما فى دلك من القبح حين ادخال الميت القبر
فهو فى الفسقيه اجدر بالمنع لان بابها اضيق من الشق الدى يعملونه
فى القبر الوجه الخامس انه قد اختلف علماونا رحمة الله عليهم فيمن
الحد ميتا وسقطت منه فى القبر نفقه او لولوه او شى له قيمة كبيره
فلم يدكره الا بعد ان اهل عليه التراب او بعضه هل يكشف ما اهيل
عليه من التراب وياخذ ما سقط منه لان النبى صلى الله عليه وسلم نهى
عن اضاعة المال وتركه من اضاعة المال او لا يجوز دلك لان فيه كشفا
على الميت بعد مواراته بالتراب ودلك خرق لحرمته ولما يخشى
ان يكون قد تغير حاله الى امر مغيب عنا فيكشف عليه وينهتك
ستره بدلك ودلك ممنوع فى الشرع الشريف فادا كان هدا الخلاف
فيمن سقط منه شى له قيمة كبيره فما بالك ممن يكشف عنه لغير ضروره
شرعيه فهو احدر بالمنع الوجه السادس ما فيه من القبح بهتك
الستر عمن فيها ودلك ان اهل تلك الفسقيه قد ينقرضون عن اخرهم
وينكشفون فيبقون بمراى ممن يمر عليهم من الناس ودلك كشفة
لهم وهتك لحرمتهم وهدا موجود ظاهر حتى لقد روى بعض
اهل القسانى وحمار ميت قد طرح عليهم فانظر بعين الانصاف

ما اشنع هذا واقبحه على مقتضى العقل فكيف والشريعة قد نهت عنه ودمته فلا هم ممتثلون لامر الشرع فى ذلك ولا هم يرجعون لمقتضي العقل لان العقل يابى ذلك اسال الله السلامة بمنه الوجه السابع ما حرمهم الشيطان من بركة الدفن وما فيه من الستر الاترى ان المدفون اذا خرجت منه الفضلات شربتها الارض فيبقى نظيفا فى قبره ومن وضع فى الفسقيه يماع فى النجاسات التى تخرج منه وتحل من جسده الوجه الثامن ان اداخله فى الفسقيه فيه ما فيه من الفخر والكبر لان الغالب انما يفعله الا المتكبرون والموضع موضع ذل وافتقار واضطرار واظهار المسكنه والاحتياج لا اظهار العز والكبر الوجه التاسع ما يفعله بعضهم من تبليط الفسقيه وذلك فى حال الحياة لا ينبغي فما بالك به بعد الممات اذ ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج من الدنيا ولم يبن لبنه على لبنة فاقل ما يمكن فى حق المكلف ان يتمثل ذلك بعد موته الوجه العاشر ما ازداد بعضهم من تبييض داخل الفسقيه حتى يبقى كالبيوت التى يتفاخر بها ابنا الدنيا بعضهم على بعض فى حال الحياه وذلك يمنع كما تقدم فى التبليط سوا بل هذا اشد الوجه الحادى عشر ان ما يفعلونه سبب لانبعاث الحشرات والنجاسات عليه وذلك انه يماع فى قبره وتكثر الروايح لعدم التراب والحشرات تتبع للروايح حيث كانت وكذلك الكلاب والضباع والذباب وذلك بخلاف القبر لما تقدم من انه يشرب الفضلات من الميت الثانى عشر ما فى ذلك من تيسير المعصية على من ارادها لان السرقه معصيه كبري اذا كانت فى حق الاحيا فما بالك بها فى حق الموتى ووضع الميت فى الفسقية فيه تيسير على من ابتلى بنبش القبور اذ انه لا يحتاج فى ذلك كبير كلفه فى الدخول اليه الا انه يفتح الباب ليس الا ويتيسر عليه حينيذ ما يريده وفاعل المعصيه ومن ييسرها عليه شريكان فى الاثم الثالث عشر ان من تحفظ منهم على المسير على النباش يحتاجون الى البنا الحصين والابواب المانعة والحراس ومن يسكن فيها او الي جانبها ويبول ويتغوط

والسراب

وقف بورواق الربايقة بالازهر تحت يد الشنواني لعن الله من غيره ابداد امين

والسراب سريع سريانه تحت الارض فيؤل ذلك الى تنجيس من هناك من الموتى بنجاسه اجنبيه عنهم وذلك كله مع هذه الاحوال الرديه يحتاج الى كلفة من تحصيل دنيا لاجل البواب والقيم والخادم ومن يحرس وجعل مصانع لهم فتزيد العداوة بذلك فيتماع الميت فى قبره وقد احكمت السنة بالدفن فى الصحرا للسلامة من هذه المفاسد وغيرها وقد تقدم ذلك ما فيه كفاية واغنى عن اعادته الوجه الرابع عشر ان فى فعلها من ارتكاب النهى لان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن التشبه بالاعاجم وما كان ابتدا فعلها الا من جهتهم ويسرى ذلك الى بعض الناس مع كونهم لا يشعرون بارتكاب هذا النهي الصريح نسل الله السلامة بمنه الخامس عشر ان من دفن فى القبور على ما احكمته الشريعه له حرمة لكون قبره ظاهرا ولا تاتى لاحد حفره ولا ان يبنى عليه ولا ان يجعل عليه سربا بخلاف الفسقيه فانها فى باطن الارض غير مرتفعة كالقبر فى الغالب وليس للميت فى الارض اسم يعرف به فيكون ذلك سببا الي البنا عليها حين دثورها او غيره من ارسال سراب او جعل مرحاض وما اشبه ذلك السادس عشر انها قد تخسف وهو الغالب فينقض بها من تخسف به وقد يهلك فيبقى بعد ذلك بعثرة لمن يمر وشنعة على من فيها حتى ان بعض من لا يعرف الشرع ليطيل النظر فيها حتى يعرف الذكر من الانثى وذلك لا يجوز سيما ان وقع السيل فيكون ذلك اعظم فى الكشفة وهتك الستر وذهاب حرمة المومن الوجه السابع عشر من اوصى انه يدفن فى فسقيه فانه لا تنفذ وصيته وقد قال عبد الحكم فيما هو ايسر من هذا وهو ان من اوصي ان يبنى على قبره بيت فقال لا ولا كرامة انتهى فالمنع هنا من باب اولى واحرى الوجه الثامن عشر انها تبقى ماوى للصوص ومن لا خير فيه يتخابون فيها ويجعلون فيها ما يختارون من السرقه وغيرها حتى يتصرفوا فى ذلك فكانت سببا للستر عليهم وقد وقع ذلك الوجه التاسع عشر ان الفسقيه تمسك مواضع تسع جماعة من الموتى فان كانت الارض وقفا فيكون غاصبا لما عدا موضع جسده

لانه مستحق للغير ممن مات من المسلمين وليس له ان يحفر فيها قبل
موته وان كانت مباحة فليس له ان يحفر فيها الا قدر ضرورته وما يواريه
منها اذا مات واشد منعا من الفسقية ما اعتاده بعض من لا يقدر
على كلفه النفقة فى الفسقيه اذا مات لهم ميت نزلوه على الميت المتقدم
لهم حتى ان بعضهم ليوصى بذلك وهو لا يجوز لما تقدم من ان الكشف
على الميت بعد مواراته محرم ولان الموضع حبس عليه فلا يجوز لغيره ان
يدفن معه فيه عدة اللهم الا ان يكون الموضع فيه من الحرارة او السبخه
بحيث يعلم ان الميت الاول قد فنى ولم يبق له اثر فلا باس اذا مثل
المعلا بمكة لشدة حرارته والبقيع بالمدينه لشدة سبخته فيفنى
الميت فيهما سريعا حتى انه لا يوجد له الا التراب ولهذا المعنى كان
عمر ابن الخطاب رضى الله عنه يحرث البقيع بعد سنين ويدفن
فيه اعنى قبور من تحقق خلو القبر منهم وليحذر من هذه البدعة
التى اعتادها بعضهم وهي جعل الرخام على القبور وهى بدعة وسرف
واضاعة مال وفخر وخيلا وكذلك كلما جر اليه وليحذر من ان يجعل على القبر
الواحا من خشب عوضا من الرخام وكذلك يحذر ان يجعل عليه درابزين
اذ ان هذا كله من البدع المكروهة فى الشرع الشريف وقد تقدم صفة
القبر على السنة فكل ما خالفه فهو بدعة مكروهة واضاعه مال وفخر
وخيلا كما تقدم وليحذر مما يفعله بعضهم من نقش اسم الميت وتاريخ
موته على القبر سوا كان عند راس الميت فى الحجر المعلم به قبره وان
كان الحجر من السنة على الصفة المتقدمة او كان النقش على البنا
الذي اعتادوه على القبر مع كون البنا على القبر ممنوعا كما تقدم
او كان فى بلاطة منقوشة او فى لوح من خشب واشد من ذلك
ان يكون على عمود كان رخاما او غيره والرخام اشد كراهة وكذلك
لو كان العمود من خشب فيمنع ايضا ثم انظر رحمنا الله تعالى
واياك الى البدعه كيف تجر الى المحرم الا ترى ان بعضهم لما ان يكتب
بدعه النقش وفى ذلك ايات من القران واحتوت مع ذلك على
اسم من اسما الله تعالى او على اسم النبى صلى الله عليه وسلم الى غير

ذلك

ذلك مما له حرمة فى الشرع الشريف ثم تندثر تلك التربة وتندثر اهلها ومعارفها
فيقع ذلك فى الارض ان سلم من السرقة وقد يبيعه السارق لمن يجعله
فى مواضع لا تليق به مثل عتبه باب او فى موضع مرحاض ويجعل ناحية
الكتب الى الارض ان كان مسلما ولا يشعر بما عليه من الاثم فيه واما ان
باعه لنصرانى او يهودي فذلك اعظم لانهم يقصدون امتهان ما تعظمه
الشريعه المحمديه وان سلم من السرقه فيبقى موطا بالاقدام ممتهنا
حتى كانه لا حرمة له وذلك ممنوع فى الشرع الشريف فليحذر من
ذلك جهده وكذلك يمنع ان يقف عند راس الميت عمودا وان لم ينقش
عليه شئ سوا المنقش كان من رخام او حجر او خشب او غير ذلك لانه من
باب الخيلا والسرف واضاعة المال وذلك ممنوع فى حال الحياة فما بالك
به بعد الوفاة وفيه من القبح ان فاعل ذلك يريد الظهور وبقا اسمه
واثره بعد الموت ان كان اوصى بذلك او كان تحته مال لم يكن وفعله
عليه غيره فبدعه ذلك مختصه بفاعلها لان ذلك كله ممنوع فى الشريعه
المطهره ولا باس بذكر ماثر الصالحين والعلما والاوليا ما لم يكن منقوشا
على القبر او على جدار او فى ورقة ملصوقة هناك فاذا كان هذا ممنوعا
فما بالك بالشمع الغليظ الكبير الذي ليس به حاجة للوقود لو
كان سايغا فلم يبق الا ان يكون ذلك اضاعة مال وكذلك يمنع ما يفعله
بعضهم من تعليق قنديل على قبر من كان مشهورا بالخير والناس يعتقدونه
لياتى الناس الى مكان الضوء فيزوروا لان الفرض الواجب مثل
الحج وغيره اذا كان لا يمكن المكلف ان ياتى به الا حتى يرتكب محرما
كاخراج الصلاة عن وقتها وما يشبهه ان الفرض ساقط عنه فاذا
كان هذا فى الفرض فما بالك به فيما ليس بواجب وزيارة القبور
ليست بواجبة فكيف يفعل مع وجود مفاسد وقد تقدم بعض
ما يقع فى زيارة القبور بالليل من المفاسد فاغنى عن اعادته ومما
يدل على منع هذه الاشيا ان بعض اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم تفرقوا فى الاقاليم وماتت كثير منهم فيها فى الجهاد
وغيره ولم ينقل انه نقش على قبر واحد منهم ولا علق عليه قنديل

ولا عمل عليه لبين لك من العلامات الداله عليه ويدلك على صحة هذا
المعنى انه لا يعرف من تبوءهم الا الفذ النادر وهم القدوة ونحن الاتباع
ولو كان ذلك امرا معمولا به لبادرت الامة الى فعله ولاشتهر الحكم فيه
حتى لا يخفى على متاخري هذه الامة وايضا ففي النقش على القبر مفسدة
اخرى وهي ان بعض الناس يريدون الشهرة لقبورا ولبائهم فينقشون
عليها اسم من مضى من المتقدمين من العلما والصالحين لكي يهرع
الناس الى زيارتهم وهذا النوع كثيرا ما يقع من بعض الجهلة بدينهم
او الفسقة فليحذر من هذا جهده وليحذر مما يفعله بعضهم من
انهم يعملون على القبر سقفا من مذهب ويجعلون هنالك تصاوير
وهذا فيه من القبح ما هو ظاهر بين الا ترى ان العلما رضي الله عنهم
اختلفوا في الاستظلال بالسقف الذي فيه الذهب هل يجوز للاحيا
ان يدخلوا تحته ام لا فاذا كان هذا ممنوعا في حق الاحيا فما بالك به في حق
الموتى اذ انهم يحتاجون الى اظهار الفقر والاحتياج والاضطرار اكثر من
الاحيا وفي فعل السقف المذهب من ظهور الفخر والخيلا ما هو مذموم
في حق الاحيا فما بالك به في حق الموتى لما تقدم ذكره واما الصور
فهو نقيض المراد لان الملايكه لا تحضر موضعا فيه صورة والمومنون
يطلبون حضور الملايكه عند ميتهم رجا بركتهم ليغفر له فاذا امتنعت
الملايكه من الحضور حصل ضد البركه والخير اسال الله السلامة بمنه وبالجمله
فالبدعة اذا عملت في شي كثرت المفاسد فيه وقل ان تحصل بضد
ما هي السنة فانها اذا امتثلت في شي نار واستنار ونجح

فصل

ويستحب تهيئة طعام لاهل الميت ما لم يكن الاجتماع للنياحة وشبهها لما
روى الترمذي وابو داود عن عبد الله ابن جعفر قال لما جا نعي جعفر
قال النبي صلى الله عليه وسلم اصنعوا لاهل جعفر طعاما فانه قد
جاءهم ما يشغلهم ولان ذلك من التقرب الى الاهل والجيران والبر بهم
فكان مستحبا وكذلك قال اصحاب الشافعي ينبغي لقرابة الميت
ان يعملوا لاهل الميت في يومهم وليلتهم طعاما يشبعهم قالوا واما اصلاح
اهل الميت طعاما وجمع الناس عليه فلم ينقل فيه شي وهو بدعة غير
مستحب

مستحب انتهى وينبغي ان يكون التلبينة من اهم ذلك لما ورد انها تذهب
الحزن وصفتها ان تكون خفيفة كانها الما الا انها بيضا لاجل الدقيق الذي
يجعل فيها ويجعل فيها شي من الملح قدر قوامها ولا باس ان يجعل فيها شي
من الزيت او السيرج او غيرهما من الادهان ثم يوقد عليها حتى تنضج فان
كانت اثخن من ذلك فهي الحريرة لا التلبينة وينبغي ان يتقدم بشربها
على الطعام كما تقدم فلو جاءهم الطعام من مواضع متعددة فينبغي ان
يتصدقوا بما فضل عنهم او يهدوه لمن يختارون وقد سيل مالك رحمه الله
عن جمع الناس على العقيقة فانكر ذلك وقال تشبه بالولايم ولكن ياكلون
منها ويطعمون ويهدون الى الجيران انتهى فاذا كان هذا قوله في العقيقة
فما بالك به في الطعام الذي اعتاده بعضهم في عمله في بيت الميت وجمع
الناس عليه قال القاضي ابو الوليد الباجي رحمه الله في كتاب
سنن الصالحين وسنن العابدين له وكان سعيد ابن المسيب
اذا دعي الى العرس اجاب واذا دعي الى الختان انتهر الذي دعاه
او رماه بالحصى وقال لا نجيبكم اهل ريا وسمعة وروي عن عبد
الله ابن مسعود انه قال الوليمة اول يوم حق والثاني معروف
والثالث سمعة ومن سمع سمع الله به وقال ازهر ابن عبد الله
من صنع طعاما لريا وسمعة لم يستجب الله لمن دعا له ولم يخلف الله
له نفقة ما انفق انتهى فاذا كان هذا في وليمة العرس والختان
فما بالك بما اعتاده بعضهم في هذا الزمان من ان اهل الميت يعملون
الطعام ثلاث ليال ويجمعون الناس عليه عكس ما حكي عن السلف
رضي الله عنهم فليحذر من فعل ذلك فانه بدعة مكروهة ولا باس
بفعله للصدقة عن الميت المحتاجين والمضطرين لا للجمع عليه ما
لم يتخذ ذلك شعارا يستن به لان افعال القرب افضلها ما كان
سرا والله الموفق وينبغي ان يتحرز من هذه البدعه التي يفعلها
بعضهم وهي انهم يوقدون السراج او القنديل في الموضع الذي
مات فيه الميت ثلاث ليال من غروب الشمس الى طلوعها وعند
بعضهم سبع ليال وبعضهم يزيد على ذلك انهم يفعلون مثله في الموضع

الذي غسل فيه الميت ولنحذر مما احدثه بعضهم وهو انهم يضعون حجرا في الموضع
الذي مات فيه الميت ويجعلون عليه سراجا يقد الى الصبح وذلك بدعة
ممن فعله ولنحذر مما احدثه بعضهم من ان ثياب الميت لا تغسل الا
في اليوم الثالث ويقولون ان ذلك يرد عنه عذاب القبر وذلك تحكم
وافترا على الشريعة المطهرة ولنحذر مما احدثه بعضهم من ان ولي
الميت يعمل العشا ثلاث ليال وقد تقدم بعض ذلك وكذلك نحذر
مما احدثه بعضهم وهو انه لا يرفع مايده الطعام في هذه الليالي الثلاث
الا الذي وضعها وكذلك نحذر مما احدثه بعضهم من ان الموضع
الذي غسل فيه الميت يوضع فيه رغيف وكوز ما ثلاث ليال بعد
موته وكذلك نحذر مما احدثه بعضهم وهو ان الميت اذا مات لا ياكل
اهله حتى يفرغوا من دفنه وكذلك نحذر مما احدثه بعضهم وهو
انهم اذا رجعوا الى البيت من الدفن لا يدخلون البيت حتى يغسلوا
اطرافهم من اثر الميت وكذلك نحذر مما احدثه بعضهم من التزام البكا بكره
وعشيه حين الغدا او العشا وكذلك نحذر مما احدثه بعضهم وهو
ان من حضر الميت عند طلوع روحه لا يعمل شغلا حتى تمضي عليه سبعة
ايام وكذلك نحذر مما احدثه بعضهم وهو ان احدهم اذا عطس على الطعام
يقولون له كلم فلانا او فلانه ممن يحب من الاحيا باسمه ويعللون ذلك
لئلا يلحق بالميت وكذلك نحذر مما احدثه بعضهم وهو ان ما كان من الما في
البيت في زير او غيره لا ينتفعون به ويطرحونه ويرون انه نجس ويعللون
بان ذلك روح الميت اذا طلعت غطست فيه وكذلك نحذر مما احدثه
بعضهم وهو ان ولي الميت ما دام حزينا على سنه لا ياكل مع جماعة حتى
ينقضي حزنه وكذلك نحذر مما احدثه بعضهم وهو ان الميت اذا مات
حزنوا عليه سنه كامله لا تختضب النسا فيه بالحنا ولا يلبس الثياب الحسان
ولا تتحلين ولا يدخلن الحمام وان حصل الاضطرار الى دخوله وقد تقدم
ما في دخول الحمام فيمتنعن من ذلك هن ومعارفهن فاذا انقضت
السنه عملن ما يعهد منهن من النقش والتكتيب والغشوش
الممنوعه في الشرع الشريف كما تقدم فيبادر الى فعل ذلك هن ومن

الزم الحزن معهن ويسمون ذلك فك الحزن ويقع لهن اجتماع حتى كانه
فرح يتجدد عند جميعهن وكذلك نحذر مما احدثه بعضهم من قولهم
ان الميت اذا لم تخرج الى زيارته ليله الجمعه يبقى خاطره مكسورا بين الموتى
ويزعمون انه يراهم اذا خرجوا من سور البلد وكذلك نحذر مما احدثه
بعضهم من قولهم بان الموتى يتفاخرون في قبورهم بالاكفان وحسنها ويعللون
ذلك بان من كان من الموتى في كفنه دناءة يعايرونه بذلك ويحكون
على ذلك منامات كثيره يطول تتبعها مما لا اصل لها ولا فايدة لذكرها
وكذلك نحذر مما احدثه بعض النسوة وذلك ان من كانت منهن يعز
عليها الميت تخرج في جنازته مكشوفه بغير ردا وكذلك نحذر مما احدثه
بعضهم من التزام صبحة القبر وهو تبكيرهم الى قبر ميتهم الذي دفنوه بالامس
واقاربهم ومعارفهم واي من غاب منهم عنها وجدوا عليه حتى كانه
ترك فرضا متعينا وكذلك نحذر من جعل بعضهم ثوبا منشورا على
القبر وكذلك نحذر مما احدثه بعضهم من فرش البسط وغيرها في التربه
لمن ياتي الى الصبحة وغيرها وقد تقدم الكلام على ذلك ومنعه
وكذلك نحذر مما احدثه بعضهم من نصب الخيمة على القبر وكذلك
نحذر مما احدثه بعضهم من وقود الشمع وغيرها في الليل على القبر
وكان ينبغي ان لا يقرب الميت بشي من اثر النار اصلا لما ورد في الحديث
من النهي عن اتباع الميت بالنار فما بالك بها توقد عند القبر وكذلك
نحذر مما احدثه بعضهم من انهم اذا دفنوا الميت سكنوا عنده مدة في بيت
في التربه او بقربها وهم مع ذلك يقدون الاحطاب الكثيره لضروراتهم
فيقولون عليه بوقودها عنده ويبولون ويتغوطون هنالك وبعضهم
يقعد لتمام الشهر ويتعاهدونه بعد ذلك ويفعلون عنده الاشيا
المعهودة منهم لتسري النجاسة اليه كما سبق وهذا موضع النهي لما
ورد من النهي عن الجلوس على المقابر وقد حمل علماونا رحمة الله عليهم
النهي على جلوس الانسان لحاجته على القبر فاذا كان هذا منهيا عنه
وهو على وجه الارض ظاهر وتنسفه الشمس وتنسفه الرياح وتنشره
التراب ويزيله من راه غاليا فما بالك بما يفعلونه حين اقامتهم عنده

من البول والغايط في الكنيف الذي هناك وتسري الرطوبه النجسه
الى الميت في قبره منه لانه تحت الارض فتسرع النجاسه اليه كما تقدم
واذا كان ذلك كذلك فهو اشد من قضا الحاجة عند القبر وعليه فالمنع
من ذلك من باب اولي وكذلك يحذر مما احدثه بعضهم من فعل
الثالث للميت وعملهم الاطعمة فيه حتى صار عندهم كانه امر معمول
به ويشيعونه كانه وليمة عرس ويجمعون لاجله الجمع الكثير الاهل
والاصحاب والمعارف فان بقي احد منهم لم ياتي وجدوا عليه الوجد
العظيم ثم انهم لم يقتصروا على ذلك حتى يقروا هناك القران العظيم على
عوايدهم المعهودة منهم بالالحان والتطريب الخارج عن حد القراه المشروعة
بسبب الزيادة والنقصان المتفق على تحريمها وياتون مع ذلك
بالفقرا يذكرون ويحرفون الذكر عن وضعه على الترتيب المعروف
عندهم وبعضهم يزيد على ذلك فياتي بالموذنين يكبرون كتكبير العيد
على ما مضي من عادتهم وقد صار هذا الحال في هذا الزمن امرا معمولا
به حتى لو تركه احد منهم لكثر فيه القيل والقال فكيف لو انكر ذلك ثم
انضم اليه انهم يتكلفون فيه التكلف الكثير لاجل ما يحتاجونه من العوايد
في ذلك ومنهم من ياتي بالواعظ الى الرجال وبالواعظه الى النسا ويزيدون
في اقوالهم وينقصون ويحرفون بعض ذلك ويقيمون غير المراد ويتفوهون
باطلاق اشيا لا ينبغي ذكرها على روس الاشهاد وقد تقدم ما في ذلك
من الذم فيما مضى من الكتاب وقد تقدم ما في الاجتماع للسماع وما في
السماع مما لا ينبغي وتلك القبايح والمفاسد موجودة في الاجتماع
للثالث والسابع وتمام الشهر وتمام السنه وفي اي موضع فعل ذلك فيه
من بيت او عند قبر او غيرهما كل ذلك يمنع وكذلك يحذر مما احدثه
بعضهم من فعل التهليلات لموتاهم وجمعهم الجمع الكثير لذلك كما تقدم
في غيره وقد تقدم الذكر جهرا وجماعة وما فيه ويحتجون على فعل
ذلك بما حكي عن بعض الشيوخ من المتاخرين انه راي في منامه
بعض الموتي في عذاب فذكر لا اله الا الله سبعين الف مرة
ثم اهداها له فراه في منامه بعد ذلك في هيه حسنة فساله عن

دلك

ذلك فاخبره انه قد غفر له بما اهداه له ثواب السبعين الفا وهذا ليس فيه
دليل من وجهين احدهما انه في منام والمنام لا يترتب عليه حكم والثاني
انه انما فعلها وحده في خاصه نفسه واهدى له ثوابها ولم يجمع لذلك الناس
كما يفعلون في هذا الزمان من الشهرة حتى صار ذلك عندهم امرا معمولا به
واما لو فعل ذلك احد في خاصة نفسه واهدي ثوابه لمن شا فلا يمنع لانه
قد فعل خيرا وكذلك يحذر مما احدثه بعضهم من ترك الفرش التي
تجعل في بيت الميت للجلوس من ياتي الى التعزية فيتركونه كذلك حتى تمضي
سبعه ايام ثم بعد ذلك يزيلونه وكذلك يحذر مما احدثه بعضهم من زرع شجرة
او صبارة او ريحان او غير ذلك عند القبر ويعللونه بوجهين احدهما ان الملايكه
تحضر موضع الخضرة تذكر الله تعالي والثاني ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما ان مر على قبرين وهما يعذبان فاخذ جريده رطبة فشقها نصفين
فجعل نصفها على احد القبرين والنصف الثاني على الاخر وقال لعله
يخفف عنهما ما لم ييبسا وهذا ليس فيه حجة اما الوجه الاول فيرده ما
تقدم من المعنى الذي لاجله شرع الدفن في الصحرا وهو ان يبقى الميت
في قبره نظيفا لعطش الارض التي يدفن فيها الميت فاي فضلة خرجت
شربها التراب والغرس عند القبر يستدعي ضد ذلك لانه يحتاج
الى السقي بالما وذلك يزيل هذه الحكمه لاجل ان القبر تبقى مبلولا من
داخله فلا يشرب الفضلات فيماع الميت في قبره بسبب ذلك فيصير اذا
لا فرق بين دفنه في الارض الترب او بنقره له في الحجر الصلب وقد مضي
بيان ذلك واما الوجه الثاني فالجواب عنه ان قوله عليه الصلاة
والسلام لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا راجع الى بركه ما وقع من لمسه
عليه السلام لتلك الجريده وقد نص على ذلك الامام الطرطوشي رحمه
الله في كتاب سراج الملوك له لما ذكر هذا الحديث فقال عقيبه وذلك
لبركه يده صلى الله عليه وسلم انتهى وما نقل عن احد الصحابة
رضي الله عنه فلم يصحبه عمل باقيهم رضي الله عنهم اذ لو فهموا ذلك
لبادروا باجمعهم اليه ولكان يقتضي ان يكون الدفن في البساتين
مستحبا وقد قال الشيخ الامام ابو سليمان الخطابي رحمه الله في كتابه

شرح معالم سنن ابي داود السجستاني رحمه الله واما غرسه شق العسيب
على القبر وقوله لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا فانه من ناحية التبرك باثر
النبي صلى الله عليه وسلم ودعايه بالتخفيف عنهما وكانه صلى الله عليه وسلم
جعل مده بقا النداوة فيهما حدا لما وقعت به المسلة من تخفيف العذاب
عنهما وليس ذلك من اجل ان في الجريد الرطب معنى ليس في اليابس والعامة
في كثير من البلدان تفرش الخوص في قبور موتاهم واراهم ذهبوا الى
هذا وليس لما تعاطوه من ذلك وجه والله اعلم انتهى كلامه بلفظه
وكذلك يحذر مما احدثه بعضهم وهو انهم لا يستعملون الملوخيه ما داموا
في الحزن على ميتهم ويعللون ذلك بما اصطلحوا عليه من انها مجمعة الاحباب
فاذا اكلوها تذكروا ميتهم فيتجدد عليهم الحزن وكذلك يحذر مما احدثه بعضهم
من انهم لا ياكلون السمك مده حزنهم على ميتهم وذلك كله من الاحداث
في الدين والبدع وترك الوقوف مع حدود الشريعة المطهره وكان
ينبغي ان لا يذكر هذا ولا يعرج عليه لظهور باطله وسماجته وقبحه لكن
لما ان كان الشرط في الكتاب اولا التنبيه على بعض العوايد المخالفة
للسنة وقعت الحاجة الى التنبيه على بعضها ليستدل به على ما عداها
والله الموفق لا رب سواه ولا مرجو الا اياه وصلى الله على سيدنا محمد واله
وسلم **فصل في ذكر النفاس وما يفعل فيه وكان ينبغي ان
يكون** هذا الفصل متقدما على الفصل الذي قبله وهو غسل الميت
وما يتعلق به مما ذكر لان الخلق اولا ثم الموت بعده لكن لما ان
ان كانت احكام الولاده تختص بالنسا تاخر ذكرها لقوله عليه الصلاة
والسلام اخروهن حيث اخرهن الله فظهور الولد من بطن امه هو
اول خروجه الى دار التكليف فينبغي بل يتعين على ولي المولود
ان يكون ممتثلا لامر الله تعالى فيه ويتبع السنة في حقه لتعود
بركتها على المولود في ابتدا امره وبعده وقد تقدم ان المحتضر عند موته
ينبغي ان يكون على احسن حالاته فيما بينه وبين ربه عز وجل
لانه الختام فينبغي ان يكون الابتدا مثله حين بروزه الى الدنيا
يدل على ذلك ما ورد ان الحفظة اذا صعدوا بعمل العبد فان

كان

كانت الصحيفة اولها مبيضا بالحسنات واخرها مبيضا بالحسنات يقول الله عز
وجل للملايكة اشهدكم اني قد غفرت ما بينهما او كما ورد واليه الاشارة بقوله
عليه الصلاة والسلام في الحديث المشهور وفيه كيف تركتم عبادي وهو
اعلم بهم فيقولون تركناهم وهم يصلون واذا كان ذلك كذلك فينبغي الاعتنا
بامر المولود حين خروجه الى دار التكليف بان يمتثل السنة في حقه والمخاطب
بذلك وليه فلعل ان يحصل بركه الامتثال في اول دخوله الى الدنيا وفي
خروجه منها فيحصل بذلك قوة الرجا في العفو عن ما بينهما فاذا كان الولي
ماشيا في حق نفسه وفي حق المولود على طريق السنة والمنهج الاقوم
ولا يرجع في ذلك الى عوايد اكثر اهل وقته قوي الرجا في التخليص وقد
تقدم في كيفيه موت المحتضر وفي دفنه ما احدثوا فيه من البدع هذا
والمباشر لذلك الرجال غالبا ومباشرة الرجال للعلما اكثر من النسا فانهن
محجبات وتربين في الجهل غالبا بسبب ذلك فلاجل بعدهن عن العلم
واهله غالبا اتخذن عوايد رديه متعدده قل ان تحصر خالفن فيها
الشريعة المطهرة وينبغي لولي المولود بل يتعين عليه ان لا يرجع اليهن
ولا الى ارايهن ولا الى عوايدهن وان غضبن او تشوشن او ال امره
معهن الى هجرهن او فراقهن لان صلة الرحم انما هي مطلوبة في الشرع
الشريف بالاتباع والامتثال لا بالابتداع بل الابتداع اذا فعل كان قطعا
للرحم وان كان يدخل به السرور في الوقت فهو في الحقيقه قطع واذا
ذلك كذلك فيتعين على ولي المولود ان ينظر لنفسه وللمولود بلسان
العلم في كلما يعرض له وعليه من امر المولود فان لم يكن من اهله فليسل
عن ذلك اهله قال الله تعالى فاسلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
فبالسوال تتبين له السنة فيتبعها وتظهر له البدعة فيتجنبها فيدخل
بذلك في عموم قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون فتحصل
له المعية بسبب ذلك واي نعمة اكبر منها لان الباري سبحانه وتعالى
اذا كان معه فقد امن من العاهات والافات وسلم دينا ودنيا فعلى
هذا فيتعين عليه ان يكون نظره لصلة رحمه في حق المولود اولا
حين خطبته امه ان كان والدا لما ورد من قوله عليه السلام اختاروا

لنطفكم كما تختارون لصدقاتكم هذا المقام الاول في كيفيه صلة رحمه لولده
المقام الثاني حين الوطى اعني في التسميه والاتيان بالاداب المتقدم
ذكرها المقام الثالث حين الولادة وقد رايت بعض المباركين وله ولد
فيه بعض اعراض فكلمت والده في ذلك فقال لا ابالي به فانه قد امتثلت
السنة حين تزوجت لامه ولا يكون منه الا الخير وكذلك كان لما ان بلغ الصبي
وكان معه في البيت بنت عمته جات الى البيت فطلب ثوبه من خارج الباب
فقيل له الا تدخل فابى فساله والده عن موجب ذلك فقال اني قد احتلمت
البارح ولا يجل لي ان ادخل وبنت عمتي في البيت فهذه ثمرة الامتثال
اللهم لا تحرمنا ذلك يارب العالمين بمحمد واله صلى الله عليه وسلم وقد تقدم
ان البياعات والاجارات يشترط فيها ان تكون سالمة من الغرر والغش
فهاهنا اوجب ليقع الامتثال في حق المولود في مبدا امره ليحصل له البركه
والتفاول واذا كان كذلك فيكون القابلة اجارتها معلومة يتفق معها
عليها ثم بعد ذلك ان زادها شيا فحكمه حكم الهبه لا حق واجب عليه فان
احب ان يوفيها ذلك والا تركه وكذلك هي ان رات قبوله منه والا تركته
هذا اذا كان والدا واما ان كان غير والد فلا يجوز له ان يعطي ذلك
الا من مال نفسه وكذلك الوالدان كان للصبي مال واذا كان ذلك
كذلك فيتعين عليه ترك ما احدثه الناس ان القابلة تاتي علي
غير معلوم غالبا فيحصل بسبب ذلك الجهالة والغرر والمغابنه والمنازعة
والكلام الكثير بسبب مخالفة السنة في ترك الاجارة الشرعيه بل بعضهن
يري ان تعيين الاجارة عيب وقلة حشمة وترك رياسة وقد امر الله
بضد ما قالوه سوى لان السنة المطهرة اذا تركت لا يخلفها الا ضدها
فالرياسة على الحقيقه اتباع السنه فيحترز من ضدها جهده لتعود
بركه اتباعها على الجميع من المولود والولي والقابله ومن اعان علي
ذلك والله الموفق وينبغي للولي بل يتاكد في حقه ان يسال القابلة
عن كيفيه مباشرتها للمولود لان القوابل في هذا الزمان قل
ان يتحفظن من النجاسات فتباشر القابله دم النفاس وغيره
من النجاسات وتلمس المولود وما يجعل عليه من اللباس بعد ذلك

كله

كله من غير غسل النجاسات بالما الطهور وذلك لا يجوز بل بعض القوابل
يلعق المولود مما يتعلق باصابعهن من النجاسات ويعللنه بان ذلك
ينفعه لكذا وكذا وذلك كذب وبهتان ومخالفة للسنة المطهرة لما ورد ان
اول مولود ولد في الاسلام عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما فاتي به الي
النبي صلى الله عليه وسلم فحنكه بتمرة بعد ان لاكها في فمه الكريم ثم مضت
الامة على ذلك وهو انه اذا ولد لهم مولود اتو به الى من يعتقدون بركته
وخيره فيحنكه لهم رجا بركته وما تقدم ذكره من فعل القابلة ضد هذا سوا
ومنهن من اذا تعسرت الولادة على المراة اخذن لباب الخبز وجعلن في
قلبه زبل الفارة ويطعمنها ذلك من حيث لا تشعر ويعللن ذلك بزعمهن
انه يهون عليها الولادة وهذا باطل لا شك فيه لما ورد عنه عليه الصلاة
والسلام ان الله عز وجل لم يجعل شفا امتي فيما حرم عليهم واذا كان فطر
الصبي عند خروجه الى دار التكليف على الحرام قد يخاف عليه لان
الحرام له تاثير في القلب وان كان صاحبه لم يقصده ولم يشعر به ولو لم يكن
فيه الا انه تفاول ردي في كونه افطر ابتدا حاله عليه فاذا كان الولي
يسال عن مثل هذه الاشيا الخسيسة مادة المفاسد ثم يعلمها ما يجب عليها
من الاحتراز من النجاسات في حقها وحق المولود فان كان عندها علم
بذلك فيا حبذا وان لم يكن عندها علم منه فتتعلم الحكم فيه بسبب
سواله لها عنه سيما وقد نشا اكثرهن على عوايد رديه اخذنها وقد
جرت الى محرمات جملة كما قد تقدم مما اتخذوه من العادة الرديه وهي
ان غاسل الميت ياخذ ما يجد عليه فجر ذلك الي محرم وهو ان بعض اهل
الميت يتركون ميتهم مكشوفا بلا سترة او بشي يصف او يحكي وكذلك
فيما نحن بسبيله سوا وهو انهن قد جرت عوايدهن ان القابلة تاخذ
ما نزل فيه المولود وذلك يجر الى الضرر بالمولود ان كانوا فقرا لان اهله
اذا علمن ان القابلة تاخذ ذلك لا يعتنين به وقد مضت عادة الناس
انهم يتبركون باثار الاكابر من اهل العلم او الصلاح او هما معا فاذا نزل المولود
في ثوب احدهم او في خرقة من اثرهم وذلك عندهم غنم وبركه فاذا علم
اهل المولود ان القابلة تاخذ ذلك استلوه لانفسهم للتبرك فحرم المولود

بركة مباشرة تلك الخرقة في اول ظهوره الى الدنيا بسبب البدعة كما حرم الميت
السترة الشرعية بسبب البدعة التي احدثوها في ان الغاسل ياخذ ما وجد
على الميت كما سبق ومن الناس من يتفاخر في الثوب الذي يترك فيه
المولود حتى انهم يخرجون في ذلك عما ينبغي لانهم يتخذونه من خرقة حرير
غالبا وقد ورد النهي عنه في الحديث لان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ
شيا من الذهب والحرير بيده الكريمة وقال هذان حرامان على ذكور امتي
حل لاناثها فقوله عليه الصلاة والسلام على ذكور ولم يقل على رجال دليل على
ان لبسه حرام على الذكر وان كان صغيرا على مقتضى ظاهر الحديث
والمخاطب بذلك ولي المولود وهم يتخذون الخرقة ولا يعلمون ما هو
المولود اذكر ام انثى ولا حجة لمن يقول قد اختلف العلما في لباس
الحرير للذكر الصغير لما تقدم من ظاهر الحديث انه دال على المنع وايضا
ولو قلنا بحله فهو مكروه في حقه فيجنبه المولود لتحصل له البركة والتفاول
الحسن بسبب خروجه من الخلاف وفي ذلك عظيم للثواب لوليه لانه
المخاطب به كما تقدم ثم ان بعض القوابل اذا استحسنت الخرقة التي
اعدت لان يترك فيها المولود اخذنها لانفسهن ولم يباشرن المولود
بها خشية ان يتغير حسنها او ينقص ثمنها واذا كان ذلك كذلك فدخول
القابلة على ان تاخذ ما اعدته مما هو مجهول يمنع اما اذا كان معينا او
موصوفا بصفة تحصره فذلك سايغ قليلا كان او كثيرا نقدا كان او عرضا فوقع
بسبب ما احدثته من البدعة ان الفقرا حرموا بركة اثر الاوليا والاغنيا
ووقعوا في المفاخرة بحطام الدنيا لاجل ما تذكره القابلة للناس من
الخرقة الحرير وصفتها التي اعدوها لنزول المولود فيها فحصل الضرر للفريقين
فاذا كانت القابلة باجرة معلومة كما تقدم انزاح هذا وغيره من المفاسد
وينبغي ان كلما يتناول المولود يتحفظ من النجاسات كالقابلة سوا
بعد التسمية لانها مشروعة في كل الحركات والسكنات سيما في هذا
الموضع الذي له قدر وبال فاذا خرج المولود من بطن امه الى ضو
الدنيا وجب الشكر لوجوه عديدة احدها ان امه كانت في خطر عظيم
حتى انه ليس لها من مالها الا الثلث لما كانت فيه من الخطر وسلامتها

نعمة شاملة يجب عليها الشكر وشكرها امتثال طاعة الله واجتناب نهيه واتباع
سنة نبيه صلى الله عليه وسلم اذ كانها وهبت عمرا جديدا الوجه الثاني ان
المولود اذا خرج صحيحا سويا غير ناقص فهذه نعمة ثانية يجب الشكر عليها من
الاب واقاربه ومن الام واقاربها على سلامتهم من النقص في ولدهم الوجه
الثالث الشكر على تكثير عددهم وقد قال علماونا رحمة الله عليهم النكاح
فيه خمس خصال حميدة اولها انه يغض الطرف والثاني يحصن الفرج
والثالث يكثر النسل والرابع يبقي الذكر والخامس يبقي الاثر فاذا ظهر المولود
فقد كثر به العدد ووقع به الذكر ان كان ذكرا والاثر ان كانت انثى فينبغي
الشكر على ذلك وقد ورد اكثروا من العايلة فانكم لا تدرون بايهم ترزقون
وقد يكون هذا الولد للحكمة الربانية سببا لكثرة الرزق والاستراحة
من التعب والنصب وهذا موجود حسا لانا نشاهد بعض الناس يكون
فقيرا ضعيفا تعبانا من التكسب بعيدا من العلم واهله الى غير ذلك
من الاحوال الناقصة فاذا حدث له مولود ظهر امره وكثر خيره وباشر
العلما ووسع ثوابهم بوساطة ولده الى غير ذلك من النعم المترادفة
وقد حكي ان حبيبا النجار رئي وهو يمشي في ركاب ولده فعذله بعض
الناس في ذلك فقال ما عرف حبيبا الا بولده وهذا مشاهد لا يحتاج الى
دليل ولا تمثيل فقابلوا هذه النعم العظيمة بضدها سوا بسبب العوايد
الردية المحدثة اذ انهم اذا ظهرت عندهم هذه النعم اقبل النسا على الزغرتة
ويرفعن اصواتهن بذلك مع وجود الدف والرقص واللهو واللعب والاستهتار
وقلة الحيا مع التفاخر بما يصنعنه من الاطعمة الكثيرة واجتماع ابنا الدنيا
وحرمان الفقرا المضطرين والمحتاجين مع تشوفهم وطلبهم كل على قدر
حاله واكثرهن يبقين على هذه الحال مدة للسابع ليلا ونهارا فكل من
جا بهني جددن لها اللهو واللعب والرقص والاستهتار الى غير ذلك
من احوالهن الردية ثم مع هذه القبايح الشنيعة المزامير والابواق
على الابواب تعمل مع ما في ذلك من الهرج والشهرة وقلة الحيا من
عمل الذنوب حتى صار الامر بينهم كانه شعيرة من شعاير الدين
تتبع فمن لم يفعل فعلهم كانه ابتدع بدعة في الدين وقد قال العلما

رحمة الله عليهم ان المراة اذا اضطرت الى التصفيق في صلاتها صفقت باصبعين
من يدها على ظهر يدها الاخرى لان صوتها عورة فمنعت من الكلام وعوض
عنه التصفيق على هذه الصفة فما بالك بما احدثته من هذه الامور الفضيعة
سيما عند احداث هذه النعم المتجددة واشد من هذا وافتح منه ان الغالب
ممن يراهم من الرجال او يعلم حالهم لا يغيره ولا يستقبحه ولا تشميزه نفسه
بل يسر بعضهم بذلك ويعين عليه واشد من ذلك كله واعظمه قبحا وشناعة
ان بعض من ينتسب الى العلم او الى الخرقة او الى المشيخة يفعلون ذلك في
بيوتهم ويستحسنونه ممن يفعله بل يجمعون الناس عليه ويدعونهم اليه ويذمون
من يفعل ذلك ولا يدعوهم اليه فانا لله وانا اليه راجعون على الجهل
والجهل بالجهل وليس ما يتعاطونه من هذه الاشيا خاصا بامر النفاس
بل هو عندهم عام في كل امر حدث لهم به سرور حتى في الحاج اذا قدم فعلوا
مثل ما تقدم ذكره واما في امر النكاح فلا تسال عما احدثوا فيه من المخالفة
بل ما يفعلونه في النفاس نقطة من بحر ما يفعلونه في النكاح وهو كثير
متعدد فلا ان يحصروا ويرجع الى قانون معلوم لاختلافه بالنسبة الى
الاقاليم والبلاد والعوايد وما تقدم ذكره من امر النفاس فيه غنية عن
الكلام على تفصيل ما يفعلونه في النكاح ولا يظن ظان ان هذا انكار لوليمة
النكاح بل هي سنة معمول بها على الوجه المطلوب في الشرع وكذلك
الضرب بالدف الشرعي وهو ان يكون سالما من الصراصر والسلسلة
الحديد التي احدثت فيه ويكون الفاعل لذلك احد شخصين اما جارية
من الوخش ممن لا يلتفت الى صورتها ولا الى سماع صوتها غالبا او حرة
متجالة لا تشتهي ولا يلتذ بكلامها بخلاف من تشتهى او يلتذ بصوتها فان
ذلك منها محرم لا يجوز فهذا هو اعلان النكاح واشهاره على ما مضى من
فعل السلف رضي الله عنهم بخلاف ما تسوله الانفس الامارة بالسو
من الالتفات الى العوايد الرديه والاغراض الخسيسه وقد ذكر
ان بعض الانبيا عليهم السلام دخل الى بلد فوجد فيها بعض الناس
قد اصابهم حزن فضجوا واظهروا المخالفة لما اصابهم ووجد اخرين قد
انعم عليهم ففرحوا وسروا وخرجوا بذلك الى كفر النعمة فقال ابتلى هولا فما

صبروا وانعم على هولا فما شكروا واذا لا يكفي المقام مع قوم هذا حالهم او حما قال
وخرج من بينهم وهذا الحال اكثر حال اهل هذا الزمان الا ان الخروج من
بين اظهرهم في هذا الزمان متعذر لان المكلف لا يخرج الى موضع اخر الا ويجد
فيه ما هو مثل ما خرج منه او يزيد عليه فلا فايدة اذا في خروجه الا حصول
التعب والنصب والاستشارة وغيرها مما يبدد حاله ويمنعه من جمع خاطره
والدوب في عبادة ربه عز وجل والنظر في خلاص مهجته الى غير ذلك فالعزم
على الانتقال من موضع الى اخر يوجب ما تقدم ذكره وغيره فالحاصل من
هذا ان العازم على الانتقال في هذا الزمان يعوض عن ذلك لزوم
بيته وترك الخوض فيما هم بصدده غير مفارق لجماعتهم فيحصل له بذلك
بركة امتثال السنة لقوله عليه الصلاة والسلام نعم الصوامع بيوت امتي فاذا
امتثل ما امر به صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه سلم من هذه
الافات كلها وكانه غايب عنهم فلم يضره بعون الله وبركة نبيه عليه الصلاة
والسلام شي مما هم فيه بل يكثر اجره ويعلو امره عند ربه بسبب ما يجد في
نفسه من القلق والانزعاج عند روية شي من ذلك او سماعه وهو مع
ذلك ملازم طاعة ربه ممتثل سنة نبيه عليه الصلاة والسلام لم يزعزعه
شي من ذلك كله بل يرى ذلك غنيمة باردة سيقت له فيغتنمها ويشكر
الله على ما حباه منها لقوله عليه الصلاة والسلام العمل في الهرج كهجرة معي
وقد تقدم هذا بما فيه كفاية الوجه الرابع الشكر على ما في ذلك من
البشارة من المولى سبحانه وتعالى للوالدين بكون ان عملهما لا ينقطع
وان ماتا لان ولدهما من سعيهما واثارهما فان كان صالحا فتح على ذات
كان غير ذلك فما نعل من خير حصل الثواب لوالديه من غير ان ينقص
من اجره شي وما فعل من غير ذلك فلا يصل اليهما منه شي ثم كذلك في
ولد الولد الى منتهى انقراضهم وهذا خير عظيم ونعمة شاملة يتعين
الشكر عليها لقوله عليه الصلاة والسلام قيدوا النعم بالشكر انتهى فانظر
الى هذه النعمة ما اجلها واعظمها الى غير ذلك من الوجوه التي يتعين الشكر
عليها فقابلوها بضدها كما تقدم قبل ويتعين على ولي المولود ان يحترز
مما احدثته ايضا من ان المولود اذا جاوا الى قطع سرته جمعوا عنده كل

ها وبعللن ذلك ليلا يصيبها شي من الجان وكذلك يحذر مما احدثه بعضهن من

مولود يحتاج الى دخول ذلك البيت الذي تقطع فيه سره المولود فحينئذ
تقطع القابلة سرة المولود ويزعمن ان من لم يحضر من الصغار عند
قطعها ودخل بعده تحول عيناه او يبقى يبكي كثيرا وذلك منهن باطل
لا اصل له في الشرع الشريف فينبغي طرحه وترك المبالاة به والله الموفق

فصل وينبغي ان يحذر مما يفعله بعض القوابل وهو ان الواحدة

منهن اذا دخلت الى بيت وقبلت فيه لا يمكن غيرها ان يدخل عليها فيه
ويعللن ذلك بزعمهن ان دم المولود ودم امه قد وقع على يد القابلة
الاولى فلا تدخل غيرها عليها فيه ومن فعل ذلك منهن وقع بينها وبين
القابلة الاولى واهل البيت شنان وخصام كثير ويعتقدون ان فعل
ذلك محرم وهذا انهكم في الشرع الشريف وافترا فينبغي لولي المولود
ان لا يقرب من هذا حالها حتى يبين لها حكم الشرع الشريف في
ذلك قبل اتيانها فان رضيت والا تركها واخذ سواها على المنهج الاقوم
والطريق الاسلم ولو فعل ذلك على سبيل حسن الصحبة والتالف
وترك التشويش لكان ذلك حسنا وكذلك ينبغي ان يحترز مما احدثه
بعضهن في ليلة السابع وهو ان يضعن عند راس المولود الختمة واللوح
والدواة والقلم ورغيفا من الخبز وقطعة سكر ان كان مقلا ومن كان
له التقل سعة عمل رغيفا كبيرا من الكماج والموجه من السكر وطبقا
من الفاكهة وقفة من النقل وسعا ومن كان فقيرا اخذ من كل
واحد من ذلك شيا ما فاذا كان صبيحة تلك الليلة فرقن كلما اجتمع
عند راسه من ذلك ويزعمن انه بركة لمن اخذه وانه ينفعه من
الصداع ويعللن ذلك ايضا بان الملايكة تكتب بالدواة والقلم ما يجري
على المولود في عمره الى حين وفاته وذلك كله كذب محض وافترا
من قبل انفسهن وكذلك يحذر مما احدثه بعضهن من كتب عصابة
للمولود بزعفران يكتبون فيها سورة يس او غيرها من القران
فيعصبنه بها في يوم سابعه وكذلك يحذر مما احدثه بعضهن من ان
المولود اذا غابت عنه امه لضرورة في البيت ولم يكن عندها من يقعد
عند المولود تجعل عنده لوزا مملوا ما او شيا من الحديد وكذلك يحذر

مما احدثه

مما احدثه بعضهن من اخذهن شيا من الملح ويصبغن بعضه بالزعفران وبعضه
بالزنجار غالبا ويخلطن فيه شيا من الكمون الاسود ويفذن الشمع الذي
كان عند راسه وتلبس ام المولود ثيابا احسانا ويدورون بها وبولدها البيت
كله والقابلة امامها حاملة المولود وامراة اخرى امام القابلة معها طبق فيه
الملح المذكور ينثرنه في البيت يمينا وشمالا وفي الطبق شي من البخور بخور
مخصوص بالولادة ويزعمن انه ينفع من الامراض والكسل والعين والجان
والشر كله وهذا منهن كذب وافترا وبدع ليست من الشرع المطهر في شي
فاللبيب من سلم نفسه واهله وولده الى الشرع الشريف وترك كلما احدثه المحدثون
لان كل من احدث شيا الغالب انه يعلله بتعاليل لا يقوم منها شي على
ساق لكن لا يظهر باطلها الا لاهل العلم والبصيرة والتمييز غالبا فليحذر
من العوايد الردية كانت ما كانت وحيث كانت فالخير كله في الاتباع والشر
كله في الابتداع اسال الله ان يمن علينا بالاتباع وترك الابتداع بمحمد واله صلى الله
عليه وسلم وينبغي لولي المولود ان كانت له قدرة ان يعق عنه في يوم سابعه
لانها سنة موكدة وحكمها حكم الاضحية في السن والسلامة من العيوب وقد
سيل عليه الصلاة والسلام عما يتقي في الضحايا فاشار بيده الكريمة وقال
اربع العرجا البين عرجها والعورا البين عورها والمريضة البين مرضها
والعجفا التي لا تنقي انتهى ووقتها طلوع الشمس من يوم السابع فان ولد
المولود في اثنا اليوم طرح ذلك ولا يحسب ويتحفظ فيها كما يتحفظ في الاضحية
فلا يعطي الذابح اجرته من لحمها ولا جلدها وكذلك القابلة لان ذلك
عوض فيدخل بذلك في قسم البياعات ولحم الاضحية والعقيقة لا يجوز
بيعها ومن هذا الباب ما يفعله بعض الناس في هذا الزمان
وهو ان ياتي بما يذبحه في العقيقة الى المسمط فيعطي جلدها وراسها
واطرافها للصانع الذي يعملها وذلك محرم لا يجوز هذا ان عملها سليخا
واما ان عملها سميطا فقد تقدم ما في ذلك من المفاسد فاغنى عن اعادته
وينبغي ان لا يعمل بها وليمة ويدعوا الناس اليها لانه لم يكن من فعل
من مضى وقد سيل مالك رحمه الله ايصنع منها طعاما ويجمع عليه
الاخوان فانكر ذلك وقال تتشبه بالولايم وقال انما يطبخ وياكل ويطعم

الجيران وينبغي ان كان المولود ممن يعق عنه فلا يوقع عليه الاسم
الاحين يذبح العقيقه ويتخير له في الاسم مدة السابع فاذا ذبح العقيقه
اوقع عليه الاسم فان كان المولود ممن لا يعق عنه لفقر وليه فيسمونه
في اي وقت شاوا ثم العجب ممن يدعي الفقر منهم ويعتل به على ترك
سنة العقيقه ويتكلف لبعض العوايد التي احدثوها ما يزيد على
ثمن العقيقه الشرعيه فمن ذلك ما يفعله بعضهم في يوم السابع من
عمل الزلابيه او شرايها وشرا ما توكل به ما ثمنه اضعاف ما تفعل به
العقيقه الشرعيه هذا ما يفعله بعضهم في يوم السابع مع وجود النفقه
الكثيره فيه لغير معنى شرعي بل للبدعه والظهور والقيل والقال وبعضهم
يفعل ذلك ايضا في اليوم الثاني من الولادة وبعضهم يفعل ذلك
في اليوم السابع وفي اليوم الثاني والثالث من الولادة وبعضهم يقتصر
على احدهما ويعتلون في ذلك بكونهم لا يقدرون على العقيقه
والعقيقه الشرعيه ثمنها ايسر واخف من ثمن ذلك بل لو اقتصروا
على ترك ما احدثوه في العصيده من البدعة لكان فيه ثمن العقيقه
الشرعية وزيادة لان العصيدة لا تحتاج اليها الا النفسا وحدها فريديه
واحدة واحدة او دونها تكفيها وهم يعملون العصيده ويشترون ما توكل
به ويفرقون ذلك على الاهل والجيران والمعارف وهذا شي لا يتعين
عليهم ولا ندبهم الشرع اليه وان كان اطعام الطعام مندوبا اليه في
الشرع الشريف لكن ما لم يعارض ذلك ترك سنه وهم لو اشتروا بثمن
العصيدة وما يوكل به ما يعوته على الوجه الشرعي لكان فيه الكفايه
وزيادة ثم يزيدون مع ذلك ما يتخذونه من النقل ليله السابع ويفرقونه
في يومهم كما تقدم بيانه وهذا في حق الفقير منهم ومنهم من يعوض
عن النقل المذكور حلاوة على صفة معلومة تشبه النقل يسمونها
بالمفردات وبعضهم يسمونها بالنور وذلك من باب السرف والبدعه
ومحبه الظهور والخيلا وترك السنن والاهتبال بامرها واغتنام بركتها
ثم مع ذلك زادوا عادة ذميمه وهو انه لابد ان يجددوا كسوة لاهل البيت
وكذلك كلما يحتاج اليه البيت حتى الحصير لابد من تجديدها الى

غير

غير ذلك مما اعتادوه فانظر رحمنا الله تعالى واياك الى صرف هذه النفقات
وكثرتها وتشعبها ثم انهم مع ذلك يعتلون لترك العقيقه الشرعية بعدم
القدرة عليها وبعضهم يتداين لتلك العوايد ولبعضها ويعتلون بان
العقيقه لا تجب عليهم ولا يشغلون ذمتهم بالدين لاجلها ويشغلون ذمتهم
ذمتهم بالدين لاجل العوايد عكس ما يندبون اليه ويطلب منهم في الشرع
الشريف ثم ان التداين لاجل العقيقه الشرعية يخلف على المنفق عليها
وييسر عليه وفاديها كالاضحيه لبركة امتثال السنة فيها وكذلك في جميع اموره
الامتثال ولا شك ان الشيطان اللعين الذي الهمهم ذلك حتى يحرمهم بركة امتثال
السنة لاجل ان فعلها بركة وخير وغنم وهي بالنسبة الى ما جعلهم من العوايد
يسيرة وفيها الثواب الجزيل وفي العوايد ضد ذلك ولو لم يكن في فعل البدعة
من الذم الا ان النفقه فيها لا تخلف ولا يثاب عليها مع تعبه لاجلها ففيها التعب
دنيا واخرى وفي فعل العقيقه من الفوايد اشيا كثيرة امتثال السنة واخماد
البدعة ولو لم يكن فيها من البركه الا انها حرز للمولود من العاهات والافات
كما ورد في السنة فمهما فعله كانت سببا لكل خير وبركه والبدعة بضد ذلك
وقد حكي عن بعضهم انه دخل عليه بعض اصحابه فوجد والذهب والفضة
منثورين في بيته واولاده ذاهبون وراجعون عليها فقالوا له يا سيدنا
اما هذا اضاعة مال فقال بلى هي في حرز قالوا له واين الحرز قال لهم
هي مزكاة وذلك حرزها فكذلك فيما نحن بسبيله من عق عنه فهو في
حرز من العاهات والافات واقل ما فيه تقع بالمولود يحتاج وليه ان
ينفق عليه قدر العقيقة الشرعيه او اكثر منها فمن كان له لب فليجعل
جهده على فعلها لانها جمعت بين حرز المال والبدن اما البدن فسلامة
المولود بسببها من الافات والعاهات كما تقدم واما كونها حرزا للمال
فان النفقه في العقيقه نزر يسير بالنسبة الى ما يتكلفونه من
العوايد المتقدم ذكرها وغيرها من النفقات فيما يتوقع على المولود
من توقع العاهات والافات ومنها كثرة الثواب لاجل امتثال السنه
في فعلها وتعريفها سيما في هذا الزمان فان فيها الاجر الكثير لاجل قلة
فاعلها لقوله عليه الصلاة والسلام من احيى سنه من سنني قد اميتت

فكانما احياني ومن احياني كان معي في الجنه فقد شهد عليه الصلاة والسلام
لمن احيى سنه من السنن اذا اميتت بالمعيه معه عليه الصلاة والسلام
الجنه في والعقيقه في هذا الزمان قل ان تعرف وان عرفت عند بعضهم فالاسم
ليس الا في الغالب منهم لانهم يفعلون فيها افعالا تخرجها عن الوجه المشروع
فيها لما فيها مخالفة وفيها الشرعي التي تذبح فيه لان بعضهم يوخرها عنه وليس
ذلك من السنة وان كانت تخرج عند بعضهم لكن فوت نفسه فضيلة امتثال
السنة في الوقت الموضوع لها ومنها عدم التوفيه بشروطها اذ انهم يعطون
من لحمها وجلدها للصانع كما تقدم بيانه وقد قال علماونا رحمة الله عليهم فيمن
كان له ثوب للجمعة ولا فضله عنده غيره فانه يبيعه حتى يضحي فكذلك
يبيعه حتى يعق عن ولده وكذلك قالوا انه يبدا بالاضحيه فكذلك
يبدا بالعقيقه سوا فاذا اختار والد الاسم من حين ولادته الى سابعه
كما تقدم فينبغي ان يختار وله من الاسما ما كان سالما من التزكيه والكنى
المنهي عنها في الشرع الشريف وقد تقدم ذلك بما فيه كفايه وله في
التسميه باسما الانبيا عليهم السلام واسما الصحابه رضي الله عنهم مقنع
وبركه وخير فيقتصر على ذلك دون غيره وقد وقع لسيدي ابي محمد
رحمه الله وهو بمدينه تونس انه لما ان ازداد له مولود طلبوه ببعض
عوايدهم الجاريه فابى عليهم وقال السنة اولى قال وكنت مريضا لا اقدر
على الحركه فلما ان عزمت على العقيقه وحرمت بها رايت فيما يرى النايم
اني ماش على الطريق ومعي شخص اخر فبينما نحن نمشي في الطريق
واذا جيفة قد عرضت لنا في وسطها فقال لي الشخص الذي كان معي
عسى انك تعينني على زوال هذه الجيفه من الطريق لان النبي
صلى الله عليه وسلم يعبر من هاهنا الساعة قال فقلت له نعم فازلنا
الجيفه عن الطريق ونظفناه واذا بالنبي صلى الله عليه وسلم قد اقبل
فسلمت عليه فقال لي وعليكم السلام يا فقيه ورحمه الله وانتبهت
من نومي فوجدت العافيه في الوقت فاصبحت وخرجت واشتريت الذبيحه
للعقيقه بنفسي فلما ان عملتها جمعت بعض الاخوان وحدثتهم بما جرى
فاشتهر الامر وكانت العقيقه اذ ذاك قد درست عند بعض الناس

حتى

حتى كانها لا تعرف فاشتهرت بعد ذلك في البلد وهذا هو نص الحديث
الوارد عنه عليه افضل الصلاة والسلام حيث قال من احيى سنه من سنتي
وقد تقدم فاولت الجيفه على العوايد واولت ازالتها وتنظيف الطريق
على امتثال السنه **فصل واما الختان فقد مضت عادة السلف**
انهم كانوا يطهرون اولادهم حين يراهقون البلوغ لكن قد ورد ان
النبي صلى الله عليه وسلم طهر الحسن والحسين يوم السابع او نحوه
والامر في ذلك قريب فاي شي فعله المكلف كان ممتثلا وذلك راجع
الى مقتضى التعليل لان الصغير ليس بمكلف والقطع منه قبل تكليفه
فيه ايلام له بما لا يلزمه في الوقت واما طهوره حين المراهقه فهو متعين
لان كشف عورته بعد البلوغ محرم لكن يدخل عليه في ذلك الالم الشديد
والبطو في البرء بخلاف الصغير فان المه خفيف وبروه قريب واختلف اذا
ولد مختونا هل يطهر ام لا على قولين فمنهم من قال هذه مونه كفانا
الله اياها فلا حاجة تدعوا الى فعلها ولان كشف العورة من كبير وصغير
لا يباح الا لضرورة شرعيه والضرورة معدومة والحالة هذه وقال
بعضهم لا بد من اجرى الموسى عليه ليقع الامتثال اذ السنة في ختان
الذكور اظهاره وفي ختان النسا اخفاوه واختلف في حقهن هل
يخفضن مطلقا او يفرق بين اهل المشرق فاهل المغرب لا يومرون
به فاهل المشرق يومرون به لوجود الفضله عندهن في اصل الخلقة
واهل المغرب لا يومرون به لعدمها عندهن وذلك راجع الى مقتضى
التعليل فيمن ولد مختونا فكذلك هنا سوا **فصل في صنعة الفلاحة**
اعلم وفقنا الله تعالى واياك ان جميع الصنايع فرض على الكفاية
في الغالب لان بعضها اكد من بعض فوقعت البداه بما الغالب عليه
التعبد وهو غسل الميت والحفر له ودفنه والنعش وما يحتاج اليه
في مباشرة ذلك كله على سبيل التنبيه فاذا فعل ذلك المكلف
ينبغي ان تكون نيته فيه ان يقوم به عن نفسه وعن اخوانه
المسلمين بنية فرض الكفاية ليسقط عنهم فيدخل بذلك في
قوله عليه الصلاة والسلام والله في عون العبد ما دام العبد في

عون اخيه انتهى ثم يضم الى ذلك من البيانات التى تقدمت في حق العالم
ما يحتاج الجاهل منها الى كل فعل يفعله ولا ينظر الى الاجرة على ما هو يفعله
بل يفعل ذلك بنية صالحة والرزق ليس من شرطه ان ياتى من جهة
معلومة فان قسم له منها بشي اخذه من غير استشراف فيذهب عنه
بذلك افة الاستشراف ويقع له البركة ان لم ياته شي من تلك الجهة
تمحض الفعل لله تعالى فيبقى له ذخيرة يجده احوج ما يكون اليه والرزق
المقسوم فى الازل لا يفوته اذ ان الرزق يطلبك اكثر مما تطلبه انت
ويبقى الصبر والتحمل والحرص والتعب بين الناس فمن اريد به السعادة
اقيم فى المقام الاول وهو الصبر والتحمل ومن اريد به ضد ذلك اقيم في
القسم الثانى وهو الحرص والتعب نعوذ بالله منهما وقد تقدم في
حق العالم بيان هذا كله حين اخذه الجامكيه او تعديها وكذلك فى
كل شي يفعله المكلف فيما بينه وبين اخوانه المسلمين فيحصل له الثواب
الجزيل باسقاط الفرض عنه وعنهم واذا كان ذلك كذلك فيحصل منه
انه لا فرق بين صلاته وتصرفه فى كل ما هو فيه اذ ان كل ذلك قد رجع
الله تعالى خالصا فبقى فى جميع احواله متقلبا فى العبادات وهذا
افضلها بعد الايمان بالله واداء المفروضات لان هذا نفع متعد وذلك
ارجح فى الوزن واعظم عند الرب عز وجل فاذا علم ذلك فاكد ما
على المكلف من الصنايع والحرف الزراعة التى بها قوام الحياة
وقوت النفوس فلذلك يبدى به على سبيل التنبيه على ما بعده
ويعقبه ان شا الله تعالى الكلام على ما يستر به العورة وذلك راجع
الى صنعة الحياكة وهى القزازة ثم الاكد فالاكد والاولى فالاولى بحسب
ما ييسره الله تعالى واذا كان ذلك كذلك فالزراعة من اعظم الاسباب
واكثرها اجرا اذ ان خيرها متعد للزراعة ولاخوانه المسلمين
وغيرهم والطير والبهايم والحشرات كل ينتفع بزراعته حتى انه ليقال
ان الزارع لو سمع من يقول ناكل منه حين زراعته لم يزرع
شيا لكنه من يقول ناكل منه فما فى الصنايع كلها ابرك منها
ولا انجح اذا كانت على وجهها وهى من اكبر الكنوز المخباة فى الارض

لكنها تحتاج الى معرفة بالفقه وحسن محاولة فى الصناعة مع النصح التام والاخلاص
فيها لحينيذ تحصل البركات وتاتى الخيرات وقد ورد فى الحديث ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يغرس غرسا او يزرع زراعة فياكل
منه انسان او بهيمة الا كان له حسنات الى يوم القيمة ومن ذلك ما ورد
ايضا ان الملايكة تستغفر للزارع او للغارس ما دام زرعه اخضر او كما
قال عليه السلام واذا كان ذلك كذلك فمن فيه اهلية لتعلم العلم
المحتاج اليه فى حرفته فيتعين عليه التعلم ومن لم يكن فيه اهلية لذلك
فليسل العلماء عن فقه ما يحتاج اليه فى زراعته او غيرها من الحرف
اذ ان ذلك يحتاج الى فقه كثير والذى ينبنى عليه الامر هو تقوى
الله تعالى فاذا حصل لم يقدر المر على شى مما يحاوله حتى يعرف لسان
العلم فيه وبالسوال تحصل العلم وقد جرى بمدينة فاس ان بعض
الشباب حصل له جذام وكان ممن يسكن خارجها فجابه اهله الى الطبيب
بها وكان عارفا حاذقا مشهورا بذلك فلما ان راه قال لهم ما يطب هذا
الا حواري عيسى فايسهم من بريه فرجعوا فبينما هم فى اثنا الطريق
مروا برجل من معارفهم وهو يزرع فى ارض فسلموا عليه فرد عليهم
السلام وقال لهم من اين اقبلتم قالوا من مدينة فاس قال وما فعلتم
فيها قالوا ذهبنا اليها بسبب ولد فلان واخبروه الخبر فقال لهم وما
قال لكم الطبيب قالوا له قال لا يبرى هذا الا حوارى من حوارى
عيسى عليه السلام فوجد من ذلك ثم قال واين حوارى محمد صلى الله
عليه وسلم ثم سالهم عن الشاب اين هو فقالوا له ها هو ذا حاضر
فامر به فاحضر بين يديه فمشى يده عليه ونفث واذا بالشاب قد ذهب
عنه جميع ما كان به وقام صحيحا سويا ثم قال لهم ارجعوا به الى الطبيب
وقولوا له هذا فعل واحد من حوارى محمد صلى الله عليه وسلم وكان
هذا الرجل الصالح الزارع ممن لا يعرف بصلاح مستور الحال وما
ذاك الا ان الكسرة اذا كانت طيبة جرى هذا وامثاله من الكرامات
وخرق العادات ببركتها وقد كان سيدى ابو محمد رحمه الله يقول
اعلموا انهم قد تقاصرت عن العبادات والانقطاع الى الله تعالى

نعليكم بالزراعة فانها تحصل الاجور الكثيره ارادها المكلف ام لا يردها وما
قاله رحمه الله بين ظاهر حتى ان كثيرا ممن يراعي هذه النيه الصالحة
فيها تقع له البركات حتى يقال عنه انه وجد كنزا ولقد صدق القايل
الا ان هذا غير ما اراده لان فايدة الكنز ومنفعته انما هي وجود البشرة
والاستغنا وهذا واقع لمن حاول الزراعة على ما ينبغي من محاولتها
شرعا ولهذا المعنى كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
انقسموا في سببهم على قسمين فمنهم من كان يعمل في الحوايط وهي
البساتين ومنهم من كان يتسبب في الاسواق وكلاهما حسن لكن الزراعة
لمن يحسنها اولى وافضل لما تقدم ان فيها الثواب الجزيل والنفع المتعدي
وقد تقدم حكاية بعض الشيوخ الذي كان يزرع في ارضه عشيه
عرفه وما جرى له من كونه ترك الوقوف بعرفة لاجل زراعة ارضه
اذ ذلك لاجل ما احتوت عليه نيته من زراعتها واذا كانت الزراعة
بهذه المثابه فينبغي بل يتعين المعرفه بلسان العلم في محاولتها لتاكدها
سيما القوت الذي هو صلاح القلب والقالب وبه يصفو الباطن ويكثر
الخشوع الا ترى الى ما ورد في الحديث ان الحلال بين والحرام بين وبينهما
امور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد
استبرا لدينه وعرضه ومن حام حول الحمى يوشك ان يرتع فيه الا وان
لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه انتهى ولم يزل السلف الماضون
رضي الله عنهم يتحفظون على القوت الذي يدخل اجوافهم التحفظ
الكلي وفيه كان تورعهم والوساوس التي تدخل عليهم فيه يدفعونها
عن انفسهم ببركته قال ابن العربي رحمه الله وقد ورد في الحديث
الصحيح عن عايشة رضي الله عنها انها قالت قلت يا رسول الله من المومن
قال الذي اذا اصبح سال من اين قرصه واذا امسى سال من اين
قرصه قلت يا رسول الله لو ان الناس كلفوا علم ذلك لتكلفوه قال
علموا ذلك ولكنهم غشموا المعيشه غشما وقال عليه السلام طلب
الحلال فريضة على كل مسلم بعد الفريضه اى بعد فريضه الايمان
والصلاة وروي عنه عليه السلام انه قال من اكل الحلال اربعين

يوما

يوما نور الله وجهه واجرى ينابيع الحكمة من قلبه وروي عنه صلى الله عليه
وسلم انه قال ان الله يحب المومن المحترف وفي الصحيح قال صلى الله
عليه وسلم احل ما اكل الرجل من كسب يده وفي الحديث ان رجلا قال
يا رسول الله دلني على عمل ادخل به الجنة فقال لا تسال احدا شيا انتهى وقد
ورد في الحديث من بات تعبا من طلب الحلال بات مغفورا له واصبح والله
راض عنه ثم انظر رحمنا الله تعالى واياك الى ما جرى من ابي بكر الصديق
رضي الله عنه في شربه اللبن التي شربها قبل ان يسال عن جهتها فذكر
له ذلك فسال فاخبر بشي لم تطب نفسه بجهته فتقاياها وقاسى من ذلك
معالجة شديده فقيل له في ذلك فقال والله لو لم تخرج الا بروحي
لاخرجتها لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من حرام
فالنار اولى به وقريب من هذا ما روي ان عمر ابن الخطاب رضي الله
عنه كان له جراب فيه قوته وعليه قفل من حديد والمفتاح عنده
لا يمكن منه غيره حتى يتعين له ذلك ما يدخل في جوفه فهذا كان حالهم
في تحفظهم رضي الله عنهم في امر المطعوم واما الطهارة فعلى العكس من
ذلك الا ترى الى قول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لما ان قال عمرو ابن
العاص رضي الله عنه يا صاحب الحوض هل ترد حوضك السباع فقال
له عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يا صاحب الحوض لا تخبرنا فانا نرد
على السباع وترد علينا وما روي عنه ايضا انه قال اني لاجده يحدر
مني مثل الخريزة وانا في الصلاة فلا اقطع لذلك صلاتي يعني المذي
هذا وقد كان اماما يقتدي الناس به في صلاتهم فما بالك بغير الامام وقد
كان بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشون حفاة
ثم يصلون ولا يغسلون اقدامهم الا اذا اصابتها نجاسة رطبة وكانت
الكلاب تدخل من باب المسجد وتخرج من الاخر على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى غير ذلك من احوالهم السنية التي
لا ياخذها حصر عكس حال كثير من اهل الوقت اذ انهم يتورعون
في امر الطهارة ويضيعون كثيرا من اوقاتهم بسببها ويتساهلون في
امر القوت ويركنون فيه الى قوله قايل او زله عالم بالحل او الكراهة

يجعلونه حجه في اخذ الحطام على الحال فانا لله وانا اليه راجعون وقد كان
سيدي ابو محمد رحمه الله يقول لو دخلهم الوسواس في امر القوت دون
الطهارة لكان انجح واولي بل اوجب لانه ماش على قانون الاتباع او كما كان
يقول رحمه الله وقد تقدم ان الخروج من الخلاف اولى بل اوجب واذا
كان كذلك فلا ينبغي للمزارع ان يترك حق الفقرا من الزكاة لقول
احد بسبب انه ان فعل ذلك امتحقت البركات وذهبت على سبيل
التجربة والمشاهدة بل عليه ان يعطي الخراج ويخرج الزكاة عنه وعما فضل
فيه لكي تكثر البركه وينفع الخلف وتحصل الاعانه على الطاعة والاستقامة
على السنة وقد اختلف العلما رضي الله عنهم في اجارة الارض على اربعة
اقوال القول الاول انه يجوز اجارتها بكل شي يجوز ملكه وبيعه كان مما تنبته
الارض او لا القول الثاني انه لا يجوز كراوها بشي مما تنبته كان طعاما
او غيره القول الثالث انه يجوز كراوها بما تنبته ان لم يكن طعاما مثل
الخشب والصندل القول الرابع انه ان زرع فيها الحنطة جاز ان ياخذ
في اجارتها العدس وما اشبهه من القطاني وينبغي للمكلف ان يعمل
علي الخروج من الخلاف جهده لان ذلك سبب لحصول البركه ونجح السعي
سيما في القوت لان الحلال يعين على الطاعه ويكسل عن المعصية
وكفى بها منه ويسقط كرا الارض عنه باحد شيئين احدهما عدم [illegible]
والثاني استيجارها حتى يفرغ اوان الزراعة واذا تقرر انها من اعظم
الاسباب واعمها نفعا فتنبغي المبادرة اليها قبل غيرها لتحوز المرء
فضيلتها ويغتنم بركتها لان البركه لا تحصل الا بالامتثال والامتثال
انما يقع بالعلم او بالسوال كما تقدم وهذا الذي تقدم كله انما يفعله
مع وجود السلامة في الدين والعرض والمال واما مع توقع ضد
ذلك فتركه اذا متعين وله في غير الزراعة من الاسباب الشرعيه
سعة لان افة الزراعه في هذا الزمان قد عظمت على ما هو معلوم
مشهور حتى ان الزارع كانه عند بعضهم اسير ذليل حقير وكانه لا مال
له عندهم ولا روح وهذا التنبيه لما فيها من الذل في هذا الزمان كاف
لينتبه به على ما فيها من الخطر وقد كان سيدي ابو محمد رحمه الله

منتسبا

متسببا بصناعة الفلاحة والغراسة في بلاده فلما ان ورد الى الديار المصرية
اراد ان يتسبب بذلك لاجل العايلة فلما ان راي حال اكثر المزارعين
في هذه البلاد وما هم فيه من الشظف قال لا يحل لي ان اتسبب في
ذلك ها هنا ثم وقع له ان التسبب في حقه متاكد لاجل العايلة فاراد ان يتسبب
بغير الفلاحة ثم قال اذا اضطررت الي التسبب تسببت لهم في غيرها
فانقطع الى الله تعالى وترك الاسباب واشتغل بالعبادة والقا العلم
ففعل الله تعالى معه ما هو اهله فاغناه الغنا الكلي عن الناس
وعن الاسباب بسبب عز الطاعة والنيه الصالحة وقد تقدم انه كان
لا ياخذ صدقة واجبه كانت او تطوعا الى غير ذلك مما تقدم من ذكر
حاله رحمه الله فاذا كان ذلك كذلك فترك الصناعة اذا كانت تول الي
بعض ما يجري على الفلاح وغيره يتعين تركها فكيف بالفلاح المسكين
نفسه وتحصيل الفضايل المتقدم ذكرها في الفلاحة انما هي مع وجود
السلامة مما هو معلوم في هذا الزمان على كثير من الفلاحين وقد
جا بعض الناس لسيدي ابي محمد رحمه الله يستفتيه في التسبب
مع شخص لا يرضى حاله فمنعه من ذلك فقال له لي بنات وعايلة
ليس لهم شي يقتاتون به فقال له ما يلزمك ان تتسبب لهم الا في الشي
الحلال واما غيره فلا يلزمك منهم شي هم عايلة الله فان اراد ان يطعمهم
اطعمهم وان اراد ان يمنعهم منعهم ولا عذر لك في الدخول في الحرام
بسببهم او كما قال ولو فرضنا ان الطين لجندي او غيره وزرعه لنفسه
فلا ان يتاتى له ذلك بسبب كثير من الفلاحين الذين يباشرون
ذلك اذ ان الغالب منهم اذا علموا منه عدم الجراة والظلم ينهبوه فيها
حتى انه لا يحصل له مما زرعه الا بعض خراج الارض فالجاه ذلك
الى عدم الزرع بسبب سو تصرفهم حتى كان ماله عندهم حلال يتصرفون
فيه وبعضهم يبالغ في الاذية حتى انهم ليقتلون البهايم التي له من
شدة الجوع لاخذهم ما ارصده لها من العلف فوقع الفساد من الفريقين
فانا لله وانا اليه راجعون

فصل واما الغراسة فهي اخف من الفلاحة غالبا اعني

في سلامة من يتعاطاها من الذل

والاهانة مما يجري على الفلاحين وهي انجح في حق من يحسنها لكنها تحتاج
الى علم بها وعلم فيها فاما العلم بها فهو العلم بصناعة الغراسة وما يصلحها
وما يفسدها واما العلم فيها فهو تعلم لسان العلم وما يجوز منها ويحرم ويكره ويباح
سيما في المساقاة اذ ان لها اركانا وشروطا لا تصح الا بها وقد كثرت المفاسد
فيها لاجل ما اعتاده بعض الناس فيها ويتعين في حقه ان لا يسلك
سنات الطرق بل يمشي على جادة الامر الواضح الذي عليه اكثر العلما ويترك
ما حال في نفسه من الركون الى الخلاف الضعيف والمشي على القناطر
التي اصطلح عليها بعض الناس حتى آل امرهم فيها الى ان يبيعوا الثمرة
الى سنين ويعتلون انها مساقاة والمساقاة في الشرع لها شروط واركان
ولا شي منها موجود الا باللفظ الظاهر ليس الا ولا حقيقة لذلك في الباطن
اذ انهم انما دخلوا على ان ياخذ المالك الثمرة كلها في تلك السنين وصفة
ما يزعمون انها مساقاة جايزة ان يساقي بعضهم بعضا على مايه جزء تسعة
وتسعون فيها للمساقا وجزء واحد للمساقي ثم يهبه بعد ذلك جزءه
فتبين بذلك انهم دخلوا على ان الكل للمساقي وهذا بيع الثمرة قبل بدو
صلاحها لكن يعلم في ذلك في الوقف اشد في التحريم لان الجزء الذي
يهبه المساقي على غير عوض لا يجوز في الوقف وهذه القناطر وما اشبهها
على مذهب مالك ومن تبعه لا عبرة بها اذ ان قاعدة مذهبه ان ينظر
الى باطن الامر وما وقع الاتفاق عليه لا الى اللفظ الظاهر واذا كان
كذلك فيتعين ترك الاحتراف بها كما يتعين ترك الزراعة ثم يرجع
الى سبب اخر بشرط ان يكون على الوجه الشرعي وهكذا كلما وجد
علة في سبب تركه وعدل الى غيره الى ان يجد سببا على الوجه
الشرعي فيحترف به فينتفع له البركة والخير بخلاف من تسبب في شي
مما يخالف الشرع الشريف فان البركة تمحق من بين يديه مع الاثم
الحاصل له فليحذر من ذلك جهده والله الموفق **فصل** في صناعة
القرازة والكلام عليها كالكلام على ما قبلها من امر الزراعة والغراسة
اعني في كيفية النية فيها لانها فرض من فروض الكفاية والفرض
اعلى في الفضل من السنن فينظر اولا في النيات في الثياب

التي

التي يخرج بها العالم الى المسجد والى القا الدروس والى السوق فينوي
ما تمس الحاجة اليه منها فيما يحاوله من امر صناعة القرازة ويفعل ما يفعله
في امر صناعتها على نية اسقاط الفرض عنه وعن اخوانه المسلمين
برفع الكلفة عنهم في تحصيل ما يحاوله وييسر ذلك عليهم والنصح لهم فيه
وامر الرزق تابع لذلك لا متبوع له اذ ان الرزق مقسوم قد فرغ منه فليس
للمرء قدرة على ان يزيد فيه شيا بصناعته ولا بحليته ولا ان ينقص منه
بكسله وتركه لمعاناته بل يكون عمله خالصا لوجه ربه عز وجل لا يبغي
به بدلا ولا عوضا واذا كان كذلك فيتعين عليه النصح فيما هو بحاوله
من صناعته فينصح لاخوانه المسلمين كما ينصح لنفسه او اكثر وقد قيل
كما تدين تدان فان كان الغزل مثلا فيه عفن او اصابته من التبييض
الشرعي ويتعين عليه ان يحذر مما يفعله بعض من لا يسال عن
ما يلزمه في صنعته من النصيحة لاخوانه المسلمين والبيان لهم
وذلك ان بعضهم ياخذ غزل الحرير فيصلقه نصف صلقه ثم يخرجه
وهو بعد على حاله من عدم التبييض ثم يضيعه ثم يفترقون في ذلك
على اقسام فمنهم من يبيعه غزلا لمن يطرزبه ومنهم من ينسجه ثم يبيعه
خرقة ومنهم من يعمل منه حاشيه ومنهم من يمزجه مع الغزل كثوب
الطرح فكل ذلك ممنوع في الشرع الشريف اما تركهم لبياضه فلا شك انه
من باب الغش والخديعة للناس لانه لا يقوى للاستعمال بخلاف الذي
يكمل بياضه فانه يصح ويقوى واما بيعه غزلا فهو من باب الغش ايضا والخديعة
اذ انه لا يمكث الا قليلا ويتغير ان لم يغسل فاذا غسل ذهب لانه عند
الغسل ينصوف ويرجع الى اصله سعرا واما نسجه خرقة وبيعها فهو
ايضا من باب الغش كما تقدم لان الذي ياخذها انما ياخذها على سبيل
السلامة من العيوب الظاهرة والباطنة حتى انه لو بين له البايع
ما تاتي في الخرقة من الفساد بسبب ما جرى في غزلها لامتنع
من شرايها ولو فرضنا ان البايع بين ذلك للمشتري ورضي به فذلك
لا يجوز ايضا لوجهين احدهما ما في ذلك من اضاعة المال وقد نهى
النبي صلى الله عليه وسلم عنه ومن ارتكب ما نهي عنه فهو اثم والثاني

ان المشتري قد يشتري الخرقه لان يبيعها فتتعدي المنفعة الى غيره وغيره
بسبب انه ان بين هذا الا يبين الاخر فيكون في ذلك اضاعة اموال
الناس وهذا لا يجوز شرعا وهذا اشد ما تقدم في الجما انه يجب عليه ان
يبين انها من عمل يده ولو فرضنا انه يبين فالغالب ان من صارت اليه لا
يبين فلا فرق اذا بين الاول والثاني في التحريم والغالب ان ذلك كله يرجع
ملكا الى من لا يعرف ذلك اصلا مثل الصبي في المهد يرث ذلك وما اشبهه
ممن لا يعلم ذلك ولا يمر بباله او لا يمكنه ان يعبر عنه كالاخرس الذي لا
يحسن الكتابة ولا يفهم منه الاشارة فيحصل الضرر لمن وقع ذلك في ملكه
فيجب قطع اصل هذه المفسدة حتى يسلم المؤمن افتها ومع ما تقدم
ذكره فان البركة تنزع من ثمن ذلك وغيره ويمحق من بين يدي من
من يستعمل ذلك نسال الله السلامة بمنه ومن الغش والخديعة
ايضا ما يفعله بعضهم من صبغ الغزل بالحرث وهو يحرق الغزل
ويذهب بقوته ويترك الصبغ بالنيله وهي نافعة الغزل غير مضره
له وانما جاهد الفساد لترك ملاحظة اجتناب ما نهى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بقوله عليه الصلاة والسلام حب الدنيا راس كل خطية
انتهى ولا شك ان فاعل ذلك لولا محبته للدنيا ما وقع في هذه النازلة
العظيمة وذلك ان الحرث عندهم ارخص من ثمن النيله فيستعملونه
لعل ان يتوفر عليهم تفاوت ما بين ثمن الصبغين وهو لعمر الله بالعكس
فلو استعملوا النيله مع الزيادة لكان اربح وانجح ومع ذلك يسلمون من
غش الناس وعدم نصحهم وعدم الاثم في المخالفة فانا لله وانا اليه
راجعون وبالجملة فينبغي عليه ان تجنب كل كل شي يعلم انه ينقص
قوة الغزل او فيه تدليس ما فان ذلك كله ممنوع في الشرع الشريف
وكذلك لا يعمل على الخرقة شمعا ولا بد لكنها بشي حتى تحسن وتبرق
او يظهر انها صفيقه وهي على الضد من ذلك فان هذا وما اشبهه
من التدليس والغش وقد قال عليه الصلاة والسلام من
غشنا فليس منا انتهى فيعمل جهده على براة ذمته ويعوض عنه
النصيحه لاخوانه المسلمين وكذلك ان كان في الخرقه ارس او خلل

ما فانه تجعله على ظاهر الخرقه حتى يظهر ذلك للمشتري او لا ثم مع ذلك
يبين له البيان التام اذ ان اصل العبادات وعمدتها انما هو باكل الحلال
والحلال لا يكون مع عدم النصيحه لنفسه ولاخوانه المسلمين وقد
تقدم ما ورد ان من اكل الحلال اطاع الله تعالى شا او ابى ومن اكل الحرام
عصى الله شا او ابى وان قدر ان يكون ذاكرا الله تعالى في حال عمله للصناعة
فهو اولى بتكثير صنعته به لتحصل البركه به ولمن يستعمل تلك الخرقه فان
لم يمكنه ذلك اشتغل باله بتدبير صنعته او غيرها فينبغي ان لا يغفل عن
الذكر بقلبه وهكذا يفعل في جميع ما يحاوله من شغله بامر الصناعة او
غيرها من الاسباب الشرعيه وقد تقدم ان ستر العورة واجب وذلك
لا يكون في الغالب الا بهذه الصناعة ففاعلها يتصرف في فرض واجب
وفعله فيه ما فيه من الثواب فكيف اذا اقترن به حسن النيه وتعدادها
واحتسابها لله سبحانه وتعالى وهذا خير عظيم لا يحصره الا من به
فاذا لا فرق بين شغله في الصناعة وبين الصلاة والصوم وغيرهما من
ساير التطوعات المختصة بالمرء والمتعديه لغيره وقد تقدم ما في النفع
المتعدي واذا كان كذلك فلا يبالي صاحب هذا الحال في اي وقت
يفتجاه الموت لانه اذا جاه انما يجده في الطاعة والخير المتعدي
اذ ان احواله كلها قد صارت جميعها عبادة يتقرب بها الى ربه عز وجل
لكن يتعين عليه ان يعن في صناعته كلما يعلم انه مفسد لنيته او
منقص لها وكل ذلك راجع الى مقتضى علم الصنعة فكل شي يرى اهل
الصنعه انه غش او مكروه فيها فيتجنبه ولا يقربه ويتعين عليه ان
يتحفظ من انه اذا كانت على يده نجاسة ان يمس الخرقة او الغزل
اذ ذاك حتى يغسل النجاسة وكذلك يتحفظ ان يمشي عليها بقدمه
وفيه النجاسة وكذلك يتحفظ ان يجعل ذلك على الارض النجسه او على
موضع نجس او ينشر الغزل على حايط او جريد او حبل نجس وكما يتعين
ذلك في حقه كذلك يتعين عليه ان يامر به من عنده ممن يحاول ذلك
معه من الصانع والصبي وغيرهما وهذه الصنعة بعد الزراعة
من افضل الصنايع واعظمها لان بها تقع السترة غالبا والسترة واجبة

في الشرع سيما في الصلاة التي هي عماد الدين وما كان بهذه المثابة فينبغي
ان يراعي حق اهلها وما زال الفضلا واهل الصلاح والخير يحترفون بها
وهذا ابعد ما يقوله بعض من لا يعرف العلم ويتجاسر بالنطق بضد ما يخالفه
نص الكتاب العزيز لانه تعالى حكى في كتابه العزيز عن كفار قوم نوح عليه
السلام انهم قالوا له انؤمن لك واتبعك الارذلون قال بعضهم هم القزازون
فهم الارذلون عند الكفار الخاصة عند الرب عز وجل وهذا مدح لهم وثنا
عليهم لان الله عز وجل قد خصهم واجتباهم دون غيرهم ممن خالف نوحا عليه
السلام الا ترى الى قوله عليه السلام لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما
بلغ مد احدهم ولا نصيفه يعني ان من سبق الى الاسلام قد فاز بالسبق
فلا يقدر من بعده ممن اسلم ان يصل الى فضيلته ولو انفق مثل
احد ذهبا بيده فقوله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح
وقاتل اوليك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا
وعد الله الحسنى وانظر الى قوله تعالى في حق نوح عليه الصلاة
والسلام وجعلنا ذريته هم الباقين وقوله تعالى فانجيناه ومن معه
في الفلك المشحون ثم اغرقنا بعد الباقين ولا يخطر بقلب مسلم
ان من نجا مع نوح انهم هم الارذلون وليحذر مما يفعله اكثر السفها من
اهل هذه الصفة وهو انه اذا كان في زمان الحر تعروا من السترة
مرة واحدة وتبقى عوراتهم بادية وهذا مما لا خلاف في تحريمه واشد
من هذا انهم يظنون ان ذلك مباح لهم وقد سلم اهل المغرب
من هذه المعصية لكن بقي عند بعضهم منها شي ما وهو انهم يلبسون
سراويل بحيث ان يكون في المعقد نصف العورة ويبقى بعض
الفخذ مكشوفا ولبس الثوب الذي يصف ممنوع واظهار بعض
الفخذ مكروه على المشهور وقيل حرام ومن تعرى من السترة فلا شك
انه شبيه بالبهائم اذ ان وجه البهيمة وفرجها مكشوفان الا ان
ذلك لا يستقبح من البهيمة اذ انها غير مخاطبة وهذا المسكين مخاطب
وهو عاص في فعله فيتعين على المكلف صيانة نفسه وصيانة اصحابه
ومعارفه من هذه النازلة فانها شنيعة قبيحة وقد كان بمدينه

فاس

فاس بعض المباركين من اهل هذه الصناعة يعمل على نوله حصيرا تستره
من رؤية الناس حتى يسلم من رؤية ما يكره او يمنع وهذا هو الذي يتعين
في هذا الزمان اللهم الا ان يكون المكان مع قوم راجعين اليه ممتثلين
ما يامرهم به وان كان غير ذلك فليتحفظ منهم كما تقدم في الحكاية واما ما يفعله
بعضهم من انهم ياخذون الغزل من هذا وهذا ويخلطون الجميع سوا
كان احدهما مثل الاخر او ارفع منه او دونه فينسجون الجميع ويعطون لكل
واحد منهم على قدر غزله وهذا لا يجوز ولو كان احد الغزلين مثل الاخر
لان صاحبه لم ياذن في ذلك وهذا ليس من امر الصناعة في شي بل هو
من باب الخيانة والغش وقد يكون بعضهم لا يلبس الا الحلال البين
وقد يكون غيره بالعكس وما بينهما وكذلك يحذر مما يفعله بعض السفها
منهم من انه ياخذ الغزل الرفيع لنفسه ويبدله باغلظ منه او بغزل عفن
ضعيف القوة مثله في الرفع وذلك حرام لا شك فيه واحوالهم في هذا
وما اشبهه لا ياخذها حصر وما تقدم من افعالهم انما هو من باب الغش
البين ليس من امر الصناعة في شي بالجملة فلا يخلو حالهم من قسمين
اما ان يكون صانعا يعمل بالاجرة عند غيره واما ان يكون يعمل لنفسه
وهو ايضا على قسمين احدهما ان يكون الناس ياتونه بالغزل فينسجه لهم
وهو الذي يسمونه بالقبالة والقسم الثاني ان يشتري الغزل وينسجه لنفسه
ويبيعه فالقسم الاول يحتاج الصانع فيه الى النصح وبذل المجهود لعلمه وتبع
غرضه وما يامره به من المصلحة في ذلك اللهم الا ان يامره بشي مما يقتضي
التدليس او غيره مما تقدم فلا يرجع لمعلمه فيه فان ابى المعلم تركه ومضى
الى غيره ممن تخلص ذمته عنده والقسم الثاني ان يعمل للناس
القبالة فهذا يحتاج الى النصح ايضا في عمله ويحتاج مع ذلك ان يحترز
على الخيوط التي تفضل ولا يرمي منها شيئا وان قل ولا يترك احدا من
الصبيان الصغار الذين يخاف منهم ان يقطعوا شيئا من الغزل او
يرموه ان يباشروا غزل الناس فيحترز من ذلك جهده فان فضل بعد
ذلك فضل من الخيوط والقاه في باطن الخرقة ويدفع ذلك لصاحبه واما
اذا كان يشتري الغزل ويعمل لنفسه ويبيع في السوق فهو اسلم

فى الغالب مما تقدم ذكره لشرط ان ينصح للمسلمين ولا بد لس بفعل سى من
الشمع او الدلك كما تقدم بيانه ويحترز مع ذلك على الغزل مما يطرا عليه
فى البياض وغيره مما يضعفه فان كثيرا منهم يسامح نفسه اذا كان يبيع فى
السوق ومنهم من يفعل فعلا محرما وهو انه اذا عجزت الخرقه التى يعملها
للقبالة يكملها بغزل سوقى من عنده بغير اذن صاحبها ويأخذ بعد
ذلك عوضه او يكملها بغزل اخر لغير صاحبها ثم يأخذ عوضه ويعطيه
للاول فليحذر من هذه المفاسد وما شابهها ومن يباشر الامر بنفسه
هو المطلع على المصالح والمفاسد فيلزمه المصالح ويحرم عليه المفاسد والله
الموفق للصواب **فصل فى القصارة فى تقدم فى امر القراءه
ما ينويه فيها من** النيات وما يجتنبه من المفاسد فكذلك فى القصاره
مما يتجنبه فيها ان لا يقصر بما نجس ولا يبسط القماش على شي نجس
ولا يمشي عليه باقدامه وان كانت طاهرة اللهم الا ان يكون المشي لا يصل
الى رش القماش كله الابه وكذلك يحرم عليه ان يستعمل اروات
البقر كما يفعله بعض القصارين فانه يقطع الخرقه سريعا بسبب
شدة حرارته وكذلك ما يشبهه وكذلك يحرم عليه استعمال الحمر
فانه يقطعها عاجلا وكذلك يحرم عليه ان يعصرها عصرا شديدا خارجا
عن الحد المعتاد فى الشرع الشريف لان ذلك يضرها واشد من ذلك
ما يفعله اكثرهم من ضرب الخرق على الحجاره حين القصارة وذلك
يذهب بقوة الخرقه ويضعفها واذا كان كذلك فهو من باب اضاعة المال
وهو محرم على الصانع وعلى صاحب الخرقه وان رضيا بذلك والقصاره
المباحة انما هي بل القماش ونشره فاذا نشف اعاد عليه الماء كذلك
حتى يبيض وانما يقع الفرق بين القصارة المباحة وبين ما يفعلونه
مما تقدم ذكره طول المده وقصرها فيستعجلون فى قصر الزمان
الذي يقصر فيه حتى يبيض فيه سريعا وذلك سبب فى قصر
عمر الثوب حين استعماله وذلك لا يجوز فمن اراد السلامة فليصبر
مدة تبيض فيها الخرقه دون معالجة لها بما يضرها ثم ان بعضهم
زاد الى هذه المفاسد ان يستعمل الخرقه فى بيته ويتخذها سفره

اوسماطا

اوسماطا وكذلك يحرم عليه ان يعيرها لغيره يفعل ذلك بها مدة ويتعلل
لصاحبها كلما طالبه بها فانها لم تفرغ قصارتها وهي مع ذلك فى بيته يستعملها
ويتبذل بها حتى اذا اعيى صاحبها جيئه يخرج بها ليقصرها ويفعل فيها
ما تقدم من المفاسد فتبيض فى اقرب وقت ولذلك يكون تقطيعها
فى مدة قريبه بعد لبسها لما صنع فيها من الجير وغيره مما تقدم ذكره فان
قال قايل ان الصنعة تقتضي ان يجاولها بالجير والروث وما يشبهه لان
الخرقه تبيض بهما فالجواب ان القصارة المعروفة عند العلما انما هي
بالماء والشمس لا بغيرهما كما تقدم بيانه وهذه المفاسد المذكورة كلها مشاهدة
مرئيه منهم فتجد فى الخرقه بسبب ما يتعاطونه مما تقدم ذكره اروسا كثيره
وبعضهم يرفيها بغير اذن صاحبها ويستر ذلك بالصقل مع الصابون ويدلس
بذلك على صاحبها وبعضهم لا ينصح فى قصارتها بل يحسها باشيا فاذا لبست
ثم غسلت ظهرت سمرتها وقد ال غشهم بسبب ذلك الى من يشتري
الخرقه بدرهمين الذراع مثلا او اكثر فاذا استعملت وغسلت تخرج فى
اول غسله ولا خفا بتحريم هذا واشباهه واشد من هذا ان بعض
القصارين يستحل استعمال ذلك بغير اذن صاحبه ويتعلل بان القماش
ان لم يلبس لم تحسن قصارته وذلك لا يجوز بغير اذن صاحبه وبعض
الناس يستعمل الخرقه حتى اذا اتسخت دفعها الى القصار فتارة يشرع
القصار فى قصارتها وتارة يستعملها الاخر ثم يقصرها كما تقدم فاذا فرغت
قصارتها خرجت كانها جديدة لما يفعل فيها مما يحسنها ظاهرا فاذا اخذها
المشتري ولبسها انقطعت سريعا كما تقدم وسبب هذا الغش عدم
البيان المعتبر فى الشرع الشريف وقد ورد فى الحديث عنه عليه
الصلاة والسلام من غشنا فليس منا وقد ورد الدين النصيحه قالوا لمن
يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولايمة المسلمين وعامتهم فمن
اراد السلامه فليترك ما تقدم ذكره لئلا يدخل فى هذا الوعيد العظيم
نسل الله تعالى السلامة بمنه سان ما بينهما واحد يدخل الجنة
بعمله وتسببه واخر يدخل النار بهما كل ذلك راجع الى ما احتوت
عليه سويدا القلوب من النيات الحسنة وضدها ومن حسن

التصرف اوضده لعد ان يكون المرئى اعلى عليين يرجع الى اسفل سافلين
بسبب عمله ونيته ولو لم يكن فى الغش من المهالك الا ان البركه تنزع
من بين يدى من فعل ذلك بسبب ضرره للمسلمين وسو تصرفه فى
حقهم وعدم نصحه لهم ومن نصح لله ولكتابه ولرسوله ولايمة المسلمين
وعامتهم فاز بالراحة والعافيه فى الدارين جميعا اسال الله ان لا يحرمنا
ذلك بكرمه انه ولي ذلك والقادر عليه بمحمد واله صلى الله عليه وسلم

فصل فى صنعة الخياطة وهده الصنعة ايضا من

اكد الصنايع وهى من فروض الكفايه كما تقدم فى غيرها وهى متعلقه
بستر العورة غالبا وذلك فرض سيما فى حق المراه لانها كلها عورة واما
الرجل فمن سرته الى ركبته وستر باقى بدنه سنه وكمال ثم بعد ذلك
التجمل المطلوب فى السنة المطهرة ثم ما يدفع به الحر والبرد كما قال
تعالى فى سياق الامتنان على عباده وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر
وسرابيل تقيكم باسكم فنبه سبحانه وتعالى بذكر الحر على البرد وغيره
اذ ان ما يقى الحر يقى البرد واذا كان ذلك كذلك فالخياطه خيرها متعد
لجميع الناس وقد تقدم ان الخير المتعدي افضل من القاصر على
المكلف وحده واذا كان كذلك فينبغى للمكلف ان لا يدنس ما هو فيه
من هذه الطاعة بشى مما يشينها او يذهب بثوابها او ينقصه وذلك
لا يحصل له الا بالعلم والعلم لا يحصل الا بالتعلم او بالسوال كما تقدم فى
غيره فعلى هذا يتعين عليه النصح فى صنعته جهده لتحصيل هذا
الثواب واكد ما عليه ان تجتنب المفاسد فى صنعته فان ضررها متعد
كما ان خيرها متعد اذ انه اذا لم ينصح فيها كان فى ذلك ضياع لاموال
الناس ومفاسدها عديده قل ان تنحصر او ترجع الى قانون لكثرتها
وتشعبها لكن ننبه على بعضها ليستدل بها على ما عداها فمن
ذلك ان المعلم اذا كلف الصانع الذى عنده ان يخيط بالخيط من
غير ان يفتله فلا يفعل ولا يرجع اليه فى ذلك لان الخيط اذا لم يفتل
لم تكن له قوة تضم الخياطة معها وكذلك لو امره ان يشل ويوسع بين
الغرزتين وما اشبه ذلك لم يرجع اليه فيه وكذلك لو كان الثوب

مما لا يجوز لبسه او يكره فيرده على صاحبه ولا يخيطه له وان كان مضطرا الاجرته
مثاله ان يكون ثوب حرير للرجال او ثوبا من غير الحرير سابلا لاسفل من
الكعبين او يكون فى الثوب وسع خارق للرجال يصل الى حد السرف
فهذا محرم لا يجوز وكذلك الاعانة عليه لا تجوز واما النسا فالثوب الواسع والسابل
فى حقهن سنة وكمال وكذلك الحكم فى تفصيله ثياب النسا على ما اصطلحت
عليه من العوايد المخالفة للشرع الشريف من لبس الضيق والقصير
الى غير ذلك من عوايدهن الذميمة لان السنة مضت فى ثياب الرجال
ان تكون قصيره دون وسع خارق قال الامام ابو بكر الطرطوشي رحمه الله فى كتاب
سراج الملوك له ولما دخل محمد ابن واسع سيد العباد فى زمانه على بلال
ابن ابى بردة امير البصره وكان ثوبه الى نصف ساقيه قال له بلال
ما هذه الشهرة يا ابن واسع فقال له يا ابن واسع انتم شهرتمونا هكذا كان
لباس من مضى وانما انتم طولتم ذيولكم فصارت السنة بينكم بدعة وشهرة
انتهى والواسع والطويل فى حق النسا هو السنه فعكسوا الامر فى ذلك
فانا لله وانا اليه راجعون وكذلك يتعين عليه ان لا يفصل ثوبا لجندار
او ظالم وما اشبههما ولا يخيطه لانه ان فعل ذلك فقد اعانهم على ما يتعاطونه
فيكون شريكا لهم فى الاثم بسبب الاعانه لهم ولو لم يكن فيه الا انه ترك
اقل مراتب الانكار وهو التغير بالقلب فانه اذا باشرهم ولا بد من رد السلام
عليهم وكلامهم وذلك يخرجهم عن الهجران المتعين عليه وايضا فان ما فى
ايديهم من الدنيا سحت وهو يتعب فى صنعته ليأكل الحلال فكيف يأخذ
الحرام البين فى اجرته فيجتمع عليه التعب واكل الحرام واشد من ذلك
ما يقع لبعضهم فى اعتقاده انه يأكل الحلال بسبب صنعته وهو يعملها
لمن هذا حاله فان اضطر الى الخياطة لاحد من هولا او غصب عليها
فيتعين عليه ان يوسع الحيلة فى اخذ اجرته من غير كسبهم مثل ان
يتداينوا ويدفعوا له اجرته من ذلك او يحيلوه بها على من هو متستر بلسان
العلم فيما بيده وهذا اذا كان مال الظالم كله حراما فان كان مختلطا
ففيه خلاف بين العلما لكن يتعين عليه ان يتحيل فى اخذ اجرته
من الجهة المستورة بالعلم كما تقدم فهو ابرك وانجح لعمله وسعيه ومن

اكد ما يتجنبه فى ذلك ان لا يخيط لمقدم ومن نوبته ومن دونه ممن يشبههم
فى كثرة الضرر على المسلمين وترك الشفقه عليهم ومن اكدها ما يتجنبه
فى ذلك ان لا يخيط ولا يفصل ثوبا لامراه يتهمها بالبغى او من هى معروفة
به فان فيه اعانة لها على الزنا لكونها تتجمل بلبس ذلك لغير زوجها
الا ترى الى ما جا فى الحديث ان العرش يهتز لنطفة وقعت فى حرام
او كما قال عليه السلام فليتحفظ من هذا جهده وكذلك لا يخيط لمن كانت
متبرجة من النساء ظاهرة للزينه وان كانت لا تعرف بالزنا لان ذلك ايضا
اعانة لها على الحرام لان التبرج فعل محرم ويخرج ذلك الى ادخال التشويش
والفساد به على كثير من المومنين وقد قال الله فى كتابه العزيز
ان الذين فتنوا المومنين والمومنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم
ولهم عذاب الحريق ومن اعان على فتنه فهو كفاعلها الا ترى ان فتنه
شارب الخمر قد تعدت الى لعن نحو العشرة وهم عاصرها وشاربها
وبايعها ومشتريها وحاملها والمحمول اليه ومقتنيها وحاضرها الى غير
ذلك فكذلك كل مخالفة فى الغالب تجد فتنتها متعددة فيقع الاثم على
فاعلها وعلى كل من اعانه بشى ما كل بحسب حاله فليحذر من يجد ر
وما التوفيق الا بيد الله وكذلك يتعين عليه ان لا يفصل ولا يخيط
ثوبا للمكاس ولا غيره ممن شابهه لان ذلك اعانة له على ما هو بصدده
وترك التغيير عليه ايضا وذلك لا يجوز وكذلك يتعين عليه ان يحترز
من خياطة الثوب الواسع وان كان صاحبه متلبسا بالعلم لان العلم
ليس بكثرة الرواية وانما هو باتباع ما يامر العلم به والعلم ينهى عن ذلك
وكذلك يتعين عليه ان يجتنب ما يفعله بعض الناس فى ثوبه من
السجاف الواسع فى ذيله واكمامه وقد مضى ذكر ذلك فى موضعه فليتحفظ
منه جهده ويتعين عليه ان يجمع قصاصة كل ما خيطه وما فضل فيحفظ
ذلك كله ويلقيه فى الثوب حين طيه ولا يغفل عن ذلك فيتعمر به
ذمته وينبغى له اذا سمع الاذان ان يترك كل ما هو فيه ويشتغل بحكاية
المودن والشروع فى اسباب الصلاة من الطهارة والمضى بها الى المسجد
فى جماعة ولا يحرم نفسه من فضيلة ذلك بسبب ... فان ذلك